مَوسُوعَة
تاريخ الأمبراطورية العُثمانيّة
السّياسي والعسكري والحضاري



المجلد الرابع

الدار العربية للموسوعات

موسوعة
تاريخ الأمبراطورية العثمانية
السياسي والعسكري والحضاري

٦٢٩-١٣٤١هـ / ١٢٣١-١٩٢٢م

تأليف

يلماز أوزتونا

ترجمة

عدنان محمود سلمان

مراجعة وتنقيح

د. محمود الأنصاري

المجلد الرابع

الدار العربية للموسوعات

الطبعة الأولى

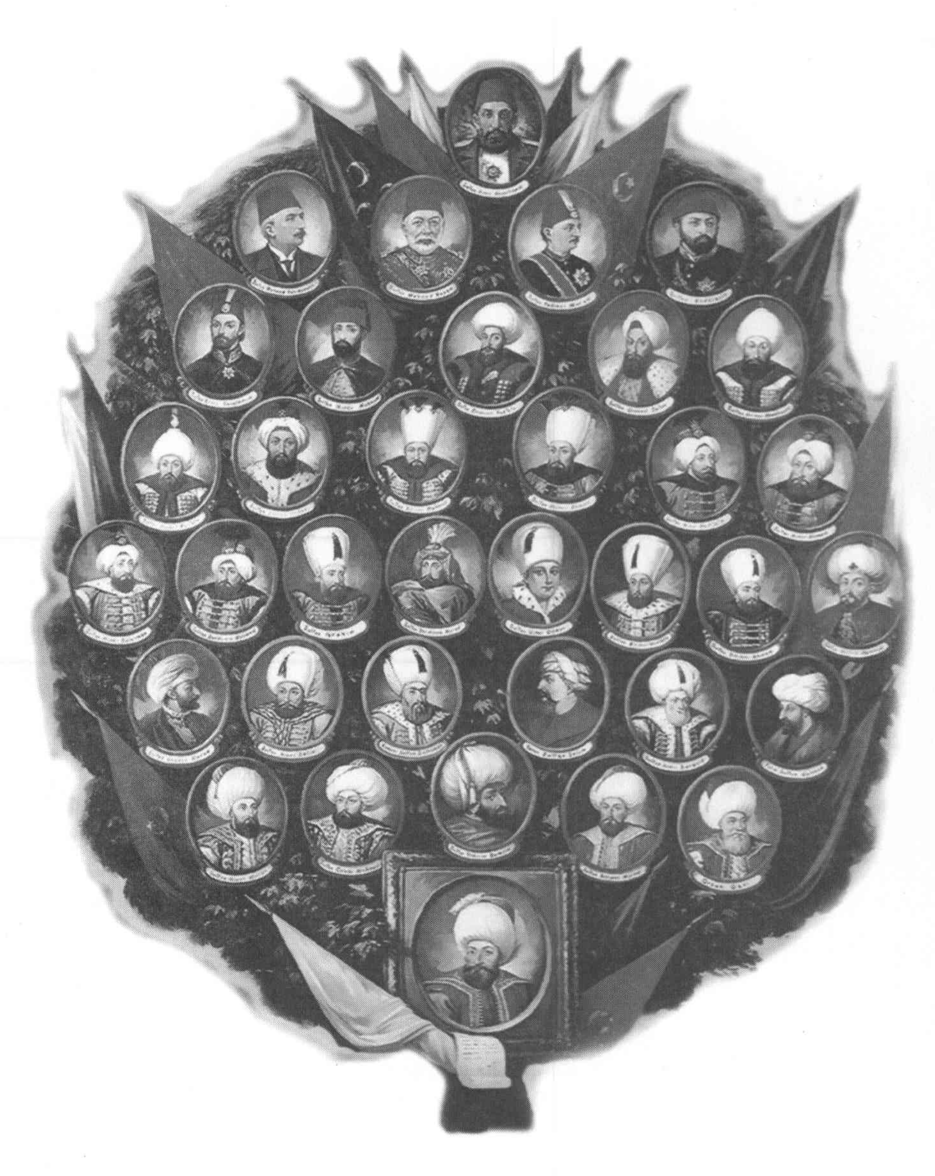
٢٠١٠م - ١٤٣١هـ



الدار العربية للموسوعات

الحازمية - مفرق جسر الباشا - سنتر عكاوي - ط١ - بيروت - لبنان
ص.ب: ٥١١ الحازمية - هاتف: ٩٥٢٥٩٤ ٥ ٠٠٩٦١ - فاكس: ٤٥٩٩٨٢ ٥ ٠٠٩٦١
هاتف نقال: ٣٨٨٣٦٣ ٣ ٠٠٩٦١ - ٥٢٥٠٦٦ ٣ ٠٠٩٦١
الموقع الإلكتروني: www.arabenchouse.com البريد الإلكتروني: info@arabenchouse.com

خالد العاني: مؤسسها ومديرها العام



سلاطين بني عثمان

البحث الرابع عشر

الدين والقانون
العدالة والثقافة



1 – الدين :

كان دين الدولة العثمانية الرسمي الإسلام ومذهبها السنية – الحنفية . كان الاسلام دينًا للدولة ، والحنفية منهبًا لها . المذاهب السنيّة الثلاثة الأخرى (الشافعية ، المالكية ، الحنبلية) ، كانت مكانتها متعادلة مع الحنفية . كان البادشاه خليفة لأتباع المذاهب الأربعة وممثلاً للدين الإسلامي والأصح زعيمًا لجميع مسلمي العالم ، رمزًا للوحدة ، خليفة ، وخلفًا شرعيًا للرسول ﷺ ، وهو شخصيًا حنفي المذهب ، ومن الطبيعي أنه ليس بإمكانه التفريق بين المذاهب السنيّة الثلاثة الأخرى . لكل مذهب مفتٍ خاص به .

الحاكم الذي يسمى قاضيًا كان دائمًا حنفي المذهب ، ولكن إذا حدث أن طلب المدعي أو المدعى عليه ، النظر في دعواه بأحكام أحد المذاهب الفقهية الثلاثة الأخرى ، كان مضطرًا لتلبية هذا الطلب . وطلبٌ كهذا ، لم يكن يتكرر كثيرًا لكون الحنفية أكثر ليبرالية من المذاهب الأخرى .

لكن الدولة العثمانية كانت دولة عالمية عظمى . الدول العظمى تكون لها رعية من جميع الأديان والمذاهب . لم تكن في الدولة العثمانية قضية تمييز الوطن الأم – مستعمرة . لا يوجد تمييز كما في الدولة العالمية العظمى الرومانية ، مواطن روماني – أجنبي ولا كما في الدولة الأموية العظمى ، عربي – عجمي ، ولا كما في الدولة العظمى بريطانيا ؛ مواطن بريطانيا العظمى والمستعمرات . كان كل أتباع الدولة سواسية . كانت توجد بعض فروق من الناحية الوظيفية ، لكن ذلك لم يكن يولد فروقًا حقوقية من شأنها أن تولد وضعًا منافيًا للحق البشري .

إن والي الإيالة (بكلر بك) الذي يكون حنفيًا على الدوام ، كان يقوم بإدارة بلاده بتوافق وانسجام تامين مع إشراف تلك الإيالة سواء كانوا شافعية أم مالكية أم حنابلة . ولكن يلاحظ أن بعض السلاطين عرضوا على رجال الدولة الشافعيين الذين شغلوا مناصب رفيعة في إستانبول ممن هم من أصل عربي وكردي ، التحول عن مذاهبهم والانتساب للمذهب الحنفي . أما أكثرية السلاطين ، فلم يفعلوا ذلك . وعمومًا فإن الفروق بين المذاهب الأربعة لا تزيد على كونها فروقًا جزئية .

كان للإمبراطورية رعايا من غير السنّة أيضًا . من الصحيح أنهم ليسوا كثيرين ،

لكنهم على كل حال موجودون : الزيديون الشيعة في اليمن ، الإثنا عشرية أوالجعفرية الشيعة في العراق ، الخوارج العباديون في بعض أماكن من الجزائر وتونس ، الدروز في لبنان وسوريا ، الإسماعيلية الشيعة (الشيعة السبعيّة) في بعض المناطق ، النصيريّون ، العلويّون ... ما وضع هؤلاء ؟ لقد كان في استطاعتهم جميعًا ممارسة معتقداتهم بكل حرية ، لا تمارس الدولة أي ضغط أو تدخل في شعائرهم ومعتقداتهم ، وبإمكانهم تدريس أصول فقههم الخاص في مدارسهم الدينية ، وأشهرها المدرسة الشيعية العالية في النجف التي سمحت الدولة العثمانية بتدريس الفقه الشيعي فيها بمستوى جامعي دون اعتراض . لكن المسلم غير السني ، لا يصبح موظفًا مهمًا ، ولا تعطى له أية وظيفة في المركز (إستانبول) . إما عليه أن يكون سنيًا ، أو عليه أن يخفي معتقده ويتظاهر بأنه سنّي . إن هذا يبدو مخالفًا لنظرتنا الحالية ، لكن كان هذا هو الواقع . وفي العالم أجمع كان الوضع كذلك . كان هذا وضع الكاثوليك في إنكلترا حتى القرن 19 ، ووضع البروتستانت في أسبانيا حتى القرن 20 ، لا يوظفون في الدولة . والحقيقة ، إن عقلية الدولة العثمانية ، كانت لا تبالي بكون قسم من رعاياها علويين ، شيعة ، خارجيين . ولو كانت تبالي بذلك ، لضغطت ، وحاولت بشتى الوسائل أن تحولهم إلى سنّة . شيئًا كهذا ، لم يحصل في أي دور من الأدوار . إن عدم توظيفهم في خدمة الدولة لم يكن بسبب تباين أساليبهم في الاعتقاد ، إنما كانت الخشية من نفوذ أذناب وجواسيس الشاه إليهم ، وبالفعل ابنثوا بينهم . إذ إن الدولة الإيرانية الصفوية ، كانت تركية كذلك . كانت تعترف بالشاه إمامًا . لم يعدم الشاعر الشعبي بير سلطان لعدم قبول العدول عن مذهبه العلوي والشيعي ، إذ إن الإمبراطورية كانت تحتوي على مئات الألوف من الرعايا ، أصحاب هذا المعتقد ، وإنما أعدم لأنه كان يحرض شعب الأناضول على الانفصال عن خاقان – خليفته وإطاعته الشاه – الإمام الصفوي ؛ إذ إن الدولة الصفوية ، أسسها نصف مليون تركماني جلبهم شاه إسماعيل من الأناضول وأدخلهم في المذهب الشيعي بعد أن كانوا سنّة . إن انفصال إخوتهم هؤلاء سبّب الأذى للعثمانية وللشعب الأناضولي .

كان عدد رعايا الإمبراطورية المسيحيين كبيرًا ، والذين يشكلون كثافة سكانية كبيرة هم الأرثوذكس ، وعدد غير قليل من الكاثوليك ، وقليل من البروتستانت . كانت هناك أقلية من الموسويين أيضًا . وسأشير فيما بعد إلى هؤلاء . كان في أفريقيا جماعة

من رعاياها عبدة الأصنام ، عبدة الطبيعة animist ، فتيشيون Fatichist ، ومعتنقو مذهب الطبيعيين naturalist . تركت الإمبراطورية هؤلاء على حالهم . الحقيقة أن العثمانية حقّقت خدمة كبيرة في نشر الدين الإسلامي في أفريقيا . لكن الاهتداء إلى الإسلام كان يحصل دون ضغط ، بالقدوة والإيمان . إن أساليب المبشرين الأوروبيين التي غالبًا ما تتحول إلى وسائل دموية ونارية ليست لها علاقة بطرق تلقين الدين التي يتبعها رجال الدين العرب والأتراك . لم يُشَاهَدْ لدى مسلمي العرب ولا لدى مسلمي الأتراك ، تلقين للدين جرى بالدم والنار . وحتى كان للإمبراطورية رعايا من البوذيين (مثل الكلموكيين المغول في منطقة الخزر) . كانت توجد قبائل شامانية وحتى قبائل مجهولة المعتقد .

كانت للعثمانية علاقة بالهند وبسبب ذلك بالدين البراهمي (هندو) أيضًا . كانت لا توظف غير المسلم – عدا استثناءات – ولا تدخله إلى السلك العسكري . لكنهم كانوا اتباعًا للدولة ، وجميع حقوقهم بكاملها تحت رعاية وحماية الدولة .

هل جميع الأتراك ، أى المتكلمين باللغة التركية حنفية – ما تريدية ؟ كلاّ ! جميع الأتراك السنة هم حنفيون . بالإمكان ، إذا ما رغب في ذلك ، تثبيت أسماء الشافعيين ومنتسبي المذهبين الآخرين الأتراك الأصل فردًا فردًا لكن كل هذه أوضاع شخصية واستثنائية . إلاّ أنه كان هناك أتراك شيع وليسوا سنة . أدخل الشاه إسماعيل الشيع بين الأتراك وولد فُرقة كبيرة . لم تهضم العثمانية ذلك في أي وقت من الأوقات . كان هناك أيضًا أتراك غير مسلمين (ديانة كوك تنكرى ، شامانيون، بوذيون، نسطوريون أو المسيحيون الأرثوذكس أو الكاثوليك الموسويون). لكن عددهم كان قليلاً جدًا وكلهم تقريبًا كانوا خارج المجتمع العثماني . إن عدد الأتراك غير المسلمين أقل بكثير من عدد العرب غير المسلمين .

سمّت العثمانية المسيحيين الذين ليسوا من أتباعها « كافرًا » وبصيغة الجمع « كفّارًا ، كفرة » لم يكن هذا اللفظ لأجل التحقير ، وإنما للتعبير عن فكرة « بربري ، تعني أجنبي ، ليس من تبعة الدولة العلية » . وهي تماثل « بربري » التي يطلقها الرومانيون على غيرهم من الشعوب ، و « عجم » التي يطلقها الأمويون على غير العرب .

الإسلام بالنسبة للعثماني التركي ، دين الحق . وهو حاليًا كذلك . يؤمن بهذا الدين وبجميع شعائره وأركانه بإخلاص وولاء . وهو حاليًا كذلك . يؤمن بأنه ليس هناك شيء ، أو رأي أو معتقد أسمى من الدين . البادشاه ، حامي هذا الدين ، خادمه ورئيسه . حامي الدولة والنظام . الدولة وكل شيء ملك للبادشاه . البادشاه مقدس ما دام لا يخرج على الدين . يجلس على عرشه بإرادة الله ، هو « ناظم عالم » أي منظم العالم . يختل النظام عند انتفاء وجوده ، يفقد الدين كما تفقد الديانة . هذا هو تفكير العثماني . مستند على الدين وعلى البادشاه .

والحقيقة أن الوضع الواقعي لم يكن كذلك بالضبط . إن هذا الحكم يحتمل أن يسبب الأذى لكثير من المسلمين من الناحية الدينية ، وكثير من الأتراك من ناحية البادشاه . لكن تمييز الوضع النظري والوضع العملي الواقعي من واجبات المؤرخ .

ما الوضع الواقعي بالنسبة للعثماني ؟ ، « الدولة » فوق كل شيء . إن زالت « الدولة » يزول كل شيء . البادشاه مقدس ، الدين أكثر قدسية لكن ، إن لم تكن الدولة ، يداس البادشاه وكذلك الدين تحت الأقدام . لا يحول هذا المعتقد إلى الصيغة اللفظية دائمًا ، لكن ، هذا هو شعور العثماني . والحقيقة أن الدولة وجدت لصيانة وحفظ رعاياها المسلمين ، الأمة ، الملّة الإسلامية وخدمتها ومنحها السعادة . والبادشاه ، هو رمز الوحدة الذي لا يستغنى عنه ، لكل ذلك . إلاّ أنه أمكن تأمين كل ذلك ، بفضل الدولة . ولأن مفهوم الدولة – بالنسبة لتلك العصور خاصة – مفهوم مبهم ، كثيرًا ما حدث وأطلق على الدولة اسم بادشاه . ولو قرئت الوثائق بقليل من الانتباه ، لاتّضح فورًا أن البادشاه المنوه عنه ، يعني الدولة وليس شخص البادشاه . وبناء على ذلك ، من الجائز أن يتضرر البادشاه في سبيل إعلاء شأن الدولة . لا يمكن إيذاء الدين ولكن ، من الممكن تشريع أحكام أخرى للدولة بدلاً من الأحكام الدينية . وقد تكون هذه الأحكام أكثر فاعلية في إعلاء شأن الدين . ومن هنا يمكننا الانتقال بسهولة إلى نظام الحقوق العثماني .

2 – الحقوق (القانون) :

الدولة العثمانية ، ليست دولة دينية ، فهي لكي تكون كذلك كان يجب أن تتكون

من المسلمين فقط . يوجد نظامان حقوقيان : الشريعة ، وهي في غنى عن الإيضاح ، والنظام الذي يسميه العثماني « سلطاني » وعلى الأكثر « خاقاني » ، وهو نظام تركي قديم . يمكن به تشريع أحكام لا توجد في الشريعة ووضع قوانين باسم الخاقان لحماية مصالح الدولة وكذلك مصالح الدين العليا . بشرط ألاّ تكون متعارضة مع الشريعة . كان القانون يعلن باسم الخاقان ، وبسبب عدم وجود مجلس أمة ، وبناء عليه ، فإن الحق التشريعي يتم إعماله باسم الخاقان .

طبّق الفقه الحنفي بصورة كاملة تقريبًا في القانون المدني . ولكن وضعت أحكام ونشرت قوانين جديدة في المجالات كالجزاء ، الضريبة والسياسة . وأساسًا كان مبدأ **الاستحسان** في المذهب الحنفي **والاستصلاح** في المذهب المالكي ، يوفران تسهيلاتَ وراحة وحرية لمن بيدهم الصلاحيات التشريعية في الدولة ، وأبدع الأمثلة لذلك هي القوانين التي أمر القانوني بوضعها ، وأعدها شيخ الإسلام أبو السعود أفندي . أمكن بها ، بدهاء قانوني خارق تلبية احتياجات الدولة العالمية العظمى لذلك العصر بشكل لطيف جدًا دون معارضة أحكام الشريعة .

لم يفارق القانون العثماني الذي لم يهمل وضع تدابير قانونية حتى لحماية الحيوانات ، الفقه الحنفي في مجال القانون المدني ، حتى 1926 . ظلّت **مجلة أحكام عدلية** (مجلة الأحكام العدلية) التي دونها جودت باشا ، نافذة المفعول حتى السنين الأولى للجمهورية وهي حاليًا نافذة المفعول لدى بعض الأقطار الإسلامية . إنه سجل مبدع يبين درجة ملاءمة الفقة الحنفي للأزمنة الحديثة . إن شرح نظام القانون العثماني ، يضخّم جدًا حجم كتابنا . إلاّ أن حوادث وأوضاعًا كثيرة سواء في التاريخ السياسي أو في التاريخ المدني ، يمكن أن تقدم لنا فكرة واضحة عن هذا النظام . يمكننا أن نقول باختصار ، بأنه نظام قانوني أكثر ليبرالية وأفضل صيانة لحقوق الإنسان من أي نظام آخر في العالم ، وإنه طبّق بجدارة ، وبخاصة في دور العظمة . وإن رأي المؤرخين الأوروبيين في هذا الشأن ، هو كذلك أيضًا .

3 ـ المسيحيون والموسويون :

كان للدولة رعايا من المسيحين منذ عهد تشكيل الإمارة الحدودية (أوج بكلكي)

كان المجريون يشكلون أكبر جماعة كاثوليكية من رعايا الإمبراطورية . لكنهم عاشوا تحت رعاية العثمانية مدة تقل عن القرنين . وبقية الرعايا الكاثوليك هم الخرواتيون ، السلوفينيون ، قسم من الألبانيين ، قسم من الرومانيين والعرب المارونيين في لبنان والسلوفاك . لم يكن عددهم كبيرًا . قسم من الأرمن كذلك اعتنقوا الكاثوليكية . أما الرعايا البروتستانت فكانوا أقلّيات صغيرة ، عدا مجر ترانسيلفانيا .

إن محافظة جميع الأديان والمذاهب على كنائسها بكامل تشكيلاتها ، وعدم وضع أي تحديدات على العبادات أو مراسمها ، كان مبدأ للعثمانية لا يتغير منذ بدايتها إلى نهايتها وأصبحت قدوة في هذا الشأن للعالم أجمع . « الحقيقة التي لا يمكن أن تنكر ، هي أن العثمانيين هم أول شعب اتخذ مبدأ إطلاق الحرية الدينية كحجر أساس عند تأسيس دولتهم في العصور الأولى » (Gibbons, 63) . كتب العلامة الفرنسي Bodin في أواخر القرن 16 ، أنه أوصى مليكه ، بأن يدير فرنسا كالدولة العثمانية وأن البادشاه هو ليس فقط رئيسًا للدين الإسلامي ، وإنما هو في الوقت نفسه رئيس للأرثوذكس ، الكاثوليك والموسويين الموجودين في إمبراطوريته ، وإنه يعامل أتباع هذه الأديان الأربعة بالمساواة ويقسم النعم عليهم بالتساوي (Discours, 5, 655) . والمعلوم أن Bodin (1520 - 1596) ، يعتبر مؤسس القانون الدولي في أوروبا . يقول Chènier الإيطالي الجنوي « أظهر الأتراك تفهمًا عاليًا وتسامحًا مطّردًا تجاه جميع الأديان » (هامّر ، 15, 350) .

حوادث القتل ، الحرق في النار ، إشعال الحريق مجهولة في العثمانية . لا تعدم المرأة . إذا ارتكبت ذنبًا تجاه البادشاه بصورة مباشرة ، تخنق وتلقى في اليم . لا يجري تحقيق ديني . لا يعاقب أي شخص لأسباب دينية فيما عدا الإعلان بالكفر بالإسلام . وأيضًا لا يجوز لأحد ادعاء النبوة ، فعقوبتها الإعدام . يوجد من عوقب ، أعدم من الرهبان ، لأسباب سياسية كخيانة الدولة . لم يعاقب أي أحد منهم لفعل ديني .

تحل كل الجماعات غير المسلمة دعلواها المدنية فيما بينها بواسطة كنائسها . يمكنهم مزاولة التعليم في كنائسهم بلغاتهم الخاصة . إلا أن الدعلوى الجزائية ، ينظرها القاضي . وينظر القاضي كذلك في الدعاوي القائمة بين مسيحي ومسلم . وفي هذه الحالة يعمّق

التي هي نواة إمبراطورية أرطغرل بك (1231 - 1281) . كان لديها رعايا منهم كذلك في نهاية الإمبراطورية 1922 . وتوجد حاليًا كذلك أقليات مسيحية في تركية والأقطار الإسلامية التي انفصلت عن العثمانية . ويوجد موسويون كذلك . ولكن أكثرية الموسويين المستوطنين في الموانئ التركية الكبيرة مثل استانبول ، سلانيك ، أزمير ، هم اليهود الذين أخرجوا من إسبانيا والبرتغال ورفضت الأقطار الأوروبية الأخرى دخولهم ، وقبلهم بيازيد الثاني – الذي يتهم بأنه مسلم متعصّب – في الدولة العثمانية ، وهؤلاء يتكلمون إحدى اللهجات الإسبانية . وجاء كذلك يهود أوكرانيا الذين هربوا من مظالم الروس الأخيرة . لكن عدد هؤلاء قليل . واليهود الألمان (ييدش) الذين يتكلمون الألمانية ، أقل من ذلك . أما اليهود الناطقون بالعربية ، فكانوا في البلاد العربية ، مثلاً ، في اليمن ، في الجزائر ، في مصر .

لكن أكبر أقلية غير مسلمة في الدولة العثمانية في جميع الأوقات ، كانت المسيحيون الأرثوذكس . كان مقر زعيمهم المسمى « البطريرك العالمي = Patrik Okumenik » في استانبول . أباطرة البيزنط ، كانوا يتبعون للبطريرك وحماة الدين الأرثوذكسي . تقبّل فاتح بصورة رسمية كلا من هاتين الصفتين . ثم استمر السلاطين الذين تلوه على ذلك . كان قلق فاتح واضحًا في ترك الأرثوذكس مذهبهم وانتمائهم إلى الكاثوليكية وإلى البابا ، وقد أظهر ذلك مرارًا عديدة . وبناء على ذلك ، فقد امّنت الدولة المرعايا الأرثوذكس شروطًا أفضل مما كانوا عليها في العهد البيزنطي سواء كانوا ينطقون باليونانية (الرومية) ، أو بلغة أخرى . عاشوا بالأمن والرفاهية التي كانوا يعيشونها في عهد جوستينيان ، بفارق واحد ، هو عدم اشتراكهم في إدارة الدولة . كانوا يتعلمون اللغة التركية ، ولكن كان يشترط لأجل التوظف في الدولة ، أن يكون مسلمًا سنيًا . كانوا يُستخدمون في وظائف رسمية أو شبه رسمية كالترجمة والطب . إصلاحات عام 1856 ، أزالت هذا الفارق أيضًا . فتحت لغير المسلمين في الـ 66 سنة الأخيرة للإمبراطورية ، أبواب جميع الوظائف الرسمية للدولة عدا الوظائف العلمية (علماء الدين) والعسكرية . إذ لا يمكنهم أن يصبحوا ضباطًا . عيّنوا في كل الوظائف عدا الصدارة العظمى . صاروا نظارا للخارجية ، نظارًا للمالية . كثيرون منهم منحوا أعلى المراتب كوزير وبالا . صاروا سفراء وولاة إيالة .

القاضي التحقيق لصيانة حق المسيحي تحوطا من التطرّف . وبعد 1856 ، أصبح المسيحيون كذلك حكامًا « لا يمكن تعريف التسامح الذي كان يظهره الأتراك تجاهنا نحن المسيحيين ، ولا يمكن أن يكون سبب ذلك ، إلا إيمانهم الذي لا يتزعزع بالإسلام » (ماريشال فون مولتكه ، 1837 ، ص 90 - 1) . والحقيقة أن التنصّر في العثماني ، ينحصر في عدة حوادث . يدعى المتنصّر إلى الإسلام ، يعدم في حالة رفضه . لا يستثنى من هذا الحكم من كان مهتديًا في السابق . لا يجوز زواج أية بنت أو امرأة مسلمة بغير المسلم ما لم يهتدِ . إن امرأة كهذه تقتل خنقًا في حالة عدم انفصالها وتوبتها .

يجب قراءة صور المعاملة التي كانت تعامل بها المذاهب المتنافسة مع بعضها في أوروبا في نفس العصر ، في الكتب الأوروبية . والفرق بينهما ، يبين عظم ما جاءت به العثمانية من مبادىء حديثة . إن هذه المبادىء الرصينة ، استعملت ضد العثمانية في دور الانحطاط ، بصورة دنيئة

ومما يدعو إلى الدهشة ، أن مقاومةاختلاف الدين لدى الشعب المسيحي المحلي ، كانت محدودة للغاية إذ إن الشعب المسيحي ، كان ممتنًا للحرية الدينية التي منحها له الأتراك والتي كانت مجهولة في أوروبا في ذلك العصر ... كان الأمن مختلا قبل مجيء الأتراك ، وفي بلادهم أنفسهم . العثمانية كانت تجلب الهدوء والأمن . عادت الشعوب البلقانية تعيش في أمن كانوا قد نسوه منذ عهد بعيد . عصى المجر فقط ولمرة واحدة في العهد العثماني ولم يكن ذلك تجاه الإدارة العثمانية ، وإنما كان تجاه الإقطاعيين المجر . كان الأتراك قد قضوا على قطعان الصعاليك « حيدود » (هذه الكلمة مجرية وانتقلت إلى اللغة التركية ، وجمعت على القاعدة العربية على شكل حياديد) التي كانت تذيق المجر الأمرّين قبلهم . القرويات ، كن يضعن أثمن ما لديهن من الزينة بكل حرية . كان الجندي العثماني الذي يتقاضى راتبًا كبيرًا ، من خيرة عملاء القرويين . كانت الضرائب العثمانية ، أخف بكثير من الضرائب البيزنطية . لم يكن يجبى من المسيحيين سوى الضريبة الإسلامية التى تسمى « جزية » وفي مقابل ذلك ، كان المسيحيون يعفون من الجندية ، لا تسيل دماؤهم كما كانت في العهد البيزنطي ، كانوا يتكاثرون بطمأنينة . لم يكن المسيحي يشترك في الإدارة العثمانية ، لكنه في حالة اعتناقه الإسلام ، كان

ينال هذا الحق ، ويحق له أن يكون صدرًا أعظم . هناك صدور عظام كثيرون كانوا ممن أسلموا حديثًا . الأتراك ، شعب غير استعماري بطبيعته من ناحية السمات التاريخية ، استعمر ، لكنه لم يستغل . لم يمسوا أراضي القروي المسيحي ، لكنهم أخذوا الأراضي الواسعة التي كانت تحت سيطرة الإقطاعيين المسيحيين وأعطوها إلى خيالتهم السباهيّة (تمارلي) . ولم يمسّوا مخزنًا أو محلاً يخص المسيحيّين في المدن . كانت توجد في المدن الكبيرة وبخاصة في استانبول ، جماعة من المسيحيين وبخاصة من الروميين ، أغنياء إلى درجة أنهم كانوا يعيشون في غاية الرفاهية حتى أن زوجاتهم كن يلبسن اللباس والزينة التي لا تختلف عن لباس وزينة الأميرات الأوربيات . لم ينظر الأتراك إليهن نظرة سوء (لم يقع ولا حادث واحد من هذا القبيل) . كان هناك مسيحيون من كبار التجار ، أصحاب السفن ، أصحاب البنوك والمقاولين . خصصت العثمانية لهؤلاء حرسًا من الإنكشارية لصيانة ممتلكاتهم . احتل البنادقة بعد هزيمة فيينا ، جزيرة ساقيز لفترة قصيرة وموريا لمدة أطول . ارتكبوا ظلمًا شديدًا إلى درجة أنه عند عودة الإدارة العثمانية إلى هذه الجزر ، استقبل شعبها الأتراك بسرور صادق وأقاموا الاحتفالات والأفراح (**Grandeur de l'Asie** Fernard Grenard **126,** - 8) .

« مما لا شك فيه أن الأتراك لم يحاولوا إزالة دين وحضارة شعوب الأقطار التي فتحوها » (Pirenne ,2 ,312) . وبينما ينظر المسيحيون في دعاواهم المدنية في محاكمهم الكنسيّة ، كان الرهبان يطبقون بعض القوانين العثمانية ، فمثلاً ، يحولون دون انقسام الثروة بمنحهم الرجل مثل حظ الأنثيين (**Revue** 1938 ,3 ,559 A. Soloviev **Internationale des Etudes Balkaniques** ،) .

كان في الإمبراطورية ، وبخاصة في الموانيء أوروبيون كثيرون ليسوا من رعايا العثمانية . كان هؤلاء آمنين في الأراضي العثمانية . الدولة كفيلة بحماية جميع حقوقهم . يتاجرون ، يزورون الأماكن الدينية ومنهم من يأتي لغرض السياحة فقط (d'Ohsson ,5 ,37) . كتب John Moritt of Rokeby ، بأنه قدم إلى استانبول عام 1794 عندما كان في سن 22 ، وتجول بين الأتراك بحرية كتجواله في لندن ، بل ولقي مساعدة كبيرة (**The Letters** ، لندن 1914 ، ص 67 ,70) .

العثمانية ، كانت تحترم كذلك الآثار الحضارية الموجودة في أراضيها . في العصر 19 فقط تم طلاء الموزائيك الموجود على جدران وسقف جامع أيا صوفيا الذي يتصدر المكانة الأولى في البروتوكول العثماني من 1453 إلى 1922 ، لم يمح ولم يحفر ولم تزل آثاره . توجد توجد حجارة مزيّنة بتزيينات خارقة للعادة ، قرب جامع في حلب ، يتفرج المسلمون عليها بسرور من بقايا كنيسة القديسة هيلينا . طلب القناصل الأجانب شراء هذه الحجارة بما يعادل وزنها ذهبًا . أفاد الباشا والي (بكلر بك) حلب بأن الحجارة باقية هناك منذ عهد قسطنطين الكبير ، وأنها ستستمر في مكانها (4 - 123, 1, Voyages, Tavernier) .

كان البطاركة ، رؤساء الأساقفة ، الأساقفة ضمن قائمة التشريفات الإمبراطورية حتى نهايتها . كان أهمهم البطريرك الأرثوذكسي المقيم في سراياه الكائنة في فنر Fener . كان بدرجة وزير ، منح الوسامين العثماني والمجيدي المرصعين . كان لبطاركة أنطاكية والقدس أوسمة المجيدي من الدرجة الأولى وكان البطريرك الأرمني يحمل وسامي العثماني المرصع والمجيدي من الدرجة الأولى . وبطريرك الأرمن الكاثوليك ، يحمل وسام المجيدي الأول . منح جميع المطارنة أوسمة المجيدي الثالث ، وقسم منهم الثاني والأول .

4 – علماء الدين (العلمية) :

يطلق على منتسبي صنف العلمية « علماء رسوم » . إذ كان هناك علماء ممن لا ينتسبون لهذا الصنف أي ليسوا رسميين ، وليسوا في خدمة الدولة . أكبر الكتاب نشأوا من بين منتسبي الصنف الأخير هذا (كاتب جلبي ، أولياء جلبي ، عالي ، بجوي ، مستقيم – زاده ، إبراهيم حقي وألوف آخرون ليسوا من صنف علماء الرسوم أي من صنف العلمية) .

يسمى موظف الدولة في النظام العثماني « عسكري » . واستعملت هذه الكلمة بعد ذلك للصنف العسكري فقط . كان موظف الدولة المسمى « عسكري » ، 3 أصناف علميّة ، سيفيّة (الذين انفردوا بعد ذلك باسم عسكرية) وقلميّة (الذين أطلق عليهم بعد ذلك اسم ملكية) .

ولتحقيق الخطوة الأولى إلى مرحلة صنف العلمية ، يجب الحصول على شهادة (رءوس) من القسم العالي للمدرسة ولم يحدث أي استثناء لذلك . والمرتبة الأولى ، هي التدريس في مدرسة (مدرسة دينية) متوسطة الدرجة ، أو النيابة أي مدير لناحية أو حاكم أو قاضٍ لها .

صنف السيفيّه ، هو الصنف المحارب ، كان متخرجو مدارس السراي المتوسطة الدرجة ومتخرجو الأكاديميات العسكرية المسماة أندرون همايون يرتقون بسرعة ، لكن ذلك لم يكن شرطًا . كان الشخص في الفترة الكلاسيكية يرتقي المراتب من الجندي البري أو البحري ويمكنه أن يصبح باشا ، وزيرًا ، صدرًا أعظم . كان يوجد بين هؤلاء من لا يجيد القراءة والكتابة . وكانت الخدمات الملكية (المدنيه) ملقاة على عاتق هذا الصنف كذلك . لم يميّز بين هذين الصنفين حتى إصلاحات محمود الثاني الجذرية عام 1826 .

كان صنف القلمية يكّون بإدخال معاون كاتب إلى إحدى دوائر الدولة ، كان يجب على الشاب أن يكون قد أتم دراسته الابتدائية ، وحصل على بعض المعلومات بصورة خاصة ، أو قد أنهى أحد فروع المدرسة أو الجامع . وكا يُتم تحصيله المتبقي في الدائرة التي ينتسب إليها من دوائر الدولة . إن معلومات مثقفي هذا الصنف ، كانت بصورة عامة أرقى من معلومات مثقفي صنف العلمية (علوم الدين) . إذ إن تحصيلهم كان أوسع . ولكن لم تكن لديهم شهادات بصورة رسمية حتى العصر 19 . كانوا يختصون بالدرجة الأولى في فروع المالية والخارجية ، أو مكاتبات الدولة المسماة نيشا نجيلك . بالإمكان أن يصبحوا وزراء وصدورًا أعظم في حالة تدرجهم في المراتب وترقيتهم . إن محمود الثاني الذي قلّص بصورة واسعة عمل صنفي العلميّة والسّيفيّة بعد 1826 ورشيد باشا الذي اتبعه في ذلك ، أطلق على هذا الصنف اسم ملكية أي مدني ، وأصبح المجال الأوسع في وظائف الدولة من اختصاصِ هذا الصنف . وعهد إلى هذا الصنف بالوظائف التي كانت سابقًا في عهده صنف العلمية كالمعارك ، العدلية ، البلدية .

كان يشترط في صنف العلمية إجادته اللغة العربية . وكان الراغبون يتعلمون الفارسية أيضًا . ولا يمكن الارتقاء – بالنسبة لصنف القلمية – دون إجادة هاتين اللغتين معًا . أما الجيش ؛ فكان لا يجيد لغة أجنبية ، ما لم يتعلم لغة البلاد التي يمكث بها . يستثنى

من هؤلاء متخرجو مدارس الأندرون أو الذين يجيدون اللغتين العربية والفارسية لرغبتهم الخاصة في ذلك . أما أصناف المغاوير والقراصنة ، فكثيرون منهم يجيدون اللغات الأوروبية بصورة عملية .

أيّ نظام ذلك الذي لا يبحث عن شرط معرفة القراءة والكتابة في الصدر الأعظم ، ولكنه يشترط الشهادة العالية حتى في الذي يخطو الخطوة الأولى لصنف العلميّة ؟ صنف العلمية ، كان يدرّس ويتولى القضاء لذا كان يشترط فيه تحصيل عال . فمثلاً ، كان يجب على القاضي أن يكون مجهزًا بمعلومات عن فقه المذاهب الثلاثة الأخرى إضافة إلى الفقه الحنفي ، وإن لم تكن بنفس الدرجة ، لا تشترط شهادات (رءوس) عالية للتدريس في المدارس الابتدائية أو لإمامة مسجد أو لوظائف صغيرة في الجوامع . لكنها ضرورية لموظفي الجوامع الكبيرة . العلماء ، هم ليسوا كهنة ورهبانًا كما في الدين المسيحي . إذ إن كل عبد في الدين الإسلامي ، يمكنه الاتصال بالله رأسًا . ولا يحتاج ذلك إلى راهب ، كما في الدين المسيحي . كان العلماء ، هيئة مدرسين وقضاة . ورغم ذلك، كانت لهم امتيازات لم تعط للأصناف الأخرى . لا يمكن إعدامهم ، ولا يمكن سجنهم . كان بالإمكان عزلهم ونفيهم فقط . كان لا يمكن الحكم بالإعدام ، حتى على المراتب الأولى من صنف العلمية . والذين أعدموا – وهذا نادر – أخرجوا أولاً من سلك العلماء وأعطيت لهم رتبة عسكرية .

اكتفى صنف العلمية في التنظيمات ؛ بالخدمة في الجوامع ، المدارس (الدينية) ، محاكم الشرع (التي كانت تنظر فيها دعاوى المسلمين المدنية فقط) . استمرت على هذا المنوال إلى النهاية .

5 – شيخ الإسلام :

كان شيخ الإسلام في النظام العثماني موظفًا كبيرًا في الدولة وهو الموظف الثاني بعد الصدر الأعظم ، ما عدا منتسبي السلالة العثمانية. هو رئيس صنف العلمية . منح هذا العنوان لمفتي العرش عام 1425 وبدأت المؤسسة المسماة « المشيخة » أو « المشيخة الإسلامية » . ولكن نفوذ شيخ الإسلام بصورة تامة ، تبلور في العصر 16 . إن لفظ

« مفتي أفندي » أو « مفتي الأنام » بشكل مطلق ، كان يعني « شيخ الإسلام » . مرتبة المشيخة تعادل مرتبة الصدارة وتفوق مرتبة الوزارة . منحت هذه المرتبة لـ 3 قضاة عسكريين دون أن يكونوا شيوخ إسلام . قتل أو أعدم 3 شيوخ إسلام . أصبح شيخ الإسلام بعد التنظيمات ، كأحد النظّار ، وأصبح في التشريفات ، عضوًا ثانيًا في الوزارة بعد الصدر الأعظم . وجعلت وظيفته منحصرة في الأمور الدينية والتدريس الديني . وانطوت مع الإمبراطورية العثمانية في طيات التاريخ .

عين لهذا المقام من عام 1425 إلي 1922 ,131 شيخ إسلام (175 دفعة) . 38 منهم ظلّوا في هذا المقام ، أكثر من 4 سنوات والذين ظلّوا أطول مدة هم بالتسلسل : أبو السعود أفندي 28 سنة ، 10 أشهر ؛ ملافّخر الدين 24 سنة ، زنبيلّي علي أفندي 22 سنة ، 8 أشهر ، ملاّخسرو 19 سنة ؛ يحيى أفندي 18 سنة ، وشهران ، 24 يومًا (3 مرات) ؛ جمال الدين افندي 17 سنة ، 11 شهرًا ، 13 يومًا (مرتان) ؛ مكي ـ زاده عاصم أفندي 17 سنة ، 7 أشهر ، 18 يومًا (3 مرات) . أنجبت أكثر من 17 عائلة علماء ، أكثر من شيخ إسلام واحد : من عائلة خواجه ـ زاده 7 شيوخ إسلام ، 34 سنة ، 8 أشهر ، 7 أيام ، من عائلة أبي السعود ـــ زادة شخصان ، 34 سنة ، 5 أشهر ، 8 أيام ، من عائلة فيض الله ـــ زادة 3 أشخاص : 21 سنة ، 8 أشهر ، 24 يومًا ، من عائلة دري ـــ زاده 6 أشخاص : 20 سنة ، 11 شهرًا ، 27 يومًا ؛ من عائلة بايرام ـــ زادة شخصان 19 سنة ، 4 أشهر ، 27 يومًا ؛ من عائلة مكّي ـ زاده شخصان 19 سنة ، وشهر ، 14 يومًا ؛ عائلة أبي إسحق ـ زاده 5 أشخاص 9 سنوات ، 6أشهر ، 6 أيام ...

متوسط المدة لشيخ الإسلام الواحد ، 3 سنوات ، 10 أشهر . 9 من 131 من شيوخ الإسلام من أصل غير تركي (عربي ، بشناق ، كرجي ، شركسي ، ألباني) . آباء وأجداد أكثريتهم العظمى من صنف العلمية ، بعضهم قضاة عسكريون وحتى شيوخ إسلام . أكثرية شيوخ الإسلام ، أصلهم من العائلات الإستانبولية ساكنة الأناضول الغربية والوسطى . رغب أتراك روملي في السلك العسكري ، أكثر من رغبتهم في سلك العلمية . ويوجد بين شيوخ الإسلام جماعة ممتازة من العلماء ، الكتاب ، الشعراء ، الخطّاطين ، الملحّنين ، الحقوقيين ، رجال دولة كبار . الشخصيات الوسط قليلة . عديمو الكفاءة قليلون جدًا . إذ إن اعتلاء مقام المشيخة كان يتم بعد تدريب شاق .

كان شيوخ الإسلام الذين بدرجة قاضي عسكر روملي يعينون من قبل البادشاه . غالبًا من بين الذين شغلوا وظيفة قاضي عسكر روملي . وحتى 1589 ، وأيضًا حتى 1601 ، كان شيخ الإسلام « يعزل » ويعيّن في المشيخة مدى الحياة . نفي قسم منهم بعد ذلك إلى الأماكن القريبة لا يشاهد تقريبًا شيخ الإسلام ، نفي إلى مكان بعيد . طلب السلاطين فتاوى من شيوخ الإسلام في بعض المسائل الشخصية ، لمعرفة ما إذا كان وضعهم ملائمًا للشرع الشريف أم لا ، كان يزيد في نفوذهم ؛ ذلك أن البادشاه كان خليفة ، رمزًا للوحدة والأخوة الإسلامية وموحدها وأكبر شخصية وزعيم يمثل الدين ولكنه ليس رجل دين ولا عالم دين ، وليس معصومًا من الخطأ كالبابا . ولا يمكنه البتّ في الأحكام الدينية شخصيًا كالبابا . إن الخاقان الخليفة العثماني يستفتي في أعماله شيخ الإسلام .

كان وضع شيخ الإسلام استثنائيًا إلى درجة أنه رغم عدم كونه عضوًا في الديوان الهمايوني (الحكومة) ، فإن معاونيه الاثنين ، قاضى عسكر) روملي والأناضول عضوين في الحكومة . أُدخل شيخ الإسلام في عضوية الوزارة في 1830 وبذلك قل نفوذه ، وسُحب معاوناه قاضيا العسكر إلى خارج الوزارة . وفي الفترة الكلاسيكية ، كان شيخ الإسلام ، يجمع شخصيًا في مقامه الذي يسمى « دائرة المشيخة » مجلسًا . يتداول فيه اقتراحات تعيين قضاة العسكر ، وتعيينات المدرسين التي ترد من شيخ الإسلام شخصيًا ، وترسل إلى الصدر الأعظم للتصديق عليها بعد تدقيق وتصديق شيخ الإلاسلام عليها . لا يجوز لشيخ الإسلام أن يجري تعيينات مهمة حتى داخل صنف العلمية ما لم يصدق عليها الصدر الأعظم . وذلك لئلاّ تكون الدولة مخلوقًا غريبًا ذا رأسين . وحتى يكون هناك مرجع واحد فقط . كان راتب شيخ الإسلام الشهري في 1567 ، يقارب 12 ألف دولار بالسعر الرائج حاليًا (هامّر ، 306, 6) . يسجل Ricaut (338, 2) الراتب بالنسبة للربع الثالث من العصر 17 كان حوالي 82 ألف دولار والواضح أن موظفى الدولة في العصر 16 كانوا يقبضون أعلى الرواتب في تاريخ تركية كلها ، وأن الرواتب أخذت في التناقص بصورة مطّردة ودون استثناء منذ 1590 وإلى يومنا هذا .

خصص في الواقعة الخيرية (1826) مقر الإنكشارية الكبير « أغا سراي » الكائن

في سليمانية لشيخ الإسلام ليكون مقرًا للمشيخة وبقي فيها حتى ت 2 / 1922 . انتقلت في 1836 إلى هذه البناية كذلك مقار قاضي العسكر وقاضي استانبول (لطفي ، 5 ,66) . احترقت هذه البناية عام 1927 . Satir base وبموجب أحكام الدستور ، ترك أمر انتخاب شيخ الإسلام وانتخاب الصدر الأعظم في العهد المشروطي إلى البادشاه ، كما كان الحال في دور التنظيمات ، لكن البادشاه كان مقيدًا ؛ فأولاً ، يجب أن يكون الشخص الذي ينتخبه ، بدرجة قضعسكرروملي ، وثانيًا ، عليه ضمنيًا أن يستمزج رأي وارتياح الصدر الأعظم ، إذ يجب أن يكون شخصًا يمكنه التعاون معه بشكل منسجم . وفي عهد المشروطية كان يجب على البادشاه أن يعيّن مرشح الحزب الحاكم الذي فاز في الانتخابات صدرًا أعظم .

يرتدي شيخ الإسلام فروا أبيض ، ولا يمكن لأحد غيره ارتداؤه . وفي الصيف كان يرتدي جبة من الأطلس أو الحرير الأبيض تسترسل حتى الأرض . إن طراز جبّة عمداء الجامعة حاليًا اقتبس من لباس شيخ الإسلام الصيفي . يندر أن يعيّن شيخ الإسلام المعزول في وظيفة أخرى غير وظيفته .

إن أحد أكبر الامتيازات التي يتمتع بها شيخ الإسلام هو عدم تمكن البادشاه من استقباله وهو جالس ، واستقباله في المراسم وقوفًا على قدميه ، إمساكه يدي أو كتفي البادشاه بكلتا يديه (بالعثمانية : مصافحة) وتقبيله بعد ذلك ياقة أو كتف الحاكم ، وعدم تقبيله يده أبدًا . كان امتيازًا كبيرًا . بذلك يكون البادشاه قد احترم الدين والعلم والعدالة في شخص شيخ الإسلام الذي يرأسها . أما الصدر الأعظم فكان البادشاه يستقبله وهو جالس . وحتى في فترة التنظيمات ، كان البادشاه يستقبله في مقابلاته اليومية وقوفًا ، ولكنه كان يستقبل الصدر الأعظم في الاحتفالات الرسمية (بالعثمانية : معايذة) وهو جالس . بإمكان البادشاه أن يستصحب شيخ الإسلام في مسيرته في الحملات الهمايونية . اشترك عدد كبير من شيوخ الإسلام في الأسفار بهذا الشكل ، ولكن شيخ الإسلام لا يشترك أبدًا في الحملات التي يقودها الصدر الأعظم – السردار الأكرم (القائد الأعلى) ، ويرسل أحد القضاة العسكريين . يفطر الصدر الأعظم ليلة القدر في قصر شيخ الإسلام . وفي السابع والعشرين من رمضان القادم يذهب شيخ الإسلام إلى الصدر الأعظم لأجل الإفطار ، وفي اليوم الخامس عشر من رمضان يأتي الصدر الأعظم وشيخ

الإسلام إلى سراي طوبقابو بعد أدائهما صلاة الظهر في جامع أيا صوفيا ، يحضن البادشاه بنفسه البردة النبوية الشريفة ويعرضها على المدعوّين الرسميين . كان ذلك احتفالاً دينيًا كبيرًا . كانت عربة شيخ الإسلام الرسمية من الجوخ الأخضر ، وعربات القضاة العنسكر من الجوخ الأحمر (181, 4,d' Ohsson) .

يلقب شيخ الإسلام ، كمنتسبي العلمية ، بلقب « أفندي » . إلا أن بعض أبناء الباشوات ، أبناء الوزراء أو أحفادهم ، لقبوا بلقب « بك » وعلى الأصح « بك أفندي » . تركت في العصر 16 الألقاب كـ : ملا ، جلبي ، مولانا التي كانت تطلق على شيخ الإسلام في العصور السالفة .

كان واجب شيخ الإسلام الأصلي الإفتاء . ولانشغاله بأمور كثيرة يحضّر الفتوى التي تطلب منه ، موظف العلمية الكبير بدرجة قاضي عسكر المسمى « فتوى أميني » (أمين الفتوى) ويعرضها لمصادقة شيخ الإسلام . كان أمناء الفتوى أعظم فقهاء عصرهم . يحق لأبسط مواطن أن يطلب الفتوى من المشيخة في موضوع ما . يجاب طلبه بصورة أكيدة . كثيرون من شيوخ الإسلام ، جمعوا فتاواهم على شكل مجلة ، هي مراجع قيّمة في العلوم الإسلامية وفي التاريخ الاجتماعي والحقوقي للعثمانية . يشترط في طالب الفتوى أن يكون مسلمًا ، بالغًا ، وعاقلاً . يدير الأمور الكتابية لشيخ الإسلام ، الأفندي سكرتيره العام (الذي يسمى مكتوبيء مشيخت) .

إن مؤسسة الفتوى استشارية . المفتي هو الشخص الذي يستفتى ويستشار . أما حكم القاضي – شرط أن يكون قابلاً للتمييز – فقطعي ، ينفذ ويجرى فورًا ,1 ,258) Hukuuk - 1 Islamiyye O.N. Bilmen) . لا تحمل الفتوى رأيًا قطعيًا ، مع أنها تبيّن شرح تلك القضية من الناحية الشرعية ، لكنها تختتم دائمًا بالعبارة الشرعية « الله أعلم » . وفي الحقيقة فإن هذا كان بابًا قد ترك مفتوحًا لسياسة الدولة . القرار النهائي يرجع إلى القاضي ممثل هذه السياسة .

إن الشخصية المسماة درس وكيلي والتي تكون على الأكثر بمرتبة قضعسكر ، هو أحد كبار معاوني شيخ الإسلام ينظم المناهج التدريسية للمدارس (الدينية) والأمور العائدة لها .

6 - نقيب الأشراف والأستاذ السلطاني (خواجه سلطاني) :

نقيب الأشراف ، هو قاض عسكري ، ينظر في أمور السادة والشرفاء ، وهو الموظف الذي يسعى لاتخاذ التدابير التي تكفل عدم وقوع الأسر التي تنحدر من نسل الرسول ﷺ ، أو التي يعتقد أنها كذلك ، في مشاكل ، ويجب أن يكون هو بالذات سيّدًا أو شريفًا من نسل الحسين « رضي الله عنه » أوالحسن « رضي الله عنه » . كثيرون منهم أصبحوا كذلك شيوخ إسلام بعضهم قلّد البادشاه السيف . كان تسلسلهم في المراسم ، قبل قضاة العسكر ، لكنهم لا علاقة لهم بأمور الدولة وسياستها .

أما خواجهء سلطانيلر (أساتذة السلطان) ، فلهم دور مهم في التاريخ العثماني بنفوذهم على السلاطين واشتراكهم في السياسة وأكثرهم ذوو دور إيجابي . يمنح البادشاه عند اعتلائه العرش رئيس معلميه المنسوب إلى صنف العلمية مرتبة قاضي عسكر - إن لم يكن قد حصل عليها مسبقًا - ويشرفه باللقب الرسمي « خواجه سلطاني » (المعلم ، الأستاذ السلطاني) . إن هذا اللقب لا يمكن أن يمنح إلا لمعلم واحد فقط من معلمي السلطان ولا يمكن منحه إلى معلميه الآخرين . إن أساتذة السلطان كانوا يتقدمون في المراسم على القضاة العسكريين . والذي يجمع في شخصه الصفتين « المعلم السلطاني » و « شيخ الإسلام » يسمى « جامع الرئاستين » . هم 3 شيوخ إسلام في التاريخ العثماني : الخواجه سعد الدين أفندي معلم محمد الثالث ، أرضروملي سيد فيض الله أفندي معلم مصطفي الثاني ، وحسن فهمي أفندي معلم السلطان عزيز . إن أساتذة السلاطين ، كانوا أعظم علماء متميّزين في عصرهم ؛ إذ إن العلماء الذين يمتازون بهذه الصفة كانوا يعيّنون رؤساء أساتذة للأمير - ولي العهد . ولا يمكن عزلهم . لا واجب رسمي له . كان المستشار الأول الخاص للبادشاه . ويتّضح مبلغ إمكان حيازة أساتذة السلطان على النفوذ ، بسبب استمرار السلاطين الذين يعتلون العرش في سن الشباب ، على تحصيلهم العلمي أثناء سلطنتهم كذلك .

قضاة العسكر لروملي وأناضول :

إن أول قاضي عسكر هو جاندارلي قره خليل خير الدين أفندي ، الذي عيّن لهذه

الوظيفة عندما كان قاضيًا على بورصة من قبل مراد الأول الذي اعتلى العرش حديثًا في 1363 ، وبقي وزيرًا أعظم حتى وفاته ، وهو أحد مؤسسي ومنظمي تشكيلات الدولة العثمانية .

كان هناك قاضي عسكر واحد حتى 1480 (117 سنة) ، وفي هذا التاريخ رفع فاتح عددهم إلى اثنين . حتى 1922 ، أي مدة 442 سنة ، كان عددهم اثنين (بالعثمانية : صدرين أفنديلر) .

قضعسكر « قاضيء عسكر » وبالعربية الفصحى « قاضي العسكر » هو الشكل الذي تحورت إليه الكلمة العربية آنفة الذكر في لغة الكلام التركي . وتعني قاضي العسكر ، « قاضي الجيش » . لكن واجبه لم يكن كذلك . قضعسكر روملي ، هو آمر وأكبر حاكم لجميع القضاة في أوروبا ، أما قضعسكر أناضول ، فهو آمر وأكبر حاكم للذين في آسيا أفريقيا . هم الذين يعيّنون القضاة ، يقدمون التعيينات للتصديق عليها إلى شيخ الإسلام أولاً ، ثم إلى الصدر الأعظم وإن كانوا قضاة كبارًا ، تعرض على البادشاه .

كان لقب قضعسكر روملي وأناضول يمنح لكبار العلماء كمرتبة (رتبة) . هي رتبة العلميّة التي تلي رتبة قضاء استانبول وكانت تعادل رتبة وزير (ماريشال) . كانت هذه الرتبة تقسم من حيث القدم إلى درجتين ، الأولى قضعسكر أناضول ثم روملي . كان الموظف يرفّع من رتبة قضاء استانبول إلى الأناضول ثم إلى رتبة روملي . يلاحظ عدم خلط هذه الرتب مع رتب قضاة عسكر روملي وأناضول الفعليين . إن قاضيَي روملي وأناضول الفعليين ، يختاران غالبًا من بين العلماء الذين ارتقوا إلى رتبة (قضعسكرية روملي) (بالعثمانية : صدر روملي) . كانا ناظرين أى عضوين في الديوان حتى 1830 . كانا معاونين فعليّين لشيخ الإسلام . إن الشخصية التي تقوم بوظيفة قضعسكرية روملي الفعلية ، تكون غالبًا مرشحة لمقام المشيخة . كان أقدم قضعسكر لروملي ، أي الذي نال هذه الرتبة قبل غيره ، يمنح لقب « رئيس العلماء » . يطلق اسم « صدور » على قضاة العسكر بأجمعهم ، وهي صيغة الجمع لكلمة « صدر » العربية . كان المقعد الأول الكائن على يمين الصدر الأعظم في الديوان ، يجلس عليه الوزير الثاني ،

والمقعد الاول الذي على يمينه يجلس عليه قاضي عسكر روملي والمقعد الثاني لقاضي عسكر أناضول .

إن قاضيي العسكر الاثنين هما أرفع قضاة الإمبراطورية . كانا المرجع الوحيد المأذون له في نقض قرارات القضاة . كانا ينظران في الدعاوى المقدمة إلى الديوان الهمايوني (مجلس الوزراء) رأسًا وبجلسة واحدة دون إحالتها إلى مرجع آخر . ويمكن تمييز القرار الذي يصدره قضعسكر روملي بالاستشارة مع قضعسكر أناضول في الدعوى المقدمة إلى اجتماع الديوان ، حتى من قبل البادشاه ، يجرى وينفذ في الحال . أعطي لأمر كل من قاضيي العسكر 20 مُحْضرًا (شرطة عدل) ، وكتبة يطلق عليهم « تذكره جي » وأعضاء آخرون بدرجة كافية . ولكل من قاضيي العسكر الاثنين مستشار برتبة قاضي عسكر أيضًا (نخبة الوقائع ، 3 ,190) .

8 ـ القضاة والمحاكم :

كانت المحاكمات ، لدى العثمانية مفتوحة وعلنية بشكل تام . يندر أن يصدر القاضي قرارًا بعقد جلسة سريّة . لا يدّعي القاضي معرفته بكل المواضيع المقدمة إليه . وهذا مبدأ آخر ؛ لذا يجلب القاضي ، بالنسبة لموضوع الدعوى ، خبيرًا واحدًا أو عدة خبراء إلى المحكمة . تدوّن أقوالهم في السجل . لكن القاضي غير ملزم بالآراء التي يقدمها الخبراء . وكذلك هو غير ملزم بالفتوى . بإمكان القاضي ، المدعي ، أو المدعى عليه أن يستفتوا المفتين للمذاهب الأربعة (لا يشترط كونه حنفيًا) . تدون الفتوى المطلوبة في سجل المحكمة . لكن القاضي حرِ في قبوله أو عدم قبوله الرأي الوارد في الفتوى . لأن المفتي يمثل نظرة الدين والمذهب . أما القاضي ، كما يظهر بوضوح ، فهو ليس رجل دين ، هو الشخص الذي يرعى ويمثل نظرة الدولة .

لم يكن بالإمكان من الناحية العملية نقض قرار القاضي ، أو على الأقل كان صعبًا جدًا . إذ لم تكن هناك محاكم لفترة من الزمن . كان يجب مراجعة محكمة قضاة العسكر في استانبول رأسًا ولا يؤخذ ذلك بنظر الاعتبار إلاّ في الدعاوى الكبيرة جدًا بسبب صعوبة المواصلات في ذلك العهد كان المواطن الساكن في استانبول ذا حظ من هذه

الناحية . لكن ماذا يعمل المواطن الساكن في بودين أو القاهرة ؟ يكون سجل القاضي سيئًا جدًا فيما إذا نقض قراره من قبل محكمة القضعسكر . إذا كان القاضي ظالمًا ومرتشيًا فإن مراجعة المدعي أو المدعى عليه أو الشعب المشتكي إلى والي الإيالة ، تبلّغ إلى استانبول . إذ ليس هناك ما يفعله الوالي شخصيًا . كان القاضي تابعًا إما لقاضي عسكر روملي أو أناضول ، والوالي (بكلربك) لم يكن آمر له . ليس بإمكان الوالي أو أمير اللواء وقفه إلا لأسباب أمنيّة تتعلق بالدولة (بالعثمانية : سياسة) . لا يمكنه التدخل في قراره الذي يصدره . كان فقط يرسل مفتش قاضي عسكر أو مفتش ديوان للتحقيق مع القاضي المشكو في حقه .

كان القاضي حاكمًا وفي الوقت نفسه رئيسًا لبلدية موقعه . ينظر في الدعاوى قبل الظهر وفي أمور البلدية بعد الظهر . كان القاضي الصغير الذي يسمى « نائبًا » ، هو الآمر الملكي لناحيته (مدير ناحية) ، وفي الوقت نفسه رئيس بلديتها وحاكمها . أما الشخص الذي يسمى قاضي فكان الآمر الملكي لقضائه (قائمقام ، وفي الوقت نفسه رئيس بلديتها وحاكمها ، ويسمى القضاة في مراكز الألوية (المحافظات) ومراكز الإيالات « ملاّ » وتعني « القاضي الكبير » . الملاّ ، هو رئيس بلدية تلك المدينة وحاكمها الأكبر . لكنه ليس آمرها الملكي . الآمر الملكي ، هو أمير اللواء (سنجق بك) وفي مركز الإيالة الوالي الفريق الأول (بكلر بك) .

أسست مجالس ورئاسة البلديات في عهد التنظيمات . واستمر القاضي كذلك في النظر في قضايا المسلمين المدنية . ولكن ، عدا ذلك ، حوّلت كل القضايا القانونية والجزائية إلى المحاكم المدنية التي تأسست . بيد أنه ، كان من الجائز أن يصبح منتسبو العلمية حكامًا أو أعضاء في المحاكم . كان كتخدا (ممثل) أرباب العمل في تلك القصبة أو المدينة ، مساعدًا كبيرًا للقاضي في الأمور البلدية .

كان القاضي على الإطلاق متخرجًا في القسم العالي للمدرسة (الدينية) وحاصلاً على شهادتها . لا يمكن عزله ما لم يكن له ذنب صريح ، يمكن نقله من مقامه في حالة ترفيعه إلى مقام أعلى ، فقط . كان محظورًا عليه المتاجرة ، أو الاشتراك في شركة . لا يجوز له أن يقترض أو يقرض كما لا يجوز له قبول الهدية وحضور الولائم العامة .

كان يقيم العدل باسم البادشاه الذي هو خليفة ، لذا لا يعتبر نفسه مأمورًا للصدر الأعظم . يعيّن من قبل الصدر الأعظم ، ولكن الصدر الأعظم ، لا يستطيع أن يتدخل في قراراته . تجري كل تعيينات القضاة من استانبول . أما المفتون فكانوا من المحليين الذين ينتخبون من رجال الدين في مناطقهم . تصدر تعييناتهم من قبل الدولة بصورة رسمية . لكنهم لم يكونوا موظفين ، لا يتقاضون رواتب ، يقبضون رسومًا معيّنة لفتاواهم . وكانوا يقومون كذلك بالعناية بجوامع مواقعم . كان مذهب المفتي مطابقًا لمذهب سكان المنطقة التي يسكنها . كانت المدن الكبيرة كالقاهرة ، الجزائر تحتوي على أكثر من مفتٍ واحد وحتى على 4 مفتين مستقلين للمذاهب السنيّة الأربعة . كان القاضي حنفيًا . كان القاضي يستفسر من الطرفين عن أي من المذاهب الأربعة ، في مجال القانون المدني ، يطلبون أن تنظر المحكمة ، ويمتثل للطلب . ولعدم ضلاعته في الأساليب الفقهية ، عدا الفقه الحنفي ، كان يستصحب كتبه إلى المحكمة ، ويستدعي في المحاكمات المهمة مفتي مذهب تلك المنطقة إلى المحكمة كمشاور له . كان للمحكمة الحق من الناحية النظرية في استدعاء أي شخص حتى البادشاه . على أن القاضي كان يعمل في الدعاوى الجزائية ودعاوى العامة ، بموجب الفقه الحنفي دائمًا والقوانين الصادرة باسم الخاقان . « إن عدم إمكان إصدار الجزاء وإنفاذه دون حكم القاضي ، هو أحد المبادىء الأساسية للإدارة العثمانية » (ROBert Anhegger ، **قانونامه سلطاني** ، ص 17) . يستثني من ذلك القضايا التي تتعلق بأمن الدولة ، إن هذه القضايا ، كانت من اختصاص أمير اللواء أو البكلربك (الفريق الأول ولي الإيالة) .

كان يتعيّن على القاضي معاملة المدعي والمدعى عليه بالمساواة . لا يمكنه إقامة أية علاقة شخصية مع الأطراف في الدعوى ، لا يمكنه مكالمتهم بصورة سريّة ولا يمكنه أن ينكّت ، أو يظهر انفعالاً خاصًا ، أو يظهر على وجهه حركات ذات مغزى ، أو يؤشر . لا يمكنه أن يتفوّه بكلمات تبين انحيازه لأحد الأطراف . ولا يجوز استماعه بعدم مبالاة وعدم انتباه إلى كل من الطرفين . لا يمكن الإخلال بالجلسة من قبل أية قوة . والبادشاه نفسه لا يمكنه التدخل في الجلسة . يكتب الكاتب جميع الأقوال ويدونها في السجل . ثم يوقع القاضي على الحكم . لا يجوز للحاكم أن ينظر دعوى أحد أقاربه ، وحتى

لو حكم ضده . ولا يمكن الأخذ بأقوال أحد آقاربه كشاهد في الدعاوي العامة . (204, 4 - 182, 6, d'Ohsson) .

إن العدالة البطيئة ، تعتبر ظلمًا ، في النظام العثماني . الحكم السريع هو أساس نظام الحقوق العثماني . « الجلسات الثانية أو الثالثة نادرة ؛ أكثرية الدعاوى يفصل فيها خلال ساعة واحدة » (5 - 204, 6, d'Ohsson) . « يفصل في أهم الدعاوي خلال ساعة واحدة وينفذ الحكم في الحال . لا تطبّق أية ألاعيب لتأخير الحكم ، كما تجري لدينا في أوروبا » (327, 2, Lord Poul Ricaut) . هذا ما قاله دبلوماسيان أوروبيان اثنان (سويسري وإنكليزي) مكثا ربع قرن في تركيا ، الأول في نهاية العصر 17 والثاني في الربع الثالث من القرن الـ 18 ، في كتابهم الذي أصبح كلاسيكيًا ، حول العثمانية . وبالإمكان سرد شهادات أخرى كثيرة جدًا . إن عشرات الألوف من سجلات المحاكم الشرعية المتوافرة لدينا ، مرجع في هذا الشأن . « لا يمكن فصل أية دعوى سواء كانت مدنية أم جزائية بالسرعة التي تفصل بها في تركيا . بالإمكان أن تستمر أكبر الدعاوي ثلاثة أو أربعة أيام بجلسات متتالية » (148, Voyage du Levant, Stochove) . كان هنري الثالث قد طلب تدقيق النظام القضائي العثماني في دور القانوني وأجرى إصلاحًا في نظام العدل الإنكليزي . إن نظام الحصول على نتيجة فورية في الدعوى بجلسات متتالية ، هو الأساس في نظام القضاء الأنكلو - سكسوني .

كيف كان يتسنى إقامة العدل بهذه السرعة في إمبراطورية مترامية الأطراف بشكل لا يصدقه العقل ، بعدة آلاف من القضاة ؟ إن جواب هذا السؤال هو : إن الخلافات الصغيرة ، لم تكن تقدم أبدًا لحضور القاضي . واقع الأمر أن القاضي ، كان مجبرًا على النظر حتى في أصغر الدعاوي التي لا تتجاوز قيمتها آقجة واحدة (قطعة فضية) إذا قدمت إليه لكن الطرفين كانا يتفاهمان قبل مثولهما أمام الحاكم . رئيس العائلة ذو النفوذ الكبير ، رؤساء النقابات العمّالية ، مختار القرية ، إمام المحلة ، شخصيات من الأشراف ، يصبحون حكامًا ويحلون الخلافات . لم يكن المجتمع مجتمعًا أفراده متخالفون ، متضادون ، متخاصمون .

كان القرار الذي يصدره القاضي ، ينفذ على الفور ، عدا الإعدام . أما المحكوم عليه

بالإعدام فيمثل أمام آمر اللواء ، وإن كانت مركزًا لإيالة أمام والي الإيالة مستصحبًا معه حجة معه حجة القاضي . لأن القاضي ، لا يمكنه الأمر شخصيًا بإنفاذ حكم الإعدام . بإمكان أمير اللواء (سنجق بك) أو والي الإيالة الفريق الأول (بكلر بك) إعطاء أمر التنفيذ . إن تردد أمير اللواء في حكم الإعدام ، يساق المحكوم مع حجّته إلى استانبول . القرار الذي يعطيه القاضي العسكري الخاص بمنطقته ، هو القرار النهائيُ .

يلحق قاضٍ واحد من الدرجة العليا بالجيش أو الأسطول الذي يخرج إلى الحملة بلقب « أوردوى همايون قاضيسي » (قاضي الجيش الإمبراطوري) أو « دونانماى همايون قاضيسي » قاضي الأسطول الإمبراطوري) . يكون هؤلاء معاونين للسردار القائد) وتعلى رتبهم فور عودتهم (راشد ، 1 ,304 ,2 ,105 ,516) .

كان هناك قضاة في معية القضاة الكبار ، يسمون قسّام ، وهم حقوقيون اختصوا في حقوق الإرث .

9 ـ القاضي الأكبر (استانبول أفنديسي) :

إن القاضي الأكبر هو قاضي إستانبول الذي يسميه الشعب « إستانبول افنديسي » (افندي استانبول) . يجلب لهذا المقام برتبة قضعسكر أناضول ويعيّن بعد أن يمارس العمل كقاضي عسكر لأناضول بصورة فعلية . لا يمكن لأي شخص أن يشغل مقام قاضي عسكر أناضول بصورة فعلية ، ما لم يكن قد زاول وظيفة قاضي إستانبول . كان مقامًا خطرًا . إذ إن كل شيء كان أمام أعين البادشاه والديوان . كان رئيسًا لبلدية وحاكمًا أكبر لأكبر مدينة في العالم . ومن ناحية أخرى ، فقد كانت مرتبة استانبول ، هي الرتبة التي تأتي قبل رتبة قضعسكرية أناضول بين الرتب العلمية ومعادلة لرتبة فريق. إن قضاة غلطة ، أيوب ، اسكدار ، نواب (قضاة صغار) مراكز عديدة ، 44 نائبًا تابع لغلطه ، 26 لأيوب ، 44 لاسكدار ، قضاة جتالجه وسيليورى وزمرة كبيرة من شرطة والكتاب تابعون لأمر إستانبول أفنديسي . خضر بك ـ جلبي ، أول قاض لإستانبول (1453) . من أحفاد خواجه (ملا) نصر الدين . إن منطقة « قاضي كوي » سميت باسمه . كان يتبع إدارة قضاء إستانبول ما يقرب من 1500 قرية .

القاضي الذي يزاول وظيفة ملا في القاهرة ، بورصة وأدرنة ، يعيّن قاضيًا على إستانبول برتبة قاضي عسكر أناضول اعتبارًا من نهاية العصر 16 بعد إيفائه وظيفة القضاء في مكة وفي المدينة . كان عامري ، قاضي عسكر على روملي (64, 4, Muhimme) .

10 ـ الملاءون :

كان يطلق على قضاة المدن الكبيرة « ملا » إن متخرج المدارس (الدينية) العالية ، بعد أن يصبح مدرسًا أو نائبًا ، يرقى إلى رتبة قاضي ، ثم ملا ، ثم يصبح قاضيًا لإستانبول . وبالطبع فإنه لا يمكن لكل متخرج في العلمية أن ينال هذه الرتب .

كانت المدينة التي تعقب إستانبول في أهميتها وكثافة سكانها ، هي القاهرة . كان يطلق على قاضي القاهرة « مصر قاضيسى » (قاضي مصر) الأولياء جلبي (10 ، 147 - 50) . أول قاض على مصر بعد (1517) ، هو كمال باشزاده أحمد شمس الدين أفندي من أكبر علماء العثمانية والذي صار بعد ذلك صدرًا أعظمًا ، له مئات المؤلفات باللغات العربية ، والتركية والفارسية . كان 100 موظف و 100 خادم تابعين لأمر قاضي مصر (مصر أفنديسي) . وله مشاورون من المذاهب الأربعة . وضعت سجلات المحكمة في بناية ذات قبّة حجرية ، تراكمت الوثائق منذ عهد عمر (رضي الله عنه) على شكل جبل من الأوراق . 300 محضر (شرطة عدل) تابعون لإدارة الأفندي قاضي مصر . إن القاضي الذي هو في الوقت نفسه رئيس للبلدية ، يدير في معيته 80 قاضيًا تقريبًا من قضاة مصر . إن أكثرية هؤلاء القضاة ، ليسوا من استانبول ، هم مصريون شافعيون ويوجد بينهم من هم حنابلة ومالكية . يوجد في مصر 000 174 شخص يعمل في قطاعات الدين ، العلم والعدل (الأولياء ، 10 ,150) . عدد طلاب الأزهر 000 12 و000 57 شخص حفظة القرآن . لا يستطيع قضاة مصر المحليون ، مزاولة واجب القضاء خارج هذا القطر .

ومع أن الملاثين لهم تسلسل في التشريفات ، إلا أن هذا التسلسل تغيّر بين فترة وأخرى . واستقر في النهاية على أن يكون ملاء مكة في التشريفات بعد قاضي إستانبول ويليه ملاءو مدينة ، أورفه ، بورصه ، مصر ، بودين ، بغداد ، شام وقدس ... منح

قضاة مكة ، مرتبة إستانبول . أما مرتبة مكة أو الحرمين ، فكانت رتبة العلمية التي تسبق مرتبة إستانبول وكانت معادلة لرتبة لواء .

أصبح القضاة بعد التنظيمات ، أشخاصًا يفصلون في المحاكم الشرعية في دعاوى المسلمين المدنية ويوفون واجبات هذا المجال . سلخت عنهم كل صلاحياتهم الأخرى .

11 – المدرس والمدرسة (الدينية) :

المدرسة ، هي المؤسسة التي أسسها السلجوقيون في نهاية العصر 11 وطوروها . هي المؤسسة الثقافية الرئيسية في الدولة العثمانية للفترة الكلاسيكية ، ألا أنه كانت هناك صفوف تدريسية في درجات مختلفة خارج تلك المدارس . المدرسة ، هي المؤسسة التي تدرس اللغتين العربية والتركية والتي تتشكل من قسمين متوسط وعال . ولأجل الدخول في القسم المتوسط ، يجب إنهاء الدراسة الابتدائية أو أن يبرهن على أنه حائز على معلومات معادلة لتلك الدرج . ثم تبدأ مراحل المدرسة . كانت المراحل العالية في المدن الكبيرة (إستانبول ، القاهرة ، أدرنة ، بورصة ، بغداد ، شام ، حلب ، قونية ...) . أما مدارس الدرجة المتوسطة ، فكانت موجدة في كل مدينة وقصبة . الانتقال من صف لآخر يجري بالامتحان . كان من الممكن اجتياز أكثر من صف واحد خلال سنة واحدة ، وكان يوجد كذلك من تبلى مرافقهم ببقائهم سنوات عديدة في صف واحد . كانت شهادة إستانبول (رؤوس استانبول) هي الأكثر اعتبارًا ، بخاصة المدارس العالية في سليمانية وفاتح . وبعد العصر 15 قل كثيرًا عدد شبان الأناضول الذين كانوا يذهبون إلى مصر وسوريا لغرض التحصيل فيها أو انعدموا .

يطلق علي معلمي المدرسة ، أيًا كانت درجاتهم « مدرّس » . توجد درجات كثيرة للمدرس ، والارتقاء يقتضي اجتياز تلك الدرجات . يجب عدم خلط « مدرس » الجامعة التي استعملت في دور التنظيمات حتى 1933 ومدرس المدرسة (الدينية) . إذ إن صفة « مدرس » في الجامعة ، استعملت بدلاً من أورديناريوس بروفسور « أستاذ كبير » معلم = بروفسور ، أستاذ ، معاون معلم = مساعد أستاذ) أما مدرس المدرسة ، فإنه بالإمكان أن يكون متخرجًا من الدراسة المتوسطة ، كما أنه يمكن أن يكون بدرجة

أستاذ الجامعة الكبير (أوردينالايوس بروفسور) . « إن أساتذة الجامعة في تركية يتقاضون رواتب أعلى من ألمانيا والأقطار الأخرى وكذلك يلقون احترامًا أكبر . ولا يختلف الوضع بالنسبة إلى انكلترا وفرنسا » (هامّر ، 17 ، ص 41 ، 19 ، 52 ب) .

تجوز دراسة الأولاد الذكور في المدارس . ولا تجوز دراسة البنات فيها . أول المدارس النظامية في القطر العثماني ، فتحت في 1330 في ايزنيك وبعد فترة وجيزة في بورصة من قبل أوهان غازي . تطورت جدًا مدرسة بورصة قبل عام 1400 . وفي الربع الثاني من العصر 15 ، فتحت مدارس عالية في بورصة كذلك (أوج شرفه لي ومدرسة دار الحديث) . أسس فاتح في 1453 ، مدرسة فاتح التي شكّلت نواة جامعة إستانبول . ثم أسس القانوني مدرسة سليمانية . كانت توجد في إستانبول مدارس عالية أخرى أيضًا . لم يعد يشاهد بعد العصر 16 من ينهب إلى مصر ، سورية ، عراق ، إيران وتركستان للتخصص .

كانت المدرسة منذ أواسط العصر 16 ، إلى أواسط العصر 19 تنقسم إلى 12 درجة بعد الدراسة الابتدائية . الدرجات الأربع الأخيرة هي الدراسة العالية . ويطلق على مدرسي الدرجات الأربعة الأخيرة « كبار مدرسين = الأساتذة الكبار » . كان يطلق على طلاب القسم العالي من المدرسة « طلبة علوم » أو « صوفته » . كانوا طلابًا يلقون احترامًا من الجميع . ويسمى الذي يختاره المدرس مساعدًا له « دانشمند » . كان الدانشمند الذي يحصل على شهادة ، يصبح « معيدًا » . وهي تعادل رئيس المساعدين . ثم يصبح « ملازمًا » ، ثم يبدأ بعد ذلك في اجتياز درجات المدرس . يجب على المدرس الذي يرغب في أن يصبح قاضيًا ، أن يكون بدرجة كبار المدرسين . لا يمكن لمدرس مدرسة متوسطة أن يكون قاضيًا .

وفي أواسط العصر 17 ، كان في داخل إستانبول – عدا الضواحي – 63 مدرسة متوسطة الدرجة ومدرستان عاليتان ، عدد طلاب المدرستين الأخيرتين 7 000 تقريبًا . لا يدرس كل طالب في القسم العالي ، أكثرهم يتركون الدراسة من صفوف أقل درجة ويعملون في وظائف لا تستلزم الشهادة ، كالإمامة والتدريس في مدرسة ابتدائية . كانت

مدرسة فاتح ذات 300 غرفة ، مطبخ ذي 70 قبّة ، 300 خادم (أولياء ، 1 ، 314 – 5) . ثمّة 8 كليات تسمى « صحن ثمان » . أعلى مدرس ، هو مدرس « دار الحديث » الذي هو عميد مدرسة سليمانية . لا يوجد في الإمبراطورية مدرس أعلى منه درجة . راتبه الشهري بالسعر الحالي 000 20 دولارًا تقريبًا (هامّر ، 156, 6 - 7) . يمكنه إذا أراد ، أن ينتقل إلى إحدى الأقضية الكبيرة ويصبح ملاّ . كامل مدرسة فاتح ، تقريبًا مهدومة حاليًا . أما مدرسة سليمانية ، فإن قسمًا غير قليل منها باق ويستعمل لأغراض مختلفة .

بدأ الفساد يعتري نظام المدرسة اعتبارًا من السنوات الأخيرة للعصر 16 إلى أن أصبح في نهاية العصر 18 عاجزًا تمام العجز وحتى باليًا لايلائم العصر وفي حالة يرثى لها . لم يكن لمدرس العصر 18 معلومات بقدر طالب مدرسة عالية (صوفته) في العصر 16 . لم تعد هناك مناهج منتظمة حتى في قسم الدراسة المتوسطة للعلوم الدينيّة في مدارس شام ، مكة ، مدينة التي فتحها القانوني كمدارس عالية . إن تأسيس « معلمخانهء نواب » في 1854 لتخريج الحكّام الشرعيين ، إضافة إلى المدارس الموجودة ، دليل على عدم اعتماد الدولة على متخرجيها في مدارسها . افتتح في 3 / 1 / 1914 قسم الدكتوراه ، وجعلت مدرسة دار الخلافة العليّة (إستانبول) ، جامعة دينيّة نموذجيّة . وفتح من ناحية أخرى في الجامعة ، قسم دراسة العلوم الإلهية . وكانت النيّة فتح مدرسة صلاح الدين الأيوبي في القدس بالمواصفات نفسها ، لكن اشتعال الحرب العالمية حال دون ذلك ، وبينما كانت مدرسة إستانبول كفيلة بأن تكون جامعة أزهر ثانية ، ناءت تحت أنقاض الحرب العالمية . وفي 1916 ، كان بها أكثر من 100 مدرس قدير جدًا و 1354 طالبًا (**علميه سالنامة سي** ، 174 وما بعده) .

12 _ التعليم خارج المدينة :

يطلق على المدرسة الابتدائية اسم « مكتب » وعلى مدرسها « خواجه » (تلفظ بالتركية على شكل خوجا) وفي التنظيمات « معلّم ، معلّمة » . لم يطبق التعليم الإلزامي في أي وقت من الأوقات ، رغم صدور فرمان (تعليمات) في دور القانوني ، وآخر في دور محمود الثاني يقضي بالإلزام في مرحلة التعليم الابتدائي . التعليم الابتدائي الذي

كان منتشرًا جدًا في العصر 16 ، تردّى كثيرًا في العصور المتعاقبة . ولم يبد تقدمًا ملموسًا إلا في أواخر العصر 19 . وفي سنوات الحرب التي تعقب 1910 ، تردّى بشكل كبير وكان إقبال البنات خاصة ، والبنات القرويات بوجه أخص ، على التعليم الابتدائي قليلاً . وبقليل من المبالغة ، يمكن القول بأن البنات اللواتي يواصلن الدراسة ، كن عبارة عن بنات الموظفين فقط .

كان التعليم الابتدائي أبسط مما عليه اليوم . كان عبارة عن مواد كتعليم القراءة والكتابة باللغة التركية ، التمكن من قراءة **القرآن** ، العمليات الأربع في الرياضيات ، المعلومات الدينية الضرورية والكتابة الجيّدة (الخط) . وضعت مادتا التاريخ والجغرافيا في عهد التنظيمات . بيد أنه كانت في المدن الكبيرة كاستانبول مدارس ابتدائية فريدة وراقية ، ولها أوقاف غنيّة . كان التعليم فيها أكثر حيويّة وذلك بجهود المدرسين الذين يجلبون بصورة إضافية ، فمثلاً ، مدرسون لدروس الموسيقى ، الخط ، الفارسية .

كان الولد ، يرسل إلى المدرسة في سن 4 إلى 6 . والدراسة في الابتدائية على العموم 4 سنوات ، ولكن الذين دخلوا المدرسة في سن صغيرة ، يدرسون مدة أطول . كان المدرس الابتدائي على العموم مثقفًا بشكل جيد . يوجد باستانبول مؤسسات تعليمية أكثر من جميع عواصم العالم الأخرى »(هامر ، 19 ، أطلس ، 52 ب) . إن هذه الملاحظة ، تعود إلى دور الانحطاط في بداية العصر 19 وللفترة التي لم تؤسس فيها بعد مؤسسات التنظيمات التعليمية الكبرى وطبعًا بالنسبة إلى إستانبول . أما الإمبراطورية العثمانية ، فهي ليست عبارة عن إستانبول .

مكتب الصبيان أو مختصرًا المكتب ، كان مختلطًا . أي ان دراسة البنات كانت مشاركة مع الأولاد الذكور ، كانوا يجلسون في الصف ذاته على قمطرات منفصلة . كانت رءوس البنات والذكور مغطاة ، يضعون شيئًا على رءوسهم . كان الرأس المكشوف علامة على عدم الاحترام وعدم إطاعة النظام . كان أولاد الذوات والأغنياء بخاصة البنات منهم ، لا يدرسن في مكاتب المحلات ، بل يتممن تحصيلهن الابتدائي في القصور . الحقيقة أن التعليم الابتدائي كان منتشرًا في القرن 16 » كانت القرى خاصة تحتوي على مكتب واحد على الأقل ، ولا يدرس فيه الأولاد الذكور فقط ، بل البنات

كذلك » (2, Belon ، ورق 180) . هذه ملاحظة أحد السياح الفرنسيين ، في عهد القانوني . كان عدد مدارس الصبيان في أواسط العصر 17 ، في إستانبول نفسها عدا ضواحيها 1993 مدرسة ، في مدينة أماسيا 200 وفي مدينة أرضروم 110 مدارس . ويجب أن نسجل هنا ، أن المدارس الابتدائية لم تكن كما هي اليوم ، وإنما كانت صغيرة ، عدد طلابها أقل من 100 ، وبعضها 20 - 30 طالبًا ، كبيرها قليل وتسمى « طاش مكتب » وعلى العموم كانت المدارس الابتدائية وقفًا يعود للبادشاه . كان في أدرنة 14 مدرسة ابتدائية من نوع أوقاف البادشاه . كانت توجد 6176 مدرسة ابتدائية في القاهرة وضواحيها في نهاية القرن 17 . كان بين مدرسيها ، أتراك من الأناضول (أولياء 60 ,234 - 5) . وبالنسبة إلى أحمد أمين يالمان ، زادت نسبة متعلمي القراءة والكتابة في تركية خلال الأعوام 1875 إلى 1900 ، إلى 3 أضعاف (The Emer gence, B. Lewis ، 462) . وقبيل 1900 ، لم يبق تقريبًا ولد ذكر لم يتعلم القراءة والكتابة . عدا أولاد عائلات المهاجرين من الخارج إلى المدن الكبيرة حديثًا . لكن نفوس المدن في الإمبراطورية ، كانت تشكل نسبة ضئيلة جدًا .

كانت مكاتب تحفيظ **القرآن** منهلاً للتعليم الابتدائي بطريقة أخرى وكانت منتشرة بكثرة . ويجب أن نضيف إلى ذلك محلات التعليم الخاصة في القصور والسرايات ومكاتب تعليم الخط في التكايا . كان التعليم في السرايات والتكايا الكبيرة هذا ، بمستوى التعليم العالي . كانت الثكنات وأماكن التدريب ، مدارس عسكرية بالمعنى الصحيح . ويوجد نظام آخر ، هو التعلّم لدى أسطه (أستاذ) وهو أصول التلمذة لدى عامل فنّي وهي طريقة تعليم عملي .

إن 99 ٪ من البنات المستمرات في الدراسة ، لا يواصلن التحصيل بعد الدراسة الابتدائية . وبالأساس فإنه لم يكن قبل التنظيمات مدرسة للبنات كهذه . إذن كيف نشأت شاعرات ، ملحنات ، عالمات من النساء ؟ إن هؤلاء السيدات كن من أصحاب الرغبة وتلقّين تحصيلهن في أماكن كالقصور ، السرايات ، التكايا . فمثلاً ، كان أشهر أساتذة عصرهم يدرسون في الحرم الهمايوني ، الجواري وبنات السلالة اللواتي يبدين استعدادًا متفوقًا . كان التعليم العملي أكثر انتشارًا . وعلى سبيل المثال ، كان التوليد .

النقش ، حياكة السجّاد منحصرة في النساء . كن يتعلّمن بالاشتغال مع النساء المحترفات بشكل عملي . بهذا الشكل أنتجن السجاد الكبير الذي يعتبر آيات فنية نادرة . فتحت أول مدرسة للقابلات في إستانبول عام 1843 ، كانت مدة الدراسة 3 سنوات .

« إن أصول التربية والتعليم لدى الأتراك ، هى أحد أهم الأسس التي تستند عليها سياستهم وعنصر مهم في ديمومة إمبراطوريتهم . إن هذا العمل يجري ضمن حدود الكفاءة والنظام » (Ricaut, 1, 75, 78) . من المؤكد أن التربية والتعليم لدى العثمانية في القرن 16 ، كانت على أعلى مستوى في العالم . ويأتي بعد ذلك دور التعادل مع أوروبا ، ثم دور التأخر عن أوروبا . ومع ذلك فإن أحد المشاهدين الأمريكيين ، حتى في 1832 ، لا يستهين بالتعليم لدى العثمانية : « زرت ودقّقت مدرسة الهندسة البحرية الإمبراطورية التي تخرج المدفعي خلال 3 سنوات ، تكلمت مع التلاميذ . كانت مؤسسة متقدّمة . يستمر في التحصيل العالي في 16 مدرسة في إستانبول ، 300 إلى 500 طالب في كل واحدة منها ، هذا عدا المدارس الأخرى . توجد مدرسة ابتدائية في كل زقاق من أزقة المدينة وعددها أكثر من 1000 » (Sketches of Turkey in 1831 and 1832, J. de Kay نيويورك 1833 ، ص 142 - 4) .

استمر التعليم في المساجد جنبًا إلى جنب مع التعليم الذي يجري في المدارس . التعليم الإسلامي ، هو تعليم المساجد ، فصل السلاجقة في العصر 11 التعليم العالي من المساجد ، وأسسوا أول المؤسسات التي سميت « مدرسة » . ولكن دروس المساجد استمرت . معلم الجامع ، لا يسمى مدرسًا ويسمى « درس عام » . لا يعتمد التدريس هنا على الحفظ وعلى نفوذ المدرس كما هى الحال في المدرسة . هو تعليم يجري بطريقة النقاش والمناظرة . كان الطالب لا يستمر في دروس المعلم المسمى « درس عام » فيما لم ترقه دروسه ولا يخشى من « درس عام » كخشيته من المدرس تسمى الشهادة التي يعطيها « الدرس العام » عن الدراسة في الجامع « إجازت » أي إجازة التي يستطيع أصحاب الإجازات أن يتقدموا إلى امتحان في المدرسة للحصول على الشهادة الرسمية المسماة « رءوسًا » . فمثلاً ، أحمد مختار أفندي ، أحد شيوخ الإسلام في دور السلطان عزيز وابن أحد باعة الطرشي ، تقدم بعد إتمامه دروس الجامع ، نجح في الامتحان وحصل على شهادة استانبول وانتسب إلى صنف العلمية .

ويجب ألا ننسى أكاديميّتي العسكرية والفنون الجميلة للسراي المسماة اندرون همايون ومدارس السراي المتوسطة التي تمدّها بالطلاب . وهناك التكايا وبعض التكايا الكبيرة (دركاه) ، التي تمنح تعليمًا عاليًا بحق ، في العلوم والصناعات المختلفة . كثيرون من أشهر الشعراء ، الملحنين ، الخطاطين ، العلماء والمؤلفين تخرجوا في التكايا .

كان التعليم العلمي ، أوسع مجالاً في التعليم . كان الذي يريد أن يصبح معمارًا ، يعمل مع المعمار سوية ، والمهندس مع المهندس ، الطبيب مع الطبيب ويتلقى عنه علمه ، ثم يقدم امتحانًا في الجدارة ويحصل على الشهادة التي تسمى « اجازتنامه » وينتمي للسلك . والحقيقة أنه كان يوجد لهذه المجالات وشبيهاتها مدارس ومدارس للسراي ، لكنها لم تكن كافية لحاجة الإمبراطورية . لذا فإن كل واحد من أصحاب هذه المهن كان يستصحب معه في عمله عدة تلامذة على الأقل يسمون « شاكرد » ويدربهم على المهنة .

13 ـ الأوقاف والتعاون الاجتماعي :

كانت الدولة في النظام العثماني ، مسئولة عن حماية أنفس وأموال وحرية المواطن والمحافظة على الأمن . ولم تكن ملزمة ببناء آثار عمرانية ، بتعليم المواطن ، بإنشاء المعابد للعبادة . شيّدت الطرق والجسور ، لكن ذلك كان بغرض إقامة تسهيلات لمرور الجيوش ولتأمين أمن الدولة ، ولم يكن لأجل الشعب بصورة مباشرة . إن المؤسسات العمرانية والثقافية المشيدة لأجل الشعب ، بدأت مع التنظيمات في الفترة الحديثة . لا يوجد جامع واحد ، مكتب ، ولا أية مدرسة ، عمارة (مؤسسة خيرية لتوزيع الطعام على الفقراء) ، مستشفى ، سبيل للماء وأمثالها شيَّدته الدولة في العهد الكلاسيكي . إذن ، عمن ورثنا آلاف وعشرات الألوف من المنجزات المختلفة ؟ ومن الذي أمر بصنعها ؟ إنهم المواطنون .

هذه المنجزات لو لم يشيدها الشعب ؛ لما تحقق منها شيء ! وفّر الأغنياء كل حاجات الشعب الاجتماعية . ومن الطبيعي أن السلاطين ، هم على رأس هؤلاء . لأن البادشاه كان أغنى شخص في الإمبراطورية . لم يحدث في تاريخ الدولة كلها ، أن فاق شخص

البادشاه فى الغنى .

جميع هذه المؤسسات الاجتماعية ، شيّدت بفضل مؤسسة الأوقاف . الوقف ، يوقف رضاء لله . الوقف ليس عبارة عن تشييد بناء مجرّد . الوقف ، إضافة إلى ذلك ، هو تأمين مصادر إيرادات لإدامة هذا الوقف عصورًا طويلة . كتب داماد لطفي باشا أحد صدور عظام السلطان سليمان القانوني وزوج أخته في مذكراته السياسية الكلاسيكية المسماة **آصافنامه** ، إن على رجل الدولة المثالي أن يقسم إيراداته إلى ثلاثة ، ثلث لمصروفاته ، والآخر للمؤسسات الخيرية ، والثالث للتوفير . هكذا كان النظام العثماني تقريبًا

إن صاحب الوقف الذي يسمى « واقف » كان بإمكانه أن يوقف كل أنواع مصادر الإيرادات التي يمكن أن تخطر على البال لأجل تأمين إدامة وقفه : دراهم نقدية ، مزرعة ، خان ، حمّام ، دار ... كان ينظم الاتفاقية التي تسمى « وقفنامه » والتي تشرح كيفية تشغيل وقفه ، حسب رغبته . يتسلم خَدَمَ الوقف ، رواتبهم من هذا الإيراد ، مدير الوقف يسمى « متولّي » وغالبًا ما يكون أحد أفراد نسل الواقف .

توجد أوقاف لمجالات تفوق التصور : تجهيز البنات الفقيرات ، ترصيف الأزقة التي لا تحتوي على أرصفة ، تأمين حاجة البارود لإحدى القلاع ، العناية باللقالق المعوّقة والمريضة ، توزيع اللحم على الكلاب ورئات الغنم للقطط ، تسديد ديون المسجونين بسبب الاستدانة ...

إن تنوع أوقاف العثمانية ، وغرابة شروط الوقف ، تصيبان المرء بدوار الرأس . وأعتقد أن مستشفى اللقالق الذي يسمى « غرباء خانهء لقلقان » هو الوقف الوحيد في مجاله على وجه الأرض . الوقف لطيور الحمام ، كثيرة . لا يأكل الأتراك لحم الحمام اللذيذ أبدًا . يسرّهم جدًا التفرج عليه وهو يطير في فناء جوامع المدن » إن حب الخير لدى الأتراك ، يشمل الحيوانات أيضًا . لا يجوز لأحد معاملة الحيوانات معاملة سيّئة . تقبض عليه الشرطة التركية . ويمنع كذلك إرهاق الحيوانات بالشغل . يشاهد في كل يوم وفي كل مكان ، معاملة الأتراك الممتازة للحيوانات . إذ إنهم أيضًا مخلوقات الله . لا شك أن ذلك من دواعي الشرف بالنسبة لشعب (d'Ohsson, 4, 307 - 8) .

وبالطبع فإن المؤسسات التي تستجيب للمطالب الاجتماعية المهمة جدًا ، تأتي على رأس المؤسسات الوقفية الخيرية ، كالجوامع ، المساجد ، سبيل المياه ، المدارس ، المكاتب ، مؤسسات إطعام الفقراء ، المستشفيات الحمّامات ، منازل القوافل ، الخانات . إن أصحاب الخير الذين شيّدوا في أماكن مختلفة من الإمبراطورية أكثر من اثني عشر جامعًا ، حنفيات للماء ، ليسوا قليلين ، إلا أن أصحاب الخير شيّدوا كل ما يخطر على البال وجهّزوا الوقف بمصادر ماليّة غنيّة (بالعثمانية : عقارت) ومن أمثلة ذلك : كليّة ، سبيل ، سلسبيل ، حوض للوضوء ، يالاق (حجر مجوف يوضع أمام المساكن لإطعام الحيوانات) ، فسقية ، حوض ، بئر ، بناية حمّام المياه الصحيّة ، حمّام مزدوج ، فتح عيون المياه المعدنية ، مرافق صحية ، طريق جسر ، مكتبة ، مصلّى ، مغسل للأموات ، تكية ، تكية صغيرة ، زاوية ، حجرة تكية كبيرة (دركاه) ، مقبرة ، قبّة ، سوق ، سوق موقت ، حديقة أساس ، مجاري ، ثكنة ، قلعة ، سدود استحكام ، سد استحكام مع حديقة ، هودج ، برج ، خندق ، خنادق ، استحكام ، رصيف ، زقاق ، حديقة كبيرة (بارك) ، شارع ، دار العجزة ، دار التقويم ، دار القرّاء ، دار الحفّاظ ، دار الحديث ، دار التوقيت ، ميناء ، فنار ، فنار للبحر ، محل غسيل الملابس ، مصنع زيوت ، مصنع شموع ، مصنع سكر ، مصنع حديد ، مصنع سباكه ، مصنع أسلاك ، فرن ، مذبح ، مصنع مدافع ، مصنع قذائف ، مصنع رماح ، اسطبل ، حاره ، حظيرة مواش ، محل دراسة ، مستشفي أمراض عقلية ، دار الشفاء ، محل تعليم الرمي ، محل فتاوى ، منزل للسابلة ، مسلة الرمي ، عريش ، قمرية ، خيمة ، طريق مياه ، مخزن مياه ، مصح ، دار الافتاء ، محكمة ، ملجأ ، مدفن ، كشك ، قصر ، سراي ، سراي ساحلي ، دار على البحر ، دار ، دار للإمام ، ميناء ، رصيف بحري ، كرمه ، مقهى ، مصنع بوظه (مشروب غير كحولي يصنع من بعض الحبوب) ، مصنع شيره (مشروب غير كحولي يصنع من عصير العنب الجاف) ، ناد ، صيدلية ، مخزن ، جدول (قناة) ، تأسيسات توزيع المياه ، ... إلخ .

المستشفيات على سبيل المثال ، كانت مؤسسات عظيمة ذات أبنية ممتازة ، نظامية ، تدرّس فيها دروس التطبيقات العملية لتلامذة الطب . إن مستشفى خاصة كي الذي أسسته السلطانة خرّم زوجة القانوني ومستشفى غرباء الذي أسسته بزم عالم والده ـ

سلطان ، أم عبد المجيد الأول ، لا يزالان أكبر مستشفيين في إستانبول . أما دار الشفاء التي أسسها القانوني فهي حاليًا مطبعة عسكرية . كانت مستشفى للتطبيقات لمدرسة سليمانية . وتوجد مستشفيات لأمراض معيّنة ، للنساء فقط . ومثال ذلك ، مستشفى الجذام في أدرنة (1451) وفي إستانبول قرة جه أحمد (1514) . كانت العناية بالمريض ، مداواته الخارجية ، أدويته من خيرات أصحاب الخير . كانت دار شفاء جينيلي في إسكدار ، من خيرات كوسم والده - سلطان ومخصّصة للأمراض العقلية للنساء فقط .

« عمارت » (المطابخ العامة) ، هي نوع آخر من المؤسسات الخيرية . تقدّم الطعام مجانًا إلى المعوزين والمسافرين . أسست في كل مكان . وغالبًا ما تكون على طريق القوافل ، كانت عمارت مراد الأول في إيزنيك ، تقدّم وجبتين من الطعام يوميًا لألفي شخص . وعمارت بيازيد الثاني في إستانبول ، كانت تقدم يوميًا بمعدل وجبتين وتشبع 1000 شخص (صرّاف هوانيسيان ، ورق 72 ؛ اينجيجيان ، 135) . كانت عمارات سليمانية وفاتح ، مؤسسات عظيمة كذلك . والحقيقة أن المعوزين كانوا يدعون ويطعمون ، حتى في القرى النائية . كان ذلك واجبًا اجتماعيًا لأشراف كل منطقة . لكن العمارات ، هي الشكل الرسمي الذي أصبح مؤسسة لهذه العادة . يقول d'Ohsson إن أكثر من 30 000 شخص تقدم لهم وجبتان يوميًا في مطابخ إستانبول العامة (2 ,460 - 1) . كانت ميزانية « عمارت » مراد الثاني في مرادية أدرنة في العام (1436) تعادل 8 , 4 مليون دولارًا سنويًا بالسعر الرائج الحالي . وميزانية عمارت سليمانية (إستانبول) السنوية تقارب 30 مليون دولار **وقفلر دائرة سي** ، (122, 113, 9). كان يقدم في عمارة فاتح [illegible] وجبتان ، 1650 شخصا وتوزع إضافة إلى ذلك 300 3 صمونة (فودلا [illegible] وفي مستهل العصر 15 ، كان في بورصة 7 مطابخ عامة » يوزع الطعام على كل الف[illegible]ن دون تفريق بين مسيحي ، وموسوي أو وثني » (Schiltberger ، نشريات Telfer ، 404) (نفوس بورصة في تلك الفترة يقارب 000 200) كان ضروريًا وجود لحم الغنم في أطعمة المطابخ العامة .

أما الكروانسراي (المنازل) فكانت خانات كبيرة جدًا وقسم منها كالقلاع

المستحكمة ، شيّدت على الطرق التجارية الكبيرة خارج المدن وهي إضافة إلى إطعامها القادمين إليها ، تؤمن مبيتهم كذلك . وتسمى صغارها « خان » شيّد السلجوقيون 112 والعثمانيون 221 كروانسراي ضخمًا جدًا داخل حدود تركية الحالية (قائمتها : Tarihi, Turk Hanlari, Ilter Jsmet ، أنقرة 1969) . وكلها بنايات فخمة تعتبر من الناحية العمارية ، آيات فنيّة رائعة (Ricault, 2, 495) .

أوقفت وقفيات للعناية بالمقابر . لم يستسغ العثمانيون ، تشييد قبور ضخمة ، كأتراك الهند مثلاً . أعظم السلاطين دفن تحت قبب متواضعة . لكنها كانت موضعًا للعناية . إن أشرف قبر في إستانبول ، هو قبر أبي أيوب الأنصاري (رضي الله عنه) حامل ،انة الرسول ﷺ ، الذي يسميه الإستانبوليون « أيوب سلطان » . كان يخدم في هذا القبر ، 10 متولي (تربة دار) ، 27 حافظًا يتلون القرآن باستمرار لمدة 24 ساعة ، وجمعًا 117 شخصًا (T, Oz Istanbul Camileri ، 1 ,55) . كان يقوم بخدمة قبر فاتح في إستانبول 12 متولي بصورة دائمة و 90 حافظًا آخرون يقرأ كل منهم القرآن يوميًا لمدة 16 دقيقة في موضع رأس فاتح . لم يصمت صوت القرآن في موضع رأس فاتح في قبره مدة 444 عامًا ولا لحظة واحدة . وكذلك كانت قد اتخذت جميع التدابير لإطعام والعناية بآلاف اللقالق والحمام المتجمع حول قبر أبي أيوب (رضي الله عنه) (قل جدًا عدد اللقالق في الوقت الحاضر) .

إن وقف المياه ، كان نوعًا غنيًا آخر من الخيرات . كان جلب المياه في المدن الكبيرة من أماكن بعيدة إلى المحلات التي تستخدمها ، مشكلة صعبة . فمثلاً ، خصّص القانوني عام 1564 لأمر المعمار سنان 140 مليون دولار لغرض حل مشكلة ماء إستانبول التي زاد عدد نفوسها بصورة فجائية وهذه آخر خدمة قدمها الحاكم الكبير إلى مدينة استانبول . والقانوني أيضًا ، جلب إلى مكة ماء وافرًا وسقّف الحرم الشريف بـ 360 قبّة . والقانوني كذلك ، خصص لأمر المعمار سنان لإنشاء جسر جكمجه والطرق الرئيسية المتصلة به ، مبلغ 108 مليون دولار (هامّر ، 6 ,169 ,456) كان في القاهرة 55 حمّامًا كبيرًا للأوقاف ، 9060 حمّامًا في السرايات والقصور (أولياء ، 10 ,258 - 9)

استمرت نزعة حب الخيرات حتى في سكرات موت الدولة العثمانية . وهبت ابنة الخديو إسماعيل باشا ، الأميرة فاطمة خانم في 18 / 11 / 1920 ، عند وفاتها عن عمر يناهز 5 و67 عامًا ، ثروتها البالغة مليوني ليرة ذهبية إلى جامعة إستانبول .

14 ـ نظارة الأوقاف الهمايونية :

أسّس محمود الثاني في 1829 ، نظارة الأوقاف الإمبراطورية ، لغرض إدارة الأوقاف من قبل مرجع واحد وناظر عضو في الوزارة . كان در السعادة أغاسي ، يشرف على أوقاف الحرمين (مكة ومدينة) وسراي روزنامه جي (مدوّن حسابات السراي) يشرف على أوقاف السلاطين (السلالة) ، والمتولين على الأوقاف الأخرى . شغل منصب هذه النظارة حسيب باشا . 10 سنوات ، وشهرين (5 مرات خلال 1834 - 1859) ، عبد الله غالب باشا 8 سنوات (1894 - 1902) ، تورخان باشا 6 سنوات (1902 - 1908) ، أحمد كامل باشا 5 سنوات ، 7 أشهر ، (مرتين خلال 1870 - 1877) ، قبرصلي أحمد كامل باشا الذي صار بعدها صدرًا أعظم 4 سنوات ، وشهرين (مرتين خلال 1880 - 1885) . وفي عهد المشروطية أصبح مصطفى خيري أفندي ، الذي صار بعدها شيخًا للإسلام كذلك ، ناظرًا للأوقاف .

ولخروج العقارات التي تؤمن مؤسسات الأوقاف الموجودة في البلدان التي أوقفت فيها خيرات كبرى كإستانبول ، أدرنة ، بورصة ، مكة ، مدينة ؛ مع مرور الزمن من حوزة الإمبراطورية العثمانية وبقائها في الأقطار التي فقدتها ، تلف قسم كبير من الأوقاف القديمة . مثلًا ، كان قسم من أوقاف سليمانية في المجر . كانت في تشيكوسلوفاكيا الحالية ، قرى أوقفت للحرمين . أخذ الإعمار يتقلص على مرور الزمن في الإمبراطورية اعتبارا من 1638

15 ـ المساجد :

أطلق العثمانيون على المساجد التي تصلى فيها الجمعة « جامع » ، واستعملت كلمة « المسجد » للجوامع الصغيرة التي لا تصلى فيها الجمعة ولا تقرأ فيها الخطبة والتي

بدون منبر . شيّد العثمانيون جامعين في القرى المتواضعة وشيّدوا أحيانًا جامعًا ذا قبّة . عرفت مدن العثمانية وعلى رأسها إستانبول بـ « مدينة الجوامع » . فمثلاً ، رغم هدم الروس في قرم، من 1771 إلى 1805 جوامع كثيرة ، كان في (1805) ,1558 جامعًا و 5139 إمامًا – خطيبًا . وفي 1914 ، كان قد بقي 942 إمامًا وخطيبًا . لا يوجد واحد اليوم . يوجد جامع واحد فقط بقي في المجر . والوضع نفسه في كثير من الأقطار العثمانية القديمة .

شيّد في استانبول في دور فاتح فقط (1453 - 1481) خلال 28 عامًا ، 192 جامعًا ومسجدًا . 95 منها سالمة حاليًا ومفتوحة للعبادة (**Osmanl, Mimarisinde Fatih Devri,** **E, H, Ayverdi** ؛ ; 1973ص 538 - 41) . يحصى هامّر بالنسبة لبداية العصر 19 في إستانبول ، 877 جامعًا بأسمائها واحدًا واحدًا ، 19 منها جوامع سلاطينية و 4 منها حوّلت من الكنائس ، ويذكر اسم 275 مدرسة في إستانبول نفسها عدا الضواحي (128, 109, 18) « إن جوامع الأتراك عظيمة جدًا . عظمتها ، ليست فقط في طرازاتها المعمارية . تلفت النظر من حيث الموارد التي وقفها مؤسسوها ومن حيث عدد المعوزين الذين تؤمن حاجاتهم من هذه الموارد : إن هذا الوضع ، يشكّل عارًا بالنسبة لنا نحن المسيحيين الذين نتبرع بالقليل من أجل الكنيسة » (**345, 343, 2, Ricault**) .

إن ملاك جامع بيازيد الثاني في أدرنة ، كانوا 160 (**3,2, Edirne ve pasa Livasi** وما بعده). كانت موارد جامع فاتح السنوية 54 مليون دولار بالسعر الرائج حاليًا (**70 - 16, Sanderson The Travels**) . صرف على جامع شهزاده الذي أمر القانوني بإنشائه من قبل المعمار سنان 81 مليون دولار بالسعر الحالي وصرف لإنشاء جامع سليمانية 208 مليون دولار (هامّر ، 5 ,377 ,6 ,88 ,4) .

يطلق على الجوامع الكبيرة جدًا التي شيدها السلاطين العثمانيون أو أعضاء السلالة والتي تحتوي على أكثر من مئذنة واحدة (2 ، نادرًا 4 وفي سلطان أحمد فقط 6 مآذن) « سلاطين جامعي » أي جامع سلطاني يوجد منها في إستانبول 38 جامعًا . كان لكل من هذه الجوامع تسلسل في التشريفات (**d'Ohsson, 2, 448 - 50**) ؛ **علميّة سالنامه سي** ، 137 - 8) : أيا صوفيا (بناه فاتح) ، سلطان أحمد (أحمد 1) ، سليمانية

القانوني) ، بيازيد (بيازيد 2) ، فاتح (اسمه القديم : سلطان أحمد (فاتح) ، نور عثمانية (محمود 1 - عثمان 3) ، سلطان سليم (ياووز) ، أيوب سلطان (فاتح) ، لاله لي (مصطفى 3) ، بكلر بكي (عبد الحميد 1) ...

اعتبر جامع أيا صوفيا ، أكبر جامع لمركز الخلافة وجامعه الأول بين جوامع العالم كله . إن ملاك جامع سليمانية فقط ، الثالث في التسلسل بالنسبة إلى وقفية السلطان سليمان ، 280 شخصًا . إن ملاك المؤسسات الكبيرة الأخرى التي تشكل كلية سليمانية ، لا يدخل ضمن هذا العدد . إن 164 دفترًا لحسابات إنشاءات سليمانية موجودة حاليًا في أرشيف سراي طوبقابو ونشرت أهم أقسامه في كتاب عمر لطفي باركان المكون من مجلدين عظيمين ، الذي نشر عام 1972 باسم **Suleymaniye Insaatl** ، ويفهم منه أنه تم صرف ما يقارب مبلغ 600 مليون دولار بالسعر الرائج حاليًا على إنشاء كامل الكليّة . وقد صرف تقريبًا نصف هذا المبلغ على إنشاء الجامع والعمارت (مطبخ توزيع الطعام) . وبلغت مصروفات إنشاء جامع سلطان أحمد مع مشتملاته ، 444 مليون دولار . إن إنشاءات كبيرة جدًا كهذه تجرى في أرق أماكن من المدينة وقبل ضربة الفأس الأولى ، كانت حقوق أصحاب الأملاك تبلغ أرقامًا خيالية ، وكان الاتفاق يجري مع صاحب العرصة ويقبض القيمة ، وكثيرًا ما دفع أكثر من القيمة الحقيقية ؛ لأن العثماني يؤمن بصورة جازمة ، أن التأسيس الذي يشيّد على أراض أخذت قسرًا من صاحبها ، لا يكون مقبولاً عند الله ولا يمكن أن تكون هذه خيرات . وقد شوهد من دخل في مساومة قاسية مع السلطان بالذات وطلب مبالغ فاحشة وحصل على طلبه

لقد ظهر أن السراي ، الكاتدرائية ، القصر وأمثاله من الأبنية التي شيدت في القرون الوسطى ، يرفع على الأغلب أسعار نقل الحجر من مكانه أو سعر شرائه بحيث يصل إلى 4 أضعاف وأحيانًا 6 أضعاف . على هذا الأساس ، لو تم تشييد البناء في مكان يتوفر فيه الحجر ، لأمكن تأمينه في أحوال كثيرة بنصف السعر . لأن الطرق كانت رديئة وملتوية وطاقة العربات لسحب الحجر كانت محدودة . إن العربة التي يجرها زوج من الثيران يمكنها فقط حمل حجر واحدة بحجم 1 م^3 وبزنة 1,5 طن . وإن كان مكان

الحجر على بعد 30 كم ، تحمل العربة عندئذ الحجر الواحد خلال يومين ، وإن كان الحجر على بعد 60 كم ، تحمل العربة عندئذ حجرًا واحدًا في كل 4 أيام ، إذ انه لم يكن باستطاعة العربة أن تسير أكثر من 15 كم في اليوم الواحد . وإن كان الطريق مرتفعًا ، كانت العربة تسحب بواسطة 10 ثيران وأحيانًا 20 ثورًا ، أو كانت تصنع عربات تزحلق غالية الثمن . ولهذا السبب كان يرجح طريق النهر أو البحر . وإن كان مصدر الحجر بعيدًا جدًا ، فإنه يتعذر تمامًا تشييد أبنية ضخمة ، وفي تلك الحالة يستفاد من الأبنية الأثرية القديمة المبنية من أحجار كثيرة العدد . كثير من المدن الأثرية زالت من الوجود بهذا الشكل . فمثلاً ، نجد أن أكثرية الأبنية في دور الرونيسانس (التجدّد) بنيت من أنقاض أبنية عهد روما بعد هدمها ونقلها . دونت هذه العبارة لتوضيح مبلغ العناء والصعوبة التي لاقتها العثمانية في إنشاء جوامعها وقلاعها وأمثالها من الأبنية .

وعلى سبيل المثال ، جلب رخام جامع سليمانية الأبيض من جزيرة مرمرة ، رخامها الأخضر من البلاد العربية ، بعض الأعمدة من مصر . اختير من أحد معابد مصر القديمة عمود كان قد بقي فيه . نقل العمود إلىالإسكندرية بواسطة فرش 460 قطعة خشبية طول كل منها 15 ذراعًا ، عرضها 7 أذرع وسمكها 6 أصابع . وأرسل إلى إستانبول بواسطة البحر . والأعمدة الثلاثة الأخرى من الأربعة الموجودة في سليمانية جلبت من بعلبك في لبنان ، ومن قيزطاشي في إستانبول ، ومن داخل سراي طوبقابو . اختار هذه الأعمدة معمارو الخاصة الذين بعثوا إلى أماكنها . أرسلت الأعمدة الحجرية من ميناء أمين أونو إلى سليمانية التي تقع على مسافة قصيرة منها ، أنزلت من السفن وسحب العمود الواحد بواسطة 7 أزواج من الثيران ، أما الأعمدة الحديدية فكلنت على نوعين 8٫/ 296 أقة و4 / 103 أقّة وجلبت من منجم حديد Samakov ومعمل سباكتها في بلغاريا . ربط سنان الأحجار ببعضها بمسامير حديدية كبير تسمى « زوانة » كل واحد منها يزن أقّة واحدة . وحفرت كذلك قنوات في الأحجار وصبّ فيها الرصاص . ولذا لم تستطع زلازل إستانبول الشهيرة إلحاق الضرر بها ، وكان الرصاص يرسل من مناجم شمال صربيا وبوسنة على دفعات ، كل دفعة 300 10 قنطار . كان استهلاك الرصاص كبيرًا بسبب تغطية السقف برصاص سميك . ولأجل صنع حجر القرميد ، خصص 400 1 قارب لنقل الطين الأسود إلى المعمل . كان القرميد يصل على دفعات ، كل دفعة

900 403 قرميدة . وكانت الحاجة إلى الخشب كبيرة أيضًا بسبب الهياكل التي ترتفع باستمرار . ويمكن قياس المواد الأخرى على ذلك .

لبناء جامع سلطان أحمد نزعت ملكية 5 سرايات وبيوت كثيرة . سدد البادشاه لسراي واحد منها وهو سراي عائشة خانم – سلطان مبلغ 000 30 ليرة ذهبية وكان هذا المبلغ أكثر من سعره ، الحقيقي وسدّد إلى سراي سنان باشا مبلغًا كبيرًا كذلك وكان سنان باشا قد بناه في 1553 لشرائه 300 دار تقريبًا . إن بناء جامع كبير يستغرق وقتًا وجهدًا كبيرين ولذا فقد بنى معمار سلطان أحمد قوجا محمد آغا مسجدًا مؤقتًا داخل الإنشاءات . لئلا يذهب العمال لأداء الصلاة في أماكن بعيدة ويضيع الوقت . إن 12 نوعية من المرمر (البلاط) التي استعملت في تشييد جامع سلطان أحمد والأماكن التي جلبت منه هي كما يلي (**رسالهء معماريه** ، ورق 54 ب ، 57 آ – ب) : بلاط أبيض مالكي ؛ بلاط مرمرة (جزيرة) وقابوداغ الأبيض ؛ بلاط لشام الأسود ؛ بلاط اسكدار الأسود ؛ بلاط دهنه (نجد) الأخضر ؛ بلاط يشيم لأخضر ؛ بلاط سوماكي الأحمر ، بلاط سرجة كوزي الأحمر ؛ بلاط زيله وآماسيا ملون بالأخضر على الأبيض ؛ بلاط قوردباغي ملون أحمر على أحمر بدرجات احمرار مختلفة ؛ بلاط سرجة كوزي بألوان مختلفة ممزوجة ؛ بلاط بألوان مختلفة ممزوجة من نوعيات كثيرة ، ميهالج ، تكرداغ . ويمكن تصوّر مبلغ صعوبة نقل كتل المرمر من نجد بوسائل ذلك العهد .

16 – الطرق والتكايا :

الطريقة والتكية ، هما احتياجان لا يمكن الاستغناء عنهما في الحياة الاجتماعية العثمانية . توجد تكية في كل قصبة . توجد تكايا خاصة لطرائق عديدة في كل مدينة . هي بمثابة نوادي ذلك العهد . تجرى فيها أحاديث ومسامرات علمية ، فنيّة ، تصوفيّة ، دينيّة ، واحتفالات وفقًا لما تقتضيه آداب وأعراف تلك الطريقة وتعلم فيها صناعات علوم ، آداب ولغات كثيرة جدًا . ومن هذه الناحية ، كانت الطرق والتكايا مؤسسات تربوية وتعليمية لا مثيل لها بالنسبة لعصرها . شيوخ التكايا محترمون ، وحتى البادشاه

يظهر احترامه لشيوخ التكايا الكبيرة . البادشاه زعيم ديني لكونه خليفة . وحامي جميع الطرائق بعنوان « سلطان المشايخ » . إن انتساب البادشاه إلى الطريقة المولوية أو إلى طريقة أخرى لا يبدل الوضع . يجوز الانتساب إلى أكثر من طريقة واحدة . ولكن لا يمكن الاشتغال بالسياسة في التكية . قاومت الدولة العثمانية الشيوخ المشتغلين بالسياسة بشدّة . إذ إن الشيخ ، سلطان للقلوب وإذا ما ادعى سلطنة الدنيا كذلك ، يكون قد أنكر سلطنته للقلوب . يعامل على هذا الأساس . وفي الأصل فإن العثمانية بخاصة البادشاه حسّاس جدًا تجاه اشتغال الشيخ بالسياسة . لأن شيخًا كهذا ، كالشاه إسماعيل ، ظهر ومزّق وحدة الأتراك والعالم الإسلامي .

كانت طريقة النقشبندية (النقشية) التي أنشئت في تركستان ، منتشرة جدًا . وحاليًا ، وبخاصة في الشرق هي أكثر الطرائق انتشارًا في تركية . إن الطرق ذات المنشأ العربي كالقادريّة ، الرفاعية والخلوتيّة كانت منتشرة كذلك . توجد كذلك طرق تركية : مولويّة ، بكتاشيّة ، قلندريّة ، سنبليّة (فرع الخلوتية) ، جلوتية ، بايراميّة ، كلشنيّة ، ملامتيّة ، عشّاقيّة (شعبة الخلوتية) سعديّة (شعبة الرفاعيّة) ... لكن كان أكثرها انتشارًا بين الشعب هي البكتاشية ، وبين المثقفين ، المولوية . كانت الإنكشارية بكتاشيين . وضعت هاتان الطريقتان من قبل مولانا جلال الدين الرومي وحاجي بكتاش ولي اللذين جاء كلاهما من خراسان إلى الأناضول ، وقت انقراض الإمبراطورية التركية السلجوقية المفجع

تسمى التكية الصغيرة زاوية والكبيرة دركاه ، والكبيرة جدًا آستانة . لكل منها شيخ . ينشأ الشيخ بانتسابه إلى شيخ آخر . وهكذا تعود سلسلة المشيخة وتستند إلى المتصوفين القدامى قبل عصور . التصوّف ، قطعة لا تتجزأ من حياة العثماني . وكثيرًا ما تدور المشيخة بين أعضاء عائلة واحدة . هناك عائلات شيوخ مشهورة . وعلى رأسها سلالة مولانا . حصل أحد أعضاء هذه السلالة على عنوان « جلبي » ويقيم في تكية مولانا في قونية ، أشهر تكية عثمانية (حاليًا متحف) . هو الذي يعيّن كل شيوخ تكايا المولوية التي تسمى مولوي – خانه . مرتبة المولوي الجلبي ، تعادل مرتبة وزير . عدة أفراد منهم قلّدوا البادشاه السيف . رئيس الطريقة البكتاشية ، من سلالة حاجي

بكتاش وكان مقيمًا في قصبة حاجي بكتاش . أغلقت التكايا في تركية بتاريخ 2 / 9 / 1925 . يعيش التصوف والطرق في القلوب كذوق روحاني . المرأة العثمانية شديدة الرغبة في التصوف . كانت هناك ساعات مخصصة لاستقبال النساء من قبل الشيوخ .

والذي يكفل استمرار الطريقة هم مؤيدوها الذين يسمون واحدهم « محب » . وإن كانت امرأة تسمى « محبّة » كمؤيدي النوادي الرياضية حاليًا . المحب لا يعتبر من أتباع الطريقة بصورة مباشرة . هو الذي أحب أحد الشيوخ في هذه التكية وأخذ في الحضور إليها والاستفادة ، وإن كان موسرًا ساعد تكيته . إن أتباع الطريقة الأصليين هم الدراويش الذين يحيطون بالشيخ في التكية ، والذين ينامون فيها . إن نظام إطاعة الدرويش لشيخه هو كما في الجيش . أمر الشيخ ليس فقط لا يناقش ، بل وحتى لا يفكّر في علّته .

توجد تكايا عظيمة كالسراي يخدمها مئات الدراويش . وتوجد كذلك في الأماكن الصغيرة زوايا ذات درويش واحد أو اثنين . ويجب أن نذكر أن التكية العثمانية في العصور المتأخرة لم تكن لامعة كما كانت في العصور القديمة . أخذت التكايا التي أصبحت أوكارًا للمسكنة والكسل والأكل على حساب الغير في الازدياد . يجب استثناء التكايا التي حافظت على مستواها إلى النهاية ، بل وتطورت ، والأكثر من ذلك أصبحت مؤسسة حديثة . ولا حاجة للإفراط في نقد الذين لم يستطيعوا الحفاظ على وضعهم السابق . إذ إن عاقبة المؤسسات في أية جمعية ، تتبع قانون الأواني المستطرقة .

إن أحد أسباب حصول الشيخ والدرويش على الأهمية في المجتمع العثماني ، هو اشتراكهم بصورة فعلية في تأسيس الدولة . ويسمى هؤلاء « درويش غازيلر » (الدراويش الغزاة) . هم على سيرة عثمان غازي . خدموا في الدرجة الأولى في إسكان روملي وإسلامها والحفاظ على المثل الإسلامية بشكل حي .

إن التوازن بين مدرسة ـ تكية ، وعلماء ـ شيخ في نظام المجتمع العثماني ، دقيق ومنتظم جدًا . والحقيقة أن الذين يسيطرون على الموظفين هم علماء الرسوم . لكن الشيوخ كذلك كانوا قد حكموا القلوب . اختلفت الزمرتان أحيانًا ، مما استوجب أن يفصل على أنه يلاحظ أنه لم يحصل في العثمانية أن صارت للشيوخ سيطرة و نفوذ عظيم

كما في الأقطار الإسلامية الأخرى . لأن فكرة الدولة ، كانت نظامًا يطغى على الدين ، وحتى على البادشاه ، كيف يمكن لنظام هذا شأنه أن يعطي ذلك الامتياز إلى التكية ؟ عامل مراد الرابع الشيوخ من هذا النوع بشدة ، وقضى على قسم منهم . انقلب الشيخ في الأناضول الشرقية إلى إقطاعي في الأراضي . ولكنه حافظ في الأقسام الأخرى من الأناضول ومن روملي على هوية محبوب القلوب ورجل فن وتصوّف .

كانت التكايا مؤسسات تعيش على تبرعات وأوقاف محبي التكية . كانت الدولة تعترف بالشيخ بصورة رسمية وكان للشيخ موقع في التشريفات ، ولكنه لم يكن موظفًا للدولة ، ولم يكن له راتب يتقاضاه .

ويوجد بين علماء الرسوم وشيوخ الإسلام كثيرون من المنتسبين للطرق .

كان في استانبول عام 1640 ,15 714 جامعًا ومسجدًا ومصلى ، 557 تكية و 22 000 زاوية وحجرة يعيش فيها الدرلويش . إن 150 تكية من بين التكايا التي ذكرها أولياء جلبي آنفًا ، تكايا مهمة .

كان يجوز للمسيحين أن يدخلوا التكايا للاستطلاع كدخولهم إلى الجوامع والتفرج على الاحتفال . أشهر الاحتفالات هو احتفال المولوية الذي يسمى « آيين شريف مولوي » (الاحتفال المولوي الشريف) الذي هو بالأصل طقس موسيقي ورقص ديني - تصوفي يجري بالقراءة والعزف وسمي « سماع » . كانت الكلمات التي تتلى في المراسم ، عبارة عن منتخبات من الشعر الديني من ديوان مولانا ، لحنها ملحنون قديرون .

يجرى السماع مرة واحدة في الأسبوع في كل تكية مولوية ويسمى ذلك « مقابلة » وقد حدث حضور البادشاه ومشاهدته الحفل واستماعه . أكبر التكايا المولوية في استانبول ، كانت في غلطة (كوله دييي) ، يني قابو ، أيّوب (بهاريّة) واسكدار . كانت كل واحدة منها مدارس حقيقية لتعليم الموسيقى ومدارس حقيقية لتعليم اللغة الفارسية .

17 - تشكيلات القضاء في دور التنظيمات :

وضعت في دور التنظيمات قوانين للجزاء والتجارة مقتبسة من أوروبا . بقي الفقه

الحنفي الذي نظّمه جودت باشا في مؤلفه الذي يعد ذروة في القانون المدني الإسلامي على شكل موسوعة قانونية وجيزة للغاية باسم **مجلة أحكام عدلية** ، سارى المفعول في القانون المدني حتى 1926 . يقول (Jurist of genius) « Bernard Lewis » (ص 122) . نشرت **المجلة** التي هي « من أعظم إنجازات القانون التركي » (one of the great achievement of Turkish Jurisprudenee) (Lewis, 123) باللغات العربية ، الإنكليزية والفرنسية بعد ترجمتها من التركية .

لم يتمكن سلاطين دور التنظيمات ، سواء كانوا ليبراليين أم دكتاتوريين من التدخل في القضاء . إذ لا يشاهد في الفترة الكلاسيكية للعثمانية ، حادث تدخل من البادشاه في شئون المحكمة ، حتى أن مراد الرابع ، أعظم السلاطين نفوذًا وتحكّمًا ، لم يقدم على شيء من هذا القبيل . لم يتدخل عبد الحميد الثاني ، – الذي لم يدع مجالاً لم يتدخل فيه – لا في القضاء ولا في العلم . وفي عهد ناظر العدل عبد الرحمن باشا ، أصبح القضاء التركي أحد أنظمة العالم النموذجية .

كان مجلس شورى الدولة يضع القوانين ثم تعرض على الحكومة والخاقان للتصديق عليها . أخذ البرلمان ذو المجلسين هذا العمل على عاتقه في دور المشروطية . بقي رؤساء شورى الدولة التي تأسست في 5 / 3 / 1868 والذين يسمون « رئيس » أعضاء في الحكومة حتى 1922 . إن أول رئيس فاشل لشورى الدولة ، هو مدحت باشا (11 شهرًا ، 23 يومًا) . كانت شورى الدولة من أرقى مؤسسات الدولة في فترة عالي باشا الذي أسّسها . وقد حقّق أعمالاً كبيرة في عهد عبد الحميد الثاني ، إلاّ أن شورى الدولة عند تشكيل المجالس في النظام المشروطي ، هبط وأصبح بمثابة محكمة إدارية . شغل عارفي باشا الذي صار صدرًا أعظم والذي هو في الأصل رجل سياسة ، هذا المنصب لمدة 6 سنوات ، 10 أشهر ، 5 أيام (3 مرات خلال 1879 - 1891) وكذلك شغل هذا المنصب يوسف كامل باشا الذي صار صدرًا أعظم وهو صهر محمد علي باشا 3 مرات (1869 - 1876) مجموعها 6 سنوات ، وشهران ، 21 يومًا .

قام « مجلس عالي تنظيمات » كأعلى مؤسسة في الدولة ، من أيلول 1854 إلى 14 / 7 / 1861 ، بجملة واسعة من الإصلاحات . كان رئيسه الذي يسمى « رئيس » ،

عضوًا في الوزارة . شغل هذا المنصب 6 وزراء مشهورين ، كلهم شغلوا منصب الصدر الأعظم ، 10 مرات وهم حسب التسلسل (عالي باشا ، يوسف كامل باشا ، كيجه جي – زاده فؤاد باشا ، قبرصلي محمد باشا ، مصطفى رشيد باشا ، مترجم رشدي باشا) . أطول من بقي في هذا المنصب هو قبرصلي محمد باشا (سنتان ، 7 أشهر ، 26 يومًا) وعالي باشا (سنتان ، 21 يومًا) اندمج هذا المجلس بعد ذلك ، في مجلس والا ، وألغي بعد نقل واجباته إليه .

أسس محمود الثاني « مجلس والاى أحكام عدلية » (مجلس أحكام العدلية العالي) ومختصرًا مجلس والا ، في نيسان من عام 1838 . كان رئيسه ، الذي يسمى « رئيس » ناظرًا للعدل ومسئولاً عن الاصطلاحات . كان يعمل بالتشاور مع مجلس ويوزعون الأعمال فيما بينهم . ثم أصبح اسمه « ديوان أحكام عدلية » ، وأخيرًا في 25 / 1870 ، « نظارة العدلية » أو « عدلية ومذاهب نظارتي » . كان ينظر في جميع قضايا الأقلية غير المسلمة . أول ناظر للعدل هو الأمير قاوالالي مصطفى فاضل باشا أخو الخديو إسماعيل باشا . رؤساء مجلس والا كانوا أعضاء في الوزارة . أما ناظر العدلية ، فكان تسلسله في تشريفات الوزارة الرابع بعد الصدر الأعظم ، شيخ الإسلام ، السر عسكر ، وأحيانًا الثالث قبل السرعسكر .

شغل رئاسة مجلس والا ، كبار شخصيات التنظيمات ، مثل رشيد باشا ، عالي باشا وفؤاد باشا . كان أطول من شغل وظيفة رئيس والا أو ناظر العدل ، هم الصدور العظام كرميان أوغلو عبد الرحمن نور الدين باشا (12 سنة ، 8 أشهر ، 29 يومًا) (1895- 1908) ؛ أحمد جودت باشا (10 سنوات ، ويومان) (5 مرات خلال 1868 - 1890) ، داماد عارف حكمت باشا ، ابن عبد الرحمن باشا هذا شغل المنصب أيضًا 3 مرات .

بدّل محمود الثاني اسم « صدارت كتخداسي » إلى « أمور ملكية ناظري » أي ناظر الأمور الملكية ، ثم سمى « داخلية ناظري » (ناظر الداخلية) . إن آخر كتخدا وأول ناظر ، هو المصلح الشهير محمد برتو باشا ، أستاذ مصطفى رشيد باشا . ألغيت هذه النظارة في 2 / 7 / 1839 ، ثم أعيد تأسيسها في 19 / 3 / 1869 ، ثم ألغيت في آب

1871 ، وأعيد تأسيسها في 5 / 2 / 1877 .

أنيطت الأمور الداخلية ، في أوقات إلغائها بشخص الصدر الأعظم وبمستشار الصدارة الذي انضم إلى الوزارة (كان كتخدا الصدارة وقتئذ ، مستشارًا للصدارة وعضوًا في الوزارة أيضًا) . بقي محمد ممدوح باشا في هذه النظارة مدة 12 سنة ، 8 أشهر ، 27 يومًا (1895 - 1908) ، أحمد منير باشا 5 سنوات ، 11 شهرًا ، 14 يومًا (1885 - 1891) ، الصدر الأعظم خليل رفعت باشا 4 سنوات ، وشهرين ، و 3 أيام (1891 - 1895) ، الرئيس العام للاتحاد والترقي الصدر الأعظم طلعت باشا 6 سنوات ، 7 أشهر ، 13 يومًا .

18 ـ نظارة المعارف :

وفي دور التنظيمات ، تأسست « مكاتب عموميّة نظارتي » (نظارة المدارس العامة) (8 / 11 / 1846) خارج تشكيلات الوزارة للنظر في أمور المدارس ، ثم نظارة المعارف العامة ضمن عضوية الوزارة (17 / 3 / 1857) . شغل هذا المنصب أحمد كمال باشا لمدة 12 سنة ، 7 أشهر ، 19 يومًا (7 مرات خلال 1848 - 1878) ؛ أحمد زهدي باشا . 10 سنوات ، 7 أشهر ، 8 أيام (1891 - 1902) ، منيف باشا 9 سنوات ، شهر ، 9 أيام (3 مرات خلال 1877 - 1891) ؛ هاشم باشا 5 سنوات ، شهر (1903 - 1908) ؛ الصدر الأعظم السياسي صفوت باشا 4 سنوات ، 9 أشهر ، 15 يومًا (3 مرات خلال 1868 - 1876) ؛ عبد الرحمن سامي باشا 4 سنوات ، 8 أشهر ، 9 أيام (1857 - 1861) شكري بك 5 سنوات ، 5 أشهر ، 28 يومًا (- 1918 1913) . اعتلى جودت باشا مقام النظارة 3 مرات . شغل منصب « نظارة المعارف عدد من الشخصيات الأدبية التركية ، وهؤلاء هم : المؤرخ خير الله أفندي ، الصدر الأعظم أحمد وفيق باشا ، رجائي ـ زاده محمود أكرم بك ، المؤرخ منصوري ـ زاده مصطفى نوري باشا ، المؤرخ عبد الرحمن شرف أفندي ، متخصص الموسوعات أمر الله افندي ، داماد جاودار أوغلو محمد شريف باشا ، الشاعر رضا توفيق بولوكباشي ، الصحفي علي كمال بك

كان لنظارة المعارف مجلس علمي يسمى « مجلس معارف » أو « مجلس كبير معارف » وهو الذي سمي بعد ذلك « تعليم وتربية دائرة سي » (دائرة التربية والتعليم) . كانت الجامعة ، المدارس العالية ، المتاحف والمكتبات تابعة لهذه النظارة .

19 - التعليم في عهد التنظيمات :

كانت فلسفة التعليم في التنظيمات هي : تعليم الغرب + ثقافة الشرق . اتضح عدم كفاية تعليم المدرسة والاندرون عند حلول القرن 18 . إن أولى المدارس العالية التي نقلت العلوم الأوروبية افتتحت في القرن 18 . وقد تم البدء بالمدارس العسكرية التكنولوجية . افتتحت في 1728 مدرسة صناعة القنابل ، وفي 27 / 12 / 1734 ، افتتحت في اسكدار هندسة خانهء همايون (مدرسة الهندسة الامبراطورية) لتخريج ضباط استحكام وقد خرّجت مهندسين عسكريين لمدة طويلة . نقلت هذه المدرسة في 1759 ، إلى قره أغاج في كاغدخانه . وفي 1784 ، وسّعت بشكل كبير وطورت على الطراز الغربي تمامًا وأطلق عليها اسم مهندسخانهء بري همايون (مدرسة الهندسة البرية الامبراطورية) . واستمرت في تخريج مهندسين عسكريين ضباط مدفعية واستحكام . وهي حاليًا جامعة استانبول االتكنولوجية . وفي 1793 انتقلت من قاسم باشا إلى سراي بهارية في أيوب ، ثم إلى خاصكوى ومن ثم إلى ماجكة . وانتقلت « مهندسخانه بحري همايون » « مدرسة الهندسة البحرية الامبراطورية » التي فتحت في (18 / 11 / 1776) لتدريب وتخريج ضباط بحريّين من سراي ترسانه في قاسم باشا إلى خاصكوي بعد توسيعها في 1796 . كانت لهذه المدارس مكتبات بلغات أجنبية ، مطابع وأساتذة أجانب . في هذه المدارس كان التلاميذ يجلسون على القماطر ولا يجلسون أرضًا متربعين كما في المدارس الدينية .

بدأ الانقلاب الحقيقي ، بافتتاح محمود الثاني مدرستين عسكريتين عاليتين . طبخانة عامرة (14 / 3 / 1827) وهي التي سميت بعد مدة قصيرة باسم مكتب طبية عسكرية عدلية شاهانه ، وهي الكلية الطبية العسكرية (اسمها الحالي = كلخانة) . ولكون كل الدروس بالفرنسية ، فقد نشأ جيل أخذ يتعمق في الثقافة الغربية . تخرّج كيجه جي -

زاده دكتور بيوك محمد فؤاد باشا ، شخصية التنظيمات الثالثة ، من هذه الكلية ، أبوه عزّت ملا ، أكبر شاعر في عصره وجدّه قونية لي قضعسكر صالح أفندي . افتتحت الطبية في غلطة سراي . تلاها مكتب فنون حربية شاهانه (1834) في ماجقه – التي نقلت بعد ذلك إلى حربية – وهي على أقل تقدير ، بنفس الدرجة من الأهمية . بدأ ضباط المشاة والخيالة الذين سيشكلون صلب الجيش ، يتخرجون فيها . منح السلطان محمود متخرجي الدورة الأولى ، راتب عقيد ، إذ كان الذي سيحافظ على الدولة هو الجيش ، والضابط هو أساس الجيش ، فتحت كلية الأركان الحربية السلطانية عندما بدىء بالأخذ بنظام أركان حرب في الجيوش العالمية وقدّمت أول دفعة من متخرجيها عام 1849 ، أصبح ثلاثة منهم مشيرين ، أحدهم حسين عوني باشا الذي أصبح صدرًا أعظم وسكرتيرًا . انتقلت إدارة الجيش العثماني على مر الزمن إلى الضباط الأركان . امتاز الأركان بما لم يشاهد مثله تقريبًا في الدول الأخرى ، ويحتمل أن يكون بتأثير من المدرسة البروسية . والحقيقة أن التدريس كان على نظام المدارس العسكرية الفرنسية . غير أن النظام البروسي كان يبرز بالتدريج ، إلى أن ترك النظام الفرنسي بعد 1878 ، وتغير التدريس إلى النظام البروسي .

إن « التعليمخانة » (مقر التعليم ، مدرسة) التي افتتحت في 1826 للعساكر المنصورة ، هي نواة الحربية . بإمكان الذين قضوا فيها سني التعليم الـ 8 ، الدخول إلى الحربية . أما التعليم في فرع الطب ، فكان 4 سنوات . أسست بعد ذلك جرّاحخانهء عامرة (كلية الجراحة) (9 / 1 / 1832) لتخريج جراحين . وبدأ محمود الثاني بإرسال متخرجي الحربية إلى فيينا ، باريس ، لندن لتعلّم اللغة والتدريب .

فتح أول معهد لتعليم الموسيقى الغربية (كونسرواتوار) باسم موسيقاي همايون .

أسّست غرفة ترجمة الباب العالي . علّمت هذه الغرفة للموظفين اللغة الفرنسية بصورة جيدة جدا . لا يتاح للموظف الذي لم يتعلم هذه اللغة أن يرق في وظيفته . ومنذ ذلك التاريخ وحتى عام 1945 ، كانت اللغة الفرنسية هي الأساس في الثقافة الغربية .

والحقيقة أن الفرنسية والإنكليزية كانتا تدرسان ، لكن الذين أسّسوا أدب التنظيمات وأدب اللغة التركية أخيرا ، هم على العموم الذين نشأوا على الثقافة الفرنسية . وفي الأدب الإنكليزي ، يمكن القول بأنه كان لشكسبير تأثير . ولا يمكن البحث عن تأثير

أدب الدول الأوروبية الأخرى على الأدب التركي ، إذ إن هذا الأثر سطحي للغاية . أما تأثير الشعر الفارسي في الشعر فقد استمر حتى العهد الجمهوري . كان تأثير الشعر العربي شبه معدوم ، في الأدب التركي بعد القرن 16 . لكن اللغة العربية هي الأساس في العلوم الإسلامية في تركيا إلى يومنا هذا .

فتح محمود الثاني قبل وفاته بقليل « مكتب معارف عدلية » (11 / 2 / 1839) وهو نواة الاقتصاد والعلوم السياسية حاليًا .

تطورت الكليتان العسكريتان التكنولوجيتان المسماة « مهندسخانة » واستمرتا في التدريس . كان التحصيل فيها لمدة 4 سنوات . كانت الفرنسية إجبارية ، وتدرس كذلك اللغتان العربية والفارسية . وفي 1842 أصبحت اللغة الإنكليزية إجبارية في كلية الهندسة البحرية ، والفرنسية اختيارية . ومنذ عهد سليم الثالث (1789 - 1807) كان هناك ضباط مدفعية واستحكام يجيدون الفرنسية إجادة تامة وضبّاط بحرية يجيدون اللغة الفرنسية بشكل متقن ، وبعضهم كان قد تعلم اللغة الإنكليزية كذلك **Revolutions de Constantinople, Saint - Denys** ، باريس 1819 ,1 ,76) وعندما استخدم محمود الثاني ضباطا بروسيين للحربية (الذي سيكون أحدهم بعد ذلك الماريشال فون مولتكة) ، ظهر من تعلم الألمانية كذلك ، وقد تعلم متخرجو الحربية الذين ذهبوا إلى فيينا ، هذه اللغة بشكل أكمل (**تاريخ أندرون** ، 1 ,126 - 7) . أرسل محمود الثانى في البداية 4 طلاب إلى باريس في 1827 ، ولكن قبل ذلك ، كان هناك في دور سليم الثالث من هو مستمر في الدراسة في انكلترا . افتتحت الحربية على طراز Saint Cyr .

وفتح Donizetti باشا في 1831 معهد تعليم الموسيقى الغربية على الطراز الإيطالي ، لذا تأخر دخول الموسيقى الفرنسية والألمانية الأكثر جدّية إلى تركية ، وقد كانت الموسيقى الإيطالية هي المألوفة أساسًا في إستانبول منذ عصور بواسطة الأوبرا والمسارح الموجودة في بك أوغلو . على أن الموسيقى الغربية أصبحت فنًا يتذوقه المثقفون . وحتى اليوم لم يهبط إلى المستوى الشعبي .

لفتتح محمود الثاني «مكتب علوم أدبيّة » لتكون نواة لكلية الآداب .

اعترف في 1847 بشهادة الكلية الطبيّة العسكرية في كل الأقطار الأوروبية

كشهادة للعاملين في مهنة الطب ، وصودق على جدارتهم في العمل في مهنة الطب في أوروبا كذلك . وفي هذه الأثناء أسست الكلية الطبية ، ثانوية طبية مدتها 4 سنوات وأخدت طلابها من متخرجي هذه الثانوية . زيدت مدة الدراسة من 4 إلى 5 سنوات . دراسة الجراحين والصيادلة كانت 3 سنوات . فتحت خلال فترة متوسطة طبية ، إلاَّ أنها أغلقت بعد ذلك ، وقبل الطلاب المتخرجون من المتوسطة في الثانوية الطبية . وأمر محمود الثاني فتح مدرسة للبيطرة العسكرية أيضًا .

إن الجملة الآتية مقتطفة من خطاب افتتاح محمود الثانى للكلية الطبية : « سوف تدرسون هنا فن الطب باللغة الفرنسية . إن قصدي من تدريس اللغة الفرنسية هو ليس تعليم اللغة بل تعلّمكم فن الطب ونقله بالتدريج إلى لغتنا . اجتهدوا في تحصيل علم الطب من أساتذتكم ، واسعوا بالتدريج إلى نقله إلى التركية ليكون متداولاً في لغتنا » .

تخرج معظم كبار رجال الدولة في عهد التنظيمات في غرفة الترجمة التي فتحت في الباب العالي في 23 / 4 / 1821 . أدخل رشيد باشا متخرجي هذه الغرفة في السلك الدبلوماسي وأسّس الدبلوماسية التركية الحديثة . أسست مدرسة اللغات بعد مدة . كان يدرس فيها اللغات الفرنسية ، الإنكليزية ، الألمانية ، الإيطالية ، اليونانية ، العربية ، الفارسية . كانت خاصة بالموظفين . يلتحق بها الموظف الراغب ، وفي حالة حصوله على شهادة في إحدى اللغات يرتقي بسرعة . هناك رجال دولة قديرون من بين متخرجي هذه المدرسة . لكن كلهم تقريبًا تعلموا الفرنسية . والراغبون في تعلم اللغة العربية ، فضلوا دروس المدرسة والجامع ، والذين رغبوا في تعلم الفارسية ذهبوا إلى التكايا المولوية .

ومن المرحلة التى تركها محمود الثاني في 1839 ، واصل ابنه السلطان مجيد ورشيد باشا ، ثم أعقبه عالي باشا والسلطان عزيز ، ثم أعقبهم عبد الحميد الثاني .

سار عبد الحميد الثاني في نظام التعليم والمعارف على مسار خط التنظيمات تمامًا . وفّق أكثر من غيره في تطوير ونشر معارف التنظيمات حتى في الأماكن النائية . هو الذى خرق احتكار إستانبول . وساعده فى هذا الشأن نخبة راقية من نظّار المعارف

مثل كمال باشا ، منيف باشا ، جودت باشا .

أسس السلطان حميد نظامًا تعليميًا شاملاً وربّى جيلاً مجهّزًا بالثقافتين الغربية والشرقية ، ولقّن فكرة الوحدة العثمانية و لم يفرّق بين القوميات التي يحكمها . إن الاهتمام بالأتراك والعرب أكثر من غيرهم طبيعي ؛ إذ إن هذين الشعبين كانا يشكلان أكثرية نفوس الإمبراطورية ، لكنه مع ذلك اهتم بتعليم كل شعب بنسبة عدد نفوسهم وأضاف إلى هؤلاء غير المسلمين كذلك . وبالنسبة له فقد كان السلطان حميد يرى أن كل غير مسلم تعلّم في المدارس العثمانية ، فإن ذلك يعني أن الأتراك قد كسبوه مقدمًا بمقدار النصف .

وبقدر اتّساع انتشار التعليم ، اكتسب محتواه جودة وقوة . وتخرج أساتذة قديرون ذوو معلومات عالية . يذكر أبو الضياء توفيق بك ، أن عدد متعلمي القراءة والكتابة قد زاد بين الأتراك في الإمبراطورية خلال السنين 1868 إلى 1909 بمقدار 10 أضعاف (**Yeni Osmanlilar** نشريات زياد أبو الضياء ، 1 ,193) .

تطوّرت صناعة الطباعة بشكل كبير . فتحت المتاحف ونظمت المكتبات .

كانت المدرسة الابتدائية التي تدرس التعليم المتوسط للبنات بصورة رسمية هي رشديّة الإناث التي فتحت عام 1858 . كان يطلق على المدرسة الابتدائية « مكتب ابتدائي » وعلى المتوسطة « رشديّة » ، وعلى الثانوية « إعدادي » ، وعلى الكليّة « سلطاني » .

وفي 1847 ، فتحت مدرسة دار المعلمين (لتخريج معلمين ذكور) ثم مدرسة دار المعلمات التي تقدم الدراسة الابتدائية بدرجة ثانوية ، ثم فتحت الأقسام العالية لهاتين المدرستين .

شكّلت كل هذه المدارس العمود الفقري لنظام المعارف التركي وفتحت كل المدارس الجديدة على غرارها . بدأت المدارس الابتدائية التابعة للمعارف ، عدا مدارس المحِلات ، تفتح في 1872 . والمدرسة التي لفتت النظر كثيرًا هي المدرسة الثانوية التركية التي فتحها محمود الثاني في باريس عام 1834 .

افتتحت المدارس الأجنبية كذلك . الكليات الفرنسية ، الإنكليزية ، الأمريكية ... إلخ فتحت هذه في مدن عديدة مثل إستانبول ، بيروت ، سلانيك ، أزمير ، طرابزون ، هاربوت . التحق المسلمون بهذه المدارس كما التحق غير المسلمين .

طوّرت المدرسة التي فتحها السلطان محمود لتعليم وتدريب الموظفين ، باسم مكتب فنون ملكية وقدّم أول فوج من متخرجيه في 1860 . أمر عبد الحميد الثاني بعد ذلك بتنظيمه وجعله بمستوى Sciences Politiques في باريس . قدّمت هذه المدرسة الجديدة « مكتب ملكية شاهانة » أول دفعة من متخرجيها عام 1879 . كان فيها قسم ثانوي لمدة 3 سنوات . كانت تقبل التلاميذ بالامتحان من هذه الثانوية ومن كلية غلطة سراي ومن متخرجي الثانويات الأخرى . كانت 3 سنوات ثم أصبحت 4 . ورغم أن المدارس العسكرية العالية كانت محظورة بالنسبة للمسيحيين ، لكن المدارس الملكية ، أو المدارس المدنية في جميع مراحلها ، كانت مفتوحة للمسيحيين كذلك .

وفتح السلطان حميد كلية الطب المدني أيضًا . فتحت كليات الحقوق وكلّيات أخرى ، وهذه الكليات فتحت في مدن كثيرة كبغداد وسلانيك . فتحت مدرسة حربية أخرى في أدرنة . كان متخرجو مدرسة الأركان الحربية ، المدرسة الحربية ، كلا من الطبيتين ، غلطة سراي ملكية وكلية الحقوق يشكلون الزمرة الممتازة . تسلم خريجو هذه المدارس إدارة الدولة بالتدرج . أدركوا عدم كفاية نظام السلطان حميد ، وتأخر الإمبراطورية . ارتقى 7 من متخرجي مكتب الملكيّة إلى مرتبة وزير ، وارتقى واحد منهم إلى مرتبة صدر أعظم .

هاشم أتاسي بك الذي أصبح رئيسًا للجمهورية في سوريا من خريجي الملكية لعام 1893 ، كان متصرفًا لبوردور عام 1918 . ومهدي فراشيري الذي أصبح رئيسًا للوزارة في ألبانيا من خريجي عام 1897 ، كان متصرفًا لقدس عام 1913 ، وهو مؤلف كتاب حقوقي باللغة التركية ، وعطاء الله أيوبي بك الذي أصبح رئيسًا للجمهورية في سوريا من خريجي 1897 ، كان متصرفًا لـ Icel عام 1918 ، وسليمان فهمي بك الذي صار رئيسًا للوزارة في ألبانيا من خريجي عام 1899 ، قام بتدريس الأدب التركي في غلطة سراي من 1905 إلى 1919 ، ورشيد تالي بك الذي صار رئيسًا للوزارة في

لبنان من خريجي عام 1900 ، وكان متصرفًا للاذقية عام 1918 ، وإلياس فيرون بك بن محمد علي باشا ، متخرج عام 1905 ، وهو كذلك أصبح رئيسًا للوزارة في ألبانيا ، سعد الله جابري بك من خريجي 1913 ، صار رئيسًا للوزارة في سوريا ، ورئيس جمهورية سوريا شكري القوتلي بك متخرج عام 1913 ، ومظهر أرسلان بك (باشا) الذي صار رئيسًا للوزارة في الأردن ، كان قائمقام لزاخو عام 1918 ، متخرج عام 1909 ، صار رئيسًا للوزارة في العراق ، مصطفى عاصم كوروبا ، متخرج عام 1910 ، صار رئيسًا للوزارة في ألبانيا ، عارف حكمت سليمان بك من خريجي عام 1910 ، هو أخو الصدر الأعظم محمود شوكت باشا ، صار رئيسًا للوزارة في العراق ، باجه جي - زاده أحمد حمدي بك ، ابن عبد الوهاب رشدي باشا من خريجي عام 1908 ، صار رئيسًا للوزارة في العراق ، زكي خطيب بك من خريجي عام 1907 ، كان قائمقام لفيرانشهر (أورفة) عام 1918 ، صار رئيسًا للوزارة في سوريا ، سعد الله قول أوغلو ، متخرج عام 1901 ، كان واليًا على بينكول ، صار رئيسًا للوزارة في ليبيا ، ولا داعي لسرد أمثلة عن الذين شغلوا مناصب عالية عدا رئاسة الدولة والحكومة في الأقطار الإسلامية التي انفصلت عن الإمبراطورية العثمانية ، إذ لا تكفي صحائفنا لتقديم أمثلة عن متخرجي المدارس العثمانية العالية الأخرى .

هناك رجال دولة من البلقان ، بين متخرجي مكتب غلطة سراي السلطاني (Collège Imperial) الذي أسسه فؤاد باشا والذي يدرّس باللغة الفرنسية ، والذي به مكتبة تشتمل على 40 000 كتاب وله مكانة مدرسة عالية . وهناك أسماء شهيرة جدًا بين أعضاء كل من الناديين الرياضيين غلطة سراي الذي تأسس في 1905 ونادي فنربقجة الذي تأسس في تلك الفترة كذلك .



البحث الخامس عشر

العلم والفن تاريخ الثقافة



1 ـ المدخل إلى الثقافة العثمانية :

الأتراك ، قوم من أقوام شمال آسيا . ظهروا في غرب آسيا الشمالية ، أسّسوا إمبراطورية في شرقها وشمال شرقها الأقصى ، ثم نقلوا مركزهم منها في 840 م إلى الجنوب ـ الأوسط ، إلى تركستان الشرقية ، ثم لجئوا إلى الشرق الأوسط عن طريق تركستان الغربية وخراسان ، وأسسوا الدولة التركية عام 1074 . وبذلك فإنهم بينما كانوا مجاورين للمحيط الهادي ، هبطوا إلى المحيط الهندي ، وانتقلوا إلى البحار التابعة للمحيط الأطلسي ، إلى البحر الأسود والبحر الأبيض ، كالعرب الذين كانوا في المحيط الهندي وذهبوا إلى المحيط الأطلسي وأسسوا دولة في أسبانيا وفاس . الأتراك والعرب الذين حقّقوا ذلك كانوا في الأصل قوما رحلا . وبالطبع ، كانت لهم مدن لكن الكتلة الأساسية كانت رحّالة .

كان الأتراك طورانيين والعرب ساميين ، ولذلك فقد كان فرق الثقافة بينهم عميقًا ، وأساسًا كان الأتراك من سكان الأقاليم الباردة ، والعرب من سكان الأقاليم الحارّة . عدم تشابه العامل الجغرافي يكون عاملًا له أهمية .

تتكون الثقافة من مئات العناصر . والثقافات التي تقل النقاط المشتركة في عناصرها ، تنفصل عن بعضها ، والثقافة تظهر سجية تلك الأمة .

إن محاولة إيضاح الثقافة التركية القديمة وبوجه خاص العرق التركي ، بعامل أو عاملين ، من الطبيعي ألا تكون عملية مكتملة الصحة ، إلا أنه من الممكن أن يقدم ذلك فكرة عنها . وهذا ما سأحاوله .

إن الأتراك في أصلهم ، قوم مقاتلون رحّل . ارتقوا مسرح التاريخ لمعرفتهم الجيّدة بكيفية استخدام الحصان في الأزمنة المبكرة ، ولصناعتهم أسلحة متفوقة من معادن جبال التاني . هم خيّالة ، والمشاة في جيشهم لا يكاد يكون لهم وجود . كل من يستطيع حمل السلاح ، فهو جندي . للمرأة مكانة اجتماعية رفيعة . لا مانع من ظهور النساء بين

الرجال ، لكن شرف المرأة وحشمتها وعفة وبكارة البنت ، مبادئ لا يمكن التخلّي عنها . لا يأكلون لحم الخنزير ويقومون بتربيته . يأكلون لحم الغنم والحصان ، وعند الحاجة الماعز ، الجمل ، البقر . اللحم ، غذاؤهم الرئيسي . يؤمنون **بالإله الواحد** . إن تأثير الشامانية المغولية سطحي . إن إله الأتراك القدامى تنكري Tengri ، في الحقيقة إله واحد ولكن ، إله الأتراك فقط ، وليس « رب العالمين » كالله . لا يوجد تقريبًا ، لدينهم معبد ولا راهب وليس لديهم كتاب مقدس ونبي بصورة مؤكدة ؛ لذا يمكن أن يصيروا بوذيين ، مانويّين ، مسيحيين ، نسطوريين . كان الإسلام هو الدرع المانع لهم من الانتقال إلى دين آخر . التركي الذي أسلم لا يترك دينه إلى دين آخر حتى ولو كان الثمن حياته .

الأتراك قوم يعيش في **السهول** ، لا يروقهم البحر . يقفون عندما يصلون إلى البحر أو إلى الجبال الشامخة . ولأن المنطقة التي تنحصر بين بحر اليابان وأوروبا الوسطى أكبر سهل في العالم ، والذي يبلغ عشرات الملايين من الكيلو مترات ، فإنهم يتنقلون فيه كأنه أراضي آبائهم ، وإن حدث وقابلهم أقوام تعوق تجوالهم في هذه الأراضي ، يقاتلونهم ، ويجعلونهم تحت سيطرتهم . توصلوا بصورة تامة إلى فكرة وشعار وفلسفة **الانتشار والفتوحات** في سنة 2000 ق . م . وحتى قبل عام 700 ق . م . وحتى تكون الفتوحات ممكنة ، فقد اكتسبوا مهارة وتجربة **تعبئة الوحدات** في أزمنة مبكرة . يسرعون في تعبئة الوحدات في الأقطار والأقوام الأجنبية ويأخذونهم تحت إدارتهم . ولا يتدخلون أبدًا في معتقدات وثقافة ذلك القوم . ليست لديهم سياسة دينية وثقافية . إلا أن تلك الشعوب عليها ألّا تصطدم بالدولة التركية . يعتنقون مبدأ **كل شيء لأجل الدولة** ، ليس فقط تجاه الأقوام الأخرى ، بل تجاه أنفسهم كذلك . يطيعون الكبير . من خصالهم الاستماع إلى الأمر ، وإصدار الأمر . شعب اجتماعي . الشخص الذي يأمرهم لكي يطاع بشكل مطلق ، يجب أن يكون قد انحدر من نسل متة خان Mete Han الذي يبجلونه بعنوان « أوغوز خان » ، ويحمل دمه ، والذي مات في 174 ق . م . والحقيقة أن أكثرية السلالات الخاقانية (السلطانية) ، هي من سلالة متة . وينحدر بنو عثمان من كونخان كبير أولاد متة الـ 6 ، وقايي خان كبير أولاد كونخان .

يؤمنون بالأصالة . كل الأتراك أحرار . لا يمكن للتركي أن يكون عبدًا أو أن تكون التركية جارية ولكن ، توجد طبقات اجتماعية . والواجبات العسكرية خاصة ، مسئولية الأشراف ، بل ومسئولية أعضاء السلالة بالذات . يتزوجون على أساس هذا المفهوم . هدم الإسلام هذا التقليد ، وأزاله العثمانيون تمامًا . لا يوجد في المجتمع العثماني صنف يمتاز بالأصالة ، صنف اجتماعي وشخص ذو امتياز . بنو عثمان ، هم العائلة الوحيدة في الإمبراطورية التي تعتبر ذات امتياز بالولادة .

الأتراك ؛ من الأعراق الإمبراطورية النادرة في التاريخ (بالفرنسية : race Impèriale) . لا تروقهم الدولة الصغيرة . وإن أدركوا أنهم صغروا بالنسبة لقطعة جغرافية ، ينتقلون إلى إقليم مختلف تمامًا ويؤسسون فيه إمبراطورية جديدة . قبائل تركية لا تحصى انصهرت مع الصينيين والأقوام الأخرى . ولكنها لم تُمْحَ . عدم وجود سياسة ثقافية لهم ، ومعاملتهم الأقوام الأخرى بالحرية والسماحة ، سبّبت لهم كوارث كثيرة في التاريخ . كذلك لا يمكن الادعاء بأن انتشارهم الجغرافي على مساحات واسعة لا يتصورها العقل كان عاملاً في صالحهم . لا شك أن قرّائي المحترمين أدركوا في الحال نقائص وعيوب الأتراك القدامى – كإدراكهم لمزاياهم – من خلال الأسطر التي قدّمت فيها الخطوط الرئيسية لمزاياهم . عيب آخر في الأتراك القدامى ، هو عدم رغبتهم في الزراعة ، وحبهم الرعي . وحاولوا أن يعوّضوا عن نقصهم هذا بتحكّمهم في المعادن . تمكنوا في 1500 ق . م . من فصل الحديد عن المعادن الأخرى واستعماله ، هذا قبل مصر بـ 300 سنة وقبل أوروبا بـ 700 سنة . تمكنوا من تشكيل جميع المعادن وإنتاج آثار فنية رائعة . اهتم جدًا René Grousset من الأكاديمية الفرنسية ، بصورة خاصة بموضوع تفوق الأتراك في صناعة المعادن .

العنان ، السرج ، الركاب ، أصول الركوب على الحصان ، بنطلون وسروال ملائم للفروسية ، سترة ، ثوب ، منديل ، حزام ، سيف طويل ، جزمة تركية ، صناعة . دباغة الجلود ، تكتيك الحرب الميدانية ، كل هذه عناصر علمها الأتراك للصينيين أولاً ، ثم لليونانيين ، ثم انتقلت إلى الرومانيين وإلى أوروبا . ورغم أنه بالإمكان القول بأن هذه اكتشافات عسكرية ، لكنه يجب ألا تغرب عن بالنا جوانبها الفنيّة أيضًا .

Influences, Darko; Touranicnnes sur l'Evolutien de l'Art Milihaire des Grecs, des Romains et des Byzantins, Byzantion, XII, 1937, 119 - 47; Von Le Cog, Bilderatles, g; Eberhard, Cin in Simal Komsulari, 67, 91; Moravcisk, Byzantinoturcica, I, 239 - 40, 250 - 3;

كتب المؤرخين الأتراك محمد كويمر ، فاروق سومر ، عثمان طوران ، إبراهيم قفس أوغلو ، بهاء الدين أوكل .

إن عرقًا هذه سجاياه ، عندما اعتنق الإسلام في 924 ، صار وجهًا لوجه أمام حضارة وثقافة جديدة . كانت ثقافة إسلامية ، ثقافة عربية وتحمل عناصر غنيّة من الثقافة الفارسية . بالطبع لقد تقبل الأتراك الإسلام مع كامل إيجابياته . التركي الموجود في كاشغر ، يؤمن ولا يؤمن بنفس المعتقدات تمامًا التي يؤمن بها المسلم الموجود في قرطبة . لكن الثقافة والفن شيء آخر . وبطبيعة الحال ترك الأتراك عند انتقالهم إلى الإسلام ، قسمًا من ثقافتهم ومعتقداتهم ، إذ إن قسمًا منها لم يكن ملائمًا لدينهم الجديد . ولكنهم حافظوا على معظم عناصر ثقافتهم . اقتبسوا عناصر جديدة وكثيرة جدًا من العرب والفرس وبالأصح من الثقافة والحضارة الإسلامية ، قد يكون ذلك تعويضًا لملء فراغ ما تركوه . بعبارة أخرى ، لقد خرجوا من محيط الحضارة التركية القديمة ودخلوا إلى محيط الحضارة الإسلامية . أصبحوا قطعة فعّالة في تلك الحضارة . لكن الثقافة لا تعني الحضارة كذلك . تكونت بالتدريج ثقافة تركية إسلامية ، وصلت في العهد العثماني إلى مرحلة كاملة . نشرت العثمانية هذه الثقافة في جميع أرجاء الإمبراطورية ، ال إن تأثيرها الثقافي كان له وقع مهم خارج الإمبراطورية كذلك . استمرت الثقافة التركية خارج العثمانية في إيران ، تركستان والهند كقطعة من المدنية الإسلامية وهذا لا يدخل ضمن موضوعنا . يمكن في بحثنا هذا تقديم نماذج محدودة فقط عن ماهية الثقافة العثمانية . إذ إن الموضوع واسع جدًا ، ويحتوي على فروع عديدة من التاريخ ، ويمتد من تاريخ الموسيقى إلى تاريخ الإعمار ، ومن تاريخ العلم إلى تاريخ الحقوق .

2 ـ انتشار الثقافة والفن العثماني :

إن فعاليات العماريين العثمانيّين في الهند لا تنكر . استخدم بابور ، أكبر شاه جهان .

المعماريين والخطاطين العثمانيين Rose, 5 , A.H. 505 ; Tchagotai 11 . Le Tadj Mahal, A)
IA) . إن قسمًا من الآثار العمرانية العملاقة الكائنة في دلهي ، آكرا وجوارها وتاج محل الشهير ، شيدها العماريون العثمانيون . إن أكبر قبة في العالم ، كل كونبت (1656) هي على الطراز العثماني بشكل بارز ، وإضافة إلى ذلك فإن العلم الذي هو على شكل الهلال ، الموضوع على القبّة ، خاص بالعثمانيين فقط . وبالذات فإن سلالة عادل شاه التي أمرت بصنع القبر ادعت أنها تنحدر من السلالة العثمانية .

تبدأ الآثار العمرانية بالظهور في الجزائر عام 1518 ، في القاهرة 1528 ، في تونس 1534 (IA , Diez ، رقم 80 ، ص 69 ، 97 ب) . شيد المعمار سنان جامعًا في قرم (جامع كوزلوه خان ، 1552) . تُشاهد آثار عمرانية في أماكن غير متوقعة أبدًا ، كما هو الحال في مصوّع في أريتره ، في سواكن في السودان (السوداني أحمد صلاح نجّاري ، Turk Sanadari , Milletlerarasi I ,93) الآثار العمرانية التركية ، اللباس التركي ، الأطعمة ، « القهوة التركية » في الجزائر ، القائمة التي نشرها سي محمد بن شنب الحاوية على 634 كلمة تركية متداولة في العربية التى تتكلم في الجزائر ، لا زالت مستمرة حتى اليوم (Turk Sanatlari . I , 283 - 5 Georges Marcais , Milletlerarasi) . هذه التأثيرات في تونس ، أكثر . وللاطلاع على التأثيرات في فاس انظر O. B. Riottot ، الكتاب نفسه ، 335 .

وللاطلاع على معلومات عن التأثيرات الفنيّة العثمانية في روسيا ، انظر الكتاب نفسه ، 370 - 1 ,377 - 8 . ولأجل الاطلاع على معلومات عن التأثيرات العثمانية على العمران ، المطبخ ، الموسيقى ، الطراز النسائي ، في تونس ، عربية تونس ، الصناعات الخفيفة ، انظر سليمان مصطفى Zbiss (مدير المتحف الوطني الأركيولوجي في تونس) الكتاب نفسه ، 417 . وللاطلاع على تأثيرات العثمانية في تشيكوسلوفاكيا ، انظر TUrk Tarih Kongresi . VI , 294 Josef Blqskovics .

قدّمت أمثلة من عدة أقطار لا تتشابه بعضها مع بعض أبدًا . كان انتشار الفن والثقافة العثمانية يحظى بحماية الدولة ، ورجال الدولة ، وعلى رأسهم البادشاه . حريّة التفكير ، كانت متوافرة كذلك . تمكن « باقي » من أكبر شعراء العثمانية ، الذي كان قضعسكر في روملي ، من قدح البادشاه محمد الثالث بهذا الصراع Memleketde Fitne peyda oldu

Sultan bi - Haber ومعناه (عمّت الفتنة في البلاد والسلطان لا يدري) . وأشعار نديم التي تعرض بمحمد الثالث مشهورة . تمكن الشاعر الكبير فهيم في عنفوان شبابه من نظم أبيات فيها عدم مبالاة بسلطان مهيب كمراد الرابع (**ديوان فهيم** ، 15) . إن الأقوال التي تلفظها الشاعر نفعي في **سهام قضاء** حول صدور عظام العصر ، من الصعب أن يتفوه بها أحد تجاه رئيس وزارة ، حتى في الأقطار الديمقراطية اليوم . فقد حياته في النهاية ، لكنه كتب وقال ما أراده لسنوات طويلة إلى أن حل موعد عدا . نكتفي بهذا القدر من الأمثلة . صرّح القانوني قبل انتهاء سلطنته بأنه قد وفّق في عدة أمور خلال سلطنته ، أحد هذه الأمور هو اكتشافه شخصية شاعرة مثل باقي وتمكنه من حمايته .

إن الثقافة العثمانية في بعض المجالات أضحت عنصرا أساسيا لا يستغنى عنه في ثقافات أقوام عديدة ، ومن أمثلة ذلك سيطرة الموسيقى والمطبخ العثماني على أذواق كل الأقوام البلقانية . وللتعرف على عمق تأثيرات العثمانية في كل المجالات الثقافية والفنية في المجر انظر :

Gerfrued palotay , les influences turcues dans la Broderie Hongroise , La Nouvelle Revoe Hongroise , 1937 ; Géza Fhér وكذلك Nandor Paradi , Macariston daki Turk Zanaati , ترجمة تركية Belleten , XXIV , 548 , 557 .

وتشاهد نفس التأثيرات العميقة في بولونيا كذلك البندقية 1963 .

(Jan Reychman , Influcnees turques dans Art sPolonais , IIe congrés International d'art ture lehistan Uygarliginda Turk Etkileri . Belleten , XXVIII , 758 - 67 : نفس الكاتب ، Wendt , Schlesien und der Orient , Breslau 1916 ; Van'lutter - welt , De Turske Schiklerijen , 1958 , Reychman , Orient w .'Kulturze polskiego , Breslau 1964 .

ككثيرين بحثوا عن التأثيرات الكبيرة التي تركها الإعمار وصناعة الأقمشة العثمانية في بولونيا . وهناك كثير من الأشراف البولونيين الذين تعلموا التركية ونطقوا بها .

اقتبست الشعوب الأوروبية موسيقى الجيش التركي وأسست موسيقاها العسكرية الحالية (هامّر ، 17 ، ص 42) . إن كمال الفن المعماري العثماني يدهش المرء ويمتد أثره

إلى المنا. » (هامّر ، 17 ، ص 42) . « إن شعراء العثمانية العظام هم بمستوى شوقي والمتنبي » (هامّر ، 17 ، ص 42) . والمعروف أن هامّر ؛ ترجم دواوين الشعراء العرب والفرس والأتراك ، وله مؤلفات قيّمة في تاريخ الشعر في كل من هذه اللغات الثلاث ، وقد يكون أكبر مستشرق .

« إن تأثير العثمانية في اليونان من القوة بحيث يمكن قياسه بتأثير العرب في أسبانيا » (من الأكاديميّة الفرنسية Siegfield ‏Milletlerin 31 Andren Karaklerleri,) . ويشاهد التأثير العثماني حتى في هندسة الحدائق الفرنسية , Lavisse - Rambaud 779 ,7) . عندما احتل الفرنسيون الجزائر لم يروا بدًا من الاستمرار على تشكيلات ونظام العثمانية (Lavisse - Rambaud 896 , 882 , 10) . نظّم الأمير عبد القادر مجاهديه على الطراز العسكري العثماني أيضًا واستعمل المصطلحات العسكرية التركية . ما زالت المصطلحات العسكرية العثمانية تعيش في الأقطار العربية الأسيوية والأفريقية حتى الآن .

إن ما تركه اللباس ، الصّور المصغرة (المنياتور) ، والألوان التركية من تأثير في إيطاليا في عصر النهضة العلمية Renaissance معلوم (Dèbuts de L'Age Moderne, ‏Renaudet, Hauser ، باريس 1929 ، ص 118 ,442 ,455) . وللاطلاع على مبلغ ما تركته صناعة المنسوجات العثمانية من أثر والذي امتد إلى سكانديناڤيه ، والأقمشة العثمانية المصدرة إلى كل الأقطار الأوروبية ، انظر A. J. B. Wake Turk Kumasve Kaditekeri ، 4, 3 . وللاطلاع على ما تركته الفنون العثمانية من أثر في رومانيا ، انظر TM, Popeseu ‏Judet 16 ,117 - 8 ,126 . إن الفولكلور الجيكي كذلك حافل بأثر الثقافة العثمانية (XI. ‏Josef Blaskovic, Turk Dil Kurultayi Cek Folklorunda Turkler. ، 1968 ، ص 189 - 207) ثم تدقيق أثر العثمانية في المسرح البولوني (Jean Reyehman Polonye ‏Tiyatrosunda Turk Tesirleri, ، رقم 71 ، ص 33 - 6) . وللاطلاع على تأثيرات الأ...ار . علم الأزهار ، الصناعات التزيينيّة العثمانية العميقة في العصر 16 عصر النهضة العميقة في إيطاليا ، النمسا ، ألمانيا ، هولندا ، انظر Renaissans ‏Historische Blaetter, ‏Heinrich Gluck ، 1 / 2 ، فيينا 1921 ,303 - 25 .

أدخل البارون Von Busbecq سفير ألمانيا لدى القانوني ، بذور أزهار السنبل (بالتركية : لا له ، بالإنكليزية : Tulip) ، الزنبق ، السوسن وطوغ شاهي لأول مرة إلى أوروبا (إلى هولندا ومنها إلى الأقطار الأخرى) في أواسط العصر 16 . يحتفل في هولندا حاليًا بذكرى جلب بذور السنبل من تركيا إلى هولندا كعيد وطني . وسفير آخر Ulrich Von Konigsberg جلب من تركيا إلى أوروبا في 1579 بذور أشجار الصفران ، كستنة الحصان (قسطلة الحصان) ، الفندق (TAD, Karl Teply ، 7 , 262,) .

ويجب ألّا نتجاوز البحث دون أن نذكر تأثير العثمانية في بناء المدن .

طوّر العثمانيون الكثير من المحلات المتواضعة إلى مدن كبيرة ، مليئة بالحركة ، غنية . وعلى سبيل المثال ، كانت الجزائر قبل مجيء العثمانية قصبة بربرية بسيطة وبعيدة عن كونها أكبر مدينة للقطر ؛ جعلها العثمانيون طوال 300 عام إحدى المدن الأكثر فعالية في البحر الأبيض . والذي حوّل بوسنة سراي (Sarajevo) من قرية إلى مركز ثقافي كبير ، هم العثمانيون . بالإمكان تقديم آلاف الأمثلة .

والحركة الحقيقية لبناء المدن في البلقان تبدأ مع العثمانية . كان في البلقان مدن قليلة جدًا قبل دخول العثمانيين إليها . فمثلاً ، لم يكن أبدًا في صربيا محل آهل يمكن أن يقال عنه إنه مدينة . أسس العثمانيون مدنًا عظيمة وقل عدد نفوس هذه المدن بعد 1683 Restes, P . Skok de la longue Turque dans les Balkans, Etudes Balkaniques,II,) 585 - 98; Karel Kadlec, L'Histoire du Droit Public des Peuples Slaves, Paris 1933, P. 103; Rosfovtzeff, La Vie Economiques des Balkans dans l'Antiquitè, Revue Internationale des Efudes Balkaniques, II, 396

أثر العثمانيون في الأقوام الصغيرة من غير المسلمين تأثيرات إيجابية جدًا طورت ثقافاتهم ، مستندين على أقدر عنصرين ثقافيين كالدين الإسلامي واللغة التركية . وعلى سبيل المثال ، فإن للشعر الشعبي التركي تأثيرا عميقا في المجريين ، الأوكرانيين ، البلغاريين ، الصربيين ، الرومانيين ، الألبانيين . لا توجد موسيقى وشعر أرمني ، كلاهما اقتبس من العثمانية . كانت العبادة في الكنائس الرومية والأرمنية ، تجري

بالموسيقى التركية تمامًا ، واليوم هي كذلك . لدينا معرفة بكثير من الأرمن والروم الذين انتسبوا – مع الاحتفاظ بديانتهم المسيحية – إلى الطرائق البكتاشية والمولوية .

3 – اللغة التركية :

إن موضوعنا هنا هو اللهجة العثمانية ، وليس اللهجة الأناضولية والتركية ، وهي إحدى لهجات أوغوز أو اللهجة الغربية للغة التركية . هي أهم لهجة بين اللهجات التركية بشكل لا يقبل القياس ، وإحدى اللغات الأدبية الكبرى في العالم . أسلوبها المثالي في الكلام هو أسلوب استانبول ، وطريقة نطق الباب العالي القديمة من أسلوب استانبول .

من الطبيعي أن تؤثر اللغة التركية من حيث كونها لغة الإمبراطورية العثمانية الرسمية على لغات الأقوام الكبيرة والصغيرة التي تشكلها الإمبراطورية العثمانية . إذ هناك من بين هذه الأقوام من عاش تحت إدارتها 600 سنة . ومن الطبيعي أن تكون اللغة التركية كذلك قد اقتبست من هذه الأقوام بعض الشيء . إن لغات الأقوام التي تشكل الإمبراطورية هي لغات تقتبس كلمات كثيرة من اللغات الأجنبية وتعطي كلمات كثيرة إلى لغات عديدة . إن اللغة التي لا تقتبس كلمات أجنبية لغة بدائية جدًا . وأساسًا لا توجد لغة كهذه حاليًا . وحتى اللغات الكلاسيكية الكبرى الثلاث في العالم ، العربية واليونانية واللاتينية اقتبست في كل عصر كلمات من لغات مختلفة . إن اللغة الكلاسيكية للعالم الإسلامي هى العربية . إن عدد الكلمات العربية الموجودة في اللغة التركية ، كما في الفارسية ، يتجاوز بكثير الـ 10 000 كلمة . وعدد الكلمات الفارسية في اللغة التركية يبلغ الآلاف أيضًا . دخلت إلى اللغة التركية خلال المائة والخمسين سنة الأخيرة عدة آلاف كلمة فرنسية . الاقتباسات من اللغات الأخرى لا تتجاوز الـ 1000 كلمة ، دخلت كما دخلت الكلمات اليونانية والإيطالية التي دخلت في العصور العثمانية القديمة . أما الكلمات الإنكليزية فقد دخلت إلى التركية في الـ 40 سنة الأخيرة .

توجد في اللغة التركية 900 كلمة يونانية الأصل . وتوجد اليوم في اللغة اليونانية

كلمات تركية الأصل (Turkceden Geeme Yunanca Kelimeler Sozlugu, C. Coukidis) ، باليونانية أثينا 1960) وتوجد في اللغة الصربية 9000 كلمة تركية . A) Skalgic , Trueizmi V Srpstohrvatskom Jeziku , Sarajevo 1966) . وعدد الكلمات التركية في اللغة البلغارية 6778 كلمة . أدرج Skalyic (شكاليج) ، في قاموسه ذي الـ 700 صحيفة ، 9 000 كلمة تركية موجودة في اللهجات الصربية ، الخرواتية ، البوشناقية و 1 000 تعبير تركي . وبالنسبة للبلغارية : Recnik na Blogarskiy Yazik, Najden Gerov ، فيايه ، 1895 - 1904 ، Recnik na Licnite i Familni Imena u Blgarite Stefan Ilcev أكاديمية العلوم البلغارية ، صوفيا 1969 . وللاطلاع على الكلمات التركية الموجودة في اللهجة المكدونية من اللغة البلغارية : Mile Korvezirovski وكوثر سيف الله ، Makedonsko - Turski Recnik ، 700 صحيفة ، اسكب 1967 . إن اللغات السلافية الشمالية كالجيكية ، السلوفاكية ، الأكرانية ، الروسية ، الروسية البيضاء ، البولونية مليئة بآلاف الكلمات التركية (Die Turkischen Element in den, Miklosich Sudost - Europaeischen Sprachen ، مجلد 2 ، فيينا 1884) . أما في اللغة الألبانية فإن كلمة واحدة من كل 3 كلمات مأخوذة عن التركية . وللاطلاع على الكلمات التركية الموجودة في اللغة الروسية انظر : Dimitriev, Turetskie Elementi V Russkikh Argo, Yaziki Elementi, Yazik i Literatura, 1931, VII, 157 - 79; ، نفس الكاتب ، O Tyurskikh Elemantakh Russkogo Slovarya, Leksikagroficeskiy Sbornik, III, 1958 -

ورغم نشر 1000 كلمة تركية انتقلت إلى اللغة الرومانية ، في بخارست على شكل قاموس ، لكنه كان عملاً ناقصًا . وتوجد كذلك آلاف الكلمات التركية في اللغة المجرية (Turk Sanat Tarihi . Geza Fehr Arastirmalari 205 , 2) . اللغة الأرمنية مليئة بالكلمات التركية بشكل كثيف ، وقد لا تقل عن 10 000 . وللاطلاع على الكلمات التركية في اللغة الفرنسية انظر Dictionnaire Etymologique, L, M, Devic des Francais d'Origine Orientale ، باريس 1876 . ولا ضرورة للبحث عن الكلمات الموجودة في اللغة الإيطالية وجميع اللغات الأوروبية .

كثير من اللهجات العربية مليئة بالكلمات التركية . لكن الكلمات ذات الأصل التركي في اللغة الفارسية أكثر (Turkische Elemente im Neupersichen, G. Doerfer، مجلد

2، ويسبادن، 57-127, 21, **Edebiyat Fakultesi Turk dili ve Edebiyali Dergisi,** 1963،65) . يوجد شعراء إنكليز ، فرنسيون ، إيطاليون ، رومانيون ، مجريون ، عرب ، فرس ، يونانيون ، أرمن ، صربيون - خرواتيون ومن الأقوام الأخرى ، نظموا أشعارهم باللغة التركية .

إن الكلمات التركية الموجودة في اللغة الصينية واللغات الهندية ، تخرج عن موضوعنا ، إذ إنها لم تؤخذ عن اللهجة العثمانية ، وإنما أخذت عن اللهجات التركية الأخرى . وأخيرًا ، يجب أن نذكر أن الكردية مليئة بالكلمات التركية ، وكذلك كل اللغات القفقاسية (الكرجيّة ، الشركسية ، الابهاضيّة ، الججنيّة) مليئة بالكلمات التركية .

تأثير اللغة التركية يشاهد على الأغلب في مجال الجغرافية . إن لغات الأقطار الآسيوية والأوروبية حافلة بالكلمات الجغرافية التركية (**The New Caxton Encyclopdia** , 1969 ، أطلس ، فهرست) . وفي أفريقيا كذلك كثيرة . يستهل التونسي حاجي محمد ، كتابه الجغرافي الشهير الذي حرره في 1559 بهذه الجملة « كتبت هذا الكتاب باللغة التركية إذ إن هذه اللغة تحكم العالم اليوم » .

4 - الشعر العثماني :

الشعر العثماني من أغنى أشعار العالم . يستعمل العروض (العروض الإيراني) . الشكل مأخوذ عن الشعر العربي والفارسي ؛ عاشت « أشكال » الأشعار التركية القديمة على الأغلب في الشعر الشعبي أيضًا ، إلا أنه استعمل على الأكثر وزن **هجه** الذي هو وزن شعر تركي أقدم منه بكثير .

سنكتفي هنا بذكر أسماء النوابغ الحقيقيين من الشعراء العثمانيين . يونس (1240- 1320) أكبر شاعر في التصوّف والأدب الشعبي التركي ، نشأ خلال تشكيل الدولة العثمانية على سواحل نهر سقاريا . نسيمي (وفاته 1405) ، شاعر كبير في التصوف الكلاسيكي . نشأ خارج المجال العثماني ، لكن تأثيره في الشعر العثماني ، كان كبيرًا . الشاه إسماعيل (1487 - 1524) نظم الشعر باللغة التركية بالخصائص نفسها بالاسم

المستعار « حياتي » ويمتاز بالصفات نفسها . لكن مؤسسي الشعر الكلاسيكي العثماني هم الشعراء العظام مثل أحمدي ، شيخي ، عطائي ، نجاتي وخاصة أحمد باشا (1420- 1797) . إن نوابغ الشعر العثماني الكلاسيكي ابتداء من أحمد باشا هم :

فضولي (1480 ?- 1556) وهو شيعي بغدادي ، دخل المجتمع العثماني بعد ذلك ، أعظم شاعر تركي ؛ أكثرية الذين اتبعوه ، استانبوليون ، كلهم نشأوا على الإطلاق في استانبول وعاشوا فيها ، باقي (1527 - 1600) ، نوعي (1533 - 1599) وهو قضعسكر مثله ، روحي بغدادي (وفاته 1605) ، شيخ الإسلام يحيى (1553 - 1644) ، شاعر القصيدة التركية الكبير ، من بني دولقادر نفعي (1572 - 1635) ، عطايي (1583- 1635) هو ابن نوعي ، شيخ نشاطي (1600 - 1674) ، نائلي (- 1610 1666) ، فهيم الذي توفي وسنه 21 عامًا (1627 - 1648) نابي أورفه لي - 1642 1712) ، نديم (1681 - 1730) ، الصدر الأعظم راغب باشا (1699 - 1763) ، شيخ غالب (1758 - 1799) ، كيجه جي زاده عزت ملاء (1785 - 1829) ، يني شهرلي عوني بك (1827 - 1884) ، لسكوفجه لي غالب بك (1829 - 1867) ، ضياء باشا (1829 - 1880) ، نامق كمال بك (1840 - 1888) ، عبد الحق حامد تارهان (1851- 1937) ، توفيق فكرت بك (1867 - 1915) ، جناب شهاب الدين بك (1870 - 1934) ، محمد عاكف أرصوي (1873 - 1936) ، أحمد هاشم بك (1884 - 1933) ، يحيى كمال بياتلي (1884 - 1958) .

5 ـ التاريخ والجغرافيا :

إن أدب التاريخ والجغرافية في العثمانية رفيع . فاق العثمانيون الأدب الإيراني في هذه المجالات . ورغم أنهم لم يتوصلوا في التاريخ إلى مستوى العرب ، لكنه من الممكن اعتبارهم في المجال الجغرافي على مستوى واحد مع العرب .

كانوا يعلمون بكروية الأرض . يذكر ركن الدين أحمد في كتابه **عجائب المخلوقات** ، إلى جلبي سلطان محمد (1413 - 1421) بأن الأرض كروية . وقد اكتسب هذا الأمر صفته القطعية في كتاب بيري رئيس بعد عصر واحد . إذ إن بيري رئيس عندما

كتب كتابه كان كوبر نيكوس قد نشر كتابه وكولومب قد أكمل رحلته لأمريكا وماجلان على وشك الإبحار للطواف حول العالم . اكتسبت كروية الأرض صفتها القطعية في الجغرافية العثمانية بعد بيري رئيس .

إن أكبر جغرافي وراسم للخرائط الجغرافية في العصر 16 على نطاق عالمي ، هو الأميرال المعروف محيي الدين بيري رئيس (?1474 - 1554) ابن أخ قره مانلي كمال رئيس . وسيدي علي رئيس (?1498 - 1563) ، أميرال جغرافي وعالم رياضي آخر اشتهر بمؤلفاته المهمة . أشهر الأسماء في المجال الجغرافي في العصر الذي يليه هم « كاتب جلبي » و « مصطفى أفندي » (1609 - 1657) المعروف في الغرب باسم « حاجي خليفة » و « أولياء جلبي » (1611 - 1684) .

إن قسم أمريكا – أوروبا من خارطة العالم الملوّنة التي رسمها بيري رئيس من أجل السلطان ياووز سليم عام 1513 والذي صرّح بكروية الأرض بصورة قطعية محفوظة حاليًا في سراي طوبقابو . « بصحّة تدهش العقل ، فوق مستوى عصره في علم الجغرافيا وتفوق بكثير مستوى علم الجغرافيا لدى الغربيين » (Jane Laroche Connaissance des Arts ، باريس 1963 ، ص 125آ) . كتاب بيري رئيس « كتاب بحرية » الذي يحتوي على مئات الخرائط والمخططات والذي يصوّر فيه البحر الأبيض بصخوره ، بخلجانه ، بتيارات مياهه ، كتاب عظيم أيضًا .

والصورة المصغّرة (Miniature) التي صنعت في العصر 16 ، على زمان مدير مرصد استانبول تقي الدين أفندي ، والتي يشاهد فيها قارات أفريقيا ، أوروبا ، أمريكا الجنوبية وقسم من آسيا من الكرة الأرضية ، توضّح اشتغالهم على الكرات كذلك ، وليس على الخرائط والأطلس فحسب (Istanbul Rasadhanesi, Suheyl Unver ، ص 43, 16) .

إن كتاب جهانّما لكاتب جلبي كتاب عظيم في الجغرافية العالية ، ترجم إلى اللغات الأوروبية في حينه . استفاد كاتب جلبي من الكتب والأطالس الجغرافية الأوروبية كما استفاد أسلافه وأخلافه من الجغرافيين ، وقد ترجم أطلس Atlas Mayer من اللاتينية إلى التركية . وإن المرء ليدهش عندما يقرأ المقطع الذي يوضّح أخلاق وعادات اليابانيين في جهانّما . أما بالنسبة للأقطار العثمانية فإنه يقدم معلومات مهمة جدًا عنها .

تجوّل أولياء جلبي مدة 40 سنة في الأقطار العثمانية وفي قسم من الأقطار المجاورة ، بقي ما يقارب الـ 10 سنين في القاهرة وزار السودان والحبشة أيضًا . كتابه يتكون من 10 مجلدات ويحتوي على 10 000 صحيفة . وقد يكون أكبر محرر عثماني . ومما لا شك فيه أنه رحّالة كبير نشأ في الشرق بصورة أكيدة . كتب مؤلفه بأسلوب شيّق جدًا ، قريب إلى لغة الشعب وليس بأسلوب علمي مثل كاتب جلبي . ترجمت مقاطع عديدة من كتابه إلى جميع اللغات . إن المعلومات التي جمعها من شعب السودان المحلي الذين قابلهم ، عن النيل وبحيرة فيكتوريا (927, 10) لم يتمكن من جمعها الأوروبيون إلا في أواسط العصر 19 .

أعجب محمد الرابع جدا بأطلس **Atlas Major** ، الذي نشره **Jan Blear** في النمسا عام 1662 المكون من 11 مجلدا ، ترجمه بأمره أبو بكر أفندي من اللاتينية بعد أن أجرى عليه تنقيحات مهمّة وإضافات في قسم الأقطار الشرقية . صرّح **Paul Kahle** « بأن أبا بكر أفندي ، جغرافي يفوق Bleur قدرة » (**89, 2, Islam Tedkiykleri Enstitusu Dergisi**) . والجغرافية العالمية التي حررها التونسي حاجي محمد أفندي في 1560 ، كتاب مهم وقد نشر في أوروبا كأمثاله من كتب الجغرافيين العثمانيين .

واسم مهم جدًا آخر ، هو مطرقجي نصوح بك (1480؟ - 1564) . سنجق بك (عميد بحري) اشترك في كثير من حملات عهد القانوني ، وخلالها اشترك في حملة بربروس على فرنسا . عالم رياضيات ، متخصّص في الأسلحة ، مختص برسم الخرائط الجغرافية ، رسّام ، مؤرخ . زيّن مؤلفاته المهمة بالتصاوير المصغّرة التي رسمها شخصيًا .

« سجايا الأتراك تظهر بوضوح في مؤلفاتهم من الكتب التاريخية . المؤرخون العثمانيون الكلاسيكيون رجال قديرون وذوو معلومات متقدمة على عصرهم . إن مؤلفاتهم هي من أنجح المؤلفات الثقافية العثمانية في فروعها » (**Bernard Lewis** ، ص 329 - 30) . نحن نعلم أن كاتب جلبي قد حرّر كتابه بعد مطالعته 1 300 كتاب في مجال التاريخ فقط . أهم المؤرخين العثمانيين الذين قدّموا مؤلفات مهمة في مادة التاريخ هم :

قره مانلي محمد باشا (وفاته 1481) ، من سلالة مولانا ، آخر صدر أعظم لفاتح . أكبر حقوقي في عصره . حرّر التاريخ العثماني باللغة العربية . كمال باشا – زاده أحمد شمس الدين أفندي (1468 - 1534) ، شيخ إسلام شهير . أكبر حقوقي في عصره ، مؤلف كتاب عظيم وذو قيمة كبيرة جدًا باللغة التركية في التاريخ العثماني مكون من 10 مجلّدات . طاشكوبرولو – زاده أحمد عصام الدين أفندي (1495 - 1561) ، مؤلف الموسوعة المسماة **موضوعات العلوم** وكتاب سير كبير لعلماء ومشايخ العثمانية المسمى **الشقائق النعمانية** ، كلا المؤلفين باللغة العربية . جلال – زاده مصطفى جلبي (1495؟ - 1568) ، أشهر نيشانجي (رئيس مكاتبات الدولة الخارجية) للقانوني . أهم مؤلف له هو التاريخ العثماني المسمى **طبقات الممالك** (كل الكتب التي لا يذكر أنها عربية هي باللغة التركية) . خواجه سعد أفندي (1536 - 1599) ، شيخ إسلام وأستاذ سلطاني . مؤلف تاريخ عثماني مهم جدًا في مجلدين باسم **تاج التواريخ** . عالي (هو مصطفي عالي جلبي أو باشا من غاليبولي) (1541 - 1600) ، رجل مالية ، صار بكلر بك على الشام لفترة من الزمن ، له مؤلفات كثيرة جدًا ومهمة جدًا ، أكثرها تاريخية . اسم كتابه الكبير في التاريخ العالمي **كنه الأخبار** . مصطفي أفندي السلانيكي (1540؟ - 1600) ، مؤلف **تاريخ سلانيك** . عطايي (نوعي – زاده عطاء الله أفندي) (1583 - 1635) ، من أكبر الشعراء وصاحب الكتاب العظيم في السير المسمى **حدائق الحقائق في تكملة الشقائق** . بجوي إبراهيم أفندي (باشا) (1574 - 1649) ، ابن أخ الصدر الأعظم صوقوللو محمد باشا ، ضابط صاعقة . هو مؤلف التاريخ العثماني المسمى **تاريخ بجوى** الذي يصوّر فيه الحياة في حدود الإمبراطورية في رملي بضورة حيّة وحرّر بلغة تركية نقيّة جدًا . كاتب جلبي (1609 - 1657) مر بحثه أعلاه . هو أعظم عالم في العصر 17 . له **فذلكة** مجلدان في التاريخ العثماني ، **وتحفة الكبار في أسفار البحار** وهو تاريخ البحرية العثمانية ، أعظم مؤلف له ، موسوعته الكبرى في السير باسم **كشف الظنون** الذي كتبه باللغة العربية . **وميزان الحق** ، أهم كتاب فكري له . شيخ أحمد ده ده المسمى « منجمباشي » (1631 - 1702) هو مؤلف كتاب عظيم في تاريخ العالم 3 أجزاء باللغة العربية باسم **جامع الدول** . نعيما (مصطفى أفندي) (1655 - 1716) هو مؤلف الكتاب الشهير جدًا **تاريخ نعيما** في 6 مجلدات ويسرد فيه تاريخ الدولة

العثمانية في النصف الأول من العصر 17 بشكل حي جدًا . مستقيم – زاده سليمان سعد الدين أفندي (1719 - 1788) أكبر عالم في العصر 18 متخصص في الموسوعات ، له مؤلفات كثيرة في 3 لغات . وأحد مؤلفاته **تحفة الخطّاطين** وهي مذكراته عن أشهر الخطّاطين . مترجم عاصم أفندي (1756 - 1819) ، ومع أنه مؤلف كتاب **تاريخ عاصم** المكون من مجلدين ، فإن أهم مؤلفاته هي قاموسه باللغة الفارسية وخاصة باللغة العربية . اشتهر جدًا قاموسه الإنسكلوبيدي العربي – التركي . شاني – زاده عبد الله أفندي (1764 ؟ - 1826) ، ومع أنه مؤلف كتاب **تاريخ شاني – زاده** في 4 مجلدات ، فإنه اشتهر بالدرجة الأولى كعالم طب . أحمد جودت باشا (1823 - 1895) هو رجل الدولة الكبير في التنظيمات ، أكبر حقوقي ومؤرخ في العصر 19 . ويعتبر كتابه **تاريخ جودت** في 12 مجلدا (1774 - 1826) وكتابه **تذاكر ومعروضات** اللذين يعالج فيهما الفترة الأخيرة من التاريخ العثماني ؛ مصدرين مهمين . وحرر كتابه في التاريخ الإسلامي المسمى **قصص أنبياء** ، بعناية فائقة وبلغة تركية لطيفة جدًا . ابن الأمين محمود كمال إينال (1870 - 1957) ، أكبر كاتب سير (بيوغرافي) ، أكبر متخصص في الفترة الأخيرة من التاريخ العثماني الداخلي ، حرر معظم مؤلفاته في العهد الجمهوري . أهمها **Son Asir, Son Sadrazamlar Turk Sairleri** (كل منهما 12 مجلد) (1890 - 1966) . محمد فؤاد كوبرولو ، مؤسّس علم التاريخ الحديث (**Turk Edebiyalinda ILK 1918, Mutesavviflar** .

6 – الطب :

حاول العثمانيون إجراء إضافات على طب ابن سيناء . أخذ طب الغرب كذلك في الدخول اعتبارًا من العصر 17 . اهتموا خاصة بالطب العملي . صرفواجهدًا في جعل المستشفيات بحالة جيدة . من الطبيعي أن تولي دولة تخوض الحرب مثلها الأهمية للطب العملي والجراحة . شرح الجراح آماسيالي صابونجي أوغلو شرف الدين ، في كتابه المسمى **جرّاحية ء إيلخانيّة** الذي أهداه إلى فاتح عام 1465 ، فنَّ الجراحة في عصره

بصورة ممتازة مع احتوائه على تصاوير ملوّنة . وسار أنطاليه لي داود في العصر الذي يليه ، على غراره . حرّر آخي جلبي في العصر 15 مؤلفه المهم في المسالك البولية . وفي بداية العصر 17 حرّر شيخ الحرمين شمس الدين أفندي كتابه المسمى **تشريح الأبدان** ويلاحظ فيه أنه استفاد من كتاب Vasabius المسمى **De Humani Carporis Fabrica** . يلاحظ أن قسمًا من كتب الطب العثمانية مصوّرة .

شرحت أعراض الأمراض السريرية وتشخيصها بصورة جيدة جدًا في كتاب **شفاء الأسقام** الذي حرّره حاجي باشا قبل فتح استانبول . وتشاهد في أواخر العصر 16 ، في **قاموس الحكمة والطب** ترجمة المصطلحات الطبيّة العربية إلى التركية . أحمد بن محمد ، درس الطب في استانبول ، ذهب إلى الهند وصار طبيبًا خاصًا لشاه جهان عاد إلى استانبول وألّف كتابه **قاموس الأطبّاء** . تشاهد أول بوادر نقل الأعضاء . وفي 1624 ، يبحث أمير جلبي الطبيب الخاص لمراد الرابع في كتابه **أنموذج في الطب** بأنه قام بتشريح الجثث . ركتاب عياشلي شعبان **الشفاء في تدبير المولود** ، أحسن كتاب في عصره عن التوليد و راض النسائية . وفي العصر 18 ، شرع في ترجمة الكتب الطبية الأوروبية إلى الل التركية رأسًا .

انفصلت الأمراض العقلية والنفسية كفرع مستقل ، منذ مدة طويلة . وحتى قبل 1453 ، كان سينوبلي مؤمن جلبي قد دقّق الأمراض العقلية والنفسية ، العصبية وفصّلها على 25 بابًا في كتابه **ذخيرة المرادية** الذي أهداه إلى مراد الثاني . ثم أخذت مستشفيات الأمراض العقلية والنفسية العثمانية الشهيرة بالتطوّر واستخدامها كعيادات لاختصاص المدارس الطبيّة .

حافظ العثمانيون على أعلى المستويات العالمية في مداواة الأمراض العقلية والنفسية حتى العصر 19 . لم يعامل المرضى العقليون معاملة سيئة بتاتًا . يبحث شعوري أفندي في كتابه **مرآة أمزجة** عن مداواة الأمراض النفسية بواسطة الموسيقى . تعلّمت أوروبا مداواة المرضى العقليين من الأتراك . أسّس الأتراك مستشفيات خاصة للأمراض العقليه قبلنا بمدة طويلة جدًا . وحتى في 1788 كتب الدكتور **John Howard** الإنكليزي ،

أن المستشفيات العقلية التركية في حالة انحطاط بالنسبة للسابق ، لكنها مع ذلك ما زالت أرقى من مثيلاتها في أوروبا » (Dr. Kraft Traitè Clinique de psychiatrie, Ebing ، باريس 1897 ، 53) . نقلت الأسطر آنفة الذكر عن كتاب لأكبر علماء الطب النفساني في العصر الأخير . « لا يعتبر المرضى العقليون في فرنسا عام 1818 ، مرضى ، ويعاملون معاملة أسوأ من الحيوانات والجناة ، أما [illegible] السالفة ، فكانوا يحرقون » (Rapport, Esquirol ، باريس 1874 ، 2 ؛ Les Malad[illegible] ، Vin chan ، باريس 1930 ، 24) . كذلك كان الروم الذين يعيشون في الدولة العثمانية ، يستهزئون بإدخال الأتراك المجانين في المستشفيات ، ويضربون المجانين من جماعتهم بقصد طرد الشيطان الذي دخل في أجسامهم ويتركونهم دون طعام وشراب (الصرّاف هوانيسيان ، نقل اينجيجيان ، 120) . لا يعدم القاتل إن ثبتت جنّته ، ويودع بالمستشفى (جودت ، 148, 7) .

كان الأطباء العثمانيون يتمكنون من التفريق بين أمراض : الانفصام (الشيزوفرانيا) ، وداء السوداء (الماليخوليا) والهوس (الهستيريا) ويستخدمون أسلوبًا خاصًا لمداواة كل منها . شيّدت كل من زوجة القانوني خرّم سلطان مستشفى للمجانين النساء ، والقانوني بالذات ، داخل كلية السليمانية ، مستشفى للمجانين الذكور ، وكانت توجد قبلها في إستانبول والمدن الأخرى مستشفيات مماثلة لها شيد في السابق . أشهرها مستشفى بيازيد في أدرنه ، التي شيّدها جد القانوني ، بيازيد الثالث (أولياء ، 468, 3 - 70) .

كتب شيخ السلطان فاتح ، آق شمس الدين المشهور ، في كتابه المسمى **مادة الحياة** ما يلي بالضبط (على أميري ، طب ، رقم 126 ، ورق 50) : كل الأمراض ، بالنسبة لأنواعها لها بذور وجذور ، كما في النبات والحيوان ، كبذر الحشيش وجذوره لا ترى بالعين . ويجب ألا ننسى أن هذا الكلام قيل في عام 1450 أي قبل اكتشاف المجهر وقبل باستور بـ 4 قرون . ولو لم يكن باستور يملك مجهرًا ، لما تمكن أن يقول أكثر من ذلك .

لقاح الجدري كذلك ، اكتشاف تركي . لدينا معلومات عن تطعيم الأطفال في إستانبول ضد الجدري عام 1695 (194, **Osmanli Turkerinde Ilim, A. A. Adivar**) .

وفي عام 1721 شاهدت Lady Montague عندما كانت سفيرة لإنكلترا في إستانبول ، كيفية صنع هذا اللقاح ، وأخبرت المعنيين عند عودتها إلى إنكلترا . قاومت أوروبا مدة طويلة ، اللقاح الذي طبّقه الأتراك لعصور طويلة . وفي 1764 ، وافقت الأكاديمية الطبية الفرنسبة على أن هذا اللقاح « قد يكون مفيدًا » . لكن لويس 15 أصيب بمرض الجدري ، رفض اقتراح تلقيحه ومات . أول لقاح في أوروبا ، جرى في إنكلترا عام 1764 (Lavisse - Rambaud 756, 7, ؛ جودت ، 1 ,234 - 7 ,353 - 4) . إن حدوث الاكتشاف من قبل الأتراك ، أوقع أوروبا في تردد طويل الأمد جدًا . أعلن الرهبان بأن الذي يسمح بإجراء تطعيم له ، يعتبر خارجًا على الدين . بينما كانت الليدي مونتاغ ، قد أجرت اللقاح لولدها في إستانبول . أيّد فولتير عام 1759 فائدة لقاح الجدري . لكن الأطباء خشوا جانب الكنيسة مدة طويلة . و لم يلق فولتير الذي اشتهر بإلحاده ، أذنًا صاغية من أحد .. ورغم أن الليدى مونتاغ صرّحت بأنه لم تحدث واقعة وفاة لأي أحد لقّح في تركية ، فإن أحدا لم يصدقها .

يبدأ قبول وتطبيق الطب الغربي مع شاني – زاده محمد عبد الله أفندي . كان يجيد عدة لغات غربية واللغات الشرقية كذلك . نقل المصطلحات الطبيّة الغربية من اللاتينية إلى اللغة العربية . إن آلاف الكلمات التي اشتقتها العثمانية من جذور الكلمات العربية ، والتي هي من إيجاد العثمانيين ، تقبلتها الأقطار العربية كذلك . بدأ دور أشعة رونتكن في الطب العثماني في 1897 مع الدكتور أسعد فيضي أفندي .

7 – العلوم الرياضية :

كانت العلوم الرياضية التي يسميها العثمانيون « رياضيات » و « علم رياضيّة » في مرحلة متقدمة . آثار وسفن العثمانيين تشهد على ذلك . المدافع العثمانية ، تبيّن تفوق العثمانية الحاسم في علم البلّستك . إن الجبر الذي كان يدرّس في مدرسة فاتح في إستانبول ، اقتبس طبق الأصل ، اعتبارًا من أواخر العصر 15 وبدء بتدريسه بالتسلسل في جامعات البندقية ، بادوفا ، بولونيا فلورنسا (II. Turk Tarihi Kongresi ,2 ,632) . كان العالم الرياضي الكبير لدور فاتح ، قاضي – زاده رومي قد توصل إلى نتيجة أن جيب الكسر ذا (°1) درجة واحدة ، يعادل 0 , 017452406437 ، على اعتبار أن

نصف القطر يساوي 1 (**آثار باقية** ، 1 ,133 - 9) . كاد علي بن ولي أن يكتشف اللوغاريتمات قبل Napier بـ 23 سنة في كتابه **تحفة الأعداد** ، الذي حرّره في إستانبول عام 1591 ، شرح اللوغاريتم ، لكنه لم يتوصل إلى نتيجة بسبب بدئه في سلسلة الأعداد من رقم 1 بدلاً من (0) الصفر (**آثار باقية** ، 2 ,290) .

كانت تكنولوجية صناعة الساعات الجدارية (ساعات الحائط) والمنضدية العثمانية في العصر 16 ، أرقى من مثيلاتها الأوروبية . إن تقي الدين أفندي (1520 - 1585) الذي حصل على 9 آلاف ليرة ذهبية من السلطان وأسّس مرصد إستانبول ، هو مخترع « جرخلي ساعت » (الساعة ذات الدولاب) والآلة الفلكية المسماة « ذات الثقبين » . إن ساعة ذات الدولاب ، كانت تشير إلى الثواني أيضًا (**Istanbul Rasadhanesi** ، ,43 30, 72, 23 . وقد اخترع يني شهرلي سعيد أفندي ، أحد أساتذة اسكدار هندسة خانه سي (مدرسة الهندسة) التي افتتحت في اسكدار عام 1734 ، الآلة التي أطلق عليها اسم « ربع مجيّب ذو القوسين » التي تستعمل في قياس زوايا المثلثات وكذلك في قياس الأراضي (**Katalog**, Pertsch ، رقم 166) . يسجل Toderini (166) إنه كان من بين أساتذة مدرسة الهندسة البحرية الهمايونية ، في 1784 ، قواد سفن أتراك ذهبوا إلى أمريكا والهند ، ويجيدون اللغات الفرنسية ، الأسبانية ، الإيطالية . كان يانيالي خواجه محمد أسعد أفندي الذي أصبح مدرسًا عام 1699 ، قد تعلم اللغتين اللاتينية واليونانية ، وقام بترجمة كتب عن هذه اللغات ، وترجم كتاب **الشفاء** لابن سيناء من العربية وهو عالم موسوعات له تجربة في استعمال المرقب (التلسكوب) والمجهر (المايكروسكوب) . وبناء على ذلك ، فإن الذي أدخل الرياضيات العالية ، هو ليس خواجه إسحق أفندي الذي توفي عام 1834 . إنه فقط نقل الفيزياء والرياضيات الأوروبية إلى اللغة التركية ، وألّف كتابه **مجموعة علوم رياضية** في 4 مجلدات وقد طبعه محمود الثاني . كان يجيد اللغات العبرية ، اليونانية ، اللاتينيّة ، الفرنسية ، العربية ، الفارسية . وفي عام 1815 ، عين أستاذًا في مدرسة الهندسة البرية الهمايونية (أسعد ، **مرآة مهندسخانه** ، 34 - 42) . وأخيرًا ، أنجبت العثمانية عالمها الرياضي الكبير الأخير صالح زكي بك (1864 - 1921) . كان أستاذًا للرياضيات العالية وعميدًا لجامعة إستانبول . وهو الزوج الأول للروائية الكبيرة خالدة أديب آديوار . هو مؤلف الموسوعة

الرياضية المسماة **قاموس رياضيات** وتاريخ العلوم المسمى **آثار باقية** .

يبرز مستوى علم الفلك ، في المراصد وفي الساعات العثمانية المصنوعة بأحجام وأنواع مختلفة . وفي وقت مبكّر كالنصف الأول من العصر 16 ، أوضح مطرقجي نصوح بك المنظومة الشمسية بصورة مضبوطة تمامًا (**مجموعة التواريخ** ، 1 ، ورق 12 آ ـ ب) .

كان علم الميكانيكا متقدمًا ، لكنه لم يكن مستندًا إلى الرياضيات العالية بل إلى الناحية العملية . ومن جملتها طيران هزارفن أحمد جلبي بحضور مراد الرابع في 1640 بواسطة طائرة نموذجية من برج غلطة إلى إسكدار ، أي من الجهة الأوروبية إلى الجهة الآسيوية وهبط هبوطًا ليّنًا . والتجربة الناجحة للغواصة التي جرت في الخليج بتاريخ 3 / 12 / 1719 . إن سفينة الغوص التي ركبها أشخاص كثيرون ، غاصت وظلّت تحت الماء مدة طويلة . إن الغواصة موضوع البحث ، التي جرت تجربتها أمام أحمد الثالث ، صنعها رئيس مهندسي مصنع السفن الإمبراطوري إبراهيم أفندي . اكتشف مدير الإطفاء محمد آغا في 1753 ماكينة ضخ الماء للحريق بالأنابيب **413, Murat - Tevarih** — ب) . باستطاعة هذه الماكينة سحب الماء من أعمق (مخازن المياه والآبار . وانتفت ضرورة البحث عن حنفية مياه . بدأ الأوروبيون والأتراك الذين ذهبوا لتحصيل العلم في أوروبا ، القادمون إلى إستانبول بتطيير مناطيد ذات ركاب . وفي أيلول 1786 ، طيّر الجنرال المدفعي إنجليز مصطفى باشا ، منطادًا يحمل ركابًا أمام أنظار الإستانبوليين . وكان الجنرال ميراندا بنفسه (63) حاضرًا .

وكذلك تم تأليف كتب قيّمة في حقل الزراعة . كما كان تفريخ الدجاج الصناعي ، معلومًا ويطبق قبل العصر 17 . يسجل **Galland** أن رسامي الخرائط الأتراك ، كانوا يرسمون خرائط مضبوطة ومتقنة في العصر 17 (**Journal, 1, 168, 253**) .

صدرت موسوعات ومؤلفات عثمانية عظيمة في الفلسفة ، الأخلاق ، السياسة . لا تستوعب صحائفنا هنا تقديم نماذج منها . إن كتاب **معرفتنامه** للشيخ إبراهيم حقي الأرضرومي (1703 - 1780) من أهم إنجازات تاريخ الفكر العثماني . يحوي بحوثًا طريفة جدًا ، من فلكيات كوبرنيك إلى معالجة الأمراض النفسية والعصبية ، ومن الذرّة (الجزء الذي لا يتجزأ) إلى الفلسفة . وبالإمكان قراءة الأسطر التالية في **معرفتنامه** ، قبل دارون

(1859) بـ 105 سنوات : « حصلت المعادن في البداية من امتزاج العناصر ، ومنها حصلت النباتات ، ومنها الحيوانات . وعندما استكملت خلقة الحيوان ، ظهر الإنسان ... لكن أبرز المتوسطين بين الحيوانات والإنسان ، هو القرد . إذ إنه شبيه للإنسان ظاهرًا وباطنًا عدا شعره وذنبه .

8 ـ الإعمـــار :

إن الهندسة العمارية العثمانية ، هي إحدى أكبر مظاهر المدنية الإسلامية ، ومن أهم بحوث تاريخ الفن البشري ، وعند النظر من مسافة بعيدة إلى إحدى المدن ، يمكن تمييز الآثار الإعمارية العثمانية فورًا . إذ إنه أسلوب عماري يمتاز بصفاته المميزة وطابعه الخاص . هدمت 90 ٪ من الآثار العمارية العثمانية الموجودة داخل يوغوسلافيا الحالية في 1976 (نعمة الله حافظ ومجاهد عاصم ، **Vakiflar Dergisi** ,11 ,205) . وهدمت 99 ٪ من الآثار الموجودة في اليونان ، بلغاريا ، رومانيا ، وهدمت 9 , 99 ٪ من الموجودة في المجر . وهدمت كذلك 40 ٪ من تلك الموجودة ضمن حدود تركية الحالية .

إن أيا صوفيا ، هو أقدم أثر أوروبي دام حتى اليوم بفضل ترميمات واهتمام الأتراك المستمر (، و**Teaschne** ، **Encyclopedie de l'islam** ، nouvelle èdition **Sussheim** ، 1 - 799) . سمّيت حركة الإعمار العثماني باسم « حمّى الإعمار العثماني » . اشتهر في العصر 15 مراد الثاني وحفيده بيازيد الثاني كسلطانين اهتمّا بحركة الإعمار . ليس لمحمد الثاني الفاتح (1451 - 1481) الذي هو ابن الأول وأبو الثاني شهرة كهذه . لأنه سار للقتال في كل عام ولم يتمكن من الانشغال كثيرًا بالإعمار . ورغم ذلك فإنه تم على عهد سلطنته التي دامت 30 سنة تشييد الآثار التالية (**Fatih Devri Mimarisi,** **E.H. Ayverdi** 6 ب — 37, 87, 447 ب) : 308 جوامع ؛ 17 منها حوّل من كنيسة (184 منها في إستانبول ، 33 في بورصة 28 في أدرنة ، 59 في مدن أخرى) ، 57 مدرسة دينية) (24 في إستانبول ، 13 في بورصة ، 7 في أدرنة ، 13 في مدن أخرى) ، 59 حمّامًا عامًا (32 في إستانبول ، 11 في بورصة ، 6 في أدرنة ، 10 في مدن أخرى)

29 سوقًا مسقوفًا لبيع الحاجيات الثمينة ، ومنزل كبير للمسافرين (12 في إستانبول ، 6 في بورصة ، 11 في مدن أخرى) ومنشآت أخرى معادلة لما ذكر .

كان لدى العثمانية مهندسون عماريون ذوو خبرة واسعة . زار سنان جميع الأقطار من إيران إلى المجر ودقق الآثار العمرانية منذ العصور الغابرة إلى عصره ، التي ما زالت قائمة والتي اندثرت ، من الناحية التكنولوجية ومن الناحية الفنيّة الجمالية . خرج المهندس العماري قوجا محمد أغا باني جامع سلطان أحمد ، بجولة تدقيقية إلى الأناضول ، البلاد العربية ، دول البلقان ، قرم ، المجر، مالطة ، ألمانيا ، إسبانيا والأقطار الأخرى وزار الآثار العمرانية الموجودة فيها وقدّم تقريره إلى السلطان مراد عند عودته (جعفر جلبي ، **رسالة عمارية**) . كان المهندس العماري العثماني يخطط أولاً ، خارطة الجامع الذي سيقوم بإنشائه ، ثم يعمل نموذجًا مجسمًا منه إلى الشخص الذي سيتولى الصرف عليه ، ولا يبدأ بالبناء إلاّ بعد أن يحوز إعجابه ويحصل على موافقته حول ميزانية الإنشاء . كتب جعفر جلبي كيفية تقديم محمد أغا نموذج جامع سلطان أحمد إلى أحمد الأول وحصوله على موافقته (**تاريخ جامع شريف نور عثماني** ، 6) . كانت نقوش الجامع تخطط أولاً على الورق ، ومن ثم تؤخذ موافقة مهندس المعمار النقاش (باركان **Suleymaniye Camii** ، 64, 1) . إذ إن المعمّار كان مسئولاً عن ملاءمة كل زينة ونقش يجرى لذلك الأثر من الناحية الذوقية والجمالية . بدأ سنان بإنشاء صالة في سراي طوبقابو بعد أن عرض خارطتها على سليم الثاني وحصل على موافقته (أحمد رفيق **Turk Mimarlari** ، 74) . لا ينشغل المعماربأمور الصرف . ويعيّن لهذا الغرض أحد متخصصي المالية – المحاسبات المسمى « بناء ناظري » أو « بناء أميني » أي ناظر أو أمين البناء . إن لرئيس المهندسين الحق في اختيار الفني ، المعمار ، الأستاذ (الأسطة) ، والعمال .

كان يوجه اهتمام كبير لصيانة الأثر العماري من الناحية الجمالية . لا تشيّد أبنية من شأنها أن تضيّق الشارع . تهدم فورًا الأبنية التي تقترب إلى الجامع مسافة تقل عن 5 أذرع من جميع أطرافه . إن المنطقة الممنوعة بالنسبة لجامع أيا صوفيا ، كانت 35 ذراعًا . لا يجوز لأي بناء الاقتراب إلى أيا صوفيا مسافة 35 ذراعًا من جميع

جهاته . تهدم البيوت التي تقترب من أسوار إستانبول مسافة 5 أذرع من الداخل والخارج . هدم سنان في 1539 البيوت التي اقتربت إلى الأسوار مسافة 5 أذرع . ثم أخل بالمنع ثانية . عاد سنان وهدمها في 1559 . والمعلوم أن أسوار إستانبول لم تستعمل أبدًا منذ 1453 لأغراض عسكرية ولم يوجد فيها جيش وحوفظ عليها وعني بصيانتها من الناحية الجمالية ومن الناحية الأثرية التذكارية . تم اصلاح الأجزاء البالية في الحال (أحمد رفيق ، 67, XVI Asirda Istanbul) .

إن وزير إعمار الإمبراطورية ، كان رئيسًا لمهندسي السلطان . بقي سنان في هذا المنصب الذي أنشىء عام 1453 مدة 50 عامًا (31 / 8 / 1538 - 9 / 4 / 1588) . نظم الإمبراطورية بموجب ذوقه الفني الهندسي . كان رئيس المهندسين ، تابعًا للسلطان . ولم يكن عضوًا في الديوان الهمايوني . ولكن كانت تجوز دعوته إلى الديوان للتشاور . ألغى محمود الثاني في 1831 منصب رئاسة المهندسين العماريين ونظارة القلاع ووحدها تحت اسم مديرية الأبنية الخاصّة ، وشكلها في نهاية 1836 باسم « مجلس أمور نافعة » (مجلس الإعمار) ، وأخيرًا أسس نظارة التجارة والإعمار (1839) وأدخلها في عضوية الوزارة . إن آخر رئيس مهندسين للسلطان (خاصة عماري) (1825 - 1831) هو عبد الحليم أفندي ، وأصبح أول مدير للأبنية الخاصة . إن مهندسي الخاصة كانوا يتخرجون في مدرسة الهندسة العمارية للحدائق الخاصة (السلطانية) . أغلق محمود الثاني مدرسة السراي هذه . وحول العمل إلى المهندسين العسكريين . ولكن على إثر ثبوت قصور الأبنية التي شيدها العسكريون من الناحية الذوقية الجمالية أسست في 1881 أكاديمية الفنون الجميلة التي كانت تسمى صنائع نفيسة مكتبي . وأصبح الأركيولوجي والرسام عثمان حمدي بك أول مدير لها .

إن الفن العماري العثماني هو استمرار للفن العماري السلجوقي . إلا أن العماريين الأتراك وجدوا أن النقوش المتداخلة والتزيينات الكثيفة للإعمار السلجوقي ، غير ملائمة للذوق التركي ، وإنما تلائم الذوق الفارسي والعربي . والمئذنة العثمانية ، لا تشابه المآذن الإسلامية السابقة ، كما أنها لا تشابه المآذن السلجوقية ؛ رفيعة وطويلة . اقتبست من الأبراج الأربعة في القلاع التركية وطوّرت على هذا الأساس .

أكسب سنان هذا الطراز، العمارى العمارى أسلوبه الكلاسيكي . وبالنسبة إلى المؤرخ العماري الألماني Heinrich Gluck (487) فهو عماري أعظم من ميخائيل أنجيلو . « أعظم عماريي عثماني ، وأحد أعظم عماريي العالم » (IA, Thomas Menzel ، 392, 5 ب) ، إن الآثار العمرانية التي بناها سنان ، ليست أقل من الناحية الفنيّة ، من الآثار العمرانية الأوروبية لعصر النهضة العلمية » (Islam, Wilhelm Barthold Medeniyeti ، 140) . شيّد سنان 441 أثرًا عماريًا في أقطار مختلفة جدًا من الإمبراطورية وعلى رأسها إستانبول (81 جامعا ، 50 مسجدا ، 55 مدرسة ، 19 مقبرة ، 14 منزلاً ، 3 مستشفيات ، 7 سدود ، 8 جسور ، 16 منزلا استراحة كبيرة (كروانسراي) ، 33 سراي ، 32 حمّاما ، 6 مخازن ، 7 دور الحفّاظ) .

يعتبر جامع سليمية (سليم الثاني) في أدرنه ، الذروة بين الآثار العمرانية لسنان . إن لكل من منائره الأربع 3 شرفات وارتفاعها 50 , 70 مترًا . إن المنارة الوحيدة في العالم التي يفوق ارتفاعها هذه المنائر الأربع هي منارة قطب منار في دلهي (50 , 72 مترا) ، لكنها سميكة ومشيّدة على قاعدة مساحتها 14 م^2 . يصعد إلى كل من الشرفات الثلاث في اثنتين من منائرها من سلم مستقل ، والصاعدون لا يرى أحدهم الآخر ويسمعون أصوات أقدامهم فقط . إن قطر قبّته الوحيدة العظمى 28 , 31 م . أعلى من قبة أيا صوفيا بـ 6 أذرع وأعمق منها بـ 4 أذرع . تكلف تشييده خلال 1568 - 74 مبلغًا قدره 265 مليون دولار بالسعر الرائج حاليًا .

إن المساحة التي تشغلها الكليات العثمانية والتي يشترط أن يكون في وسطها جامع ، واسعة جدًا . فمثلاً ، أسّست كلية سليمانية على مساحة قدرها 700 ألف م^2 ، وللمقارنة ، سراي طوبقابو 699 ألف م^2 ، سراي أدرنة الإمبراطوري 3 ملايين م^2 ، دولة الفاتيكان 500 ألف م^2 ، دولة موناكوميلون 500 000 ألف م^2 ، ، مجمّع الكرملين في موسكو 120 ألف م^2 ، كلية فاتح في إستانبول 120 ألف م^2) .

أعظم أثر عماري لسنان في إستانبول هو جامع سليمانية ذو 4 منائر . العماري قوجا محمد أغا ، هو تلميذ سنان . وهو معمار جامع سلطان أحمد . بني لهذا الجامع 6 مآذن وجاهد في أن يكون داخل الجامع مضيئًا جدًا ويبعث على الانشراح كما يشاهد ذلك في بعض جوامع بورصة (أولو جامع ليبلديرم بيازيد ، ويشيل جامع لابنه جلبي

محمد) . ويعرف في أوروبا باسم « الجامع الأزرق » Blue Mosque بسبب ألوان خزفه . قطر قبته 60 , 33 م وهو أكبر من أياصوفيا بـ 60 , 2 م (تحسين أوز ، 126) . مجموع الشرفات في المآذن الستّة 16 . يضاء بواسطة 22 ألف قنديل (حاليًا مصباح كهربائي) . كان عدد موظفيه ومستخدميه في العصر 17 ، 750 شخصًا . صرف لتشييده مبلغ 450 مليون دولار تقريبًا بالسعر الرائج حاليًا . إذ إن الأراضي التي شيّد عليها كانت تحتوي على سرايات قيّمة جدًا ، اشتريت من أصحابها .

أشهر المهندسين العماريين للعثمانية هم : معمار يشيل جامع ويشيل تربة في بورصة الوزير الثاني حاجي عوض باشا (وفاته 1429 ؛ معمار جامع ياووز سلطان سليم في إستانبول علاء الدين علي بك (وفاته 1537) ؛ المعمار قوجا (الكبير) سنان أغا الذي عاش 98 عامًا (29 / 5 / 1490 - 9 / 4 / 1588) ؛ معمار جامع سلطان أحمد قوجا محمد أغا (1553؟ - 1625؟)؛ معمار « يني جامع » مصطفى أغا (وفاته 1666) .

إن مجرد ذكر الآثار العمرانية العثمانية المتنوعة جدًا والتي وصلت إلى الذروة في نوعيّتها ، بل وحتى ذكر أثر واحد من كل نوع منها . سوف يطول جدًا ، لذلك ، سأكتفي بذكر عدة أمثلة للآثار العمرانية خارج الإعمار الديني وهو بناء الجسور .

الجسر الذي شيده القانوني في الهـور . على منعطف نهر الطونة – درافا والبالغ طوله 8 665 خطوة ، ظل مدة طويلة كأطول جسر في أوروبا (TAD 7 ,262) . يمر ذكره في التاريخ العثماني باسم « جسر أوسيك » Osiyek . مرت عليه جيوش عثمانية كبيرة جدًا إلى المجر ذهابًا وإيابًا . جسر أركنة Ergene (أوزون كوبري) لمراد الثاني (1421 - 1451) ذو 174 قنطرة طوله 240 1 م . ولا يزال قائمًا في تركية (سداد جتينطاش ، 13, 1) إن عرض جسر Moster الذي أمر القانوني في 1566 بإنشائه من قبل سنان على نهر Narenta في هرسك 27 , 34 م وارتفاعه 19 م . طوله 100 م . إن بلوغه هذا الارتفاع بقنطرة واحدة تدعو إلى العجب والدهشة . وهو قائم حاليًا في يوغوسلافيا. كتب السائح الفرنسي A. Poullet الذي شاهد الجسر عام 1658 « دهشت للجرأة في إنشاء هذا الجسر الذي لا يقبل المقارنة ؛ كانت قنطرته الوحيدة ، أعرض من جسر Realte الذي يعتبر من خوارق الفن العماري البندقي ». وعبّر النمساوي

R. Michel الذي زاره في 1912 أي بعد 346 سنة ، عن إعجابه ودهشته بالكلمات التالية « هلال صار حجرًا ... أثر لا مثيل له في كل العالم ... » (IA Mostar ، 1430) . إن الجسر الذي شيّده الوزير الثاني داماد غازي جوبان مصطفى باشا في 1529 كأعمال خيرية ، موجود حاليًا على بعد 10 كم من الحدود التركية داخل بلغاريا . يجتاز، نهر مريج من جهتيه وطوله 295 مترًا (Belleten S. Eyice ، 28 ,730 - 747,1 - 52) . ويذكر المؤرخ البلغاري Radzeff في 1960 أن « تخطيطه متقن إلى درجة يستحيل معها أن تكون هناك خطة أخرى بديلة عنه . إن جميع الآثار الموجودة في بلغاريا جديرة بأن تحوز إعجاب من يشاهدها . وهي اليوم متينة كما في السابق » شيّد مصطفى باشا بالقرب من هذا الجسر منزلاً عظيمًا للمسافرين (كروانسراي) تبلغ مساحته 725 4 م^2 ويستوعب اسطبله 3 آلاف حصان . وقرب المنزل ترتفع أبنية جامع ، مطبخ لإطعام المحتاجين ، خان ، حمّام ، سوق كبير ، أسواق صغيرة ، مدرسة وهي خيرات الباشا نفسه . وقد شيّد الباشا ذاته أيضًا كليات مشابهة لهذه في كبزه واسكي شهر ,Salomon Sehweigger **Reysebesehreibung aus Teutschland Constantinople** ، نورمبرغ 1608 ,47 - 8) قال Cornelius Von den Driesch الذي شاهد الجسر في 1723 « جسر خارق للعادة بجماله ، يندر أن يشاهد مثيل له في أوروبا كلها » Ungemein Schonen Brucke, dergleichen) **Historische Nachricht** (man in ganz Europa Wenig sehen wird ، نورمبرغ 1723 ، 125 - 6) . صرف مصطفى باشا ، لإنشاء جسر مصطفى باشا وكليّته مبلغًا قدره 42 مليون دولار بالسعر الرائج حاليًا » . يجب أن نذكر أن العثمانيين من أكبر مشيدي الجسور في التاريخ العالمي . إن الجسور العثمانية ، مظاهر حضارية وفنيّة حقيقية » (.K Kienitz **Alte Turkenbruerken, Mitteinlungen d'Deufsch - Turk . Gesel.**, No. 51, Bonn 1963, P . 6 - 10) ، وهناك جسور من صنع سنان (جسر سنانلي في آلبولّي Alpullu (تراقيا الشرقية) ، جسر بيوك جكمجه ذو 32 قنطرة في سيليوري قرب إستانبول ، جسر كبزه Gebze ، جسر Drina قرب Visgrad في بوسنة الذي موّله صوقوللو محمد باشا) ، تحتل مكانها كذلك بين الآثار العمرانية المتفوقة للعثمانية . اكتسب جسر درينا صفة الخلود في القلوب والأذهان عندما ذكره الكاتب الروائي Ivo Andriç الذي حصل على جائزة نوبل ، في إحدى رواياته

(Na Drini Euprija = جسر درينا ، 1945) . ومن أجمل نماذج الجسور العثمانية التي هدمها اليونانيون جسر Vardar قرب سلانيك 210 م ، جسر بني شهر (Larissa) على نهر بينتوس قرب تيساليا ، جسر Narda (Arta) 142 م على نهر Arahtos .

إن منشآت توزيع المياه العثمانية ، الجداول ، قناطر المياه ، البنود تعتبر آثارًا هندسية عظيمة كذلك . جلب القانوني في 1532 الماء إلى مكة ، وفي 1552 إلى القدس من أماكن بعيدة جدًا . إن قناة كربلاء التي تربط الفرات بماء عبيد التي أنشأها القانوني في 1544 هي إحدى المنجزات العثمانية العظيمة (Stripling The Ottoman Turks and the Arabs ، 1511 - 1574 ، أوربانا 1942 ، 81) .

إن عظمة النظام والكمال العمراني والقيمة الفنية لشبكة الطرق العثمانية والمنازل والخانات المشيدة عليها ، تخلب الألباب . تشمخ هذه الآثار العثمانية على طريق حج إستانبول ــ مكة والطرق التجارية الرئيسية كإستانبول ــ أرضروم ، استانبول - بغداد ، إستانبول - القاهرة ، إستانبول - بودين ، وفي الأقطار الأبعد كتونس والجزائر وفي الأماكن من الدرجة الثانية الأقل عددًا في السكان (J . Sauvaget, Les Caravansèrails Syriens du Hadjdj de Constantinople, Ars Islamica, 1937, 98 - 121) . إن الخان التجاري الذي شيّده فاتح قبرص لالا مصطفى باشا فيها في فترة شبابه عندما كان واليًا (بكلر بك) على الشام ، كان يحتوي على 360 غرفة ، بقي مسجده فقط حاليًا (Wulzinger, Watzinger Damaskus ، برلين 1924 ، 52 - 4) . إن الكلية التي شيدها الباشا ذاته في قنيطرة قرب الشام (أولياء ، 133, 3) والكلية التي شيدها في إيلغين 1574 - 84 ، والجوامع في مدن كثيرة كقارص ، تفليس ، لفكوشه جميعها أعمال خيرية .

إن الأسواق العثمانية المسقوفة وأسواق الحاجيات الأثرية منجزات تدهش المرء . إن سوق إستانبول المسقوف هي أكبر سوق مسقوف على وجه الأرض حاليًا أيضًا . تبلغ المساحة التي يشغلها 300 ألف م^2 ويحتوي على 20 ألف صاحب عمل . ويحتوي كذلك على 4 آلاف مخزن ، 5 جوامع ، مدرسة ابتدائية ، 10 حنفيات عامة ، و 61 زقاقًا ؛ هذا عدا 21 خانًا كبيرًا خارجه لكنه ملاصق له . إن جميع شوارعه مسقوفة تمامًا وهذه الأزقة والمخازن جميعها تحت هيكل سقف واحد . لا يجوز دخول

الخيل أو العربات والسيارات فيه . كان البادشاه فقط في العهد العثماني يدخله ممتطيًا حصانه والسلطانة ـ الوالدة تدخل بالعربة . إن أبوابه الـ 18 التي تفتح على المدينة ، ذات سلاسل . وتعتبر كذلك سوق مصر في إستانبول التي شيدتها تارخان والدة ـ سلطان (1662) بواسطة المعمار مصطفى أغا ، من أكبر الأسواق المسقوفة .

إن فن البناء العسكري العثماني ، متقدم كذلك بنفس الدرجة . تشاهد القلاع العثمانية شامخة في أقطار لا تخطر على البال . وقد حافظ العثمانيون على القلاع القديمة الموجودة في الأقطار الداخلية و لم يهدموها لفقدانها قيمتها العسكرية . كانت قلعة إسكندرية (أبو قير) التي شيّدها في 1528 بكلر بك مصر سليمان باشا الذي صار بعدها صدرًا أعظم ، قلعة عظيمة يحيطها البحر الأبيض من جهاتها الأربع (أولياء ، 9 ,1 - 7) . ما زالت بقايا القلاع العثمانية شاخصة في بودين ، في المجر ، استركون وفي Sigetvar .

إن « المنازل » التي شيّدت لتشكيلات « البريد » ، كانت محطات لتبديل خيول سعاة البريد . البقايا المتبقية من آثار معامل السفن ، المدافع والبارود تثبت لنا مبلغ عظم الأبنية والمنشآت العثمانية بصورة واضحة .

إن هندسة الحدائق العثمانية ، هندسة المياه ، الهندسة الداخلية ، أيضًا بالمستوى نفسه . إن تعلق العثمانيين بالأزهار ، مشهور . الدولة الوحيدة التي أطلقت على فترة من فترات تاريخها اسم زهرة ، هي الدولة العثمانية (دور لاله « سنبل » 1718 - 1730) . دوّن أحمد كامل أفندي في كتابه الذي حرّره في 1753 عن زهرة اللالّه ، اسم 558 متخصّصًا في زهرة اللالّه . تمكن العثمانيون من استنباط 1350 نوعًا من زهرة اللاله وأطلقوا على كل نوع منها أسماء خاصة .

إن الزينة والتأثيث الداخلي ، بسيط ، بعيد عن المبالغة في المظهر ويمتاز بالوقار . لا يوجد أثاث كثير . يبدأ دور الأثاث الكثير والمبالغة في المظهر في الهندسة العمارية الداخلية ، مع التنظيمات وتزول مظاهر الوقار السابق .

9 ـ الرسم (المنيمنات (الرسم الصغير جدًا) Minia ture) والكتابة (الخط) :

كان الأتراك القدامي يصنعون التماثيل . استمر السلجوقيون على هذا التقليد رغم

تحريم الإسلام لذلك . أمر علاء الدين كيكباد بصنع هياكل كثيرة (ابن بي بي ، 254) . سياح كثيرون بحثوا عن التماثيل في قونية . ولكنها رفعت بعد ذلك باعتبارها مخالفة للإسلام . ومع ذلك توجد نماذج تماثيل كثيرة جدًا متبقية من العهد السلجوقي ، حتى يومنا هذا . استعاض العثمانيون في إشباع رغبتهم بالتماثيل ، بنحت أحجار القبور . إن المقبرة الكائنة في أخلاط Ahlat التي عاش فيها العثمانيون عصرًا ونصف العصر قبل مجيئهم إلى ضفاف سقاريا ، هي مدينة موتى مليئة ببدائع فن النحت الحجري . ويشاهد الفن الأثري ذاته في أحجار القبور كذلك .

اعتبر الرسم ذو البعدين (المجسم) محرّمًا في الإسلام . لكن الرسم المصغر ذا البعد الواحد (منياتور) كان موجودًا . وبالطبع لم تكن العثمانية تجهل اللوحات على الطراز الأوروبي ؛ حيث إنها كانت الدولة التي حكمت أقطارًا أوروبية عديدة لعصور طويلة . جلس فاتح أمام الرسام البندقي Bellini ليرسمه بالأصباغ الزيتية . أما نشوء الرسامين الأتراك ، فيبدأ مع حماية السلطان عزيز (1861 - 1876) الذي سمح بصنع تمثاله لأول مرة والذي كان هو رسامًا بالذات . إن أكبر رسام عثماني ، هو الأركيولوجي الشهير عثمان حمدي (1842 - 1910) ، وهو ابن الصدر الأعظم أدهم باشا .

إن أشهر رسامي المنينمات (الصور المصغرة) هم : نكاري حيدر بك (وفاته 1572) ، النقاش بوسنه لي سيّد عثمان أفندي (وفاته 1590؟) ، ولوني (وفاته 1732) في دور لاله . وهناك نقاشو الخاصة الذين يرسمون دائمًا الصور المصغرة على الكتب في السراي . أرسل فاتح ، بورصة لي سنان بك الذي رسم تصويره الجانبي وهو يشم الورد ، إلى البندقية لتحصيل الرسم وتعلّم على يد Mastori Pavli Dragoza . وتعتبر كذلك ، الصورة الجانبية لفاتح وهو جالس متربعًا يشم القرنفل التي رسمها سيّد لقمان ، من أرقى نماذج طراز المنينمات القريب إلى الرسم . والمعروف عن باووز أنه رسّام وأنه رسم لوحة واقعة جالديران . كان للسراي في عام 1525 ,41 رسامًا . إن شاهقولو الذي قدم من تبريز في غضون عام 1520 إلى سراي إستانبول واستوطن فيه ، هو تلميذ بهزاد (1455? - 1537?) الرسام المنياتوري لتركية الشرقية وأكبر أستاذ في طراز رسم المنينمات في التاريخ . وقد نشأ كذلك ، عدة أساتذة في الفن المسمى « قطع » وهو

عمل نقوش على الورق بطريقة قصّه .

والمعروف عن الأتراك العثمانيين أنهم اشتهروا كذلك في التاريخ بإنجابهم أعاظم الفنانين في الخط . إن أشهر الخطاطين في العثمانية هم شيخ حمد الله (1429 - 1520) ، وقره حصاري أحمد شمس الدين أفندي (1468 - 1556) ، ستّار أفندي الإستانبولي الذي ذهب إلى الهند لأجل خط كتاب تاج محل (وفاته 1670) ، حافظ عثمان أفندي (1642 - 1698) ، قضعسكر مصطفى راقم أفندي (1758 - 1826) ، قضعسكر يساري - زاده مصطفى عزّت أفندي (1776 - 1849) ، وقضعسكر توسيالي مصطفى عزت أفندي (1801 - 1876) وهو ملحن كبير في الوقت ذاته . لم يتمكن العثمانيون من سبق الإيرانيين في خط التعليق . العثمانيون ، هم الأوائل في كل أنواع الخطوط الأخرى (يجب استثناء العرب في الخط الكوفي ، لم يستعمل العثمانيون الخط الكوفي بكثرة) . نشأ خطاطون عظام بين السلاطين : مثل أحمد الثالث ، محمود الثاني وعبد المجيد الأول ، إن أعظم المصاحف المخطوطة كتبت بيد الخطاطين الأتراك . لقي الخط العثماني اعتبارًا كبيرًا لدى العالم الإسلامي بأسره . إن لقب « خطاط » كان رسميًا . ويلزم لحيازة هذا اللقب بجدارة ، أن يعمل سنوات طويلة مع خطّاط واحد على الأقل ويحصل منه على إجازة (شهادة) موقعة بتوقيعه . لم تخل إستانبول من آلاف الخطّاطين في جميع الأدوار . ويمكن القول إن العثمانيين قد أشبعوا رغبتهم في الرسم ، باشتغالهم بهذا الفن . كل تركي ، أظهر محبة فائقة تجاه فن الخط .

10 - صناعة الخزف :

إحدى أرقي الصناعات العثمانية ، هي صناعة الخزف . أطلق العثمانيون على هذه الصناعة ، التي سمّاها الإيرانيون « كاشي » ، اسم « صيني » بسبب انتقال فن صناعة الخزف من الصين ، وهي إحدى الصناعات التي اشتهر بها العثمانيون عالميًا ، لم يهتم العثمانيون بصناعة الموزائيك البيزنطية ، رغم أنهم يملكون نماذج كثيرة منها . وفضلوا الصيني (الخزف) . وقد نشأ رسامون ، خطاطون وأساتذة مختصون بتناسق الألوان وامتزاجها على الخزف . يستهلك الكثير من الخزف في الأبنية الكبيرة . استعمل لجامع

سلطان أحمد 21 043 قطعة خزف . كان في إيزنيك ، في العصر 16 ، عدد 300 معمل للخزف . وقس على ذلك بالنسبة للمدن الأخرى ؛ إذ إن العثمانيين أحبّوا صناعة الخزف واستعملوها في أبنيتهم العسكرية ، الدينية ، والمدنية ومختلف أبنيتهم . قام متخصص الخزف المسمى دلي محمد ، بتزيين الجامع الأخضر لمحمد جلبي وقبره الأخضر بقطع من الخزف وصيّرها كأنها أركانًا نموذجية من أركان الجنّة ، إن جامع الصدر الأعظم رستم باشا في إستانبول (أمين أونو) الذي بناه سنان ، وشقة الحرم التي شيّدها سنان كذلك في سراي طوبقابو وباطن مقابر سليم الثاني ومراد الثالث التي شيّدها سنان كذلك في فناء أيا صوفيا ، مليئة ببدائع فن الخزف العثماني . إن أكثر الألوان استعمالا ، هي « الأزرق التركي » « أحمر طماطم العثماني » ، الأزرق الغامق ، الأصفر ، الأخضر .

11 – صناعة السجاد :

صناعة عثمانية كبيرة أخرى ، هي صناعة السجّاد . صناعة تركية قديمة جدا . إن المنيمات وصناعة السجاد ، انتقلت من الأتراك إلى الإيرانيين (TK, Alessio Bombaci ، رقم 20 ,38 - 9 :Rasonyi ,48) . حتى 1918 ، كانت الدولة العثمانية تبيع للأقطار الأجنبية سجادًا بمبالغ تزيد على 8 ملايين ليرة ذهبية سنويًا . يتّضح من هذا الرقم ، أهمية صناعة السجّاد . يصنع السجّاد والأبسطة في جميع نواحي تركية . إن نقوش التركمان ، لها طابع خاص متناسق . لا تبهت الأصباغ النباتية ولو مضت عليها عصور . لا يمكن تصوّر عدد الغرزات المتراصة التى تغرز على 1 سم^2 من السجّاد . يصنع السجاد الحريرى بالإضافة إلى السجّاد الصوفي . لكن صناعة السجاد الحريري في إيران ، أرق . ومنذ 1860 وحتى يومنا هذا ، يصنع السجاد من النوعية الفاخرة جدا في معمل هركه Hereke الذي أسّسه السلطان عبد المجيد . فرشت كل سرايات التنظيمات بسجاد هركه . ولغرض الاطلاع على أسماء كبار أساتذة صناعة السجاد العثماني للعصر 16 ، انظر Turk Sanati Tarihi Arastirmalari ، 1 ,731 .

12 – صناعة الأقمشة :

إن تركية من الدول المصدرة للمنسوجات ، الألبسة الجاهزة والأزياء وحاليا هي

كذلك . ومنذ العصر 15 ، لم يفقد القطن ، الكتّان ، الصوف ، الأقمشة الحريرية قيمتها في العالم أجمع ، كمستوردات من الدرجة الأولى (لوكس) . كانت بورصة مركزًا للمنسوجات الحريرية . أما مركز منسوجات صوف الماعز الذي يسمى « Sof » (Angora » فكان في أنقرة . كانت منسوجات العثمانية في العصر 16 ، تعتبر درجة ممتازة (لوكس) وفي الوقت ذاته أرقاها من ناحية قيمتها الصناعية . ولغرض الاطلاع على أسماء 650 نوعًا من المنسوجات العثمانية ، انظر **Tarih Dergisi, Turkcede Kumas, Adlari. M. E. Ozen** 33 ,1982 , 291 - 340 .

13 – صناعة الجلود :

أظهر الأتراك تفوقًا كبيرًا في مجال صناعة الجلود منذ فجر التاريخ . إن الحذاء الطويل التركي الذي يستخدم في ركوب الخيل ، حافظ على أفضليته في العهد العثماني . كانت المصنوعات الجلدية ، حتى العصر 18 كأنها محتكرة في الأناضول وروملي . أرسلت إنكلترا وفرنسا عمالها للهرة إلى العثمانية ليتعلموا دقائق الصناعة . الأحدية الخشبية (القباقيب) العثمانية هي كذلك صناعة فنيّة عثمانية مشهورة جدا .

14 – التجليد ، تأليف الكتب وخطّها ، التذهيب :

كان التجليد فرعًا مستقلا مهمًا . إن الجهد الذي يصرف لكتابة وتذهيب وتجليد الكتاب والدراهم التي تنفق لجعل الكتاب أثرًا فنيا في الوقت ذاته ، مذهل . صرف سليم الثالث مبلغًا قدره 000 3 ليرة ذهبية لكتابة ديوان الشيخ غالب أكبر شاعر في عصره البالغ عمره 34 عامًا الموجود حاليًا في متحف مكتبة جامعة إستانبول (رقم 5531) .

منحت بيخان – سلطان ، أخت السلطان نفسه الشيخ غالب 000 10 ليرة ذهبية عن القصيدة التى أتحفها لها ، كعطية (أجر تأليف) .

صرف مبلغ 930 284 آقجة (تعادل 7 , 2 مليون دولار بالسعر الرائج حاليًا) كأجور رسم المنينات . وتذهيب وتجليد 6 مجلدات من كتاب سير نبي باللغة التركية

التي جهزت خصيصًا للسلطان مراد الثالث والمشهورة لدى الأوساط العالمية .

التذهيب ، هو تزيين الكتب المخطوطة النفيسة بطبقة من الذهب الذي يكون على شكل طبقات ورقية رقيقة . كان يطلق على الذي يصنع هذه الأوراق اسم « آلطون ورقجي » (ورّاق الذهب) والذي يشغل هذه الأوراق على الكتب اسم « مذهّب » . أرق النماذج ، صنعت في إستانبول . كان 345 مذهبًا يعملون في هذه المدينة قبيل عام 1640 (أولياء ، 1 ,608 - 9) ، إن ورّاقي الذهب خارج هذا العدد . استعمل التذهيب على نطاق ضيق ، في الإعمار المدني وخاصة في جدران وسقوف شقق الحرم . والمعلوم أن سفينة السلطان وسفينة الأميرالية لقائد القوات البحرية ، تطلى بالطلاء الذهبي . وتكسى النطف الموجودة على قبب الجوامع والمآذن التي تسمى « علم » بطبقة سميكة من الذهب وهكذا كانت تستهلك كمية كبيرة من الذهب لتزيين الجوامع السلاطينيّة .

15 ـ صناعة فخار (البورسلان) ، الزجاج ، الجواهر :

كانت هناك صناعة فخار (بورسلان) . لكنها لم تصل إلى مستوى الفخار الصيني . لذا جمع السلاطين وخاصة سلاطين العصر 16 في سراي طوبقابو أغنى مجموعات الفخار الصيني والتي من بينها ما كان مقدمًا كهدايا من الحكام الآسيويين أو كضرائب . ما زالت هذ المجموعة ، موجودة حاليًا ، يشاهدها بإعجاب وتقدير أولئك الذين يقدرون قيمة البورسلان الصيني القديم .

يبلغ عدد قطع الفخار الصيني (البورسلان) الموجودة في طوبقابو 000 12 قطعة من أنواع يستحيل تقليدها حاليًا ، وإنه لمما يدعو إلى الدهشة أن يتم في العصر 16 تجميع مجموعة كبيرة كهذه من قطر كالصين . إن 269 قطعة من البورسلان الموجود في سراي طوبقابو ، مرصّع (مطعم) بالجواهر . أما عدد البورسلان المرصع المسجل في الكتالوك في بقية أقطار العالم كله فهو 5 (خمسة) ، ويوضح ذلك قيمة البورسلان الصيني الموجود في مجموعة طوبقابو . ويأتي الزمرّد والياقوت ، على رأس الأحجار الكريمة التي طعّمت به قطع البورسلان وتكمّلها التزيينات المصنوعة من اللؤلؤ ، الياقوت الأزرق ، الفيروز ، المرجان ، الذهب ، الفضة وما شابه ذلك .

كانت صناعة الزجاج والزجاج الملوّن العثمانية ، متقدّمة أيضا . سرخوش إبراهيم الذي صنع زجاج جامع سليمانية الملوّن ، كان الأستاذ الأكبر لهذه الصناعة . وفي النصف الثاني من العصر 19 ، أصبحت صناعة البورسلان والزجاج العثمانية صناعة كالية ، وأخيرًا ، أسس المعمل الهمايوني ومعمل زجاج باشا بقجه . توجد أنواع فخّار (بورسلان) ، خزف وزجاج ثمينة جدًا لا يمكن صناعة مثيل لها في الوقت الحاضر كالمزهريات الزجاجية ، الكاسات وأمثالها الخاصة بالعثمانية والمسماة « جشم بلبل » ، أصبحت موجودة في المتاحف فقط . إن صناعة الكهرب (بالفارسية : كهرباء) ، صناعة المسابح ، صناعة الجبك (غليون طويل لشرب الدخان) ، صناعة الغليون القصير للسجائر ، هي صناعات عثمانية كبيرة لفروع صغيرة . كانت تصنع المسابح من اللؤلؤ والزمرد .

اشتهر العثمانيون بالصياغة كذلك . اشتغل واحد أو اثنان من السلاطين بالصياغة ، كلهم تقريبا كانوا أخصائيين في الأحجار الكريمة . ما زالت الصياغة مستمرة بنسبة معيّنة حاليًا . أيضًا صناعة الحبر ، وإن كانت هذه الصناعة قد زالت بظهور الحبر الصناعي .

16 ـ الأثاث :

انقرضت صناعة الأثاث والأدوات المنزلية والمطبخية العثمانية بسبب قبول واستعمال الطراز الأوروبي في الأثاث بصورة كاملة . بقيت عدة فروع قليلة تعيش حتى اليوم كصناعة النحاس التي ما زالت تنتج صناعات نفيسة وجميلة . تشاهد في المتاحف ، السرايات .

نماذج كثيرة جدًا من الصناديق العثمانية ، الرحلات المطعمة بالصدف ، الموائد ، العلب ، المقصّات ، السكاكين ، الملاعق وأنواع كثيرة أخرى من الأدوات المنزلية التي لا تخطر على البال .

17 ـ صناعة الأسلحة :

وعدا العناية بالجودة في صناعة الأسلحة العثمانية ، فإنه كان يُعنى أيضًا بصورة فائقة

بالناحية الجمالية فيها وتستلفت النظر العناية بهذه الناحية حتى في أبسط الأسلحة . التزيينات التي صنعت في الكبيرة منها ، لا تقدر بثمن ، وكذلك الحال بالنسبة للأسلحة النارية . تشاهد أجمل نماذج في جناح الخزينة والأسلحة في سراي طوبقابو وفي المتحف العسكري في إستانبول وفي المجموعات الأجنبية المختلفة .

صنعت الأدوات الحديدية بعناية وبإتقان فائق . أكثرها كتبت عليها آيات وكتابات جميلة . كثير منها مرصع بالجواهر . وكذلك الحال بالنسبة للحاجيات المصنوعة من الجلود والأقمشة التي تستعمل لحفظ الأسلحة كالأجربة والجعب . يدهش المرء عند مشاهدته الجعب (محفظات النبال) المكسوة في خزينة طوبقابو . وأدوات الصيانة كالدروع (بالتركية : جبة ، Cebe) ، المغافر (بالتركية : توكولغا وبلغة الشعب تولغا) ، والتروس ، تعتبر آيات فنيّة رائعة ولدينا نماذج غنية منها منذ العصر 13 . ومن جملة الأسلحة النارية الغدلرات (المسدس الذي يحشى بالبارود) والبنادق ، كانت تصنع على أحجام وأنواع مختلفة ، وتوجد أنواع مختلفة من الأسلحة الغارزة والضاربة كالمزراق ، الحربة ، البلطة (ضرب من الفئوس) ، والبلطة ذات المزراق التي تسمى « طبر » ويضاف إلى ذلك أنواع أخرى إليها كالششبر (كرة ذات 6 قطع تستعمل في القتال) والكرة الحديدية ذات المقبض (بالتركية = طوبوز) . إن نماذج الصفائح ، السيوف المعقوفة القصيرة ، السكاكين ، السكاكين الطويلة والسكاكين الصغيرة ، تشاهد بدهشة كبيرة ، ولكن أرقى أنواع التفنن تشاهدها في الخنجز المعكوف والسكين والسيف . وكل هذه من خناجر وسيوف مرصعة نجدها في خزينة طوبقابو .

18 – صناعة القوارب :

اشتهرت القطع البحرية ، السفن والزوارق التركية بأنها آيات فنيّة كذلك . إن زوارق السلطنة والزوارق الرسمية الخاصة ، وزوارق طراز بوغاز إيجي ذات المجدافين ، لفتت أنظار جميع السياح بطرافتها . أمكن الاحتفاظ بنماذج نادرة منها في المتحف البحري . لا نجد في عصرنا زوارق عثمانية من طراز بوغاز إيجي ، لا تستعمل . وللتعرف على مشاهير أساتذة صناعة الزوارق طراز بوغاز إيجي في النصف الثاني من العصر 19

انظر Istanbul Ansiklopedisi, 3, 652, 1,1) .

19 – الموسيقى :

الموسيقى الكلاسيكية والشعبية والتصوفيّة العثمانية غنية جدًا . إن العثماني شديد التعلق بالموسيقى « يحتمل ألا يوجد أبدًا شعب على وجه الأرض يعشق الموسيقى كالأتراك » il n'y a peut - ètre aucun peuple surla terre qui soit plus passionè qu eux pour la) musique) (d'Ohsson, IV, 414) .

تنقسم الموسيقى إلى الفروع التالية :

1 – الموسيقى الشعبية : توجد موسيقى شعبية خالصة ، إلا أن للموسيقى الشعبية المتأثرة من موسيقى المدينة ، هي أكثر انتشارًا وأجمل . لها ميزات خاصة نسبة لكل منطقة . موسيقى الساز (الآلية) قليلة . الموسيقى اللفظية أكثر . تستعمل مقامات وأصول الموسيقى الكلاسيكية نفسها ، ولكن في إطار أضيق وبأسلوب أبسط . أغنى نماذج هذا النوع نجده في أغاني روملي وأغاني إستانبول الشعبية .

2 – الموسيقى الدينية : تنقسم إلى قسمين : موسيقى الجامع والموسيقى التصوفية أو موسيقى الطرق (التكايا) . لا تستعمل آلات الساز في موسيقى المساجد ، تستعمل الأنغام الصوتية فقط . وعلى رأسها تلاوة القرآن . يجب على كل حافظ أن يكون قد أتقن الموسيقى أولا بصورة تامة . إن تلاوة القرآن على المقامات التركية ، مرغوب فيها ومقبولة كما هي الحال في كتابة القرآن بيد الخطاطين الأتراك . والمولد ، هو موسيقى مسجدية أخرى خاصة بالأتراك . يطلب الأتراك تلاوة المولد النبوي في كل مناسبة . والمولد قصيدة منظومة طويلة ومؤثرة جدًا نظمت على طراز المثنوي عن حياة الرسول ﷺ في بورصة في السنوات الأولى من العصر 15 من قبل سليمان جلبي . يتلى المولد بأنغام وبمراسم خاصة ، في المساجد أو في البيوت .

تجرى الموسيقى التصوفية ، بتلحين الأشعار المنظومة لشعراء التصوف وعلى رأسهم يونس أمرة . إن شكله (Form) الرئيسي ، هو الغناء الديني الذي يسمى « إلّهي » ، وإن كانت المنظومة عربية تسمى « شغل » . وتوجد أشكال أخرى أيضًا إن الموسيقى

المولويّة ، تشكل أكبر شعبة من شعب الموسيقى التصوفية . تتلى في مراسم المولوية التي تسمى « مقابلة » منظومة ملحنة طويلة جدًا ، تسمى « آيين شريف » (المراسم الشريفة) وتكون على العموم تلحينات من أبيات مولانا الفارسية . تشترك هيئة الساز (الموسيقى) أيضًا مع الموسيقى التصوفية . مثلاً ، الناي ، هو الآلة الموسيقية المقدسة لدى المولويين . وتوجد كذلك موسيقى الساز . لكن الموسيقى اللفظيّة تشكل الناحية الأساسية .

3 – الموسيقى غير الدينية (pro fane) : موسيقى كلاسيكية . وتنقسم إلى قسمين موسيقى الساز (الآلة) والموسيقى اللفظية ، الثانية أغنى بكثير . وتقسم الموسيقى اللفظية إلى قسمين « الأغاني الصغيرة » (وشكلها الرئيسي الأغنية المسماة « شرقي ») و « الأغاني الكبيرة » . إن « الأغاني اللفظية ذات الشكل الكبير » تشكل القطع الأكثر كلاسيكية (كار ، بسته ، سماعي) .

4 – الموسيقى العسكرية : وهي موسيقى المهتر .

« الساز التركي » هو الطنبور الكمنجة والناي . أخذ العود والكمان عن العرب والسنطور عن الفرس ، دخل إلى الموسيقى التركية وخرج منها في فترات ، وتوجد آلات أخرى كثيرة . ومنذ أكثر من عصر واحد ، استعملت آلات موسيقية غربية عديدة وعلى رأسها الكمان .

أشهر الملحنين العثمانيين النوابغ هم خواجه عبد القادر مراغى (1360؟ - 1435) ، شيخ عبد العلي أفندي (وفاته 1575؟) ، خطيب ذاكري حسن أفندي (1545؟ - 1623) ، غازي كيراي خان الثاني (1554 - 1608) ، حافظ بوست (1630؟ - 1694) ، شيخ على شيروغي أفندي (1635؟ - 1714) ، رجب جلبي (وفاته 1701) ، بخارى – زاده مصطفى أطري أفندي (1640؟ - 1712) ، قطبي نايي شيخ عثمان ده ده (- 1730 1652؟) ، طنبوري مصطفى جاووش (وفاته 1745؟) ، أبو بكر أغا (- 1759 1685؟) ، طبعي مصطفى أفندي (1705؟ - 1765) ، حاجي سعد الله أغا (وفاته 1801) ، كوجوك محمد أغا (وفاته 1800؟) ، السلطان سليم الثالث (- 1808 1761) . حمّامي – زاده إسماعيل ده ده أفندي (1778 - 1846) ، دلّال – زاده

إسماعيل افندي (1797 - 1869) ، طنبوري عثمان بك (1816 - 1885) ، زكائي ده ده (1825 - 1897) ، حاجي عارف بك (1831 - 1885) ، طنبوري علي أفندي (- 1902 1836) ، شوقي بك (1860 - 1891) ، رحمي بك (1865 - 1924) ، إسماعيل حقي بك (1866 - 1927) ، طنبوري جميل بك (1871 - 1916) ، سعد الدين آريل Arel (1880 - 1955) – أكبر علماء الموسيقى (موزيكو لوغ) عبد القادر مراغي ، الدكتور صبحي أزكي (1869 - 1962) وآريل . إلا أن علم الموسيقى (موزيكولوجي) ، يستند على سيف الدين عبد المؤمن عمروي (1224؟ - 1294) .

وأهم الملحنين في هذه القائمة هم أطري ، ده ده ، عارف بك ، جميل بك وآريل . عبد القادر ليس عثمانيًا ، هو آذرى (نسبة إلى أذربيجان) كان يروح ويغدو إلى العثمانية ويهدى قطعة الموسيقية إلى البادشاه ، عاش في السرايات التركية في تبريز ، بغداد ، سمرقند ، هرات . لحن أشعارًا فارسية ، منظوماته العربية والفارسية قليلة . إن أطرى وده ده ، من أكبر أساتذة التلحين ، الأول بالنسبة للمدرسة الكلاسيكية ، والثاني بالنسبة للمدرسة النيوكلاسيكية . عارف بك ملحن كبير في شكل « شرقي » وهو الموسيقي الذي فتح دور الرومنطيقية . أما جميل فهو أكبر طنبوري وعازف على الكمنجة وملحن أغاني الساز الكبيرة . آريل أعظم أستاذ تلحين للمدرسة الحديثة وأكبر أستاذ تلحين في الموسيقى التصوفية وموسيقى الساز .

إن أكثر من نصف المقامات الموسيقية الحالية من اختراع العثمانيين . والمقامات الأخرى أخذت عن السلجوقيين .

والرقص الشعبي العثماني ، والرقص الديني (خاصة سماع المولويّة) والرقص الكلاسيكي ، غني جدًا وجذاب للغاية .



البحث السادس عشر

الحياة المعنوية والمادية
التاريخ الاجتماعي والاقتصادي



1 ـ أخلاق وسجايا العثمانية :

ما السمات والخصائص الأخلاقية التي اشتركت في تكوين العثمانية ؟ ؛ للإجابة عن ذلك ، أفضل تقديم الخطوط المميزة للناحية الأخلاقية العثمانية عن الكتّاب الأوروبيين في العهود المختلفة ، باعتبارهم مشاهدين محايدين .

شعور حب الوطن لدى العثمانية مبني على قدسية مفاهيم الدين ، الدولة ، البادشاه ، العائلة ، الشرف . أي شيء يمكن التضحية به في سبيل عدم الإخلال بهذه المفاهيم وصيانة بقاء الدولة وإن أدى ذلك إلى الاستشهاد . ضحى الذين لم يتمكنوا من نيل مرتبة الشهادة ، بأموالهم ؛ ومن أمثلة ذلك القاضي جابان أوغلو عبد الفتاح أفندي الذي صار فيما بعد قاضيعسكر ، فقد وهب ثروته العائلية البالغة 18 ألف ليرة ذهب . في حرب الحياة والموت تجاه الروس عام 1829 قائلاً « يكفيني الراتب الذي تقدمه الدولة » (لطفي ، 2 ,58) .

الشعور بالاستعلاء (بالفرنسية: Complexe de supèrio rcté) واضح لدى العثماني . لا يشك لحظة في كونه من رعايا أشرف دولة .

العثماني مشهور بوقاره ، العثماني جاد ، متأن ومتواضع . ليس هناك تعارض بين التواضع والشعور بالعظمة ، « يندر أن يضحك الأتراك . كلامهم جاد . يتكلمون باقتضاب . ويرغبون في أن يكلمهم المخاطب باقتضاب » (**L'Etat Militaire de l'Empire Ottoman, Kont Marsigli** ، لاهاي 1732 ,1 ,142) .

العثمانيون شعب وقور ، خلوق ومهذب . لا يهمل العثماني أبدًا قواعد الأخلاق والمجاملة . يشاهد الوقار جليًا في جميع حركاتهم مهما كانت طبقاتهم الاجتماعية . يحبون السكينة والهدوء . لا يزعجون أحدًا ، ولا يستسيغون من يزعجهم . قليلو الهياج وقليلو الفضول . لا تشاهد في المدن العثمانية التزاحم في الشوارع لحاجة ما ، أو مطاردة شخص لآخر ، أو الخروج عن الطور المعتاد (d'Ohsson, 4, 356, 370, 402 - 3 » .

الأتراك شعب رزين ، مفكر ، وقور ، مجامل ، ذو مهابة . ينفر من الصخب والصياح ، تروقهم جدا السكينة ، ينامون في وقت مبكر وينهضون للصلاة قبل طلوع الشمس » Etat Actuel de la. Thornton Turquie ، باريس 1812 ,2 ,226 ,311 ,314) .

الأتراك شعب جاد وقور ، لا يتفاخرون ، ويستغربون من المتفاخرين . شعب حسن الطلعة ، طويل القامة . نظيف . يشربون الماء فقط . إن أرباب العمل الأتراك ، بعيدون تمامًا عن ضوضاء جماعتنا ، أناس لطفاء . كل مشغول بعمله ، لا يتدخل في عمل غيره . ذوو جلد وصبر أمام المصائب والشدائد » (Ubicini ,1855 ، 288 ,342) .

« يلعب الأطفال الأتراك في الشوارع بهدوء ، لا يبكون ، ولا يسبّبون الصخب ولا يصرخون » (Neuf, A. Brayer Annèes a Constantinople ، باريس 1836 ,224- 5) .

« إن احترام الآباء لدى الأتراك مهم إلى درجة كبيرة ، لا يجلسون أمام آبائهم دون استئذان . يعتبر كلام الأب أمرًا قاطعًا » (Amèdèe Jaubert Voyage ، باريس 1821 ,298 - 9) .

إن رقة ودماثة أخلاق العثماني مشهورة « إن الأتراك خلوقون إلى درجة قصوى ويراعون القواعد الأخلاقية بدقّة . إن القواعد التي يراعونها ، ليست أدنى من القواعد المرعية في أى قطر مدني في العالم ، خاصة معاملة وطراز مخاطبة منتسبي السراي بعضهم لبعض ، تجري بأقصى ما يمكن أن يتصور على وجه الأرض من الدقة في القواعد الأخلاقية وقواعد المجاملة » (100,97, 1,1677, Lord Ricaut) .

« تشكّل الأخلاق العالية والرقيقة التي يتعامل بها في السراي ، الأساس في كل معاملة . إن الخادم أو البنت الخادمة التي تقوم بأبسط الأعمال ، تدرّب على هذا الأساس » (زياد أبو الضياء ، 261,2) .

« لا يمكن مشاهدة أى أثر للخشونة في تركيا ، اللطف والرقة يلفتان النظر في كل مكان » (Histoire, Prens Demetrius Cantemir de L'Empire Othoman ، باريس 178,1,1743) .

« لايصعق الأتراك أبدًا على الأرض » (Marsigli ، 1732 ,1 ,37) .

« يجب أن تكون معاملة الأتراك لنا نحن النساء نموذجًا لجميع الأقطار . لا يمكن أن يحط من شأن المرأة أبدًا في الشارع » (Vayage a Constantinople, Lady Craven ، باريس 1789 ,201) .

« يعتبر التواضع الزائد بالنسبة للأتراك تملقًا ومنافيًا للوقار ، لكن عدم الاحترام نقيصة أكبر (Moeurs et Usages des Turcs ، باريس 1746 ,1 ,393) .

« الأتراك محبوبون ، غير متكلفين ، مخلصون ، لطفاء ، ليس لديهم تصنّع أبدًا في حركاتهم . ظاهرهم كباطنهم . ولاكتسابهم هذه الأخلاق فإنهم لا يستغربون أبدًا عند ارتقاء الشخص المتواضع النشأة مراتب عالية جدًا كما يشاهد ذلك في أحوال كثيرة . الشخص الذي يرى الآخر أولاً هو الذي يبدأ بالتحية . الكبير يحيّي الصغير بسلام بسيط ، والصغير يحيي الكبير باحترام زائد . اللغة التركية مليئة جدًا بتعابير الرقة والمجاملة الزائدة » (d'Ohsson ,4 ,367 - 7) .

« إن الرقة في تركية متأصلة في طبيعة شعبها ، والمجاملة المتكلفة لا تعرف . إن الرقّة في تركية خلق فطرى . إن التركي مجتهد هادىء ، نظيف ، أنيق الملبس . لغتهم منطقية وموسيقية . إن امتزاج المقطع الطويل بين المقاطع القصيرة في اللغة التركية ، يجعل وقعها على الأذن كالموسيقى . لغة ممتازة . شخص واحد يتكلم ، والبقية تستمع . إن الغيبة والفرية عيب وخطيئة . مجالسهم هادئة ونزيهة . يستمعون الموسيقى بهدوء ، ويشاهدون الرقص بسكون ، لا يشاهد أثر للضوضاء الموجودة في مجالسنا المماثلة لها Neuf, A. Brayer Annèes à Constantinople ، 1836 ,1 ,293 - 5) .

« الأتراك أرق وأنبل قوم في الكون . هم أناس ظرفاء ومجاملون بأصالة » (Ubicini ، 1855 ,144) .

« التركي ، سواء كان بائعًا في الشارع أم وزيرًا ، رزين، وقور بصورة توحي بالعظمة . إن أخلاقهم متأصلة إلى درجة لا يمكن معها التفريق بين الباشا ورجل الشارع إلا من لباسه . وإن مرّ أوروبي ينظرون إليه بطرف أعينهم برقّة ولا يحرجونه بالنظر إليه .

وعندما يدخل الأوروبيون مساجدهم لزيارتها لا يلتفتون إليهم أبدًا . يعتبر إشغال الشارع أو المخزن أكثر من اللزوم عيبًا . لا يرتكبون الفاحشة . (Constantinople, Edmondo ، da Amicis 420, 415, 1883) .

إن السلطانات الأميرات الإمبراطوريات العثمانيات بنات البادشاه ، لا يغطين وجوههن . يتكلمن وهن مكشوفات الوجه حتى مع الرجال الأوروبيين . إن غطاء الوجه الذي يضعنه على وجوههن شفّاف . يمكن مشاهدة وجوههن من خلاله . جميع النساء الأخريات يغطين وجوههن » Castellen, Lettres, 1811, 2, 226) .

يعتبر الكبر والغرور عيبًا ونقيصة . وخاصة إن بدرت بوادر التكبر من الشخص الذي يشغل مقامًا رفيعًا ، فإن ذلك يعتبر رذالة . وبالأساس فإنهم طبيعيون بالفطرة متواضعون . يهتف ضباط التشريفات في الاحتفالات الرسمية علنًا وأمام البادشاه بهذه الجملة : « مغرور أو لما بادشاهم سندن بيوك الله وار » (لا يصيبنك الغرور أيها السلطان ، الله أكبر منك) . يعتبر الكبر والغرور ، من خصال الشيطان » (Brayer ، 836, 198 - 9) .

ومن العناصر الأساسية في الشخصية التركية **احترام الكبير والشفقة على الصغير** . يقف خلف هذه العناصر أمور ثلاثة : العمر ، المقام ، والثروة ؛ الشاب يحترم المسن ، والأدنى يحترم الأعلى ، والفقير يحترم الغني ، والشفقة متبادلة بالتسلسل نفسه . « يندر أن يجد المرء في المجتمع التركي ولدًا خرج على طور الأخلاق وارتكب ما يخجل . احترام الأب والأم مهم جدًا . يحترم أمر كبار العائلة » (Guer, 1746, 1, 374) .

« يظهر حب الأولاد بشكل بارز لدى الرجال ولدى النساء » (Brayer ، 224, 1, 1836) .

« لا تحترم الشيخوخة في أي مكان كما في تركية . لا أعرف بلدًا يربي أولاده بشفقة واهتمام يفوقهم . يشاهد في الطريق كثير من الآباء الذين يسيرون وهم يحملون أطفالهم على أكتافهم وفي أحضانهم خشية إرهاقهم . لكن الولد عندما يكبر ، يظهر لأبيه احترامًا كبيرًا . لا يجلس إلا إذا أمر أبوه . لا يخاطب أباه بمجرد كلمة « بابا » وإنما

يخاطبه بها مقرونة برتبة أبيه مثل « أفندي بابا » ، « أغا بابا » « بك بابا » ، « باشا بابا » . الأخ الصغير يحترم الأخ الأكبر . لا يخاطب الأخ الكبير أبدًا باسمه . وتخاطب بكلمة « أبله » إن كانت أختًا و « أغا بك » إن كان أخًا ، وهذه الكلمات مجهولة في لغتنا . يخاطب الأب ابنه باسمه المجرد ولو كان صدرًا أعظم . تنتقل إدارة العائلة بعد وفاة الأب إلى الابن الأكبر » (Ubicini, 1855, 343, 284 - 6) .

الإخلاص واجب بالنسبة للعثماني . **والوفاء** من أبرز الصفات الإنسانية . الذي لا يخلص خائن . والعاري من الوفاء لا يعتبر حتى إنسانًا ، بل أدنى من الحيوان . « لا يخلف الأتراك وعودهم التي قطعوها ، ويوفون بقسمهم بصورة أكيدة » (**Anecdoles**, Comte de **Bonneval** ، 24, 1, 1740) .

أيضًا من أبرز صفات العثماني **حب الخير** ، إن المؤسسات الخيرية التي غمروا بها أرجاء الإمبراطورية التي تسيطر على قارات هي شواهد حية على حبهم الخير وأعمال الخير التي تجري سرًا ، لا يعلمها إلاّ الله . « الأتراك ، قوم محبون جدًا للخير . لا يوجد زقاق بدون حنفية . كلها أعمال خيرية في سبيل الله . وضعوا حنفيات في القرى ، على الطرق العامة ، وحتى في الصحاري » (الراهب الأرمني Simeon ، 1608 ، ص 27) .

« إن الحديقة العظمى لسراي قبطان دريا (قائد القوات البحرية ، مشير البحر) جزائرلي غازي حسن باشا مفتوحة للشعب ، تسرّه زيارة الشعب لحديقته ومشاهدتهم للورد » (General Mironda, 1786 ، ص 44) .

« حللت في منزل (كروانسراي) تركي . مكثت فيه ثلاثة أيام أكلت وشربت مجانًا . كانوا يضيّفون المسيحيين أيضًا كما يضيّفون الأتراك (المسلمين) » (Villamont ، 1596, 227 ب) .

« كانت هناك مؤسسات خيرية خاصة بالحيوانات كذلك . لا يوجد مجال لعمل الخير لم يفكروا فيه . ومع الأسف ، فإن ثروة كهذه لم تصرف لدين صحيح » (**Les Voyages, Du Loir** ، باريس 1654, 189 - 90) .

« آغنياء الأتراك ينفقون صدقات وافرة يبحثون عن الفقراء المتعففين الذين لا يصرّحون بفقرهم ويتصدقون عليهم . يسرهم بشكل خاص مساعدة هؤلاء . يسدّدون ديون المدينين . يهتمون بجيرانهم المعدمين . لا يسمحون أبدًا بإلحاق الأذى بالحيوان . هناك من أوقف وقفيات لأجل الكلاب والقطط » (Reltion d'Un Voyage Fait au Levant, de Thevenot ، 1665 ,95 - ١) .

« يوجد في إستانبول نحو 100 مستشفى ضخم كامل التشكيلات ، 417 منزلا ، خان ومطبخ عمومي للمسافرين ، 935 5 سبيل مياه . كل هذه أعمال خيرية » (Grelot ، 1680 ,293 - 4) .

كل الجوامع ، المطابخ العمومية (عمارات)، المستشفيات ، مستشفيات الأمراض العقلية ، المدارس (الدينية) ، تأسيسات المياه ، السبيل (توزيع المياه مجانًا) – آثار خيرية أسسها الأغنياء . لم تؤسس الدولة ولا واحدة منها » (Memoires, de la Croix ، 1684 ,1 ,128 , 132 ,132) .

« لا تجد تقريبًا السائل والمتسول » (Voyages, de la Montraye ، 263 , 1 , 1727) .

« يكرم الرعاة المعدمون المسافرون في الجبال ، ولا يدفعون شيئًا ؛ يكرم المسافر في القرى العثمانية إكرامًا كبيرًا . أما في المدينة والقصبات فإن هذا الإكرام يصبح شبه رسمي » (Kont Marsigli ,1732 ,134 ,38 - 9) .

« لا يمكن إنكار إقامة الأتراك للمنشآت الخيرية أكثر مما نفعله نحن المسيحيين بكثير . ويستفيد من هذه المنشآت المسيحيون والموسويون كاستفادة المسلمين منها . يستصحب الغني عند ذهابه إلى الحج عدة فقراء ويسدّد جميع مصروفاتهم . هناك كثير من التجار الأتراك الأغنياء جدًا الذين يهتمون بالفقراء ، وهؤلاء يسمونهم « أبو الفقراء » (فقير بابسي) . عرفني القنصل Tordli بتاجر تركي غني جدًا كهذا . كانت سن الرجل 84 عامًا . حجّ 8 مرات ، وكل حجة كلفته 20 ألف ليرة ذهب . كان يزكّي سنويًا بـ 10 آلاف ليرة ذهب . أما الخيرات التي يقدمها فلا تحصى . حصل على إجلال الجميع إلى درجة أن كل الجميع يقبلون حاشية ردائه . كنت أنا ذاهبًا إلى القدس لغرض

الحج . وعندما دعا لي استغربت وعلمت أن الأتراك لا يمارسون التفرقة بين الأديان »
(Corneille le Bruyn ، 1732 ,1 ,257 - 8 ,2 ,60 - 1) .

« يبالغ الأتراك في عمل الخير . أولاً ، هم لا يفرقون بين أتباع الأديان المختلفة . ولا ينظرون إلى ماضي الشخص . ويقومون كذلك بالأعمال الخيرية الخاصة بحماية الحيوانات والنباتات . إن موسر المحلة ، يرعى كل المحتاجين الموجودين في تلك المحلة »
(Comte de Bonneval ، 1740 ,1 ,213) .

« هناك كثير من المعتوهين بين الأتراك الذين يعملون الخير . إن المستشفى الخاص بالقطط والكلاب الموجود في الشام هو إنجاز أحد هؤلاء الذين أصابهم العته »
(Guer ، 1746 ,1 ,221) .

« هناك مؤسسات أخرى للأتراك تدعو إلى الدهشة وهي المستشفيات ذوات الأبنية الضخمة . تروح وتغدو الهيئات الموسيقية للترفيه عن المرضى في المستشفيات التي تحتوي على حدائق وأحواض La Législation Orientale, Anquetil Duperron ، أمستردام ، 1778 ,28) .

« يسكن الأتراك أنفسهم في الأبنية المتواضعة ، إن جميع الأبنية الفخمة التي تشاهد ، هي الأبنية التي منحوها لأغراض خيرية » Histoire de Turquie, Durdent ، 1818 ,466) .

وخصلة أخرى للعثمانيين ، هي **الكرم** . ينفر العثمانيون من الشح . ويحبون الكرم والكريم .

المرحمة والتسامح ، عنصران أساسيان في الأخلاق العثمانية . لا يرحبون بأن يخلو الشخص من المرحمة والتسامح ؛ إذ إن أحدًا لا يصدق أن شخصًا كهذا يحب بني جنسه .

« لا يشاهد التعصّب في تركيا لدى الأتراك ، ويشاهد لدى المسيحيين من رعايا العثمانية » (Gerard de Nerval ,1843 ,29 - 30) .

« الأتراك أناس طبيعيون على فطرتهم ، صريحون ، حسنو النيّة ، ولو دقّقتم أصل الأشحاء والبخلاء منهم ، لظهر أنهم ليسوا من الأتراك القدامى وأنهم من أصل مسيحي (دوشيرمه) . أما الروم فإنهم مخادعون ، خونة ، وإضافة لذلك فإنهم عرق مغرور » (Du Loir ، 166, 1654) .

« الأتراك بالنسبة لنا – نحن الأوروبيين – كسالى فاترون ولكنهم يحبون المساعدة ، يشفقون على من ضاقت مواردهم ، ولا يمكن إنكار رقّتهم ولطفهم » (Voyage, Delamarre 1802 ,208 - 9) .

« الأتراك متعصبون لدينهم ، مغرورون ، معجبون بأنفسهم ، حريصون على الدراهم ، مستهزئون بالأجانب . إلا أنهم يملكون مزايا حسنة تجاه نقائصهم هذه ، فهم صبورون ، شجعان ، متفهمون ، يحبون الضيف ، نبلاء » (Amèdèe Jaubert ، 1821 ,315 - 6) .

« إن شعور المرحمة متفوق جدًا لدى الأتراك ، خشيتهم لله هي التي تشكل أساس هذا الشعور . لا يهملون أبدًا تقديم الزكاة ، الصدقة وأعمال الخير . إن خير شعب في معاملة عبيده وخدمه هم الأتراك . يعاملونهم كأنهم من أفراد العائلة . يخافون من الفرية . ويعتقدون أنها من الذنوب الكبائر . يعتبرون قطع الأشجار بلا ضرورة وحشية ، ويعاملون قاطعها بقسوة » (Brayer ,1836 ,1 ,281 - 7) .

« إن الادعاء القائل بأن أخلاق الأتراك القدامى أمتن من أخلاق الأتراك الحاليين (1855) صحيح . لا نشاهد تقريبًا لدى الجدد عدم التكلّف ، الاعتدال ، الوقار ، القناعة ، التديّن ، الاستقامة ، حب الواجب ، هواية صرف الثروة لأعمال الخير ، الموجودة لدى الأتراك القدامى » (Ubicini ,1855 ,322 - 3) .

« لا يمكن إنكار شعور الشفقة الإنسانية ، المرحمة ، الوفاء والاعتدال لدى الأتراك . لكنهم بالغوا في ذلك ، وبذلك سبّبوا العطالة والكسل في المجتمع وبالتالي الفقر . إذ لم يكن أي فقير يخشى من المستقبل . يستمر على تراخيه وكسله موقنا بأنه لن يتركه الموسرون دون طعام ودون ملجأ . إنني أعتقد أن الناحية التي تستحق المدح والتقدير

أكثر من غيرها لدى الأتراك ، هي عدم التفرقة بين الطبقات الاجتماعية كبشر »
. (428, 1883 ، Amicis)

سجية أخرى للعثمانيين ، هي **التوكّل** . ورغم أن التوكل مزيّة بصورة أكيدة ، فإنه ينقلب إلى مصيبة إذا تجاوز حدّه . وبالأساس فإن التوكل الزائد يعارض الاعتقاد الماتريدي . إذ إن الإنسان هو مالك لإرادته الجزئية . إن الله ، جل جلاله ، منح هذه الإرادة للإنسان . وترك الأعمال وإحالة النتيجة إلى الله ، هما إلقاء المسئولية على الله واتهامه .

يسرد Sir Adolphus Slade الحادث التالي (ص 112 - 3) : « إن كلمة باقالم (دعنا نرَ) ، كلمة بلا معنى يستعملها الأتراك للتسويف كجواب للتخلص من مسئولية أمورهم الحسنة وغير الحسنة . إن كلمة « باقالم » (لنرَ ما سيحدث ، بالعاميّة : نشوف) التي كان يستعملها رجال الدولة في استانبول ، أفقدت المارشال Kont Sebastiani سفير الإمبراطور نابليون في استانبول أعصابه ، وهو كورسيكي كنابليون . كانت تركيا حينذاك في حالة حرب مع روسيا وانكلترا في ذات الوقت وبسبب ذلك ، كانت حليفة لفرنسا . وفي إحدى المناسبات ، لم يحتمل Sebastiani وقال مخاطبًا سليم الثالث : « يا صاحب الجلالة ، إن للأتراك ثلاثة أعداء أقوى بكثير من الإنكليز والروس » قال البادشاه : « ماذا تعني بذلك؟ لا يمكن أن يكون بالنسبة لنا عدو أكبر من انكلترا وروسيا » . أجاب سباستياني « نعم يا صاحب الجلالة ؛ للأتراك ثلاثة أعداء هم : إن شاء الله ، كريم ، ولنرَ ما سيحدث ! » .

« يؤمن الأتراك بالقدر ، ويخضعون له . لا يوجد تقريبًا تركي واحد لجأ إلى بلد أجنبي . وحتى السلاطين ، لا يقاومون عند خلعهم ويقولون يحصل ما يقدر الله »
. (30 - 229, 2, 1811 ، Castellan)

« يعيش الأتراك عاطلين دون حركة ، لإيمانهم بالقضاء والقدر ، لا يمكنهم الحصول على النتيجة في أي عمل » (317, 1821, Jaubert) لكن الوضع في إيران أسوأ . إذ إنهم يؤمنون في إيران بالعلوم الغيبيّة إضافة لذلك ، كالفأل ، السحر ، قراءة المستقبل . نو . هذه الأمور في تركية كذلك ، لكنها تجري لغرض التسلية وقضاء الوقت ، ولا يؤمن

بها بصورة حقيقية » (الكتاب نفسه ، 318) .

« يعيش الأتراك وهم غافلون عن قيمة ومفهوم الزمن . يكثرون الدعاء وينتظرون كل شيء من الله » (424, 1883, de Amicis) .

الشرف ، عنصر آخر من عناصر الأخلاق العثمانية . « إن التجار وأرباب العمل الأتراك شرفاء إلى درجة قصوى . التاجر الرومي وأرباب العمل الروم غشاشون إلى درجة قصوى » (259, 1, 1727, de la Montray) .

« أكثر ما ينفر منه التركي ، الكسب غير المشروع . يستمدون روح أعمالهم من الشرف والاستقامة » (261, 4, 1791, d'Ohsson) .

« لا ضرورة للسند والوثيقة التحريرية بين الأتراك ، كما هي الحال في الشعوب الأخرى . هم أسرى أقوالهم التي لفظوها ووعودهم التي قطعوها . لا تختلف معاملتهم تجاه جميع البشر ، دون تفريق بين الأديان . يخشون جدًا من اغتصاب حق الغير . كل همّهم ، التفريق بين الحلال والحرام » (12 - 309, 4, d'Ohsson) .

« تتدنى نفس أفقر الأتراك إلى السرقة . إن الاستقامة خصلة تشرّف الأتراك » (3 - 222, 2, 1811 ، Castellan) .

« يجهل التجار وذوو المهن الحرة الأتراك ، الحيلة والخداع . يميزون فورًا بهذه الصفة عن الروم والأرمن واليهود » (4 - 323, 1812, Thornton) .

« إن خيانة الأمانة بالنسبة للأتراك أمر جلل . طبقات الشعب مستقيمة جدًا . كان الإنكشارية مصدر انعدام الأخلاق . تمكن محمود الثاني من إعادة الأمن كاملاً بعد سنتين من إزالتهم . إن مهابة السلطان وصلت الآن إلى درجة يمكن معها التجوال بكيس من الذهب في أقصى الأماكن النائية . ومع ذلك فإن الارتشاء كان منتشرًا بين رجال الدولة الكبار » (268, 177, 1, 1829, Mac Farlane) .

« والأطفال كذلك ذوو أخلاق عالية . إن الطفل الذي يعثر على شيء في الشارع ، يبدأ بالبحث عن صاحبه » (247, 2, 1897 Voyage, Lamartine Crient) .

الزنا مجهول . يتأهب الكل لترويج البنت والشاب اللذين وصلا إلى سن معيّنة . يعتبر ذلك ثوابًا كبيرًا . لا يجوز للمرأة المسلمة أن تكون زانية بصورة معلنة . الزنا السري نادر ؛ أصيبت به المرأة التركية في 1918 . إن عقوبة هتك العرض هي الإعدام .

القمار نادر . والألعاب كالشطرنج ، الداما ، تلعب بدون ربح . يشاهد في السجلات الشرعية عدم قبول بعض القضاة شهادة الأشخاص الذين يتعاطون المشروبات الكحولية ولاعبي القمار . القمار ممنوع ، وعند التفتيش الفوري تضع الخزينة يدها على الدراهم الموجودة على مائدة القمار (Jaubert 313 ؛ Le Bruyn 1 ,434 ؛ Guer ، 394, 1) .

النظافة ، عنصر آخر من سمات شخصية العثماني ، مصدر النظافة هو الإيمان . يقول Jean de Thèvenot الذي زار استانبول وأناضول الغربية عام 1655 ما يلي : « الأتراك عرق معتدل القامة ، ذو جسم متناسب . إن العاهات البدنية التي تشاهد في أوروبا ، مثل العرج وخاصة الحدب قليلة جدًا . لم يضرب المثل الذي في لغتنا (الفرنسية) « قوى كالأتراك » عبثًا . هم أناس أصحاء البدن ، أقوياء وذوو عمر مديد . يمرضون قليلاً . يعتنون بمرضاهم في بيوتهم باهتمام بالغ . لا يملئون بطونهم حتى التخمة ، أكلهم معتدل ، لا يأكلون أنواعًا متعددة من الطعام في وجبة واحدة ، يغسلون جسمهم بكثرة ، يندر شربهم الشراب . كثير من الأمراض الموجودة في أوروبا ليست موجودة لديهم ، مثلاً « أحجار الكلى » « المرافق الصحية للأتراك نظيفة جـدًا » (Mirando ,64) .

« أنظف بشر في العالم » (Belon ,2 ,199) .

« يغسلون أيديهم وأفواههم قبل وبعد الطعام بصورة أكيدة » (Ricout ، 285) .

« المطبخ التركي نظيف جدًا . لا يتحملون حتى أبسط الأوساخ . أدوات موائدهم تلمع وتشع نظافة » (Travenier ,1678 ,77 - 8 ,117) .

« إن مجموع عدد المعوقين والمصابين بتشويهات جسمانية الذين صادفتهم في مدينة أوروبية كبيرة واحدة ، لم أصادف بقدر عددهم في أنحاء الإمبراطورية التركية كلها .

يأكلون قليلاً ويغتسلون كثيرًا . وأعتقد أنهم لهذا السبب لا يمرضون إلا قليلاً . إن نساءهم يظهرن بملابسهن الطويلة ، طويلات القامة بشكل فخم (422, 1, 1732, Le Bruyn) .

« إن نظافة بيت أفقر القرويين الأتراك ، تدعو إلى الدهشة . المستشفيات التركية ، أنظف بكثير من المستشفيات الأوروبية . يعيش الأتراك حياتهم هذه منذ عصور . أما النظافة لدينا . فلم تبدأ إلا قبل نصف عصر » (**Neuf Annèes à Constantinobe, Dr, A, Brayer** ، باريس 1836, 335 - 8) .

« البصق على الأرض عادة إفرنجية وهي من العادات التي تثير الاستغراب لدى الأتراك ، إذ إن التركي يخرج منديله ويبصق » (جودت ، 7 ,115) .

حب الحيوانات والنبات ، من خصال العثماني التي لا يمكن أن يستغني عنها . وقد توصلوا في تربية الحيوان والنبات إلى مراحل متقدمة . يستخرجون الأفراخ الصناعية بدفن البيضة (134, Busbecq) .

« يؤتى بالشخص الذي يصيب الحيوان أمام القاضي ، ومن الطبيعي أن يعترض الكل على عمله مسبقًا » (145, Busbecg - 6) .

« الأشجار ، وخاصة التي مرت عليها عصور ، تلقى اهتمامًا كبيرًا » (Baron de Tott 1 ,39) .

تقدم الأزهار للمرضى (نعيما ، 5 ,48) . يوجد العديد من مخازن الأزهار والحيوانات . كان فى أواسط العصر 17 ، في إستانبول فقط 500 مخزن تقريبًا لبيع الطيور المغردة فقط » (أولياء ، 1 ,585 ,587) .

كانت في إسكدار مستشفى للقطط (فون مولتكه ، 1837 ,80 - 1 ,261) .

« يشاهد وزراء عظام يطعمون قططهم وحتى قطط الشوارع بأيديهم » (Du Loir ، 1654 ,192 - 3) .

« إن عدم إيذاء الحيوان ، مؤمن تحت حماية القانون (المحامي Guer ، 1746 ,1 ,369) .

« يعتبر قتل الحيوانات التي لا يؤكل لحمها ، وحشية (d'Ohsson 307, 4,1791 - 9) .

« لم تشاهد حالة داء الكلب في تركية » (Thrornton 287, 1812, - 9) .

« تنعدم تقريبًا في المجتمع العثماني حوادث الانتحار المتفشية في أوروبا بكثرة » (302, 1836, Dr. Brayer) .

« يوجد نظام إخلاء المحكومين بكفالة مشروطة وبيمين الندامة » (**Topkap'i Sarayi Arsivi** ، E 10, 422) ولكن إذا تكرر الذنب ، تضاعف العقوبة بشكل متزايد .

كانت العدالة الاجتماعية قائمة بشكل جيد . يشيد فولتير في العصر 18 بالبادشاه التركي وتمكنه من إدارة 20 ملّة ذات 20 ديانة ومذهبا مختلفا والسماحة التي يبديها لهم ، ويقدم ذلك إلى الحكام الأوروبيين ومليكه هو كمثل يقتدى به .

كتب Porter سفير إنكلترا في استانبول في النصف الثاني من العصر 18 ، إن أكمل استقرار في العالم ، متوافر في الدولة العثمانية ، وإن تشكيلات أية دولة ، ليست أحسن من تشكيلاتها : « لا تشاهد في المجتمع العثماني حوادث وحشية تقشعر لها البشرية وتخجل وتخل بالشرف الإنساني ، كالتي تشاهد في الأقطار الأخرى » (d'Ohsson ، 473, 4) .

« الطبقة الوسطى قرية جدًا وذات خلق قويم ، هؤلاء ، هم الأتراك الحقيقيون . تبدأ المؤامرات بين الطبقة العليا » (Thornton 323, 2, 1812, - 4) .

« العثمانيون ، مجتمع فخم » (**14, Voyagaurs'Lorga**) .

« لا يجبر الأتراك أحدًا على أن يعيش على الأصول التركية ، يسمحون للجميع بأن يعيشوا وفق أعرافهم ولا يعارضون ذلك » **(Les Turcs ne Contraignent Personne à vivre à la mode Turquoise. Ils souffrent et Permettent chaseun vivre en saloy)** **(Geuffroy, II, 180).**

« وعند استيلائهم على إحدى القلاع أو القصور ، لا يخربون أبدًا أي شيء وبضمنها

التصاوير ويتركون كل شيء كما هو تمامًا (Les Turcs ont tousiouvs en ceste costume que, quelque chasteau ou fortresse qu'ilz aient iamais pris, est demeurè mesme estat en quoy ilz l'ont trouvè, car ilz ne demolissent iamais rien des eddifices et en graveures) (belon, 90) ، والشهادتان الأخيرتان تعودان إلى العصر 16 .

« إن التربح ، الاحتكار ، القمار تعتبر خطايا كبيرة بالنسبة للأتراك . يجول الحراس الليليون وبأيديهم عصي فقط . لا يجوز للعسكريين حمل السيف داخل المدينة . لا يحدث شجار ، وإن حدث ، يتدخل فورًا ، أول الذين يشاهدونه ، ومن غير الممكن أن يدوم الشجار ، يحل الخلاف فورًا . يجلّون سلطانهم ويحبونه بإخلاص كبير . لا يُتصور أن تركيًا لايخلص لسلطانه » (2 - 111, 1665, Thevenot) .

كان العرف ساريًا وكأنه قانون . أسست أرملة أحد الباشوات المسماة أمينة خانم ، علاقة جنسية مع خادمها . كان ابن السيدة الكبير ، كاتبا في غرفة الترجمة في الباب العالي والصغير طالبًا في مكتب الرشدية (المتوسطة) . ذاع الخبر ، انتقلت الدعوى إلى محكمة الجنايات العلمانية ، حكمت المحكمة بمنع الابنين الشابين من الدخول إلى الوظائف الحكومية مدى الحياة ، وحرمانهما من تمثيل الدولة في أي مجال ، وإن سكوتهما على وضع والدتهما رغم معرفتهما ذلك ، يعتبر تحديًا للأعراف والعادات العثمانية . صادق عبد المجيد الأول على هذا القرار الذي لا يستند على أية مادة قانونية ، دون أى تغيير (Istanbul Ansiklopedisi ,٧ 5068 ب) .

لا شك أن قرائي المحترمين قد أدركوا أن كلمة « ترك » التي استعملها السائحون والمشاهدون الغربيون في المقتطفات آنفة الذكر ، تعني في كثير من الأماكن « عثماني » ، وحتى « مسلم » فقط . إن استعمال الأوربيين لكلمة « ترك » بمعنى « مسلم » كان دارجًا . ويجب ملاحظة أن تعبير « أصبح تركيًا » الذي يمر في بحوث أوروبية قديمة كثيرة ، تعني « أصبح مسلمًا ، اهتدى » . ولا تستعمل بالنسبة للمجتمع العثماني فقط ، واستعملت كذلك بالنسبة للمجتمعات الآسيوية الإسلامية الأخرى الموجودة خارج العثمانية .

2 ـ اضمحلال السجايا العثمانية :

يقول كاتب جلبي ، أكبر عالم ومفكّر في العصر 17 ، في نهاية كتابه **تقويم التواريخ** ما يلي : « إن علامة شيخوخة المرء هي بياض الشعر واللحية . وعلامات شيخوخة الدولة ، هي تهافت رجالها إلى السلطة والزينة ، وهذا دليل الانحطاط » .

تأتي هذه الفترة ، بعد فترة التوقف . تزداد الرغبة بشكل كبير فى الزينة ، الرفه ورغد العيش . يهجرون طراز الحياة السابق ، ويستولي عليهم الصراع على السلطة والمكانة ، ويستشري توزيع الألقاب على الجميع دون جدارة أو استحقاق فعلي . تبدأ طبقة الشعب الوسطى بالخروج عن طورها إلى درجة تقليد السلاطين في سكناهم وملبسهم . ويصبح الأنس ، الراحة ، الطرب والرفة أعرافًا وعادات لا يستغنى عنها ، وتكون من الأمور الطبيعية . الكل يدعي حقًا في هذه النعم . الجنود ، لا يصبرون على صعاب الحرب ويطلبون الصلح والسكون . لا أحد يمد يده في أمور البلد التي يكون فيها مشقة . ويفقد الجيش الذي سحب يده من الحرب ، اعتباره لدى الشعب .

لا نرى تقريبًا في العهود المتأخرة ، الحيوية العثمانية السابقة ، والسياسة العالمية التي دوّخت القارات . انسحب الجميع ، كل إلى معقله ، شلّت الحيوية . « لم يعد الأتراك يشعرون بالرغبة في زيارة الأقطار الأخرى ومشاهدتها . لذا لم يتمكنوا من إيجاد الحلول لكثير من مشاكلهم . وصلت الدولة إلى الوضع الذي أصبح فيه البادشاه (محمود الثاني) يضحي بنفسه في سبيل إنقاذ ولو قسم من أمور الدولة الجوهرية . رجال الدولة ، لا يقدرون على السير على نهجه » (Amiral Slade, 137, 204) .

تضعضعت الطبقة الوسطى التركية في الربع الأول من العصر 20 بشكل واسع . كان للإمبراطورية جناحان ولا يمكن الطيران إلاّ بجناحين : روملي وعلى نطاق واسع الأناضول (آسيا) . اقتطع نصف جناح روملي في 1878 ونصفه الآخر في 1913 . انسحب أتراك روملي من الأدرياتيك والطونه إلى مريج تاركين ثرواته والأراضي التي كانت تحت تصرفهم منذ 500 عام . من كان يدري أنه ستحدث في هذه المرة مصيبة أكبر وتشمل الأناضول كذلك ؟ بدأت هذه المصيبة بعد سنتين وأكملت بعد أربع سنوات من بدايتها . وحتى الحرب العالمية (1914 - 18) ، زالت الطبقة الوسطى العثمانية وكذلك القرى ولم يبق رب عمل من الطبقة المتوسطة له دار واحدة في المدينة ،

وعدة رؤوس من الماشية ، يعيش عيشة متواضعة دون أن يحتاج إلى أحد . اختلت بشكل مخيف الطبقة الوسطى التي اعتادت معيشة مرفهة شريفة دون إسراف ، أما الطبقة العليا ، فقد تقوضت بشكل تام تقريبًا . لم يبق إعمار ولا صناعة . استمر تضخم العملة . عمدت القوى الخارجية إلى خفض سعر الليرة التركية ، لاستغلال مواد تركيا الخام بسعر بخس . وكان التوازن النقدي بين العملة الذهبية والورقية قد زال منذ عهد بعيد . الموظف الذي كان يتقاضى راتبه بالعملة الذهبية ، أصبح يتسلمه بالعملة الورقية ، وصار فريسة للتضخّم . اختل نظام التعليم . وفي نفير عام 1914 ، تم وضع اليد على جميع مواشي القرويين بدون تعويض . تركت بقرتان وفرسان في القرى التركية العظيمة الواسعة . أكثرية المواشي التي جمعت ، بقيت بأيدي من جمعها . وتكونت الطبقة الفظيعة التي تسمى أغنياء الحرب ، أعقب ذلك القضاء على الشعب إلى درجة أن الجيش القوي الذي تمكن من لم شعثه ، أتلف في ثلوج صاري قامش ، في شبه جزيرة غاليبولي ، في قناة السويس ، في صحاري الجزيرة العربية ، في مستنقعات غاليجا وفي جبال القفقاس . استشهاد كل جندي تركي ، يعني موت 5 أفراد من عائلته ، المرأة والشيخ المسن والأطفال الموجودين في الداخل بسبب الجوع والمرض وعدم العناية . كانت الأخلاق العثمانية قد دمّرت كذلك ، مع اختلال الاقتصاد والميزان الاجتماعي التركي منذ 1914 وقبل دخولها الحرب . سحب الأتراك الذين تتراوح أعمارهم بين 18 و 50 من حقولهم وأعمالهم وبيوتهم وسيقوا إلى الجبهة . أدخل الذين لا يستطيعون القتال في سرايا العمل وأرسلوا للعمل في سكك حديد أنقرة – سيواس ، قدس – غزة ، في أنفاق طوروس والأماكن المشابهة .

3 – طبقات الشعب :

يأتي المتسوّلون في نهاية الطبقات الاجتماعية . « إن كان هناك تسوّل ، فليس بالمعنى الذي نعنيه في الغرب . هم الزمرة التي كانت تأكل في المطابخ العامة (عمارت) وفي القصور مجانًا والتي تقبل الصدقة . إن مستوى حياة الإستانبولي ، كان أرقى من مستوى حياة الباريسي واللندني . حتى أنه لم يكن هناك لزوم بالمعنى الصحيح للكفاح في الحياة

في إستانبول . إن كل إستانبولي كان مطمئنًا لمستقبل حياته » (Robert Mantran Levant DeshayesCormenn, Voyage de ، 1624 ,110)(, 158) لا يوجد بين الأتراك متسوّل علني

« لم أشاهد ولا سائلاً واحدًا » (263, 1, 1727, De la Montraye) .

« ناهيك عن التسول ، لا يوجد حتى معدم بالمعنى الصحيح » (48, 1, Marsigli) .

« يعيش في إستانبول وضواحيها مليونا شخص . لم أشاهد ولا سائلا واحدًا » (Comte de Bonneval ، 212, 1) .

« لم يصادفني في إستانبول أي سائل » (219, 1, 1746, Guer) .

«شاهدت في البلاد العثمانية قليلا جدا من المتسولين » (357 , 1 , 1732 , La Bruyn)

« يوجد قليل من المتسولين في البلاد العثمانية وهؤلاء لا يزعجون المارة كما في فرنسا » (Du Loir ، 191, 1654) .

وأساسًا ، كان التسول ممنوعًا ، والذين يشاهدون منهم كانوا محترفين قادمين من الشرق . قبض على هؤلاء في 24 / 9 / 1759 وأرسلوا إلى أزمير ، كانوا 43 سائلاً (أحمد رفيق ، Istanbul Hayati, 3, 194 - 5) .

كان غجري برتبة عقيد ويسمى صوباشي أو جرياشي ، مسئولا عن جميع الغجر الموجودين في الإمبراطورية . كان يتعقب مع ضباطه ، الغحر الموجودين في جميع الأماكن . يتمكن الغجر المسلمون من السكن في المدينة في محلاتهم الخاصة فقط ، ولا يمكن لأي غجري أن يتخذ له مسكنًا في محلة أخرى . لا يخطب من الغجر ولا تعطى لهم أي بنت أبدًا . إن الغجري الوحيد الذي له اعتبار ، هو رئيس جلادي البادشاه . يختار من الغجر . أشهرهم رئيس الجلادين المسمى قرة علي أغا جلاد مراد الرابع (1623 - 1640) وعهد أخيه إبراهيم خان (1640 - 1648) ، وقد وصفه أولياء جلبي ، الذي قابله بالكلمات التالية « العياذ بالله ، لم يبق على وجهه أثر للنور » . إن مهمة

الجلد كان يقوم بها الفجر . بزغ منهم موسيقيون شهيرون ، أصبح هؤلاء بفضل فنهم هذا أصحاب ثروة . الراقصات الشهيرات ، كن كذلك من الغجريات . كان يغض النظر عن فحشهن . لا يمكن أبدًا أن تتخذ الغجرية جارية أو خادمة في الدار . كان بالإمكان دخولها إلى الدار وحتى إلى السراي لغرض الرقص والإنشاد . .

لا يمكن أن يصبح الإستانبولي خادمًا ، وكان الذين يقومون بمثل هذه الأعمال في استانبول ، هم الذين يردون من أنحاء الإمبراطورية ، كان اتخاذ رجال الدولة خادمًا لهم من المسيحيين ، محظورًا . لم يكن الأغنياء يستخدمون الخادم بل يتخذون عبدًا أو جارية ، ويقومون بتربيتهم كأولادهم ثم يزوجونهم . هناك كثيرون منهم أصبحوا صدورا أعظم بينما كانوا عبيدًا .

كان يوجد في إستانبول صنف كبير العدد جدا ، وهم العتالون . هؤلاء أيضا كانوا من الخارج . كانوا ينقسمون إلى قسمين رئيسيين ؛ عتّالي الميناء وعتالي السوق ، كانت لهم تشكيلات ، ونقابات . عتالو الموانئ ، كانوا يؤخذون للخدمة بعد تمحيص كبير . لأنهم كانوا يحملون أموالا ثمينة جدا . ولم يحدث أبدًا تقريبًا أي حادث سرقة مهم . كان يطلق اسم « إيش إيري » على العامل في الفترة الكلاسيكية . ثم عرّبت هذه الكلمة في العصور المتأخرة وأصبح « عمله » . العامل الماهر ، لا يعتبر عاملًا ، وكان يسمى رب مهنة ومحترفا ، وكان لأرباب المهن نقابات . كانت الأجور اليومية للعمال مرتفعة ، وكانوا يجلبون من الخارج عندما تزداد الحاجة إليهم بين الفترة والأخرى . جاء من ألمانيا في (1581) ، 12 عاملاً ألمانيًا ، استفسر هؤلاء من آمر لواء (سنجق بك) فلك Filek ، عن أجور العمال وشروط عملهم ، وافقوا ومنحوا وثائق تخولهم العمل في الأراضي العثمانية (623, 2,Turk Vojteeh Kopean Tarih Kongresi) .

كان الباعة المتجولون الذين اقتسموا أزقة المدن ـ لكل زقاقه الخاص ـ والذين يجوبون المدن بالحصان ، بالبغل ، بالحمار ، بالعربة ، وبالعربة اليدوية ؛ يجلبون بضاعتهم إلى النساء في بيوتهن . لم تكن جماعة كبيرة العدد . لم تكن لديهم نقابة .

كان أرباب المهن الحرّة الذين يسيطرون على الصناعات الصغيرة والتجارة واقتصاد المدينة ، صنفًامستقلا وله مكانته . سوف يأتي ذكره فيما بعد . وبالطبع فإن زمرة

القرويين ، كانت تشكل أكبر كثافة سكانية في الإمبراطورية . كانوا يعملون في الفلاحة والزراعة . ويعملون كذلك بتربية المواشي . وكان يوجد من يعمل فى المهنتين معًا . كان يطلق على مجموعهم اسم « رعايا » لكن هذه الكلمة أطلقت في العصور الأخيرة على الرعايا المسيحيين . كان القروي ، عماد الاقتصاد العثماني . كان يدفع الضريبة عينًا أو نقدًا . كان صنفًا شريفًا ، قال القانوني « سيدنا جميعنا والذي يطعمنا ، هو القروي » ولم يكن هناك إقطاع وعبودية أراض كما في أوروبا .

كان الرّجل منهم يشتغل بتربية المواشي فقط . يدفعون الضرائب عن عدد ما يملكون من رءوس الحيوانات . بذلت الدولة جهودًا كبيرة لعصور طويلة لإسكان هؤلاء وصيّرتهم مزارعين وقلّلت عددهم كثيرًا . قابل الرّحل سياسة الدولة هذه بالمعارضة في جميع الأوقات تقريبًا . ورفضوا السكنى في القرى . كان قد تقرر إسكان التركمان والأقوام القفقاسية وأجبروا على ذلك ؛ ولأن العشائر الكردية والعربية اعتادت العيش في الأراضي الجبلية والمناطق الصحراوية ، فإن سياسة إسكانهم لم تنجح كالآخرين . كان يطلق على التركي الأوغوزي Ogyz إن أسلم « تركمن » ، وإن استوطن في الأراضي « تورك » ، وإن جاء إلى المدينة وتعلم آداب الدولة « عثمانلي » أي عثماني .

استترك المهتدون إلى الإسلام وتطبّعوا على الإسلام . لكن الإمبراطورية العثمانية لم تكن من حيث نفوسها أكبر دولة إسلامية في العالم فحسب ، بل كانت في الوقت ذاته أكبر دولة مسيحية وموسوية في العالم . لا يوجد قروي موسوي . سكنوا مدن الموانئ . استوطن الموسويون الذين يتكلمون العربية في الداخل أيضًا . أما الأقوام المسيحية المختلفة ، فكانت تعيش في قراها ومدنها . القرى المختلطة أي الإسلامية ـ المسيحية ، نادرة .

الشرف من العمل لا من النسب ؛ تفتخر العائلات بالخدمات التي قدمها أجدادها للدولة والوظائف التي شغلوها فقط . الأرستقراطية العثمانية ، ليست بالمعنى الغربي . إذ إنها كانت محرومة من جميع الامتيازات العائلية الموجودة في الغرب . أما تشكيل العائلات التي تمد الدولة بموظفين كبار ، الطبقة العليا في الإمبراطورية ، فهذا أكيد . أما الأرستقراطية بالمفهوم الذي نعنيه نحن ، فهذا غير موجود في تركية . لا توجد

شريحة اجتماعية نالت حقوقا وامتيازات عن طريق الوراثة ، ولم تكن موجودة في السابق أيضًا . موظفون الدولة الكبار الذين يطلق عليهم اسم « رجال دولت » هم صنف يحوز على حقوق بحكم موقعه (نسبة إلى سلسلة المراتب) (Hièrarchie) فقط . لم يقطع هذا الصنف علاقته بالشعب الذي نشأ منه ، وهو ليس ذا امتياز » (La Ubicini Actuelle Turquie ، باريس 1855 ، 320 - 1) . إن إنكار الشرافة بشكل مطلق إلى هذه الدرجة ، رغم وجود عائلات عثمانية شهيرة ، ليس دليلاً على سلامة اجتماعية مطلقة كما يظن . إن النظام الذي يجعل من العبد ومن ابن أكثر العائلات تواضعا ، صدرا أعظم وشيخًا للإسلام ويزوجهم ببنات البادشاه ، من الممكن أن يكون خطرًا ، فعدم استمرار التراث العائلي من المحتمل أن يؤدي إلى مجتمع يشكله أفراد لا يملكون قيمًا معنوية انتقلت إليهم عن آبائهم وأجدادهم .

4 – العبيد والجواري :

العبيد (عبد بالتركية = كوله) والجارية ، بشر ملكوا بالشراء . يجب التفريق بينهم وبين الأسرى والأسيرات الذين يؤسرون في القتال . أما المماليك (مملوك بالتركية = قل Kul) فهم العبيد القدامى الذين يستخدمون في الدولة وفي الجيش . والغلام ، هو العبد الذي يستخدم في البيوت . كوله = عبد تقابلها بالفرنسية esclave (كوله لك = العبودية بالفرنسية : csclavage) ، الأسير بالفرنسية : captive . (الأسر = captivtè) ولأن هذه المفاهيم يخلط بعضها مع البعض الآخر ، فقد أوضح ما يعنيه العثمانيون بهذه الألفاظ .

العبيد في الغرب هم الأسرى الذين اختطفوا من أفريقيا والذين يشغّلون كعمال في الأراضي . اشتغل الأسرى البيض في أوروبا ، في السرايات والقصور . إنّ العبيد الزنوج الذين يستخدمون كعمال أراض ، هو اختراع أوروبي للعصر 16 مجهول لدى العثمانية وبصورة عامة لدى العالم الإسلامي والآسيوي . العبيد والجواري لدى العثمانية ، هم البشر الذين يجرى تشغيلهم في الخدمات المنزلية . يستند ماضي أكثريتهم إلى كونهم أسرى حرب أيضًا . أما في العصور الأخيرة ، فقد كانوا أطفالاً يبتاعون من قفقاسيا . وبصورة عامة ، فقد جلب السود منهم من الصومال ومن الحبشة . كان الأغوات

الخصيان ، في السرايات ، وكان عددهم في العصر 18 في استانبول 500 تقريبًا . قل عددهم على مر الزمن . كانت عملية الخصي ، تجرى في مصر الجنوبية في سن الطفولة . إن نسل الرجل الحر من الجارية ، يكون حرًا (حكم الشريعة الاسلامية بهذا الشأن ، عكس حكم القانون الروماني) كان يسمح للمسيحيين في الدولة العثمانية ؛ باتخاذ عبد مسيحي أو جارية مسيحية ، ولا يجوز لهم استخدام عبد مسلم أو جارية مسلمة .

« إن الفرق بين العبد في تركية ، والعبد في جزر الأنتيل ، فرق هائل كالفرق بين الثرى والثريا . إن وضع الخادم التركي المشترى ، أحسن بكثير من وضع الخادم الأجير . ولكونه بضاعة غالية لسيده ، فإنه يراعى بصورة جيدة . لا يرهق في العمل . يلقى الاهتمام الكلي في مرضه . أما الأعمال الشاقة كالاشتغال في المزرعة ، فلم تكن موضوعًا للبحث في أي وقت من الأوقات . حرياتهم أكثر بكثير من حرية عبيد الأراضي المحليين الموجودين في أوروبا . العبد هو أحد أعضاء البيت . يأكل ويشرب مع أولاد البيت يلبس مثلهم . وبطبيعة الحال فإن من يكون لديهم عبيد أو جوار لابد أن يكونوا أغنياء . والراجبات التي على أكثرهم أن يقوموا بها هي أعمال بسيطة كمرافقة السيدات . تجهيز غليون سيّده . وعند بلوغ أكثريتهم سنًا معينة يزوجهم سيدهم ، بفك رقابهم ، ويصيرهم أرباب بيوت ويؤمن معيشتهم مدى الحياة بصورة أكيدة . ومن الجائز أن يصبح العبد الذي يحصل على رضا سيده ، صهرًا له » (مارشال فون مولتكه ، 1836 ,26 - 7) .

جميع الحقوق الإنسانية للعبيد ، كانت محفوظة . كان لا يجلد ، لا يظلم ولا يقتل . للعبد والجارية الحق في شكاية سيدهما إلى القاضي ولا يختمون كما في أوروبا .

5 – الاحتفالات الإمبراطورية (بالفرنسية : Fete Imperiale) :

كان الشعب يشترك في أفراح الكبار ويلهو في داره ، ويلهو الرجال في المقاهي ذات الجوقات الموسيقية وأمثالها وفي المسيرات . كانت الأفراح التي يقيمها البادشاه في مناسبات ختان الأمراء (أبناء البادشاه) وكذلك أعراس زفاف الأميرات السلطانات

(بنات البادشاه) ، وميلاد الأمراء والأميرات ، شعبية على الأغلب . ولشهرة هذه الاحتفالات العثمانية ، فقد يكون من المفيد أن نتناولها بنبذة مختصرة .

يشترك في هذه الاحتفالات بجهودهم جميع أرباب الفن من الصياغ إلى الرسامين . إن الأفراح التي تقيمها البحرية وإطلاق الزينات الهوائية تسمى « شهرآيين » يخطط لها المهندسون البحريون ، وأشهر هذه الأفراح ، تلك التي أجراها مراد الثالث لختان ابنه ولي عهد – شهزاده محمد (الثالث) ، والتي استمرت 55 يومًا و 55 ليلة . أفخم احتفال جرى على سطح الكرة الأرضية في العصر 16 ، Elliot Stcu The Stout Humayun of Murad III ، 1966 ، ص 48) . اشترك شعب استانبول برمته ، المدعوون من الأقطار الأجنبية ، والشعب القادم من خارج استانبول ، جرت فنون وعروض وزينات تدهش العقل ، (Labelski ,La Description à Constantinople ,1583 ، 80) .

أما أعظم احتفال جرى في العصر 17 ، فهو الاحتفال الذي جرى في أدرنة 1675 . أجرى محمد الرابع ختان ابنه الكبير ولي عهد – شهزاده مصطفى (الثاني) ، أثناء تزويج ابنته الكبرى خديجة سلطان في الوقت ذاته . جرت عملية ختان 8 000 طفل ، 6 000 منهم جلبوا من الأناضول مع الشهزاده . أجرى عمليات الختان 300 جراح (هزارفن ، **تلخيص البيان** ، 166 ، آ) . اشترك الجيش والبحرية في هذه الأفراح ، بآلاف من الجنود وقاموا بألعاب حربية كأنها معارك حقيقية . وأثاروا فضول الشعب . كان الشعب يأكل ويشرب على الموائد التي نصبت في الشوارع والميادين .

6 – الرياضـــة :

تأتي رياضة الصيد وألعاب الفروسية في مقدمة الألعاب الرياضية التي يهتم بها العثمانيون . إن الألعاب التي يلعبها أتراك الغرب والتي تسمى « جريد » وأتراك الشرق بضرب الكرة والتي تسمى « جوكان » ، هي ألعاب فروسية تؤدى بواسطة المزراق والعصي والتي انتقلت إلى الغرب بواسطة الإنكليز باسم « بولو » . وكان يوجد كذلك سباق الخيل ، والركض الرياضي أيضًا ، لكن الرياضة المرغوب فيها جدًا هي المصارعة .

وأخيرًا ، كان الرمي سواء بالسهم أو بالأسلحة النارية منتشرًا جدًا .

اشتهرت في استانبول نوادي المصارعة في زيرك (أولياء ، 583, 1) ، ونادي الرمي وألعاب السيف في بيازيد (Lubenau 183, 1, 4 -) ، وكانت توجد نواد مماثلة لها في كل مدينة .

كان بعض السلاطين أبطالاً في رمي السهام في عصورهم . تشيّد مسلة حجرية لكل رامٍ للسهم حقق إصابة الهدف من مسافة تقارب الـ 800 م ، ويسجل عليه الرقم القياسي الذي أحرزه ويكون شاهدًا تاريخيًا لا يمحى . كان بعض الرماة يتمكنون من إصابة الهدف الذي وضع على مسافة تفوق 800 م بمسافة كبيرة ، 10 - 12 مرة متتالية (Thèvenot ، 1687 ، 109) ؛ Taverier ,1675 ، 71 ؛ اينجيجيان ، 79) .

7 – الحياة المنزلية :

بيوت العثمانيين خشبية ، وبعضها حجري ، وأحيانًا مزيج من الإثنين . ذات حديقة . البوابة الخارجية مستقلة وتخص عائلة واحدة . لا يوجد نظام عمارات . قيمة الإيجارات قليلة . وعلى العموم تكون الدار ملكا للذي يسكنها . الأثاث قليل وبسيط . تقسم البيوت الكبيرة والقصور إلى قسمين ، للنساء (حرم) وللرجال (سلاملك) . يستقبل رب البيت ضيوفه في قسم السلاملك . وفي البيوت الصغيرة يجرى ذلك في الطابق الأول ويخصص الطابق الثاني للنوم . البيوت العثمانية نظيفة جدًا . الحذاء يخلع عند الدخول . من الأمور الأكيدة أن تكون في حديقته إي مزروعات مهما كانت .

الشوارع نظيفة . كل مسئول عن تنظيف القسم الذي يقع أمام داره . لكن الطين في الشتاء والتراب في الصيف كثير . شوارع جميع المدن تحتوي على أرصفة يعتنى بها باستمرار (أحمد رفيق ، 1 ,13 ,67 ,3 ,21 ,30) . تم وضع الأرصفة في شوارع لندن وباريس ، بعد إستانبول والمدن العثمانية الأخرى بعصور طويلة . المساكن على العموم خشبية . وتكون الأبنية العسكرية ، الدينية ، والعامة حجرية . وحتى العصر 19 ، كانت شروط المعيشة في المدن العثمانية ، بالنسبة للمدن الأوروبية أكثر راحة ، أرخص ، أحسن وأكثر رفاهية . أما في الفترة التي تسبق العصر 18 ، فقد كانت أرقى

بشكل لا يقبل القياس . الغلاء وخاصة الفاقة نادرة . لكن يحتمل وجود أمراض سارية .

لا توجد مشكلة الأولاد غير الشرعيين التي تنتشر في المجتمعات الأوروبية . إذ لا يوجد زنى . يحتمل وجود أطفال مات آباؤهم وأمهاتهم . يلجئون فورًا إلى أقرب الأقارب .

8 ـ الأطعمة والمشروبات :

مشروب العثماني هو الماء . المشروب الكحولي حرام . لكن هناك رجالا يشربون الشراب ، العرق . توجد حانات الشرب . تشرب المشروبات غير الكحولية كالبوظة (خلاصة بعض الحبوب تعمل بطريقة خاصة) ، الشيرة (عصير العنب المجفف) ، عصير الفواكه . لا يشرب العثمانيون شراب قيميز (حليب الفرس المخمّر) كالأتراك الشرقيين . يشربون الحليب . وصل التخصص في تذوق الماء وخاصة في استانبول إلى درجة مدهشة . بإمكان الاستانبولي الأصيل التعرف على منبع الماء فورًا بعد ارتشافه شربة واحدة .

يؤكل الخبز والبيدة (الرغيف) . يصنع من نوعية جيدة من الطحين . إن صمون (فرانجولا) استانبول مشهور عالميًا . يؤكل الأرز بكثرة . لا يستغنى أبدًا عن لحم الغنم . الأطعمة الأخرى ، هي الفواكه الطازجة والمجففة والخضراوات .

أصبح المطبخ الاستانبولي على مر الزمن ، بفضل السرايات والقصور ، مطبخًا لصنع أنفس وأجود الأطعمة في العالم . توصل إلى القمة في 1908 وبدأ في الهبوط من قمته بعد ذلك التاريخ . ثم عطل تقريبًا بعدها . تستمر اليوم أيضًا المعجنات (البورك) حلويات العجين ، المخللات (الطرشي) ، المحلّبي ، أنواع الكباب . لكنها ليست بتلك النفاسة لعدم توافر تلك النوعية الجيدة من الطحين ، الرقاق واللحم .

9 ـ أرباب الحرف (أصناف) :

أرباب الحرف هم عماد الطبقة الوسطى . طبقة كبيرة مرفهة ، ذات اعتبار وكبيرة العدد ، يصنّعون المواد ويبيعونها ، ويعيشون في المدن ، وينقسمون إلى طوائف بحسب

المواد التي يصنعونها ويبيعونها . كان يوجد 100 1 نوع من الحرف في العصر 17 في استانبول . كل طائفة من هؤلاء متخصصة في عمل ، وكان الانتقال من إحداها إلى الأخرى ، يبدو غير ممكن .

لا يمكن قبول أصحاب الحرف الذين لا ينتمون إلى النقابات « لونجه » . كل محترف كان عضوًا بالضرورة في نقابته الخاصة بصناعته . وكانت الرقابة الذاتية (autoeontrol) لكل منظمة تسير بصورة دقيقة . كان من غير الممكن صنع بضاعة بنوعية غير جيدة مخالفة للمواصفات المطلوبة . وعلى العموم ، كان أرباب الحرف ينتمون إلى حرفة أبيهم . ولأجل الانتساب إلى السلك ، كان يجب العمل عند المحترف (الأسطة) في عمله كعامل مستجد (صانع بالتركية : جيراك) . وعند إتمامه دورة المستجد ، يكون الصبي قد أدرك سن الشباب ، عندئذ يطلق عليه اسم « قلفة » مساعد . ولكي يفتح القلفة مخزنًا مستقلاً ويصبح « أسطة » ، فإنه يلزم موافقة النقابة لا يجوز لأي أحد أن يفتح مخزنًا يزيد على الحاجة ، كل مخزن كان معملاً للإنتاج ووحدة تجارية للبيع . ولكي يحصل على عنوان محترف (أسطة) يجب أن يحصل على تزكية الأسطة الذي كان يعمل عنده وأن يجتاز امتحانًا أمام الهيئة الإدارية للنقابة

كانت هناك هيئة إدارية لكل نقابة ، تتشكل من 6 أساتذة محترفين يطلق عليهم اسم « آلتيلر » . (الستّة) ينتخبون من بين أعضاء النقابة بالتصويت ويكون هؤلاء عادة أساتذة (أسطة) مسنّين ، مستقيمين ، مجربين ، عقلاء ، أغنياء . لكل نقابة صندوق (خزينة) يسمى « عوارض صندوقي » كانت صناديق بعض النقابات كالبنوك . إن النقابات التي تمتلئ صناديقها بشتى الطرق كبدلات اشتراك الأعضاء ، التبرعات ، الأوقاف ، الهبات ، تحرص على ألا يتعرض عضو من أعضائها إلى الضيق ، وتقدم لهم القروض . يطلق على رئيس النقابة « شيخ » وعلى معاونه « كتخدا » أو « كاهيا » . كان هؤلاء مخولين بمراجعة الدولة . كان مرجعهم الأول هو القاضي الذي هو رئيس بلدية المدينة . لا يمكن لأي أحد أن يفتح دكانًا دون أن يكون عضوًا في النقابة . والمسيحيون كذلك كانوا مجبرين على أن يكونوا نقابيين . لم يكن الباعة المتجولون نقابيين . كان الدكان على العموم يتكون من أسطة واحد ، خلفه (مساعد) واحد

أو اثنان أو ثلاثة صنّاع (مستجدين) . كانت هناك أيضًا دكاكين كبيرة . لكن المخازن الكبيرة كانت في البدستان (سوق الحاجيات الثمينة جدًا) . لم يكن هؤلاء أعضاء في النقابة ولم يكونوا عمالاً من أرباب الحرف بل كانوا تجارًا . وبالنسبة لتعداد عام 1637 ، كانت مدينة استانبول تحتوي على 264 79 صانعا مستجدًا ، خلفه واسطة أي أرباب حرف ويفهم من ذلك أن 000 400 شخص على أقل تقدير يكسبون عيشهم بفضل حرفهم . عدد الدكاكين والمحترفين (الأسطة) كان 214 23 . كان عدد النقابات 158 ، لأن أصحاب الحرف المتقاربة ، كانوا ينتمون إلى نقابة واحدة . كانت هناك نقابات لا يتجاوز عدد أعضائها 100 ، بجانب النقابات التي يبلغ عدد أعضائها الآلاف . كانت النقابات الموجودة في المدن الأخرى ذات ارتباط مع استانبول . كانت الصناعات الحقيقية ، خارج قطاع أرباب الحرف والصناعات الأصلية الكبرى والثقيلة ، في قطاع الدولة .

« لدى الأتراك أساتذة عمل وعمال مهرة في جميع المجالات » . (Philippe du Fresne - Canaye Voyage en Orient ، 1572 ,264) .

إن المصنوعات الأوروبية تعتبر ترقيعا عاديا إذا ما قيست بالمصنوعات التركية (Observations , Pierre belon , 451) .

« خياطة الملابس ، تجليد الكتب وتزيينها ، صناعة الجلود ، صناعة الأحذية ، صناعة الأحذية الطويلة (الجزمة) في تركيا ، أرقى من صناعتنا . أما في مجال السراجة وصناعة أطقم ركوب الخيل ، فإن تفوقهم يدهش . والمصنوعات التركية في المجالات الأخرى ، كما هي عندنا » (Pietro della Valle ,46 - 7) .

10 – الاقتصاد والنقود :

يكون الاقتصاد مكتفيًا بذاته (بالفرنسية : autarcique) في إمبراطورية عالمية حقيقية . الدولة مكتفية بذاتها في كل المواد الخام والمصنوعة التي يمكن أن تخطر على البال . كانت الإمبراطورية العثمانية على هذا الوضع لعدة عصور تمارس التجارة لغرض الربح . لم يستورد خلال العصور 15 - 17 أي شيء للجيش ولا للبحرية . أما المواد التي منع تصديرها ، فهي الخيل ، الأسلحة ، البارود ومعدن الرصاص . إلا أنه صرف النظر عن المنع خلال فترات معيّنة لدرجة أن هذه المواد كانت ترسل إلى الخارج كهدايا

من البادشاه .

كانت الإمبراطورية العثمانية بلاد السعة والبركة ، والرخص والرفاهية إن لم تدخل في حرب طويلة الأمد ، أو إن لم تتعاقب سنوات الجفاف وقلة الأمطار . كانت حتى العصر 18 من أكثر الأقطار رفاهية في العالم . وبالطبع فإنه لم يكن هناك تعادل بين المناطق ، طبيعي ألا يكون هناك تساوٍ بين المناطق في امبراطورية تحكم أقطارًا غير متجانسة إلى درجة كبيرة . ولكن الفرق بين أغنى مناطق الإمبراطورية وأفقرها لم يكن شاسعًا بقدر ما نجده من فرق بين انكلترا ومستعمراتها في الهند في تلك الفترة . ولم يكن كذلك بقدر الفرق بين فرنسا والسنغال . إن المناطق الأكثر رفاهية في العثمانية ، كانت المدن الكبيرة وضواحيها كاستانبول ، مرمره ومنطقة أناضول الغربية ، بورصة ، أدنة ، مانيسا ، والموانئ المفتوحة للخارج كسلانيك ، جزائر ، بيروت ، تونس ، وعلى العموم روملي .

دامت السعة والبركة ، الرخص والرفاهية في عصور الانحطاط كذلك . ومن الممكن القول إنها استمرت حتى 1912 . ولكن يجب ألا يغرب عن البال الذروة في مخطط الرفاهية للإمبراطورية هي قرابة عام 1540 ، ويصادف ذلك أواسط عهد القانوني . ولقلة النفوس بالنسبة للعصر 17 ، كانت الرفاهية أكثر وضوحًا . كانت المدينة العثمانية في العصر 16 ، أقل نفوسًا وأكثر تنظيمًا ، بالنسبة لمدينة العصر 17 ، وقرية العصر 16 العثمانية كانت منظمة . بدأ في القطاع القروي العثماني للعصر 17 اختلال الأمن وترك المزارع والنزوح إلى المدن . إن العصر 16 هو عصر الانفتاح الأوروبي على العالم . انفتحت على العالم ، لكنها لم تكن بعد قد تمكنت من حيازة الثروة العالمية . كانت تحاول استعمار أمريكا . لم تكن بعد قد تمكنت من الاستعمار في آسيا وأفريقيا . كانت مكتفية بالتجارة البحرية . وبناء على ذلك كانت المسافة – بينها ، وبين الشرق الذي وفّر الثروات الأساسية ، وبين العثمانية أقوى دولة في الشرق – بعيدة ، كانت الرفاهية والرخاء لا يزالان موجودين في الأقطار العثمانية عام 1912 . ولم تكن الكتل البشرية تموت من المجاعة كما في الهند وأيرلندا ، لم يكن هناك ملايين من المهاجرين الأوروبيين يفرون بأنفسهم إلى أمريكا للنجاة من الموت جوعًا . لكن أوروبا كانت قد أطلقت

العنان وتقدمت ولم يبق للشرق حتى أمل اللحاق بها . قبضت أوروبا على جميع مصادر الثروة بقوة .

كان الشخص الواحد يستطيع في عام 1843 في مدينة عثمانية غالية كاستانبول ، أكل 3 وجبات من الطعام بعشرة بارات . (عشرة بارات تعادل جزءًا من 400 جزء من الليرة الذهبية) ، لا يمكن اليوم أكل وجبة واحدة بهذا الثمن نفسه ، وليس 3 وجبات (Gerard de Nerval ، ص 66, 60) . لم يحدث تغيير في مستوى الأسعار حتى 1912 ، بقي التضخم جزئيًا . كان بالإمكان في 1912 أيضًا شراء دار مستقلة في مدينة كاستانبول وفي منطقة جيدة لا بأس بها على الإطلاق بعدة قطع ذهبية (لم تتجاوز نفوس استانبول مع ضواحيها في العهد الإمبراطوري المليون ونصف مليون نسمة في أي وقت من الأوقات) . إن شيئًا كهذا ، لا يمكن أن يتحقق اليوم . قيمة الإيجارات ، كانت منخفضة جدًا .

انخفض التضخم الذي بدأ في تموز 1908 ، في ت1 / 1912 . الارتفاع الذي حدث خلال ت 1912/I – آيار 1913 كان كبيرًا . انخفض ثانية في الفترة آيار 1913 – تموز 1914 . زاد التضخم خلال تموز – ت 2 / 1914 وأصبح 50 ٪ خلال 3,5 شهر ، وتتضح درجة زيادته المخيفة إذا ما نسب إلى سنة كاملة . يحتمل أن الشعب العثماني لم يكن قد شهد طوال تاريخه ارتفاعًا في الأسعار إلى مثل هذه الدرجة ، أصبحوا في حالة اجتماعية واقتصادية يرثى لها . إن نهب الحكومة المخازن والدكاكين ووضعها اليد على الأرزاق والثروة الحيوانية في القرى بحجة النفير ، صيّر من التضخم آفة مخيفة . وفي ك2 / 1916 وصل التضخم في مدينة استانبول إلى 300 ٪ . تركت زراعة نصف الأراضي الصالحة للزراعة . حدث قحط فظيع .

كتب محيي الدين بك في جريدة طنين (30 / 10 / 1916) أنه لم يصادف خلال سفره من اسكي شهر إلى قونية أي مظهر للحياة .

إن رجلاً كأحمد رضا بك (كان مستقيمًا ، شريفًا ومحبًا للوطن ، بصرف النظر عن أخطائه السياسية) مؤسس حزب الاتحاد والترقي ، رئيسه السابق ، رئيس مجلس النواب لتلك الفترة وعين في المجلس مدى الحياة ، ألقى خطابًا شديد اللهجة في مجلس سناتو الإمبراطورية الذي يسمى « مجلس أعيان » . أفاد بأنه بسبب سوء التصرفات ،

تعذر تأمين الخبز حتى لشعب استانبول . إن شخصًا كهذا ورغم حصانتة التشريعية ، أوقف لمدة 24 ساعة وأخلي سبيله بعد أن وعد أنه لن يتحدث بحديث مشابه .

تجاوز الوضع الذي انتهجه صاحب أنور باشا ورئيس شعبة اللوازم في نظارة الحربية طوبال إسماعيل حقي باشا ، حده المعقول . أسست نظارة الإعاشة وجيء بقره كمال بك على رأسها . حاول مكافحة سوء التصرفات هذه ، لكنه لم يوفق ؛ إذ إنه وزّع كثيرًا من الأعمال الممتازة التي تدر الربح الكثير ، على أصدقائه من كبار الاتحاديين ، وعلى أصحابهم وعلى أقربائه . كان كل شيء متوافرا بالنسبة للغني . شوهد في أغنى مدينتين للإمبراطورية كاستانبول وبيروت اللتين كانتا لعدة سنوات مضت متخمتين من الرفاهة ، أناس سقطوا على الأرض من الجوع . صرخ الشعب عندما ارتفع سعر السكر في 1913 إلى 200 بارة (1 / 200 من القطعة الذهبية) ، أما عندما ارتفع فجأة سعر كيلو الصمون الأبيض (فرانجولا) في آب 1916 إلى 16 قرشا ، لم يسمع صوت اعتراض مع أن الذين يمكنهم دفع 16 قرشًا كانوا قليلين جدًا . وزّع على شعب استانبول في (1917) ، 150 جرامًا يوميًا من الخبز الأسود المخلوط ببذر المكانس . شوهد زواج بنات عائلات الوزراء وقضاة العسكر الشهيرة والعريقة بأغنياء الحرب الذين لا يُعرف كيف ومن أين أتوا والذين لا يعرفون أسماء أجدادهم . أما الطبقة الوسطى في استانبول فقد سمع أن بنات كثيرات منهن تورطن في الفاحشة . تلك هي الطبقة الوسطى ، التي كانت حريصة على الاستقامة بما يفوق الطبقة العليا بكثير . هزلت المرأة التركية الممتلئة قوة وحيوية ، وخارت قواها . برزت الهياكل العظمية للشيوخ الذين كان تركيبهم الجسماني كالأبطال . شوهد أطفال ضمرت بطونهم من الهزال ، وأصبحوا معرضين لمرض السل في كل لحظة . أما الرجل الشاب ، فلم يكن يشاهد أبدًا ، كان في الجبهة .

حدثني أبي محيي الدين أوزتونا الذي حارب الإنكليز كضابط احتياط في جبهة العراق عام 1916 بما يلي : « وبعد 1915 انهارت تمامًا إعاشة الجيش أيضًا . كانت هناك وحدات أكلت اللفت (الشلجم) فقط ، البطيخ ، حتى قشور البطيخ أيامًا عديدة . وأنا أكلت كذلك لعدة مرات قشور البطيخ . كان يوجد على العموم في جيوب الضباط

حفنة من العنب المجفف ، البندق أو الأيغده (الميده) ، لكننا لم نكن نتمكن من أكلها لخجلنا من الجند » بدأت الأمراض . الإسهال الدموي كان مخيفًا .

كان شعب استانبول يشكو في صيف عام 1914 من ارتفاع سعر السكر إلى 5 , - (نصف) قرش ، وزيادة الأسعار على أسعار عهد السلطان حميد عدة أضعاف . ارتفع سعر السكر في آب 1916 إلى 60 وفي تموز 1917 إلى 120 قرشًا (نصف قطعة ذهبية) .

أصبح سعر صفيحة النفط الواحدة (16 كغم) 50 قرشًا أي نصف ليرة ذهبية . وبسبب ذلك ، بقيت استانبول في ظلام حالك . لأن الكهرباء لم تكن موجودة إلا في بيوت الأغنياء فقط ، في الضواحي ؛ كبك أوغلو ، شيشلي . والإنارة بواسطة غاز الاستصباح لم يكن شاملاً جميع المدينة . عادوا مرة أخرى إلى عهد الشموع . أصبح الشمع بعدها نادر الوجود . ثم بدأت الإنارة بواسطة حرق جذوع أشجار الصنوبر (جيرا) والأشجار الأخرى . عادت استانبول تعيش دور الكهوف ؛ إذ إن سعر النفط ، ارتفع في 1917 إلى 250 قرشًا (5 , 2 قطعة ذهبية) . كانت الصحيفة الموالية للاتحاد والترقي النصف الرسمية تكتب ما يلي : « لا تحزنوا على قضاء لياليكم في الظلام ، سيتنوّر العالم العثماني عن قريب بأنوار النصر ! » .

أغلق القصابون حوانيتهم في ت 2/ 1916 . إذ لم يكن لديهم اللحم ليبيعوه . ظهرت مشكلة لم يسبق أن شوهد مثيلها في المجتمع العثماني حتى ذلك التاريخ . الأطفال الذين مات عائلهم وظلوا دون عائل . أحصى عددهم في النصف الأول من عام 1917 في استانبول فقط فكان 20 000 طفل وسيقوا لملاجىء الأطفال الحكومية . رفض أقارب وجيران هؤلاء الأطفال أن يعولوهم بسبب عدم عثورهم على الطعام . حدث اختلال اجتماعي كبير في المجتمع العثماني . الكل يحاول أن ينجو بنفسه . لم يكن أحد يهتم بمشاكل غيره . كان يوزع على شعب استانبول بموجب القرار الذي صدر في 24 / 3 / 1917 شهريًا للشخص الواحد وبالبطاقات ، 150 جرامًا من السكر بسعر 20 قرشًا للكيلو ، و 300 غرام من الفاصولية اليابسة بسعر 10 قروش للكيلو . كانت الكارثة الكبرى ، في المدن الكبرى ، إذ إن القصبات والقرى نجت من الكارثة لأنها لم تكن محتلة ، وكانت قريبة من الأرض وبذلك كان بإمكانها الحصول على الغذاء . إن مركز الإمبراطورية والخلافة المسمى إستانبول ،

لم يعد قادرًا على حمل عبئه ، وأصبحت استانبول بلدة يرثى لها . بدأت نفوسها بالهجرة والذهاب إلى هنا وهناك . ثم بدأ احتلال العدو واقترب إلى مسافة تسمع منها أصوات المدافع من أنقره . سحقت القصبات والقرى تحت الأقدام وتلفت .

اختل ميزان النقد المبني على أساس ليرة ذهبية = 1 ليرة ورقية عثمانية . لم يبق أحد يعتمد على النقود الورقية للدولة . والذين حصلوا على نصف ليرة ذهبية أخذوا يخبئونها تحت وساداتهم . كان سعر الليرة العثمانية (الورقية) = 45 , 18 مارك ألماني = 70 , 3 دولار = 17 فرنكًا سويسريًا . كتبت صحيفة Temps (باريس) المؤرخة 11 / 6 / 1916 أنه لا يمكن شراء العملة الذهبية الإنكليزية الواحدة في إيالات حلب ، شام ، بيروت وألوية لبنان وقدس العثمانية بأقل من 137 قرشًا عثمانيًا ، وإن العملة الورقية العثمانية الواحدة فقدت قيمتها إلى هذه الدرجة الوخيمة (!) تجاه العملة الذهبية ، وإن بدل العملة الورقية العثمانية الواحدة في بلد محايد كسويسرا ، يعادل 3 دولارات وإن الاقتصاد التركي قد انهار . ثم ارتفعت قيمة الليرة الذهبية الواحدة في استانبول إلى 3 عملات ورقية عثمانية وفي الأناضول إلى 4 وفي بغداد إلى 5 عملات ورقية . وفي الهدنة 1919 ، كانت قيمة الليرة الذهبية الواحدة = 7 ليرات ورقية ، عندئذ أعلن إفلاس الميزان النقدي ومعادلة الليرة الذهبية للعملة الورقية ، ويجب أن نذكر أن أحد أسباب ذلك هو قيام الشعب بسحب الذهب من السوق بصورة مستمرة والاحتفاظ به . كان في الإمبراطورية العثمانية عام 1914 : 40 000 000 ليرة ذهبية عثمانية عملة نقدية متداولة ، وكان انتشار العملة الورقية قليلاً بالنسبة لذلك . وإضافة إلى ذلك ، فإن الرقم المذكور هو بالنسبة إلى العملة الذهبية العثمانية المتداولة فقط (عزيز ، حميد ، رشاد) . العملات الذهبية الأجنبية لم تحسب ضمن هذا الرقم . والحال ، أنه كانت توجد في تركيا كذلك ، كما في جميع أقطار العالم كمية كبيرة من الليرات الذهبية الأجنبية وكانت متداولة (وخاصة الإنكليزية ، الفرنسية ، النمساوية ، الألمانية ، السويسرية ، الهولندية ، البلجيكية وحتى العملة الذهبية الروسية) وفي بداية عام 1917 بلغت العملة الورقية المتداولة مبلغ 46 000 000 ليرة تركية (كانت توجد كذلك عملات ورقية ذات قيمة 1000 ليرة) . وخلال عام 1917 ، فاقت العملة الورقية المتداولة ، العملة

الذهبية المتداولة . وهذا سبّب ارتفاع سعر الذهب . كانت ميزانية الحرب لسنة (1915) ، 83 مليون ليرة تركية وبالنسبة لتلك الفترة ، من الممكن القول إن الليرة الذهبية الواحدة تعادل 1,5 ليرة ورقية تركية . إن المصروفات الظاهرة للحرب ، هي المصروفات المنظورة فقط . وحقيقة الأمر أن الحكومة كانت تستولي على الكثير من حاجيات الشعب عن طريق السخرة ووضع اليد .

لم تخرج الدولة العثمانية من الحرب العامة ، بجيوش مغلوبة ، وأقطار محتلة وإمبراطورية متداعية فحسب ، بل إنها كانت قد دمرت اقتصاديًا كذلك . أصبح المدني والقروي فيها معدمًا . كانت الروابط الاجتماعية قد ضعفت . بدأ الانهيار الأخلاقي الذي لم يسبق أن عرف حتى ذلك التاريخ . لم تعد إستانبول بعد الآن قادرة على تسيير دفة الدولة وفقدت عظمتها وطاقتها المعنوية والثقافية . اضمحلت التجارة ، الزراعة العثمانية والصناعة التي كانت بالأساس محدودة ، وكذلك المعادن . وقد يكون الأكثر من ذلك بلاء ، انهيار الاعتماد المطلق على الدولة الذي يعود تاريخه إلى مئات السنين .

11 – الصناعة :

قانونًا : الذهب ، الفضة ، الحديد ، الرصاص ، النحاس وجميع المعادن الأخرى الموجودة في الممالك السلطانية ، تعود إلى الشخص الذي يعثر عليها . على أن يقدم خمس المستخرج إلى الخزينة (d'Ohsson , 4 , 24 - 6) . كانت الإمبراطورية مكتفية بذاتها من حيث المعادن . كانت هناك كذلك معادن ثمينة (الذهب في بوزقير ، كركر ، شيرو ، كموشخانة ، اسبية ، الفيروز في ايسبير ، الزمرّد في أسيوط والفضة في أماكن كثيرة جدًا إلخ .) كانت للمعادن أهمية كبيرة في صناعات الإمبراطورية .

كان القسم الأكبر من الصناعات الثقيلة والصناعات الكبرى التي تستخدم عددًا كبيرًا من العمال تحت تصرف الدولة . وكانت موجهة إلى الصناعات الحربية . كان الجيش والبحرية لأغراض السراي . لكن الشراء من القطاع الخاص لتأمين احتياجات الجيش ، الأسطول والسراي كان سائدًا كذلك . وبناء على ذلك ، كانت الصناعات الثقيلة والكبرى الموجودة في القطاع الخاص ، تعمل لأجل الدولة أكثر من عملها لأجل

الشعب . كان أرباب الصناعات الصغيرة والحرف ، هم الذين يقومون بتأمين حاجات الشعب ، على الأغلب .

إن المنسوجات المتقدمة جدًا والتي أصبحت من مواد التصدير ، كانت منتشرة في جميع أنحاء الإمبراطورية . كان للدولة كذلك معامل لصنع الأقمشة الصوفية الثقيلة (الجوخ والقماش الأسمك من الجوخ) للجيش . كانت معامل السكر في كل مكان ولدى القطاع الخاص . وحتى في قبرص ، كان يوجد معملان للسكر في ليماسول وباف (Belgeler ، 4 ,11) . « أرقى من كل شعوب العالم » (Ricaut ,1 ,88) . صناعة النحاس ، كانت صناعة منتشرة . والمصنوعات الجلدية التي كانت أجود نوعية في العالم بصورة جازمة كانت واسعة الانتشار كذلك (La Cour Ottoman ,158) .

كانت هناك معامل للورق في بيكوز ، كاغدخانه ويالوه وفي أماكن كثيرة أخرى . وكانت توجد معامل للقطاع الخاص لصناعة الأسلحة النارية والحادة بجودة فائقة ، عدا المدافع .

كانت مدينة بورصة مركزًا عالميًا للنسيج الحريري لعدة عصور . ثم احتلت ليون مكان بورصة . وحتى في 1914 ، كان مجموع ما ينسجه 35 معملاً في بورصة من الحرير الخام 1 000 طن (بلغ نسيج بورصة من الحرير الخام في 1958 : 140 طنًا) . الشاش ، الملاءات الحرير (Vale) ، الشال وكل أنواع النسيج الدقيق ، كانت موجودة . وعندما دخل السلطان ياووز سليم في 1514 ، إلى شقة الشاه إسماعيل في سراي تبريز ، أحصى 91 بدلة من بدلات الشاه مصنوعة من قماش بورصة . كانت الهند ، أكبر منافس للعثمانية في المنسوجات . ثلاثة مصانع تنسج أقمشة بأسلاك ذهبية وفضية (سيمكشخانة) ، في إستانبول ، بورصة وسلانيك ، كانت تتبع للدولة .

كانت تكنولوجية النسيج التركي في عام 1800 ، لا تزال أرقى من أوروبا . تطوّرت جدًا صناعة النسيج الأوروبي بعد هذا التاريخ بالاختراعات الجديدة واضطرت العثمانية إلى استعمال تلك الماكينات . إلا أن ماكينات النسيج الإنكليزية الحديثة قضت على تفوق منسوجات العثمانية والهند في العصر 19 .

فتح عبد المجيد الأول (1839 - 1861) معملاً حديثًا يستخدم حوالي 150 ماكينة مستوردة من الغرب (457, The Emergence, Lewis) . عرضت بضاعتها في الردهات المؤقتة للمعرض الصناعي في إستانبول 1863 بصرف مبلغ 000 30 ليرة ذهبية . تلقت عروضًا كبيرة من أوروبا . ولكن لم يبق هناك أمل في اللحاق بالصناعة الأوروبية ، بعد هزيمة 93 .

كان النساء والأطفال يعملون فيما مضى في الصناعات كالنسيج والسجاد . سبّبت الصناعة ذات الماكينات الحديثة زيادة عدد العاملات النساء والأطفال في العثمانية أيضًا . كان عدد العاملات النساء في معمل الكبريت (الشخاط) في إستانبول عام (1897) , 121 من مجموع 201 عامل وعاملة و 1 000 عامل في معمل الخام في باقركوي في التاريخ نفسه ، كان نصفهم تقريبًا أطفالاً شارفوا سن الشباب (9 - 475, Lewis) . إن أول منظمة عمالية أسست في 1871 ، عدا نقابات أرباب الحرف ، هي المنظمة المسماة « عالم برور جمعيتي » . وحدث أول إضراب في 1872 ، وهو إضراب 600 عامل من عمال معمل سفن قاسم باشا ، وتمكن من تأمين زيادة في الأجور . وقد سجل في آب وأيلول من عام 1908 ، ثلاثون إضرابًا .

12 – التجـــارة :

يورد الفريق الأول الكونت مارسيكلي Kont Marsigli في كتابه المشهور (57 - 61) عن التجارة العثمانية في بداية العصر 18 ، الفقرات التالية التي تستحق الذكر .

« سواء الأتراك ، أو الأقوام الأخرى التي تعيش ضمن الإمبراطورية التركية ، كانت نشطة في مجال التجارة . كانوا تجارًا أتقنوا مهنتهم ، مهرة ، مقتدرين . كانت سياسة الباب العالي الثابتة ، هي تقديم كل المساعدات للعاملين بالتجارة . ترغب الحكومة العثمانية في دخول وخروج الأموال التجارية وتحريكها قدر الإمكان . تزداد واردات الدولة ويغتني الشعب بنسبة دخولها وخروجها . تتحاشى الضرائب العالية . وتعتقد أن الضرائب العالية تعرقل الحركة التجارية وتعوق دخول وخروج سلع كثيرة ، وإضافة

ذلك فإنها تؤدي إلى التهريب. لا يجسر أي تاجر على ذلك . تسحب منه إجازة الاستيراد والتصدير . ولو فكرنا في سبب رفاهية الإمبراطورية التركية ، لاتضح أن السبب هو التجارة . إن سعة الأراضي وإنتاجيتها تأتيان في الدرجة الثانية . وفي الواقع فإن كثيرًا من أقطار الإمبراطورية ليست مناطق مدرة للمحاصيل ، لم أكن في البداية قد تعرفت على الأتراك . إذ إننا نحن الأوروبيين نقضي أوقاتنا في بك أوغلو بين الجالية الأوروبية ، ونعود إلى أوروبا مدعين أننا قد تعرفنا على العثمانية . يجب الولوج داخل العائلة العثمانية . إن مظهرهم الخارجي يوحي بأنهم مجتمع إسلامي نظيف الملبس ، لكن لا نرى في لباسهم المبالغة في الزينة التي نراها في أوروبا ، لا يرغب في حب الظهور ، وقور ، قنوع . إن هذا ، هو التركي في الشارع . ولو دخلنا إلى بيوتهم ، للفت نظرنا قلة مصروفاتهم ، ولكن إذا مكثنا مدة طويلة في تركية واطلعنا على بواطنهم ، لاتضح أن لكل عائلة كيانا وتصرفا خاصا بها . لا يوجد من يشحذ في الطرقات . يوجد معدمون ، لكن لا يوجد معدم لا يلقى معونة . إن هذا الكيان الاجتماعي ، تحقق بفضل التجارة التركية المتقدمة جدًا ، أكثر مما تحقق بفضل الصناعة التركية المتقدمة . إذ إن جغرافية الإمبراطورية العثمانية ملاءمة للحصول على ربح متزايد من التجارة ، وقد أدرك الأتراك هذه الملاءمة في وقت مبكر جدًا وشمّروا عن سواعدهم للعمل . تقع الإمبراطورية ، وسط القارات الثلاث . وهي في وضع يمكنها من بيع المواد الخام والمصنعة المختلفة وشراء ما يروقها من آسيا وأوروبا من محاصيل بيعها . لا توجد دولة أوروبية واحدة لا تتعرض لمشاكل كبيرة في حالة قطع تجارتها مع العثمانية . إنهم مضطرون لاستيراد بعض المواد من العثمانية بصورة حتمية لا يمكن تصور مدى غناء الإمبراطورية في موادها الخام . تصدّر من تركيا إلى أوروبا أخشاب إنشاء السفن ، الحرير ، الصوف ، القطن ، شمع العسل ، الزيت ، المواشي الكبيرة والصغيرة . ويأتي على رأس المصنوعات المصدرة الأقمشة من كل الأنواع أو الخيوط ، الجلود ، والمصنوعات النحاسية .

تصدير الأسلحة ممنوع ، ولكن الأسلحة النارية والحادة الجميلة جدًا ، تُهرّب إلى أوروبا وتجد هناك من يرغب في شرائها بأسعار فاحشة .

يتاجر الأتراك بالمقايضة في بعض السلع . ولكن مهما كان الأمر ، فإنهم حتى في

أتعس أيامهم ، كانت صادراتهم تفوق وارداتهم . ولهذا السبب فإن البضاعة الأوروبية التي ترسل إلى تركية ، لا تكفي ، وكذلك فإن الدول الأوروبية جعلت العثمانية تستوعب الذهب والفضة الأمريكيين كمسكوكات نقدية . إن هذا وضع سيء بالنسبة لنا ، وإضافة لذلك فإن الأتراك لم يكونوا يبيعون أموالهم . فقط يشترون من الدولى الآسيوية بضاعة بسعر رخيص جدًا ويخزنون قسما كبيرًا منها ثم يصدرونه إلى أوروبا . إن هذا نهب فاحش في حد ذاته . لا يستطيع الأتراك حاليًا نهب أوروبا كما كان في السابق ؛ إذ إن السفن الأوروبية أخذت تدخل بصورة فعلية إلى المحيط الهندي . لكن طرق التجارة البريّة ، ما زالت في يد العثمانية .

الأصباغ التركية ثابتة لا تمحى ، تصنع بتكنولوجيا متقدمة جدًا . تباع في أوروبا بأسعار باهظة . يصبغون سجادهم بهذه الأصباغ . السجاد ، الجلود ، القماش الفاخر ، هي مصنوعات تركية تفتش عنها طبقة الأغنياء الأوروبية بإصرار . إن السجاد والأقمشة التركية تعتبر آيات فنية من ناحية الذوق السليم في تصميم نقوشها . شاهدت مصنوعات معمل جانفس (الحرير الناعم) الذي فتح حديثًا في إستانبول الحقيقة ، كانت منتجات ممتازة مصنوعة بذوق سليم . يحب الأتراك الفرو كثيرًا ويستعملونه بكثرة رجالاً ونساء للدلالة على الأبهة ، أكثر من كونه للتدفئة . فروهم الخام لا يكفي . يستوردون الفرو الخام من روسيا ويصنعونه بشكل ممتاز ، يبيعون الفرو المشغول إلى أوروبا وهو مرغوب فيه جدًا لدى أشراف أوروبا . لا يتمكن الروس من تصنيع الجلود وشغلها وخياطتها بصورة ممتازة .

الطبقة الغنية والمرفهة التركية مغرمة بالسلع البندقية الزجاجية ، الكريستال ، الورق ، تماثيل الزينة والمرايا العمودية . يزينون قصورهم بمواد الاستيراد هذه .

أما السلع التي تستوردها العثمانية من فرنسا ، فهي للطبقة المتوسطة . ويستوردون الحاجيات المعدنية من ألمانيا .

كان الأتراك إلى زمن قريب ، مغرمين بذهب الدوكا البندقي المزيّن المسكوك بشكل جميل جدًا . من الممكن القول بأن ذهب الدوكا متداول في تركية بدرجة الذهب العثماني . احتل الآن ذهب هولندا المسمى فلوري مكانة ذهب الدوكا . يسر الأتراك

استبدال ذهبهم بالفلوري الذي يروقهم جدًا .

يظهر من هذا التصوير أن واردات الأتراك عبارة عن حاجيات طفيفة ، ومن الواضح أن أوروبا لن تلفح في حالة بقائها مضطرة إلى شراء البضاعة من العثمانية بصورة دائمة ودفع سعر فاحش جدًا مقدما . إن حجم التجارة العثمانية مع انكلترا الآن ، قد فاق البندقية وحتى فرنسا . تستورد من إنكلترا المواد الخام الرصاص والقصدير . المعادن العثمانية غير كافية بالنسبة لهاتين المادتين ؛ إذ إن الأتراك يستهلكون هذين المعدنين أكثر من جميع الدول في العالم . أما انكلترا فتستورد من العثمانية الغنم ، الماعز ، الصوف الإبل ، (الوبر) ، الحرير الخام ، الخيوط الحريرية ، الأقمشة الحريرية وما شابه ذلك . إن هذه المواد تأتي في المقدمة ولكن توجد مواد كثيرة تؤخذ بالمقايضة . الإنكليز تجار عقلاء جدًا . يجلبون الأقمشة التي اشتروها من العثمانية إلى أمريكا ويبيعونها بسعر فاحش ، بل وإنهم يبيعونها إلى أقطار أوروبية أخرى . تتعطل معامل النسيج الإنكليزية ، في حالة عدم ورود الصوف من تركيا ويؤدي ذلك إلى حدوث ضيق شديد . تأتي السفن الإنكليزية إلى الموانئ العثمانية مرتين في السنة ، على شكل أسطول ، يأخذون الصوف ويعودون . يشكل العمال في إنكلترا ، طبقة بائسة تعمل بأجور زهيدة جدًا . تبيع إنكلترا هذه الأقمشة الصوفية إلى جميع أقطار العالم . تشتري فرنسا من العثمانية كميات كبيرة من الحنطة والسمن ، بسبب وفرة عدد سكانها . وعندما تتوتّر علاقاتها مع العثمانية ، تمنع العثمانية تصدير الحنطة ، ويحصل قحط في فرنسا . ومن المواد التي تصدرها العثمانية ، المصوغات . يدرك الباب العالي ، سحبه مبالغ نقدية كبيرة من أوروبا . لذا فإنه قلّل المعاملات إلى الحد الأدنى . أمّن كل التسهيلات للتاجر الأوروبي . أنّى كان التاجر الأوروبي ، فإنه يتمتع بحماية قانونية أكثر من التي يتمتع بها في قطره . الحقيقة أن تأمين التجار والتجارة ، قد أكسب الدولة العثمانية شرفًا . أطلق الأوروبيون على هذه الامتيازات الممنوحة « كابيتولا سيون » (Capitulation) .

يحصل الباب العالي من البضاعة التي استوردها من أوروبا رسمًا جمركيًا منخفضًا . توزع البضاعة التي استوردتها من أوروبا على الأقطار التي تحتاج إليها في أنحاء الإمبراطورية بمهارة فائقة وفورًا ، بالقدر الذي يحتاج إليه كل قطر . يقوم بهذه العملية ، التجار العثمانيون .

يجلب الأوروبي بضاعته إلى الميناء العثماني فقط . ولا يمكنه نقل بضاعته إلى داخل البلاد العثمانية فذلك ممنوع . وكذلك العثماني ، مضطر إلى تسلم بضاعته من الموانئ بدفع الدراهم مقدمًا . والأوروبي لا يمكنه الدخول إلى داخل القطر العثماني واستلام البضاعة من البائع رأسًا . إن التجار العثمانيين الذين يشترون هذه البضاعة من مصدرها يقومون بنقلها إلى الموانئ ، ويحصلون على أرباح كبيرة . وهناك أصحاب سفن ينقلون بضائعهم بسفنهم ويجلبونها إلى الموانئ الأوروبية ، ويوجد في البندقية خان تجاري تركي كبير . لا يفرّق الباب العالي بين تاجر مسلم ومسيحي شرط أن يكون من رعاياه . كلاهما يخضع للقانون ذاته . ولا تخشى العثمانية أبدًا من اغتناء رعاياها المسيحيين . ولا شك أن هذه المعاملة تكسب العثماني شرفًا » .

13 – المرور البري والبحري :

استانبول ، نقطة التقاء لجميع الطرق سواء كانت برية أم بحرية . أطلقت العثمانية في عصور عظمتها وقت أن كانت دولة عالمية عظمى ، على استانبول اسم بأي تخت جهان (مركز العالم) ولها الحق في ذلك . كانت الطرق البرية العثمانية أجود الطرق في العالم (244, La Méditerranée. Brandel) . كانت مرصوفة بحجر الجرانيت . صالحة لمرور الجيوش ، القوافل ، الخيالة والمشاة . كان سوق الماشية فيها محظورًا . والطرق الفرعية ، كانت ترابية ممهدة . كان طريق استانبول – بودين ، الطريق الرئيسي في البلقان . إن طريق استانبول – أدرنة الذي يشكل القسم الأول من الطريق ، كان أكثر الطرق ازدحامًا في المرور على وجه الأرض (العصرين 16 - 17) كانت أدرنة ، فيليبه ، صوفيا ، نيش ، بلغراد ، أوسيك أهم نقاط التقاء في هذا الطريق . يستدير الطريق بعد بودين إلى الغرب ، ويمتد إلى براتيسلافا عن طريق استركون ويانق (Gyor) ومنها إلى فيينا . ثم تأتي طرق استانبول – سلانيك ، سلانيك – بوسنة سراي ، سلانيك – مورا . والطريق الذي يصعد من أدرنة إلى الشمال موازيًا لغرب البحر الأسود ، كان يمتد إلى رومانيا وقرم . وطرق بوسنة كانت تمتد إلى البندقية . يستغرق طريق استانبول – البندقية بواسطة القافلة مدة 30 إلى 45 يومًا ، بريا إلى حد Dubrovink ، ثم عن طريق البحر إلى البندقية الذي كان يستغرق 20 إلى 25 يومًا .

برياً إلى حد Split ، ومنها عن طريق البحر استانبول - البندقية يستغرق 30 يومًا .

إن الشارع الكبير في آسيا هو طريق استانبول (اسكدار) - بغداد - بصرة . كان يربط خليج البصرة ببحر مرمرة . وكان طريق استانبول - سورية - فلسطين - القاهرة مهما ، وكلا الطريقين يمران بأزميت . كان طريق استانبول - ازميت مماثلاً لطريق استانبول - أدنة في ازدحام للمرور . كان طريق استانبول - أنقرة - أرضروم طريقًا مهمًا جدًا ويمتد إلى تبريز .

كانت القافلة (بالتركية : كروان)الواحدة تحتوي على 300 إلى 2 000 ونادرًا 2 000 إلى 12 000 حيوان .

الإبل والخيول تشكل أكثرية الحيوانات ، كانت البغال موجودة كذلك . القافلة لها خط سير يبين حركتها وللمنازل (المحطات) التي ستمر بها وأوقات مرورها وأيام وصولها وأماكن مبيتها ومدة بقائها فيه ؛ فمثلاً ، كانت قافلة واحدة تحرك من أزمير إلى استانبول في صبيحة كل يوم . لكن مرور استانبول - أزمير الأصلي كان عن طريق البحر . كانت تأتي من تبريز قافلة واحدة في كل 3 أشهر ، وسنويًا قافلة واحدة من دوبرونيك ، ومن حلب في كل 3 أشهر ، من البصرة في كل 6 أشهر قافلة واحدة ، ومن بولونيا (Krakovi) شهريًا قافلة واحدة . الكروان (القافلة) الذي يحتوي على أقل من 300 رأس حيوان ، لا يسمى كروانًا ويسمى قافلة . ولم يحتسب هؤلاء ضمن هذا العدد .

كانت القوافل تقطع المسافة من استانبول إل أدرنه - حسب الموسم - في 5 - 6 أيام ، إلى فيليبه 9 - 10 أيام ، إلى صوفيا 13 يومًا ، إلى نيش 15 يومًا ، إلى بلغراد 20 - 30 يومًا ، وكذلك من استانبول إلى بورصة 2 - 3 أيام ، إلى أزمير 10 - 20 يومًا ، إلى أنقرة 13 يومًا ، إلى سينوب 20 - 25 يومًا على مهل ودون استعجال . كان من الجائز أن ينضم الخارجيون من غير التجار إلى القافلة بعد حصولهم على إذن من الكروانباشي (قائد القافلة) ويتابعون سفرهم .

إن أهمية المرور البحري بالنسبة إلى إمبراطورية قيل إنها تحكم 7 بحار ، واضحة .

كانت جميع الطرق البحرية أيضًا ترتبط باستانبول . لم يكن للدولة أسطول تجاري رسمي ، كانت جميع السفن التجارية يملكها القطاع الخاص ، كانوا ينقلون البضاعة وكذلك البشر . كلها كانت مسجلة في ميناء واحد . إذ إنه كان يسمح لهم من قبل الدولة بحمل المدافع والسلاح . لا يجوز لأية قطعة بحرية أن تحمل السلاح قبل أن تسجله لدى الدولة . هذا التسلح ، كان تجاه القراصنة .

كانت السفن الحربية ترافق الأساطيل التجارية والأساطيل التي تحمل الحجاج . البضاعة الخاصة بالدولة ، تحملها البحرية . كانت للبحرية سفن نقل كثيرة العدد جدًا ومن كل النوعيات . ولكن لا تعمل في التجارة .

البحر الأسود وبحر آزاك ، بحر مرمره ، بحر الجزر الذي يسمي حاليًا إيجه ، شرق البحر الأبيض ، البحر الأحمر كلها كانت بحيرات عثمانية . السواحل الجنوبية لوسط وغرب البحر الأبيض ، السواحل الغربية لخليج البصرة ، كذلك كانت تحت سيطرة العثمانية . ولعدم وجود قناة السويس ، لم يكن للبحر الأبيض ارتباط بالبحر الأحمر والبحر الهندي . كانت السفن التجارية منفصلة كأساطيل البحرية تمامًا . يطلق على الذين يشغّلون سفنهم في الأول « آق دنيز تجاري » (تاجر البحر الأبيض) ، وعلى الذين يشغّلون سفنهم في الثاني « هند تجاري » (تاجر الهند) .

يستغرق السفر بالسفن من استانبول إلى الموانيء الموجودة إلى مصب نهر الطونة من 3 إلى 4 أيام ، إلى موانىء قرم 6 أيام . إن أهم طريق بحري طويل ، هو طريق استانبول – اسكندرية ويستغرق 15 يومًا ؛ 7 أيام منها أيام سير و8 أيام للمنام في مختلف موانىء إيجه . كان طريق استانبول – اسكندرية بالنسبة لسفن الأسطول يستغرق 7 أيام . ويستغرق طريق استانبول – قاهرة بالقافلة 5 أشهر . وإن كان بواسطة الخيل فإن المدة تكون أقل بكثير . ولكن على العموم يرجح السفر إلى مصر عن طريق البحر . إذ كان يوفر كثيرا من الوقت . كان الحجّاج يقطعون الطريق من الأسكندرية إلى السويس مشيًا ، ثم ينقلون منها بواسطة السفن إلى جده . والحجاج الذين ليسوا موظفين في الدولة ، كانوا يذهبون عن طريق البحر من استانبول إلى الأناضول ويجتازون سوريا ويصلون إلى مكة ، وهذا يعتبر أكثر ثوابًا . وبذلك يكونون قد شاهدوا الأقطار ،

وزادت معلوماتهم .

وتأتي أزمير وسلانيك على رأس الموانئ ذات حركة المرور الواسعة بعد استانبول . ومن الممكن اعتبار Pire مثلها أيضًا .

كان طريق إستانبول – البندقية واستانبول – مرسيليا عن طريق البحر بالنسبة للسفن التجارية ، يستغرق من 30 إلى 60 يومًا . يقل المرور البحري شتاء بين أوروبا وتركية . كانت كل سفينة تجارية بعد تحركها من استانبول ، خاضعة للتفتيش في جناقلعة (جمرك غاليبولي) وعند عودتها إلى استانبول ، تفتش في جناقلعة كذلك ، وتملأ الأوراق .

وبينما كان 93 ٪ من أصحاب السفن وربابنتها خلال 1500 -1650 مسلمين والأكثرية الكبرى منهم أتراك و7 ٪ روم ، زادت نسبة الروم خلال 1650 - 1800 ، إلى 21 ٪ . كان هؤلاء تجار البحر الأبيض » . أما تجار البحر الأسود وربابنته فقد كان 69,5 ٪ منهم أتراكا . وجميع أصحاب السفن في منطقة المحيط الهندي ، كانوا عربًا وأتراكًا . كان عدد السفن التجارية المسجلة في ميناء استانبول في أواسط العصر (17) ، 2600 ، 600 منها سفن كبيرة . و 3 000 بحار حازوا على إجازة ربّان (قبطان) سفينة تجارية . كان عدد الملاحين بصورة مستمرة 27 000 . يضاف إليهم ملاحون آخرون حسب الحاجة . إن أشهر أصحاب السفن الاستانبوليين نحو عام 1640 هم حاجي قاسم ، حاجي أنور ، حاجي فرهاد وحاجي نعمة الله . كانوا في الحقيقة حائزين على إجازة « تاجر البحر الأبيض » لكنهم كانوا يجلبون أموالاً كثيرة من الهند . كانت ثروة حاجي قاسم تقدر بـ ملياري آقجه وتعادل بالسعر الرائج حاليًا 4 , 5 مليار دولار تقريبًا . وثروات الثلاثة الآخرين مقاربة لذلك . كان نحو من 100 عبد وجارية يخدمون في قصور كل منهم . كانوا مساهمين مع الشركات الموجودة في جميع الأقطار الآسيوية والأوروبية . يقرضون الخزينة في أوقات الحرب . لكنهم كانوا لا يسترجعون قروضهم هذه . وفي العصور 16 - 17 ، كانت جزيرة Sandvip الطويلة نسبيًا الواقعة بالقرب من شمال – غربي ميناء Cittatong في بنكلادش الحالية ، تعود إلى العثمانية ، هي على الشرق تمامًا من الجزيرة الواقعة في دلتا مصب نهر الكانج (Vie Bouvier , Maynial

d'Aureng Zeb ، 208) . كانت فيها قاعدة بحرية عثمانية ومخازن تجارية . ومصانع تصليح وإنشاء سفن للقطاع الخاص . كانت حتى البندقية توصي بصنع سفنها في مصانع السفن العثمانية في إستانبول والبحر الأسود (Annales d'Histoire Economique et Sociale, L'Febvre ، 7 ,1935 ,83) . كان عشرات الألوف من الملاحين يعملون في السفن التجارية العثمانية العاملة في الطونة ، الفرات ، دجلة والنيل .

14 – تاجر بدستان (سوق السلع الثمينة والأثرية) :

ثلاثة أنواع من أرباب التجارة يسمون « تاجر » وبصيغة الجمع « تجّار » : النوع الأول أصحاب السفن الذين مر ذكرهم أعلاه . والثاني بائعو الجملة الذين يشترون المواد وخاصة الغذائية ويبيعونها . والثالث هم الذين يبيعون في المدن الكبيرة الأغراض المستوردة الفاخرة والبضائع الثمينة . ويطلق على الذين يقومون بإرسال اللحم إلى المدن « جَلَب » (بفتح الحرفين الأول والثاني) ، والذين يقومون بإرسال الفاكهة والخضروات « قبض مال » وهكذا كان هناك الذين يقومون ببيع الدقيق والمواد الغذائية الضرورية الأخرى . لكن التجار الأصليين ، هم الذين يملكون مخازن كبيرة (مغازة) في البدستان ويبيعون السلع الفخمة والثمينة . كان هؤلاء يملكون مخازن للتجارة الداخلية والخارجية . كانت لهم علاقة مع الأقطار الخارجية . وفي أواسط العصر 17 ، كان يوجد من هؤلاء 188 3 تاجر بدستان مسجلين في إستانبول . ويشتغل في مخزن كل منهم من 15 إلى 160 شخصًا . كانوا يبيعون الحاجيات الثمينة فقط . يعملون بإجازة من الحكومة . ويدفعون ضريبة باهظة .

أطلق العثمانيون على مجمّع المخازن التي تبيع البضاعة الشعبية « جارشي » (سوق) هذا السوق مسقوف ويطلق عليه اسم « قاپالي جارشي » ، ويطلق على المجمّع المختلط الذي يبيع السلع المتنوعة في مساطب مستقلة على شكل معرض في الهواء الطلق « بازار » ، وتسمى المخازن الكبيرة التي تبيع السلع الثمينة « بدستان » يوجد البدستان في المدن المهمة والمراكز التجارية فقط . ولا يوجد في المدن الصغيرة . كان في إستانبول سوقان (بدستان) من هذا النوع وكلاهما داخل سوق مسقّف وفي مكان مستقل ،

وهو موجود حاليًا ومستمر في المكان نفسه كان يباع في أحدها الجواهر ويباع في الآخر قماش الأطلس (حرير سميك) الثمين جدًا المسمى « صندل » . إن الفرو ، البورسلان (الخزف الصيني) ، البلور ، الأسلحة الثمينة ، الروائح الغالية ، الأشياء الأثرية ، وأنواع البضاعة الثمينة المستوردة كانت تباع في البدستان . كان يتحتم على التاجر الذي سيفتح مخزنًا في البدستان ، ألا يكون في سجله التجاري أدنى ما يعاب عليه . كانت المهنة ، في كثير من الأحيان تنتقل من الأب إلى الابن كما في المهن الأخرى أسس فاتح بدستان إستانبول في 1453 ، كان جده جلبي سلطان محمد قد أسس بدستان أدرنة نحو 1420 . إن البضاعة الثمينة الوافرة في بدستان القاهرة ، أضحت حديث الألسن . كان سعر فرو زبلن الذي يتمكن البادشاه وشيخ الإسلام من ارتدائه بصورة رسمية بـ 100 ليرة ذهبية ، في باريس 450 ليرة ذهبية . إن Pedro (183) الذي مكث في إستانبول في عهد القانوني مدة طويلة جدًا ، دوّن مشاهداته بأمر فيليب الثاني ، يذكر أن البضاعة الموجودة في مخزن واحد من مخازن بدستان استانبول ، يحوي على مجوهرات تفوق مجموع كل موجودات مخازن المجوهرات الكائنة في ميدان Medina del Campo في مدريد ، كميّة وقيمة .

كان العبيد والجواري يباعون في الخانات التجارية المسقّفة . كان الباعة الذين يسمون « اسيرجي » يدخلون في قائمة التجار الكبار والأغنياء . كان يرد إلى إستانبول سنويًا في الربع الثالث من العصر 17 ، 000 20 عبد وجارية (Ricaut ,1 ,252) . كان سعر بنت مجربة لا بأس بجمالها 34 قطعة ذهبية . إن الجواري اللاتي يبعن بسعر يتراوح بين 500 1000 ليرة ذهبية وأكثر من ذلك في بعض الأحيان ، إما أن يكن جميلات إلى درجة ، منقطعة النظير أو أن يكن عازفات أو مغنيات أو راقصات . سوق الأسرى ، كان خارج السوق المسقّف (قاپالي جارشي) . لا تشترى العبيد والجواري من هذا السوق لأجل السراي . إذ إن الذين يدخلون السراي يشترط فيهم أن يكونوا أطفالاً . كان هؤلاء يختارون من قبل ولاة الإيالات ويرسلون إلى السراي .

إن سوق الجواهر الموجود في سوق جارشي والمسمى « بدستان عتيق » أثر عماري فني رائع . مساحته 365 1 م^2 . ويطلق على بدستان صندل « بدستان جديد » ومساحته 280 1 م^2 ، جميع جدرانه تحتوي على أطر حديدية مدفونة بداخلها

من بدايته إلى نهايته . ويعتبر قلاعًا حقيقية لسوق قابالي جارشي .

15 - الأسواق (جارشي) ، الأسواق المفتوحة (بازار) ، الخانات :

بالرغم من عدم وجود بدستان (سوق الحاجيات الثمينة) في كل مدينة ، فإنه كان يوجد سوق (جارشي) في كل مدينة وحتى في كل قصبة . كانت توجد في المدن الكبيرة أسواق كثيرة جدًا . الدكاكين الكائنة على طرفي زقاق واحد تعتبر توجد . توجد في المدن الكبيرة أسواق مستقلة لبيع نوع واحد من السلع . مثلاً ، سوق سرّاجخانه في إستانبول ، كان أكبر سوق على وجه الأرض لبيع كل أنواع المنتجات الجلدية . تحتوي الأسواق الكبيرة على عدة أزقة . يندر أن تغطى الأزقة بسقوف ، إن غطيت ، تصبح « قابالي جارشي » (سوق مسقّف) . إن السوق المسقف في إستانبول ، هو المعهد الحقيقي لأسواق Shopping center الغربية . السوق المسقف الإستانبولي ، كان أكبرها . وحاليًا هو كذلك رغم أن مساحته قلت بالنسبة للسابق . إن خمس الـ 000 48 مخزن الموجودة في إستانبول في العصر 17 كانت مجموعة في سوق قابالي جارشي . وسوق آخر شهير جدًا في إستانبول ، هو سوق الصحافين (صحافلر جارشيسي) الذي يبيع الكتب فقط .

البازار ، أسواق مفتوحة . اشتهر منها في إستانبول ، طووق بازاري (سوق الدجاج) ، قوش بازاري (سوق الطيور) ، آط بازاري (سوق الخيول) . أصبحت أسواق إستانبول المفتوحة حاليًا ، لبيع الأطعمة الطازجة على الأكثر وتخاطب الشعب ذا الدخل المحدود . وكانت هناك معارض موسمية تباع فيها الفواكه في مواسمها .

كانت الفنادق - كذلك تسمى خان - . وكانت توجد خانات تجارية أيضًا ، وهي الأماكن التي يستعملها تجار الجملة كمخازن ومكاتب عمل في الوقت نفسه . وهي أمثال خانات العمل (إيثر خان) الحالية . كان في العصر 17 مثلاً ، في مدينة الشام 240 خانًا من هذا النوع وعدد غرف بعضها 170 ، وعدد الدكاكين والمخازن التي تحتويها تصل إلى 100 (أولياء ، 9 ,543) . كان في أدرنة 18 خان عمل (أيش خان) كبير ، 28 أوتيل - خان . عدا خانات عمل صغيرة . إن والدة خان (خان

الوالدة) الذي شيّدته كوسم سلطان في جغالوغلو كأعمال خيرية يحتوي على 366 غرفة كبيرة . قسم منه قائم حاليًا ، إنه أثر مدهش يستحق المشاهدة .

16 – التجارة الخارجية :

كان التاجر العثماني أيضًا يستفيد من اتفاقية الامتيازات الأجنبية **copitulation** لعقدها على أساس المعاملة بالمثل ، فمثلاً ، بينما تدفع السفينة الإنكليزية التي تخرج البضاعة من فرنسا ، الضريبة ، كانت السفن العثمانية لا تدفع (أوزون جارشيلي 3 ,2 ,582 - 3) . ولكن أصبحت السفن التركية ، على مر الزمن ، لا تذهب إلى أوروبا . إذ إن السفن البخارية ارتبطت بخط سير خاص وانتقلت لسيطرة الأوروبيين . لم تتمكن العثمانية من تشكيل الشركات ولم تتمكن من تطبيق نظام البنوك وانتقال رءوس الأموال ، وبالتالي لم تستطع المنافسة . الميكنة ، غيرت النظام من أساسه أما أوروبا التي أصابها الغرور ، فقد فرضت نظامها جبرًا . تركيا التي كانت حتى 1850 ، تفوق صادراتها وارداتها ، اضطرت بعد هذا التاريخ إلى أن تستورد أكثر مما تصدّر ؛ إذ إنها لم تتمكن من منافسة البضاعة الأوروبية التي كانت تصنع بالماكينة وتصدر بكميات هائلة وبسعر أرخص . العثمانية التي لم تستورد السلاح أي شيء للأسطول في أية فترة من فتراتها ، اضطرت إلى استيراد الأسلحة والأسلحة الثقيلة . إذ إنها كانت تعلم ما أصاب الأقطار الشرقية التي لم تتمكن من حيازة هذه الأسلحة . أما العثمانية ، فقد كانت في رأس أنف أوروبا ، وكأنما كانت في داخلها . كانت حدودها تمتد إلى أوروبا الوسطى . إن المؤسسات التي تستوجب امتلاك العثمانية لها بصورة أكيدة ، كالسكك الحديدية واللاسلكي عرقلت تجارة ومالية العثمانية .

وبعد عام 1878 ، احتل العداء المطلق في إنكلترا ، تجاه العثمانية ، مكان الصداقة التقليدية وأعقبتها فرنسا أيضًا وقد يكون ذلك لخشيتها من ألمانيا . كلتا الدولتين ركّزتا أنظارهما على الأقطار العثمانية . وواجه عبد الحميد الثاني هاتين الدولتين بتقليص استيراده منهما وتحويله ذلك إلى منافستيهما ألمانيا والنمسا . وقد ولّد ذلك في فرنسا ، وبخاصة في إنكلترا عداء متزايدًا ضد عبد الحميد الثاني . أخذتا تنظران إليه بعين الشخص الذي

يمنع أرباحهم الكبيرة جدًا . يتضح الوضع من الأرقام التالية : بينما كانت 61 ٪ من واردات العثمانية ، تستورد من إنكلترا في 1878 ، هبطت هذه النسبة في 1910 إلى 35 ٪ ، وهبطت الواردات من فرنسا في التاريخ نفسه من 18 ٪ إلى 11 ٪ . وخلال الوقت ذاته ، لرتفعت الواردات من ألمانيا من 6٪ إلى 21 ٪ ومن النمسا من 12 ٪ إلى 21 ٪ (Almanach de Gotha; 531, Mandelstam; 14, Sarkda Almanya, Jaeck ، السنوات ذات العلاقة) . وارتفعت الواردات من إيطاليا من 3 ٪ إلى 12 ٪ .

وبينما كانت صادرات العثمانية إلى انكلترا عام (1861) 13, مليون ليرة ذهبية وارتفعت في 1865 إلى 28 مليون ليرة ذهبية ، هبطت في 1867 إلى 20 مليون ليرة ذهبية . كانت العثمانية تبيع إلى إنكلترا في النصف الأخير من القرن 19 المواد الرئيسية التالية : كل أنواع المنسوجات ، الخيوط ، المصنوعات النحاسية ، المصنوعات الجلدية ، العرق ، السجاد ، الأكنمة ، الصابون ، زيت الزيتون ، زيت الورد ، النحاس ، الأفيون ، القمح ، الجوز ، البندق ، الجلود ، البن ، القطن ، الجاودار (جويدار) ، التبغ والعنب . وكانت تستورد من إنكلترا المواد الرئيسية التالية : كل أنواع المنسوجات ، البيرة ، المصنوعات الحديدية ، العاج ، المخمل ، المواد الكيماوية ، الأدوية ، الرصاص ، الشراب . ويمكن قياس التجارة الخارجية مع الدولة الأخرى على هذا الأساس .

أما حرب البلقان والحرب العالمية ، فقد قضتا على الاقتصاد العثماني من أساسه . وعلى سبيل المثال ، عند دخول اليونان إلى أزمير (1919) ، كان في هذه المدينة ، ثاني مدينة كبيرة في الإمبراطورية ، أكثر من ألف شركة تجارية تركية . أغلقت تقريبًا كامل هذه الشركات التي نهبت منها اليونان ثلاثة ملايين ليرة ذهبية و لم تتمكن من الاستمرار في تجارتها . أفلس المليونيرات من تجار الأتراك أمثال قير – زاده لر ، شيخ – زاده لر ، زعيم – زاده لر ، علائية لي – زاده لر ، سليمان شوكت بك (طيّب كوكبيلكين Lilli Mucadele Baslarken, 1, 137, 160) .

لا نكون مبالغين إذا قلنا إن الرفاهية العثمانية أخذت في التقلص اعتبارًا من العصر 16 . إذ إن أوروبا أيضًا كانت تكسب مجالات كثيرة ، خرجت من سيطرة العثمانية . كان بإمكان العثمانية أن تجلب بواسطة سفنها 21 000 كنتال دفعة واحدة من الفلفل

الأسود والبهارات الأخرى من سلطنة آجه في أندونيزيا التابعة لها وتخزنها في مخازن التصدير في القاهرة (6 / 6 / 1564) . ثم تبيعها إلى شعبها بسعر رخيص جدًا إلى أوروبا بعد إضافة ربحها إليه ومع مرور الزمن ، اضطرت إما أن تشارك في هذه المجالات ، أو أن تتركها كلية إلى أوروبا . كانت في العصر 17 لا تزال غنية إلى درجة غفلت فيها واستصغرت معها أعمال وإنجازات أوروبا . أدركت ذلك في العصر 18 عندما بدأت كل هذه الحقائق تطفو . لكن المستفيدين من النظام القديم ، كانوا أكثرية ساحقة ، ولم تتمكن من إنجاز ما تصبو إليه . ومع حلول العصر 19 ، لم يعد هناك مجال للصبر وأصبحت قضية تحقيق بعض الإنجازات مسألة حياة أو موت . لكن المصاعب الداخلية كانت كبيرة . أما المصاعب الخارجية فقد كانت أكبر . كان الأوروبيون يفترس بعضهم البعض ليكون أغنى من الآخر ، أما بالنسبة للعثمانية التي يعتقدون أنها ليست منهم ، فقد كانوا قساة بصورة كبيرة . خارت أنفاس العثمانية بتورطها في الحروب دون تدبير وبشكل جنوني . كان اللحاق بأوروبا سهلاً جدًا عند بدء النظام الجديد في 1793 ، كان الأمر يحتاج إلى قليل من الصبر والعزم . وقد أصبح ذلك صعبًا في 1826 ، لكنه كان ممكنًا على أية حال . وفي 1876 ، كان تدارك الأمر لا يزال ممكنًا . لكنه أصبح مستحيلاً بعد هذا التاريخ .

رأى عبد الحميد الثاني أن الحيلة الوحيدة الممكنة ، هي كسب الوقت . كان يؤمن بأن الإمبريالية الأوروبية ستفقد اندفاعها ، أو أنها قد تضمحل ولكن شيئًا من هذا لم يحدث .

كانت السياسة التجارية والاقتصادية الكلاسيكية العثمانية المعلنة حتى في العصر 19 ، كما يلي : توفير جميع البضائع في العثمانية . يشتري الذي لديه نقود ما يحلو له . تحريك البيع والشراء وتأمين سيولة الدراهم النقدية قدر الإمكان . تقوية الإيرادات الجمركية للدولة . التنبيه إلى عدم حدوث اختناق في أي مادة ، تأمين عدم خروج الذهب والفضة من البلاد قدر الإمكان ، وتأمين دخولهما. العمل على أن يكون مخزون الحنطة وشمع العسل (المادة الرئيسية للإنارة) كبيرًا وبصورة دائمة . الانتباه إلى عدم تهريب المواد التي تسد بالكاد حاجة الإمبراطورية كالرصاص والحديد . تأمين استفادة

الأوروبيين كفرنسا ، إنكلترا وهولندا من هذا النشاط التجاري ، لكي تتمكن من الوقوف أمام أسبانيا ، ألمانيا وإيطاليا أكبر أعداء العثمانية ، تسهيلات تصدير السلع إلى إستانبول بدفع رسوم جمركية قدرها 3 ٪ وشراء البضاعة التي يرغبونها وإخراجها والذي منح إلى فرنسا في 1533 ، وإلى إنكلترا في 1581 ، وإلى هولندا في 1609 والذي سمي بعد ذلك (Capitulation) . تأمين مرور القوافل ذات 10 - 000 12 رأس حيوان ومنحها حرية المرور من كل الأقطار ونقل البضائع التجارية المختلفة (Devrinde Istanbul Kaanuni, Pedro, 90) . جمع وتخزين لبضائع الهند وآسيا في البصرة ، بغداد والقاهرة ، وبيع العثمانية هذه المواد إلى أوروبا بالسعر الذي تريده (يخمن أن ربح العثمانية من مبيعات المرور هذه سنويًا 000 500 ليرة ذهبية من البيع المباشر ، 000 500 قطعة ذهب أخرى من الرسوم الجمركية التي تحصلها أثناء دخول البضاعة إلى الجمارك ، Grenard 1 - 90,) . حماية التاجر العثماني وجعل الرسم الجمركي للبضائع التي يستوردها 5 ٪ وتحصيل جمركي قدره 10 ٪ من التاجر الأوروبي وتأمين الربح المستمر للتاجر العثماني . السعي لدرء الضيق عن مركز العرش وتأمين حاجة إستانبول السنوية من الأناضول وروملي البالغة 7 ملايين رأس غنم ، 000 200 رأس بقر ، يوميًا 500 طن دقيق ، وما يعادل ذلك من الأرز ، السمن والمواد الأخرى وتأمين وصولها في فسحة من الوقت وبسعر رخيص ، وذلك بتخزينها على دفعات تكفي لسد الحاجة لمدة 6 أشهر على الأقل . تخزين كميات كبيرة من المواد الصناعية التى تستهلكها إستانبول بكثرة ولا تتمكن معاملها المحلية من توفير كامل حاجتها منها ؛ الورق والسكر ، وتأمين توفر هذه المواد بصورة دائمة . ولكون المدن الأخرى أقل نفوسًا وقريبة للمناطق الريفيّة فإنه يمكن عندئذ الحصول على النتيجة نفسها بجهد أقل . الاكتفاء بالربح المعقول وعدم الدخول في مضاربات ، للمصنوعات كلها بسعر موحد ونوعية موحدة ومواصفات موحدة تقريبًا ويضاف إلى تقدم توجيه الاهتمام الزائد للحفاظ على النظام وعدم الإخلال به بالنسبة لـ 000 10 عامل ؛ عمال 29 معملاً كبيرًا في إستانبول ، و 264 29 عاملاً يعملون في 214 23 مصنعًا صغيرًا (ورشة) و 000 48 نقابي يعملون في 39 معملاً كبيرًا وللعاملين خارج هذا القطاع الخاص ، وفي مؤسسات الدولة العسكرية الصناعية الكبرى والثقيلة (العصر 17) .

إن هذه السياسة ، كانت تحول دون المنافسة الحرة ، وبالتالي فإنها كانت تحول دون تطور التجارة وحتى الصناعة وتستهدف فقط تأمين إعاشة المواطن بسعر رخيص وبشكل جيد . ولا يرد على بالها وجود حياة أرق وأفضل (**Moitiè du XVII, Siècle Istanbul Dans la Seconde, Mantran** ، 1962 ، ص 287) .

كانت رفاهية المناطق خارج إستانبول ، بدرجة قريبة من رفاهية إستانبول ؛ فمثلا ، كان يرد إلى طرابزون حتى في عام 1834 بضاعة من آسيا تصل قيمتها إلى حوالي 100 مليون ليرة ذهبية وكانت تصدّر إلى أوروبا رأسًا ، وكان 5 , 7 ٪ من هذا المبلغ تربحه الدولة ، 7,5٪ منه يربحه التجار وطرابزون (Iorga, 5, 445 - 6) . وقد كانت طرابزون أساسًا مركزًا لصناعة منسوجات الكتان وكانت تبيع الكتان ، البندق ، التبغ ، الشراب إلى الأقطار الممتدة من الهند إلى أوروبا ، فإذا ما أضفنا الربح الناشئ عن هذه الصناعاتوبيعها يتضح لنا مبلغ رفاهية مدينة ليست كبيرة كطرابزون . وعلى سبيل المثال ، فإن هذه المنطقة ، كانت تربح في التبغ فقط سنويًا مبلغ 10 000 ليرة ذهب .

ونجد في بورصة مركز صناعة الحرير في العالم ، كان تجار الحرير فقط يسدّدون للدولة في عام 1485 ضريبة قدرها 35 مليون دولارًا بالسعر الرائج حاليًا (4 , 5 آقجة) ، ثم زيدت هذه الضريبة بشكل كبير في العصر 16 (مصطفى آقداغ ، 2 ، 184 - 5 ، 188 ، 349) . وهكذا ، فإن الرفاهية كانت شاملة ولم تكن مقصورة على إستانبول فقط . إلا أن هذا التوازن والنظام اختل في العصر 19 وتداعى في العصر 20 .



المبحث السابع عشر

الوصف الجغرافي للإمبراطورية العثمانية



1 ـ الكيان الجغرافي للإمبراطورية

يوضح تعداد عام 1607 أن الإمبراطورية تشتمل على 553000 مدينة ، قصبة وقرية . ولايشمل هذا العدد الرحّل المزارع والإيالات المستقلة ذاتيا الموجودة في الإمبراطورية .

ليس من السهل أن نصف ، جغرافيا ، دولة لها تلك الحدود الواسعة وبخاصة إذا كانت قد مرت على حدودها تغيرات جمة في عصور مختلفة . ولكن المحاولة ضرورية في هذا المجال .

كان الحصان ـ كما كان في أقطار العالم أجمع ـ أسرع واسطة للاتصالات في هذه الامبراطورية الواسعة قبل 1850 ، قبل اللاسلكى والسكك الحديدية .

كان سعاة بريد الدولة الذين يطلق عليهم اسم « تاتار » و « أولاق » يقطعون طريق إستانبول ـ بغداد في 14 يوما ، طريق استانبول ـ عكا في 13 يوما . قطع أحد سعاة البريد طريق استانبول ـ بغداد في 9 أيام وسجل بذلك رقما قياسيا (Adolphas Slade ،2 ـ 300) . وقد استعملت العثمانية المرور النهري والبحري بكفاءة ، كما تمكن العثمانيون من إدارة الإمبراطورية لعصور طويلة بتقسيمات إدارية بإدارات تناسب كل قطر وتلائم حاجات العصر بصورة ممتازة .

2 ـ الإيالات والألوية :

لم يكن للإمارة (بكلك) العثمانية خلال 95 عاما 1231 ـ 1326 أراض يمكن أن تشكل إيالة . كان لديها أراض يمكن أن تشكل ولاية (سنجق ، إيل) واحدة . ويعتبر فتح بورصة في 1326 سببا مهيئا لتشكيل أول إيالة عثمانية .

تعرضت بمرور الزمن حدود الإيالات إلى تغيير كبير . كانت مساحاتها متفاوتة جدا . أسست الإيالات لاعتبارات عسكرية ، وإدارية وقومية . بينما وسعت الفتوحات حدود الإيالات القديمة ، كذلك أسست إيالات جديدة على الأراضي التى فتحت حديثا . كما شكلت أيضا إيالات عديدة باستقطاع بعض الأراضي من الإيالات وتقسيمها .

هناك إيالات تبلغ مساحاتها الملايين من الكيلومترات (كمصر)، وفي الوقت نفسه توجد كذلك إيالات صغيرة مكونة من لواءين أو ثلاثة ألوية لا تتعدى بضعة آلاف من الكيلو مترات . وبينما توجد إيالات مستقرة تماما ، كذلك توجد إيالات أخرى لم تدم غير سنين معدودة فقدت بعدها أو ألحقت بإيالات أخرى .

ويمكن تقديم القائمة التالية بالنسبة للإيالات العثمانية قبل التنظيمات وحسب تسلسل تواريخ تأسيسها :

(1) ايالة أناضولى (الأناضول) (مركزها بورصة ، ثم أنقرة ، وفى 1451 كوتاهية) أسست في 1326 .

(2) روملي 1363 (أدرنة ، ثم مناسطر ، صوفيا) .

(3) قره مان 1397 – 1402 وبعدها اعتبارا من 1470 (قونية) .

(4) روم روميه صغرى 1398 (توقاط ، آماسيا ، وفي 1526 سيواس) .

(5) ديار بكر Diyar - Bekr 1515 (قره عامد = دياربكر Diyarbakir)

(6) شام 1516 .

(7) مصر 1517 (قاهرة) .

(8) يمن 1517 (صنعاء) ، وفي 1567 – 69 انفصلت إيالة زبيد .

(9) إيالة جزائر البحرية 1519 .

(10) حلب 1521 .

(11) دولقادر 1522 (مرعش ، وبعضا البستان) .

(12) أرضروم 1534 (قبلها لفترة من الزمن أرزنجان) .

(13) جزائر بحر سفيد 1534 (الإيالة البحرية لقبطان باشا) .

(14) عراق العجم (همدان) 1534 (ألغيت بعد فترة وجيزة ثم أسست مرتين في الأدوار المتعاقبة لفترات قصيرة) .

(15) بغداد 1535 .

(16) بوسنة 1541 (بوسنة سراي ، ترافنيك ، بانيالوكا) .

(17) بودين 1541 المجر .

(18) وان 1548 .

(19) كوجوك نوكاي 1548 - 1555 (شمال - شرق قفقاسيا) .

(20) إيالة طرابلس الغرب البحرية 1551 (ليبيا) .

(21) بصرة 1552 .

(22) تامشوار1552 .

(23) حبش 1554 (مصوّع ، ثم سواكن ، ثم جدة) (انفصلت من الحبشة في بعض الفترات وشكلت إيالة الحجاز المنفصلة ، وفي بعض الفترات انفصلت مكة والمدينة وجعلتا إيالتين منفصلتين دستوريا) .

(24) قبرص 1751 .

(25) إيالة تونس البحرية 1574 .

(26) شهر زور 1578 (كركوك) .

(27) جلدر Gildér 1578 (جلدر ، آخيسكا) .

(28) سوخوم Sohum 1578 (آبهازستان ، ألغيت بعد عدة سنوات .

(29) داغستان 1578 (دربند) .

(30) شيروان 1578 - 1604 (باكو) .

(31) تفليس 1578 - 1586 .

(32) كاكهيتي Kakheti 1578 (في كرجستان وقد ألغيت بعد عدة سنوات) .

(33) أردلان 1578 - 1607 (نهاوند) .

(34) بلنكان 1578 .

(35) دينور Dinever 1586 (بيلور Pilever) .

(36) كردستان (كرمنشاه ، وأحيانا سنة) 1534 ، 1588 - 1607 ، 1630 ، والسنوات التالية ، 1723 والسنوات التالية ؛ اتحدث الإيالات الثلاث الأخيرة باسم سينة في 1588 - 1607.

(37) فاش 1579 (بوتي) .

(38) لحساء 1579 (قطيف) .

(39) كفه Kefe (في قرم) .

(40) لوري 1585 (في كرجستان) .

(41) **تومانيس** 1584 (في كرجستان) .

(42) **شماهي** 1583 (ألغيت بعد عدة سنوات ، عرّان =قره باغ) .

(43) **روان** 1583 – 1604 ، 1774 والسنوات التالية (اريوان) .

(44) **غورى** Gori 1588 (في كرجستان ، ألغيت بعد عدة سنوات) .

(45) **كنجة** 1588 – 1606 ، 1723 – 1735 .

(46) **طرابزون** 1588 .

(47) **قارص** 1589 .

(48) **رقّة** 1594 (أورفة) .

(49) **يانق** 1594 – 1598 (Gyor) .

(50) **أكرى** 1596 (في المجرEger) .

(51) **كانيجه** 1596 (مركزها لغاية Sigetvar1600) .

(52) **أوزو** Ozu مركزها لغاية 1620 Silister ثم Ozu = Oezakov في اوكراينا .

(53) **نهجوان** 1603 (ألغيت بعد مدة) .

(54) **آزاك** (آزوف قرب روستوف) .

(55) **باطوم** 1617 .

(56) **طرابلس الشام** 1593 .

(57) **موصل** 1624 .

(58) **مورا** 1660 .

(59) **أدنة** 1660 .

(60) **صيدا** 1660 (صيدا ، بيروت) .

(61) **كريت** 1669 .

(62) **Varad** 1661 .

(63) **Yanova**1661 (jenoe) .

(64) **Uyvar** 1663 (جنوب سلوفاكيا) .

(65) كامانيجة 1674 – 1699 (Podolya) .

(66) **استانبول** 1453 ، كانت كإيالة مستقلة بدون فريق أول (بكلربك) وتابعة للصدر الأعظم بصورة مباشرة .

ويمكن عرض قائمة بالإيالات ذات الحكم الذاتي والدول التابعة كما يلي :

(1) **أفلاق** 1391 – 1878(Tragoviste ثم بخارست) .

(2) **بغدان** 1455 – 1878 (Sucava) ، ثم ياش .

(3) **أردل** 1526 – 1691 .

وهن بالتسلسل إمارات رومانية وترانسيلفانية والأخيرة منها مجرية في ذلك العهد . وقد منح العثمانيون أمراء الأخيرة أحيانا لقب « ملك » .

(4) **ملكية المجر** « بودابست » ، كانت ضمن نظام الدولة التابعة قبل إلحاقها بإيالة بودين : 1526 – 1541 .

(5) **ملكية المجر الوسطى** ، الدولة المجرية التابعة للعثمانية في العصر 17 وتقع في جهة سلوفينيا .

رقم 1 و 2 أرثوذكس ، أما رقم 3 ، 4 ، 5 فهم كاثوليك أو بروتستانت (كلفيني او لوثري) .

(6) إمارة (هتمانية) **أوكرانيا** القوزاقية ، أرثوذكسية وقد تبعت العثمانية في فترات خلال العصر 17 .

(7) ملكية **بولونيا** (كراكوفي ثم وارشو) ودوقية ليتوانيا الكبرى – التي تشمل روسيا البيضاء كذلك – التابعة لها ، تبعت العثمانية في نهاية العصر 16 ، (كاثوليكية) .

(8) الملكيات والإمارات الموجودة في **كرجستان** تبعن العثمانية بين فترة وأخرى خلال العصور 16 – 18 ، (أرثوذكسية) .

(9) إمارة (خانلق) **قرم** (ملكية) 1475 – 1783 ، هي الدولة التركية السنية – الحنفية لبني جنكيز (باغجه سراي) .

(10) إمارة **قازان** 1521 – 1531 – 1546 +1533 – 1546 – 1551 ، الدولة التركية السنية – الحنفية لبني جنكيز (قازان) .

(11) إمارة **قسيم** 1486 – 1512 (هذه سنوات تبعيتهم للعثمانية) دولة تركية سنية – حنفية لبني جنكيز (قسيم قرب موسكو) .

(12) **إمارة استرخان** 1543 – 1557 ، دولة تركية سنية – حنفية لبني جنكيز (استرخان) .

(13) إمارة باشكردستان دولة تركية سنية – حنفية لبني جنكيز ، تبعت العثمانية لفترة من الزمن في لعصر 18 ، امراء (خانات) القوزاق Kazak .

(14) إمارة كاشغر دولة تركية سنيه – حنفيه تابعة للعثمانية في نهاية العصر 19 .

(15) بعض الإمارات (خاقانلقر ، خاقانيات) التركية في تركستان عرضت أحيانا تبعيتها إلى العثمانية (سنية – حنفية) .

(16) بعض الإمارات (خانلق) التركية والقفقاسية في قفقاسيا تابعة كذلك (سنية – حنفية ، أحيانا شافعية) .

(17) إمارة كيلان (رشت) ، تبعت العثمانية في 1534 ، إيرانية سنية – شافعية .

(18) أمراء (بك) الأكراد ، بكوات الأكراد في إيران ، تابعة للعثمانية في العصور 16 – 19 ، سنية – شافعية .

(19) سلطنة آجه كانت تابعة في العصر 16 سنية – حنفية وشافعية (سومطرة وماليزيا) .

(20) دول كثيرة في الهند عرضت تبعيتها للعثمانية في العصور 16 – 19 ، قسم منها دول سنية – حنفية ، وبعضها براهمي هندو* .

(21) إمارات (بكللك) البندقيين والجنويين الإيطالية الكاثوليكية (دوقية ، إمارة ، كونتية .. إلخ .) جزرها الكائنة في الأرخبيل وبحر ايونيا ، تبعت العثمانية ثم تم إلحاق أكثرها .

(22) تشاهد تبعيّة الإمبراطورية البيزنطية كذلك للعثمانية في غضون 1390 .

(23) يصرح العديد من المؤرخين القدامى والجدد بأن روسيا القيصرية كذلك ، دولة أرثوذكسية تابعة للعثمانية فى العصرين 16 – 17 .

* حتى الإمبراطورية التيمورية الهندية ، التي هي أعظم دولة شهدها تاريخ الهند كله ، لم تكن بعيدة عن التأثر بتفوق العثمانية . كان همايون شاه بن وخلف بابور شاه مؤسس هذه الإمبراطورية ، قد طلب إلى سيدي علي رئيس اللواء البحري العثماني والجغرافي الشهير ، أن يجعله صدرا أعظم له . وظل همايون شاه يخاطب السلطان سليمان القانوني في رسالته المؤرخة في 25 / 10 / 1548 التي بعثها إليه والمحفوظة في أرشيف سراي طوبقابو بجملة « عزيز باد شاه بابام » (أبي السلطان العزيز) ويفيد بأنه اتخذه أبا في الدنيا والآخرة ويقترح محو إيران وإزالتها من الوجود ، وأنه فى حالة تقسيمها ، يطلب خراسان فقط ، وأن القسم الباق من إيران سيكون للعثمانية ، كان همايون شاه شاعرا كذلك في اللغة التركية ولو أنه لم يكن بدرجة أبيه .

(24) سلطنة فاس والدول الزنجية التابعة (سنية - مالكية) تبعت العثمانية بين فترة وأخرى في النصف الثاني من العصر 16 وفي العصر 17 .

(25) إمامة عمان الخارجية - العبادية ، تبعت العثمانية من النصف الثاني للعصر 16 إلى العصر 19 .

(26) أمراء مشعشع العرب في خوزستان ، تبعوا العثمانية اعتبارا من 1534 .

(27) الدولة العربية الشيرازية كانت تابعة للعثمانية في العصر 16 (سنية - شافعية) (سواحل موزمبيق ، تنزانيا ، كينيا) .

(28) الحكام المحليون السنة - الشافعيون في الحبشة وعلى رأسهم إمارتا هرر وصومالي ، تبعوا العثمانية في العصور 16 - 19 .

(29) دولة بورنو الزنجية (كوكا) (سنية - مالكية) تبعت العثمانية في العصور 16 - 19 (نيجيريا الشمالية ، كمرون الشمالية ، جاد) .

(30) دول زنجية كثيرة تبعت العثمانية في العصور 16 - 19 في السودان وفي أقصى جنوبها وغربها . سنية - شافعية ، أحيانا مالكية ، وقسم منهم كانوا عبدة أصنام .

(31) أمراء وشيوخ حضرموت وعلى رأسهم سلطان لحج ، كانوا تابعين أيضا خلال 1517 - 1919 .

(32) الأئمة الشيعية - الزيدية في اليمن ، كانوا كذلك خلال 1517 .

(33) كانت سلالات الحسيني في تونس ، قرة مانلي في ليبيا وقاوالالي في مصر - السودان - أوغنده ، تدخل ضمن نظام الولاة الوراثيين وليست ضمن نظام التوابع كلهم أتراك وسنة - حنفية .

(34) أمراء مكة ، كانوا في حالة تعاون وثيق مع العثمانية ويلقون اعتبارا كبيرا في الإمبراطورية كشرفاء من سلالة الرسول ﷺ .

يطلق اسم « بكلربك » على والي الإيالة . وهذه الكلمة تعني في الوقت نفسه رتبة عسكرية بدرجة فريق أول ، وإن كانت الإيالة ، إيالة بحرية فعندئذ تكون رتبة الوالي فريق أول بحري . منحت رتبة وزير (مارشال) إلى جميع ولاة (بكلربك) الإيالات المهمة وبخاصة اعتبارا من العصر 17 ، ولم تكن هناك ضرورة لذلك بالنسبة للإيالات الصغيرة .

كان البكلربك ممثلا مطلق الصلاحية للبادشاه في إيالته . يعرف البادشاه جميع ولاة الإيالات (البكلربك) شخصيا ويجتمع بهم قبل ذهابهم إلي إيالاتهم .

كانت الإيالة الواحدة تتشكل من 2 إلى 40 ولاية (سنجق ، إيل) . وبناء على ذلك ، وكما يتضح من القائمة آنفة الذكر ، فإننا نرى أن الإيالات كانت متباينة بصورة كبيرة ، وكان على رأس كل ولاية وال عسكري يطلق عليه اسم « سنجق بك » . إن هذه الكلمة في الوقت نفسه رتبة لواء (رتبة دريا أو بحرية سنجق بك = لواء بحري Tumamiral) .

واعتبارا من العصر 17 منحت رتبة بكلربك إلي ولاة الألوية (سنجق) الكبيرة ، وهؤلاء سمّوا سنجق بك أيضا ، إلا أنهم يطلق عليهم لقب « بك » وكذلك لقب « باشا » الذي يطلق على البكلربك والوزراء . لا يعرف السلاطين ولاة الألوية (سنجق بك) شخصيا ، لكنهم يعرفونهم بأسمائهم ولهم علم بخدمات كل منهم . لكن نجد في العصر 17 أن بعض السلاطين لا يعرفون جميع أسماء ولاة الألوية . كانت الألوية تقسم إلى أقضية (ايلجة) وكان لكل قضاء عدة نواح (ناحية = بوجاق) ، وكانت لكل ناحية قرى عديدة (قرية = كوي) تابعة لها .

(3) الإدارة المدنية لعهد التنظيمات .

الإيالات التي شكلت في عهد التنظيمات أصغر من الإيالات القديمة . اسم ولاة الإيالة « والي » .

ومنح ولاة الإيالات الكبيرة مرتبة وزير ، وفي عهد التنظيمات لم تعد هذه المرتبة تعني الرتبة العسكرية مارشال (بالعثمانية : مشير) ، بل كانت تعني أعلى رتبة ملكية (مدنية) . ويوجد ولاة برتبة بالا ، بكلربك روملي ، أولى .

وبالنسبة للعسكريين نجد ولاة برتبة مشير ، فريق أول ، فريق . استمرت عادة زيارة ولاة الإيالات للبادشاه قبل التحاقهم بإيالاتهم ، كما ظلت هذه العادة جارية بالنسبة للسفراء أيضا .

وفي عهد التنظيمات أطلق على الإيالات اسم « ولاية » ، كل ولاية تتكون من عدة ألوية (سنجق) .

احتفظ بكلمة « سنجق » ، لكن سمي ولاة السنجق (الألوية) ، « متصرف » . وكذلك كانت الألوية تقسم إلى أقضية ولم تعد إدارة الأقضية بعهدة القضاة كما كانت في السابق ، وأصبحت بعهدة الإداريين من المدنيين الذين يطلق عليهم اسم « قائمقام » . وكذلك ، لم تعد إدارة الناحية بعهدة القضاة الصغار الذين يطلق عليهم اسم « نائب » بل أصبحت بعهدة إداري مدني يسمي « مدير » و « ناحية مديري » (مدير ناحية) . ومدراء القرى يعينون بالانتخاب ويدعون « مختار » . كان لكل من الولايات ، الألوية والأقضية مجالس تشكل من الأعضاء المنتخبين . ... ي الولايات كذلك سكرتير عام يسمى « مكتوبجي » « كما كان الوضع في النظارات (الوزارات) .

يسجل J.J. Hellert في أطلسه الفخم Atlas de l' Empire Ottoman (باريس 1844 ، النادر جدا) الذي نشره كملحق لتاريخ in folio المكون من 18 مجلدا ، أن الإمبراطورية العثمانية في عام التنظيمات أي عام 1839 تحتوي على 628000 قرية ، 94 مدينة يزيد عدد سكانها على 10000 نسمة ، وعدة آلاف من القصبات . ويذكر أن 25 مدينة يتجاوز عدد سكانها 50 000 ويذكر هذه مع المدن الكبيرة .

حصلت تغيرات كثيرة في الإدارة المدنية في عهد التنظيمات أيضا . وفيما يلي نموذج للوضع الإداري للإمبراطورية العثمانية في عام 1908 .

الإمبراطورية العثمانية (1908) : 880 128 كم ^{2} ، عدد السكان 000 689 62 نسمة (1 / 27 من مجموع نفوس العالم) : في آسيا 112 582 3 كم ^{2} و 000 177 30 نسمة + في أفريقيا 180 213 5 كم ^{2} و 000 671 17 + في أوروبا 588 333 كم ^{2} و 000 841 14 نسمة . كان 825 161 4 كم ^{2} و 36655000 نسمة منها تدار من إستانبول رأسا . وكانت تحتوي على 352 قضاء ضمن الـ 63 ولاية التي ظلت في تركيا حاليا + 327 قضاء ضمن الـ 62 لواء التي بقيت خارج تركيا = 679 قضاء ضمن 125 لواء . والبقية كانت دولا تابعة ومستقلة إيالة ، ألوية وإمارات . كانت الإمبراطورية تشتمل على 55 مدينة يتجاوز عدد سكانها الـ 000 50 نسمة ومجموع نفوسها الكلي 000 744 7 نسمة ، منها 19 مدينة يبلغ مجموع سكانها 000 4944 نسمة يتجاوز عدد سكان الواحدة منها 000 100 نسمة . بقي من هذه الإمبراطورية – في 1918 – بعد 10 سنوات 254 606 3 كم ^{2} وتقلصت الإمبراطورية 1919 إلى حدود تركيا الحالية .

مما يلي الولايات (بمعنى إيالة) والألوية (سنجق) (بمعنى ولاية إيل) التي كانت تديرها وزارة الداخلية في إستانبول عام 1908 :

إستانبول 3 900 كم^2 ونفوسها 000 400 1 نسمة : (المدينة 000 300 1) (10 دوائر بلدية « دائرة بلدية » .

لواء **جتالجة** 1 900 كم^2 و 000 85 نسمة (لواء درجة أولى ذو 3 أقضية) .

ولاية **أدرنة** 400 46 كم^2 و 000 524 1 نسمة (الكثافة السكانية 33 شخصا كم^2) (مدينة أدرنة 000 140) (ألويتها : المركز أدرنة درجة أولى ذو 7 أقضية ، قيريق كليسه (قيرقلايلي) درجة أولى ذو 7 أقضية ، ده ده آغاج درجة 2 ذو 3 أقضية ، كمولجينه درجة 2 ذو 6 أقضية ، غاليبولي درجة 3 ذو 5 أقضية ، تكفور داغي (تكيرداغ) درجة 3 ذو 4 أقضية ، المجموع 6 ألوية ذات 32 قضاء .

ولاية **سلانيك** 000 35 كم^2 و 000 415 1 نسمة (الكثافة 40.5) (مدينة سلانيك 000 250) (المركز سلانيك درجة أولى ذو 14 قضاء + سيروز (Serez) درجة 2 ذو 8 أقضية + دراما درجة 3 ذو 5 أقضية + تامشوار درجة 3 ذو قضاء واحد = 28 قضاء ضمن 4 ألوية) .

ولاية **مناسطر** 000 28 كم^2 و 000 061 1 نسمة (المركز مناسطر درجة 1 ذو 6 أقضية + سرفيجة درجة 2 ذو 6 أقضية + Debre درجة 2 ذو 4 أقضية + Goriee درجة 3 ذو 4 أقضية + Elbasan درجة 3 ذو 3 أقضية = 23 قضاء ضمن 5 ولايات) .

ولاية **كوسوفا** 000 32 كم^2 و 000 726 1 نسمة (المركز أسكب درجة أولى ذو 11 قضاء + Pristine درجة 2 ذو 6 أقضية + Ipek درجة 2 ذو 5 أقضية + Prizrin درجة 2 ذو 4 أقضية + Serice درجة 2 ذو 4 أقضية + طاشليجة درجة 3 ذو 2 قضاء = 32 قضاء ضمن 6 ولايات) نسمة .

ولاية اشكودرا 800 10 كم٢ و 368000 نسمة .
المركز اشكودرا درجة أولى ذو 5 أقضية + Drae درجة 3 ذو 5 أقضية = 10 أقضية ضمن 2 لواء) .

ولاية يانيا 17900 كم٢ و 649 000 نسمة (المركز يانيا درجة أولى ذو 7 أقضية + Ergiri درجة 2 ذو 6 أقضية + Berat درجة 2 ذو 4 أقضية + بيروزه Piruze درجة 2 ذو 3 أقضية = 20 قضاء ضمن 4 ألوية) . إن مجموع روملي المكونة من 7 ولايات + لواء مستقل (جتالجه) الذي أحصى حتى الآن أعلاه : 300 177 كم٢ و 000 228 نسمة .

ولاية جزائر بحر سفيد (جزر البحر الأبيض) 900 6 كم٢ و 415 000 نسمة (60) (المركز رودس درجة أولى ذو 6 أقضية + ساقيز درجة أولى ذو 4 أقضية + مديللي درجة أولى ذو 3 أقضية + يمني درجة 3 ذو 3 أقضية = 16 قضاء ضمن 4 ولايات) .

ولاية أزميت 100 8 كم٢ و 000 349 نسمة (لواء درجة أولى ذو 6 أقضية) .

ولاية بيغا (جناقلعة) 600 6 كم٢ و 000 187 (لواء درجة أولى ذو 6 أقضية) .

ولاية خدا وندكار 800 65 كم٢ و 000 1890 نسمة (مدينة بورصة 000 100 ، مدينة أفيون 000 120) (المركز بورصة درجة أولى ذو 7 أقضية + كاراسي (باليكسير) درجة 3 ذو 9 أقضية + كوتاهية درجة 3 ذو 5 أقضية + أرطغرل (بيله جك) درجة 3 ذو 4 أقضية + قره حصار (أفيون) درجة 3 ذو 4 أقضية = 29 قضاء ضمن 5 ألوية) .

ولاية آيدن 900 55 كم٢ و 000 873 1 نسمة (مدينة أزمير 000 300 ، مدينة مانيسا 000 100) (المركز أزمير درجة أولى ذو 13 قضاء + ساروخان (مانيسا) درجة أولى ذو 11 قضاء + آيدن درجة 2 ذو 6 أقضيه + دنيزلي درجة 3 ذو 6 أقضية + منتشة (موغلا) درجة 3 ذو 6 أقضية = 42 قضاء ضمن 5 ألوية) .

ولاية قونية 100 102 كم٢ و 000 380 1 نسبة (المركز قونية درجة أولى ذو 11 قضاء + نيغدة درجة 3 ذو 7 أقضية + حميد (اسبارطة) درجة 3 ذو 5 أقضية + تكه (انطالية) درجة 3 ذو 5أقضية + بوردور درجة 3 ذو 2 قضاء = 30 قضاء ضمن 5 ألوية .

ولاية **أدنة** 39 900 كم² و538 000 نسمة (المركز أدنة درجة أولى ذو 3 أقضية + قوزان درجة 2 ذو 4 أقضية + jeel (سيليفكه) درجة 2 ذو 4 أقضية + جيل بركت درجة 3 ذو 5 أقضية + مرسين درجه 3 ذو 2 قضاء = 18 قضاء ضمن 5 ولايات) .

ولاية **أنقرة** 70 900 كم² و1 277 000 نسمة (أنقرة درجة أولى ذو 10 أقضية + قيصرية (قيصري) درجه 2 ذو 3 أقضية + يوزغات درجة 3 ذو 4 أقضية + قير شهري درجة 3 ذو 4 أقضية = 24 قضاء ضمن 5 ألوية) .

ولاية **قسطموني** 50 700 كم² و 1 211 000 نسمة (المركز قسطموني درجه أولى ذو 8 أقضية + بولو درجة 3 ذو 9 أقضية + سينوب درجة 3 ذو 3 أقضية + كنكري (جانقيري) درجة 3 ذو 2 قضاء = 22 قضاء ضمن 4 ألوية .

ولاية سيواس 62100 كم² و 1 318 000 نسمة (المركز سيواس درجتي أولى ذو 22 قضاء) + آماسيا درجة 3 ذو 7 أقضية + قره حصار شرقي (شبين قره حصار) درجة 3 ذو 5 أقضية + توقاط درجة 3 ذو 4 أقضية = 27 قضاء ضمن 4 ألوية) .

ولاية **طرابزون** 32 400 كم² و 589 000 نسمة (المركز طرابزون درجة أولى ذو 9 أقضية + جانيك (صمصون) درجه أولى ذو 6 أقضية + لازستان (ريزة) درجه 2 ذو 3 أقضية + كموشخانة درجة 3 ذو 4 أقضية .

ولاية **أرضوم** 49 700 كم² و 859 000 نسمة (مدينة أرضوم 140 000) (المركز أرضوم درجة أولى ذو 8 أقضية + بيازيد (آغري) أولى ذو 5 أقضية + أرزنجان درجة 2 ذو 5 أقضية + Hinis درجة 3 ذو قضاء واحد = 19 قضاء ضمن 4 ألوية) .

ولاية **معمورة العزيز** 32 900 كم² و 50 200 نسمة (المركز معمورة العزيز Elazig) درجة أولى ذو 6 أقضية + ملاطية درجه ، ذو 5 أقضية + درسيم (طونجلي) درجة 2 ذو 5 أقضية = 16 قضاء ضمن 3 ألوية) .

ولاية **بيتليس** 27 100 كم² و 451 000 نسمة (المركز بيتليس درجه أولى ذو 4 أقضية + موش درجة أولى ذو 5 أقضية + زعرت درجة أولى ذو 5 أقضية + كنج (بينكول) درجه أولى ذو 3 اقضية = 17 قضاء ضمن 4 ألوية) .

ولاية وان 39300 كم² و 315 000 نسمة (المركز وان درجة أولى ذو 6 أقضية + حكاري درجة أولى ذو 5 أقضية = 11 قضاء ضمن 2 لواء .

ولاية **دياربكر** 37 500 كم^2 و 468000 نسمة (المركز دياربكر درجة أولى ذو 6 أقضية + ماردين درجة أولى ذو 5 أقضية + أركاني معدني درجة 3 ذو 3 أقضية = 14 قضاء ضمن 3 ألوية) . مجموع 13 ولاية أناضولي و2 لواء مستقل : 900 687 كم^2 و 14 632000 نسمة (عدا 2 لواء أناضولى تابع لولاية حلب) .

ولاية **حلب** 86 000 كم^2 و1040 000 نسمة (مدينة حلب 240 000) (المركز حلب درجة أولى ذو 14 قضاء + أورفة درجة 2 ذو 5 أقضية + مرعش درجة 2 ذو 5 أقضية = 24 قضاء ضمن 3 ألوية) (هاتاي وعينتاب = غازي عنتب ، كانا قضاءين تابعين للواء المركز لولاية حلب) .

ولاية **سورية** 95 900 كم^2 (مدينة شام 320000 (المركز شام درجه أولى ذو 10 أقضية + حوران درجة 2 ذو 7 أقضية + حماه درجة 2 ذو 4 أقضية + كرك درجة 3 ذو 4 أقضية =25 قضاء ضمن 4 ألوية) .

لواء **دير الزور**78 000 كم^2 و 90 000 نسمة (لواء درجة أولى ذو 4 أقضية) .

ولاية **بيروت** 16 000 كم^2 و 801 000 نسمة (مدينة بيروت 170 CCO) (المركز بيروت درجة أولى ذو 5 أقضية + عكا درجة أولى ذو 4 أقضية + طرابلس الشام درجة 2 ذو 4 أقضية + نابلس درجة 2 ذو 3 أقضية + لاذقية درجة 3 ذو 4 أقضية = 19 قضاء ضمن 5 ألوية) .

لواء لبنان 3 100 كم^2 و 550 000 نسمة (لواء مستقل ذاتيا مركزه دير القمر) .

لواء **قدس شريف** 17 100 كم^2 و 420 000 نسمة (مدينة القدس 100 000) (لواء درجه أولى ذو 6 أقضية) .

ولاية **موصل** 91 100 كم^2 و 420 000 نسمة (مدينة الموصل 100 000) (المركز موصل درجه أولى ذو 6 أقضية + كركوك درجة أولى ذو 6 أقضية + سليمانية درجة أولى ذو 5 أقضية = 17 قضاء ضمن 3 ألوية)

ولاية **بغداد** 182 000 كم^2 و 880 000 نسمة (5) (مدينة بغداد 200 000) (المركز بغداد درجة أولى ذو 12 قضاء + ديوانية درجة أولى ذو 4 أقضية + كربلاء درجة 2 ذو 4 أقضية = 20 قضاء ضمن 3 ألوية) .

ولاية **بصرة** 184 500 كم² و 819 000 نسمة (المركز بصرة درجة أولى ذو 4 أقضية + نجد = إحساء درجة 2 ذو 4 أقضية + عمارة درجة 3 ذو 2 قضاء = 13 قضاء ضمن 4 ألوية) .

ولاية **يمن** 197 000 كم² و 3 000 000 نسمة (مدينة صنعاء 100 000) (المركز صنعاء درجة أولى ذو 9 أقضية + حديدة درجة أولى ذو 9 أقضية + عسير درجة أولى ذو 7 أقضية + تعز درجة أولى ذو 6 أقضية = 31 قضاء ضمن ألوية) .

ولاية **حجاز** 589 975 كم² و 3 200 000 نسمة (مدينة مكة 100 000) (المركز مكة درجة أولى ذو 1 قضاء + المدينة درجة أولى ذو 4 أقضية + جدة درجة أولى ذو قضاء = 7 أقضية ضمن 3 ألوية) . مجموع 8 ولايات و 3 ألوية التي تشكل الأقطار العربية : 1 581 175 كم² و12 220 000 نسمة .

ولاية **طرابلس الغرب** 1 059 450 كم² و 900 000نسمة (المركز طرابلس درجة أولى ذو 9 أقضية + فيزان درجة أولى ذو 5 أقضية + حمص درجة 3 ذو 5 أقضية + جبل غريب درجة 3 ذو 4 أقضية = 23 قضاء ضمن 4 ألوية) .

لواء **بنغازي** 700 000 كم² و 330 000 نسمة (5 / −) (لواء درجة أولى ذو 5 أقضية) . مجموع الاثنين يشكل ليبيا : 1 759 450 كم² و 1 230 000 نسمة .

خديوية **مصر** (انفصلت في 1914) (مدينة القاهرة 752 000 ، إسكندرية 402 000) : مصر 994 300 كم² و 12 416 000 نسمة + سودان 2 294 600 كم² و 4 050 000 نسمة (خرطوم) = 3 288 900 كم² و 16 466 000 نسمة .

ألوية مصر العشرون : القاهرة ، الإسكندرية ، دمياط ، قنال (بور سعيد ، سويس) ، سيناء (العريش) ، الغربية (طنطا) ، الدقهلية (منصورة) ، الشرقية (زقازيق) ، البحيرة (دمنهور) ، المنوفية (شبين الكوم) القليوبية (بنها) ، أسيوط ، جرجا (سوهاج) ، قنا ، المنيا ، الجيزة ، الفيوم ، بني سويف ، نبيه (أسوان) .

ألوية سودان مصر الـ 9 : النيل الأزرق (واد مدني) ، كردفان (عبيد) ، دار فور (فاشر) ، أعالي النيل (ملكال) ، كسلا ، بحر الغزال (فو) نوبة (دامر) ، خرطوم ، خط الاستواء (جوبا) .

إمارة **بلغارستان** (بلغاريا) (انفصلت في 1908) (صوفيا 000 103) : إمارة بلغاريا الأصلية 3751 كم^2 و 000 3088 نسمة + ولاية روملي الشرقية 594 32 كم^2 و 1250 000 نسمة (5 /38) (فيليبه) = 345 35 و 000 338 4 نسمة .

ألوية بلغاريا الـ 9 : صوفيا ، شومنو ، كوستنديل ، بلونة ، روسجك ، ترنوفا ، فارنا ، فيدين ، فراجا .

ألوية **روملي الشرقية** الـ 3 : فيليبه ، بورغاز ، اسكى زاغرا .

ولاية بوسنه ـ هرسك 564 51 كم ^{2} و 000 932 1 نسمة (بوسنه سرايي) (انفصلت في 1908) 6 ألوية : بوسنه سرايي ، بانيالوكا ، بيهاج ، توزلا ، ترافنيك ، هرسك (موستار) . تحت حكم النمسا ـ المجر المؤقت .

لواء **يني بازار** 133 000 نسمة ، اعيدت إلى تركيا في 1908 عندما كانت هي أيضا محتلة مؤقتا من قبل النمسا ـ المجر ، انفصلت عن تركيا في 1912 .

لواء **قبرص** 282 9 كم ^{2} و 280 000 نسمة ، 6 أقضية . محتلة مؤقتا من قبل إنكلترا ، انفصلت في 1914 .

ولاية **كريت** 379 8 كم ^{2} و 344 000 نسمة (جزيرة رومية مستقلة ذاتيا ، انفصلت في 1912) المركز خانيا ذو 4 أقضية + كاندية ذو 5 أقضية + ريسمو ذو 3 أقضية + لاشيد ذو 4 أقضية + أسفاكيا ذو 3 أقضية = 5 ألوية ذات 19 قضاء .

لواء **سيسام** 833 كم ^{2} و 80 000 نسمة (جزيرة رومية مستقلة ذاتيا انفصلت في 1912) ، إمارة ذات 4 أقضية .

الإمارات العربية ضمن العثمانية : إمارة نجد الوهابية 000 390 1 كم ^{2} و 2800 000 (إمارتا : السعوديين والرشديين) .

إمارة **الكويت** 5000 كم ^{2} و 000 55 نسمة .

مشيخة البحرين 552 كم ^{2} و 20 000 نسمة .

إمارات **حضرموت** وسلطنة لحج 850 153 كم ^{2} و 400 000 نسمة (9 نواحي تابعة للواء تعز) . ولا حاجة في هذا المجال لذكر الإمارات والمشيخات العربية الأخرى .

كانت الرتب التي يحملها ولاة الإيالات ، في عام 1893 هي كما يلي : 3 مشير (مارشال) ، 4 فريق ، صدارة واحدة من الرتب الملكية (خديو مصر) ، 14 وزيرا (رتبة مدنية تعادل مارشال) ، 6 بالا (رتبة مدنية تعادل فريق أول) ، 6 روملي (رتبة مدنية تعادل فريق) .

والوضع في 1907 كما يلي : مشير بحري (أميرال كبير ، 3 مشير (مارشال) ، 2 فريق أول ، فريق ، صدارة واحدة (خديو مصر) ، 9 وزراء ، 10 بالا ، 6 روملي ، 10 أولى (رتبة مدنية تعادل فريق)

4 – استانبول

كانت استانبول من 1520 إلى 1820 (مدة تقرب من 3 عصور) أكثر بلاد العالم كثافة في السكان. إن نفوس استانبول في العهد البيزنطي ، من أوائل العصر 6 وحتى السنوات الأخيرة من العصر 12 ، تراوحت بين 000 1000 نسمة ، وتجاوزتها قليلا في بعض الأحيان . شتت الاجتياح اللاتيني هذه النفوس تماما (M. Andreades, De la population de Constantirople Sous Empe.eurs Byzantins, Metron, Rovigo, 1920, I, NO 97) إذا كان عدد السكان داخل السور الذي فتحه فاتح عام (1453) ، 000 50 يمكن عندئذ تقدير عدد سكان البوغاز وسواحل مرمرة ، والجزر ، وإسكدار ، و أيوب مع نفوس الساكنين داخل الحدود الحقيقية لمدينة استانبول 000 150 . ومن الممكن كذلك القول بأن عدد النفوس هذا قد تجاوز الـ 000 300 في 1478 ، ويحتمل أنه قد أقترب من 000 400 . كان 000 148 من هذا العدد داخل الأسوار . وكان 000 90 منهم تقريبا مسلمين و 000 58 مسيحيين (قليل جدا من الموسويين) .

وفي 1520 يتوقع أن يكون عدد سكان استانبول الكبري قد بلغ 000 800 نسمة . إن إحصاء النفوس لعام 1577 بعد إحصاء عام 1478 موجود لدينا وقد أشرف على هذا الإحصاء قاضي حلب زكريا أفندي (عثمان ، مرآة جهان ، 46) .

بالنسبة إلى هذا الإحصاء ، كان تقسيم الأزقة في مدينة استانبول كما يلي : 973 3 زقاقا مسلما + 585 4 مسيحيا + 585 2 موسويا . والحقيقة أن عدد سكان المسلمين كان يفوق هذا العدد بسبب تجمعهم في الأماكن كالسرايات والتكنات .

كانت توجد 1 653 مدرسة ابتدائية ، 485 جامعا ، و 4 494 مسجدًا ، و 948 سبيلاً ، و 4985 حنفية مياة مبنية ، 150 تكية كبيرة و 285 تكية صغيرة ، و 285 فرنا ، و 743 كنيسة وأبنية أخرى كثيرة . كانت مدينة مليئة بخليط من كل الأجناس البشرية .

وفي العصر 17 كان في المدينة من العبيد والجواري ما يقرب من 20 000 بولوني ، وما يقرب من 20 000 روسي وأوكراني . وقس على ذلك بالنسبة للأجناس الأخرى .

وفي الإحصاء الذي أجراه مراد الرابع عام 1638 تم تعداد 9 990 زقاقا يسكنها مسلمون و 957 مسيحيون ، و 304 روم أرمن 27 و 17 زقاقا إفرنج (أوروبي) ، و 74 جامعا سلطانيا ، 1985 جامعا ، و 6 665 مسجدا ، و 19 مطبخا عاما (عمارت) ، 9 مستشفيات ، و 1993 مدرسة إبتدائية ، و 180 مدرسة (دينية) ، و 979 منزل مسافرين كبير (كروانسراي) ، و 686 خانا (اوتيلا) ، و 91 مضيفة ، و 557 مطبخا عاما ومضيفة ، و 55 مخزن مياه ، و 155 سوقا ، و 200 سبيل ، 22 073 محل وضوء وحنفيات مياه مبنية ، و 600 فرن وما شبه ذلك (أولياء ، 1 ، 510) .

لم يتجاوز عدد سكان المدينة في العهد العثماني في أي وقت من الأوقات المليون والنصف (Buyuk Istanbul) .

ويمكن القول إن المدينة وصلت في 1680 إلى الحد الأعلى في السكان .

يقول الجغرافي الأرمني الشهير إينجيجيان في 1804 « يتجاوز نفوس المدينة المليون ، لكن 400 000 منهم فقط أتراك ، و 300 000 روم ، و 300 000 أرمني ، أكثر من 10 000 موسوي ويوجد عدة آلاف من الأوروبيين » (ص 14 ، 25 ، 35) ، ويضيف أنه توجد 1 255 مدرسة ابتدائية ، و 518 مدرسة (دينية) ، و 490 جامعا ، و 4 494 مسجدا ، وأن 10 جوامع تعتبر من أكبر وأشهر الأبنية في العالم . ويوضح أن أستانبول ليست أكبر مدينة تركية فقط وإنما هي في الوقت نفسه أكبر مدينة يونانية وأكبر مدينة أوروبية .

وفي 1638 ، يقول أولياء جلبي إن 40 000 شخص يعيشون في سراي طوبقابو والأبنية التابعة له ؛ 12 000 منهم حرس (بوستانجي) ، وإنه يوجد في غلطه - بك أوغلو 200 000 « كافر » مع نحو 60 000 « مسلم » و 1 160 زقاقا ، و 8 أسواق ، و 3 080 دكانا ، وإن الروم يشكلون أكثرية الكفرة ، والبقية الصغرى من الأوروبين ، والأرمن ، واليهود . ويمكن تقدير عدد السكان في الجانب الأناضولي من المدينة بـ 500 000 شخص (أولياء ، 3 ، 76) .

إن ميزة مدينة استانبول هي تناثرها ، وانتشارها على مجال واسع جدا ، بشكل شرائط وليس بشكل مجتمع .

وطبعا إن أكبر ميزة لها ، هي كونها المدينة الوحيدة في العالم التي تقع في قارتين . ويقدر أن ثلثي نفوس استانبول عاشوا في الجانب الأوروبي ، وثلثا في الجانب الآسيوي .

الساحل الغربي من مضيق (بوغاز) استانبول أوروبا (روملي) ، والساحل الشرقي منها آسيا (أناضولي) ، وتشكل إسكدار ، النواة في جانب آسيا ، وتشكل النواة في الجانب الأوروبي المدينة الأصلية التي تسمى « نفس استانبول » التي تقع في جنوب الخليج . ويطلق اسم غلطة وبك أوغلو علي القسم الشمالي من الخليج ، وأيوب علي القسم الواقع على السواحل الشمالية من الخليج . ثم تأتي الأماكن المسكونة التي تصطف على طرفي ساحل بوغاز إيجي ، وهي التي أخذت من البيزنط كقرى قليلة السكان وفي حالة يرثى لها ثم أصبحت قصبات سكنية فخمة تنتهي في قصبتي روملي قاواغي وأناضولي قاواغي علي مقربة من البحر الأسود .

ومن ناحية أخرى ، تمتد أسكدار بمحلاتها السكنية على طول مرمرة ، حتى جسر بوستانجب في الساحل وفي الداخل .

أما نفس استانبول في الجانب الأوروبي ، فتمتد كذلك على طول ساحل مرمرة حتى كوجوك جكمجة . والمدينة التي تبقي داخل هذه الحدود كلها هي (استانبول الكبرى) .

ذكر سفير البندقية في استانبول Contarini (Relazioni ، 1 ، 337) أن عدد سكان المدينة « يتجاوز الـ 1000 000 » (1640) ، وذكر سفير بندقي آخر Civrano (Relazioni ، 2 ، 268) أن العدد « 800 000 » (1680) ، وذكر General Miranda (ص 56) إن « عدد السكان 1 100 000 ، وأكثر من ذلك يعد مبالغة » ، إلا أنه يوضح أن عدد السكان نقص بما يقارب 200 000 نسمة نسبة لعدد السكان السابق بسبب الحرائق . ومن الممكن القول إن عدد سكان استانبول الكبرى شارف لفترة من الزمن 2 000 000 . وعلى العموم فإن العدد يتراوح بين 1 و 1.5 ، مليون في العصر 19 ، ومن 1915 إلى 1930 تناقص عدد النفوس بصورة مستمرة حتي هبط في 1927 إلى 691 000 : ثم أصبح 741 000 (1935) ، و 794 000 (1940) ، و 844 000 (1945) ، و 1 010 000 (1950) ، و 1 215 000 (1955) ، و 1 460 000 (1960) ثم زاد باطراد جنوني حتى وصل إلى أرقام لم يصل إليها في التاريخ أبدا ، فقد وصل في 1985 إلى 5 ملايين .

قال نابليون : « لو أصبحت الكرة الأرضية دولة واحدة ، فيجب أن تكون عاصمتها استانبول » (جودت ، 1 ، 37 ، 356) . أما بطرس الكبير فإنه يستهل البند التاسع من وصيته بما يلي : « الذي يحكم استانبول يحكم العالم أجمع . هذا رأي لايمكن مناقشته . إن الدولة الأكثر قربا من استانبول ، هي الدولة ذات المستقبل الباهر » .

أدهش موقع استانبول الفريد ، السائحين الأوروبيين كافة . وقد امتدح جميعهم – دون استثناء – جمال موقعها ، والتناسق في منظرها وآثارها ، وتفوق مينائها من الناحية العملية . إن كونها أكبر مدن العالم كثافة في عدد النفوس ، وكونها مركزًا للإسلام ، جعلاها على الدوام بؤرة للإعجاب والتقدير . إن الدولة التي كانت هي عاصمة لها ، طوّرت استانبول من النواحي الفنية والثقافية حتى في فترة انحطاطها » Robert Mantran ، 322 ، 20) .

لاتوجد في العالم أجمع ، مدينة ثانية موقعها الجغرافي ملائم كاستانبول Devrinde Istanbul Kanunl Pedro ، 178 ، 182 » .

« كان أمل كاترينا الثانية في الحياة أن تشاهد استانبول ولو مرة واحدة . كانت تكرر دائما إنها سوف تتنكر في زي عاملة ألمانية وتزور المدينة . ماتت وهي آسفة على عدم تحقق رغبتها » (Gerard de Nerval, 39, 40, 1843) .

« استانبول هي عاصمة العالم . ولايوجد ما ينافسها في موقعها الجغرافي . يتفق الجميع على أن هذا الموقع فريد على وجه الأرض . أن بوغاز إيجي (البوغاز ، المضيق) قد أضفى رونقا خلابا على أجمل ميناء في العالم . ولقد تأسست استانبول على 7 هضاب كما في العهد البيزنطي (Hallert ، Atlas ، 53 ب ، 55ب ؛ 1844)

Constantinople n'a pas de rivale Sous la rapport de la situation . Tous Sont d'aecord :) C'est une Position unique. Ce Canal lui Forme un des plus beaux port du monde . Comme la Romeantique, elle Oecupe sept collines) .

يصف البارون فون هامّر Hammer ، أعظم مؤلف في التاريخ العثماني ، قدومه الأول إلى استانبول بتاريخ 1 / 7 / 1799 في مذكراته(Erinnerungen ، فيينا 1940 ، ص 37 ، 40) فيقول : بهرت عيناي ، دهشت وأعجبت . نموذج مبعثر للغرابة ، كانت لوحة

Naples et tous ses enchantements, comparer quelque chose ce magnifique et gracieux ensemble, c' est injurier la creation).

يعّبر سفير الولايات الأمريكية المتحدة Morgenthau (ص 57) عن إحساسه عند دخوله بوغاز إيجي (منطقة المضيق) بالجملة التالية (1913) : « لم تشاهد عيناي أبدا منظرا على هذا القدر من الجمال » .

يصف نيكولاي Nicolay الذي قدم إلي استانبول في النصف الثاني من العصر 16 ، أحوال ميناء إستانبول بالجمل التالية (118, Voyages) : « في ميناء استانبول فيه جمال لايمكن أن نعثر على مثيل له في العالم ، وهو فريد من ناحيته العملية كذلك ؛ له مجال واسع جدا يبلغ 4 – 5 أميال . عرضه في المدخل يقارب الميل الواحد في بعض الأجزاء ويقل إلى نصف الميل في أجزاء أخرى ، عمقه عملي جدا بحيث نتمكن أكبر سفن الشحن من الاقتراب تماماً إلى الأبنية الساحلية » .

أما أولياء جلبي ، فيقول : تعمل في الميناء 800 سفينة ، 8000 برمه جي (ملاح زوارق الغناديل) ، 7000ملاح زوارق .

ويسجل Grelot أن 16 000 زورق وقارب – ويقول Fermanel 15 – تسير باستمرار في طرفي الساحلين وتحمل البشر والبضائع وهذه الأرقام تؤيد الأرقام التي قدمها جلبي .

إن كون استانبول أكبر قاعدة بحرية للإمبراطورية إضافة إلى أن بها أكبر معمل للسفن العسكرية ، تظهر أهمية البحر بالنسبة لمدينة تقع وسط البحر .

كان عدد العاملين في المعمل في العصر 16 ، 000 30 فورس (أسير يعمل بالأجرة) ، أرتفع هذا العدد في العصر 17 إلى 000 48 . لم يستطع أي عامل أسير الهروب من المعمل أو إحداث أي شغب . كان بإمكان المعمل استيعاب 110 ، وفي أقوال أخري 150 هيكلا للسفن في آن واحد (أولياء ، 1 ، 417) .

كان هناك سوقان للبحارة ، في غلطة وفي أمين أونو ، تبيعان كل أدوات السفن ، والتي لا يمكن أن تخطر علي البال ، لأصحاب السفن والبحّارة العثمانيين .

كتب Tournefort في نهاية العصر 17 مايلي (1 ، 464 – 5) إن استانبول من أكبر

المدن المبهجة والمفيدة في الكون ، كما يشهد على ذلك المؤرخون القدامى وجميع السواح حاليا (la Plus agréable et la plus avantageuse de l'univers) وكأن خيرات مضيقي جناقلعة والبحر الأسود وخيرات العالم من مختلف أمصاره خلقت لنقلها إلي هذه المدينة . تكدس في هذه البلدة العظيمة خيرات المغول ، الهند ، أقصى الشمال ، واليابان ، بواسطة البحر الأسود ؛ وخيرات الجزيرة العربية ، مصر ، الحبشة ، سواحل أفريقيا ، الانتيل ، أوروبا ، بواسطة البحر الأبيض .

إن الغناديل الظريفة التي تسمى « برمة » Perme الخاصة بالبوغاز والزوارق الكبيرة التي تسمي « قايق » ، كانت تؤمن المرور في بلدة تكتسب تلك الأهمية البالغة في المرور البحري الداخلي .

كتب أولياء جلبي (1 ، 553) أن 8000 برمه جي (ملاح الغناديل) يشغلون 4614 عند أول مسجل في الميناء . وجاء في سجل أرشيفي مؤرخ في 1802 (Tarih dergisi ، 16 ، 127) أن 6 572 ملاح زوارق يشغلون 3 996 زروقا وغندولا وتسجل أسماؤهم فردا فردا مع أسماء كفلائهم . إن 189 5 من هؤلاء الملاحين مسلمون ، ومنهم 924 مسيحيًا ، و 464 يهوديًا ، وإضافة إلى ذلك يوجد 189 1 ملاحا ليسوا أصحاب زوارق ويعملون عند الحاجة لكنهم مسجلون كذلك لدى إدارة ميناء استانبول ويطلق عليهم اسم « آيلاقجي » .

يرغب غالبًا في هذا العمل أهالي شرق البحر الأسود .

« يجلس المسافر الذي يركب الزورق على وسادة في مؤخرة الزورق ويتكيء بظهره علي القارب .

الجدافون لونهم نحاسي ، يرتدون القمصان الحريرية والحزام الأطلسي . مؤدبون وطيبون جدا . يقبلون على مهنتهم في رضا ، وكأنها ضرب من الفن الجميل » (Gerard de Nerval ، ص 87 ، 1843) . « توجد الآن سفن بخارية كثيرة في البوغاز ولكن سير الزوارق التي تروح وتغدو كالريح في البوغاز بأعلامها الحمراء ذات الهلال والنجمة وكأنها شارع فخم يسير في البحر ، منظر يستحق المشاهدة . (Von Moltke ، 120 – 1؛ 1837) .

لايوجد موقع علي وجه الأرض فيه تنوع الأسماك وطعمها اللذيذ كما في البوغاز .

يقول Gyllius في العصر 16 مايلي : « إن مارسيليا ، البندقية ، وتورنتو ، مشهورة بأسماكها . لكن استانبول تتفوق علي كل هذه المدن .
يمتليء الميناء بزوارق السماكة التي لا تحصى القادمة من كلا البحرين . إن وفرة الأسماك تدعو إلى العجب . إن شبكة واحدة تملأ 20 قاربا بالأسماك . لكن الأتراك مولعون بلحم الغنم إلى درجة كبيرة ولا يأكلون السمك بكثرة . هذه الأسماك الوافرة والحيوانات ذات القشور يأكلها غير المسلمين القاطنين في استانبول » .

الحقيقة أن سوق السمك في استانبول محل يستحق المشاهدة . إن سوق غلطة (بك أوغلو) ، أجمل من سوق استانبول (أمين أونو) . يصاب المرء بالدهشة من كثرة أنواع الأسماك . تباع الأسماك فقط في هذين السوقين » (Tourne fort ، 1 507) .

« أخرجوا الشباك من البحر أمام عيني ، ولو لم أشاهد ذلك بنفسي لما صدّقت . كانت الشبكة تحتوي على نصف مليون من سمك الأسكمرو Uskumru وهذا يعني 1000 ليرة ذهب » (Von Moltke ، 75 ؛ 1836) .

أجود وأنفس أنواع الأسماك في استانبول هو سمك قيليج (سمك السيف) ، لورك Levrek ، باربونية Barbunye ، ثم تكير Tekir ، قير لانغج Kirlangiç وأمثاله ، وأيضا الاستاكوز istakoz والقريدس Karides والمحّار . حاول أحد أرقى المطاعم في استانبول ، إطعام كاتب هذه السطور شيش سمك القرش على أنه سمك السيف .

كانت أحب أكلة لدى محمود الثاني ، هي شيش سمك السيف .

يجب أن أشير إلى أن الذي سيزور استانبول لأول مرة بعد قراءته ملاحظات السائحين القدامى التي دونتها آنفا سيصاب بالخيبة نسبيًا ، فالمدينة كانت على تلك الدرجة من الجمال ، وقت كان عدد سكانها مليونًا ، ومن الطبيعي أن يختلف الوضع عندما يصبح سكانها خمسة ملايين من النفوس . لقد سببت العقلية القاصرة عن تفهم القليل من فن الذوق والجمال الكثير من القبح ، هدمت لآلئ الفن العماري العثماني وشيّدت مكانها كتلا كونكريتية .

تصوّروا مدننا كلندن و باريس تعرضّت لمثل هذا ... كيف تصبح حالها ؟! ...

في عصور العظمة ، كانت تهدم فورًا المباني التي تشوّه الناحية الجمالية للمدينة والتي ليست متينة . يخرج 140 مفتشا معماريا يوميا لتفتيش الأبنية في إستانبول (أولياء ، 1 ، 627) . كان مائة ألف من النفوس في ذلك العهد يعتبر كبيرا جدا ، ناهيك عن المليون والمليونين . إن المستوى الحضاري الذي يفرض رصف الطريق البري الذي يربط إستانبول بأدرهة في العصر 16) (وهو من أشد الطرق زحاما في العالم) ، بصورة كاملة (الراهب البولوني Simeon ، ص 23 ؛ 1611) – لمستوى يستحق الاحترام الزائد . إن إنجلترا لم تشرع في إنشاء الأرصفة في مدينة لندن إلا في عام 1824 . ولم يشيد نابليون أول مجزر لذبح المواشي في باريس إلا عام 1813 ، وكان ذلك بعد عصور طويلة من إنشاء العثمانيين لهذه المجازر .

ولكي تتعرف على مدى تأخر لندن وباريس أكبر مدن العالم تطورا حتى 1850 ، من ناحية الإثارة وتوزيع المياه ولنرى أي درجة بدائية كانوا عليها ، انظر Halier ، L' Ancien Regine et le Monde, Contemporain(1715 – 1870) ، باريس 1966 ، ص 198 .

يلاحظ أنه بعد أن تطورت الخدمات البلدية في المدن الأوروبية بعد 1850 ، لم تتمكن المدن العثمانية ومن بينها استانبول من مسايرة هذا التقدم ؛ لأنها لم تكن تستطيع الإنفاق على هذا التطوير .

كانت إنارة عدة شوارع في لندن بغاز الاستصباح في 1813 لأول مرة في تاريخ الكرة الأرضية ، وبعد فترة في باريس ، إحدى أكبر الانقلابات في بناء المدن .

أنيرت المدن الغربية خلال الفترة 1850 إلى 1860 بغاز الاستصباح وأصبحت تتلألأ نورا .

أُسس معمل توليد غاز دولمه بقجه في استانبول في 1853 . وأنير سراي دولمه بقجه ، حدائقه وشوارعه . ثم أنير جاده كبير (شارع الاستقلال) بغاز الاستصباح في 1856 . واعتبارًا من عام 1856 ، بدأت استانبول في وضع لوحات تبين أسماء الشوارع ، وفي بك أوغلو تم إنشاء فنادق كبيرة على الطراز الغربي ، وكازينوهات ، وافتتحت المطاعم . وفي 1864 ، افتتح معمل توليد غاز الاستصباح الثاني في قوزغونجق ، وفي 1880 / افتتح المعمل الثالث في يدي كوله ، وفي 1891 افتتح الرابع

في حسن باشا وشاعت الإنارة بواسطة الغاز . ولايفوتنا أن نذكر أن الإنارة بالنفط وحتى بالشمع ، قد استمرت إلى عهد قريب في المناطق الفقيرة من إستانبول .

وفي ك 2 / 1875 ، أسس خط مترو قره كوى - غلطه الذي يسميه الأتراك « تونيل » ، وهو المترو الوحيد في تركيا حتى الآن . استفاد الشعب كثيرا من هذا المترو لاختراقه مرتفعا عاليا جدا .

مدت السكك الحديدية في إيلول 1869 وبدأ النقل بواسطة الترام الذي تسحبه بغال مجرية ضخمة ، وقد حول في شباط 1914 إلى ترام كهربائي . وقبل 1908 ، كانت الكهرباء والسيارات موجودة في المنطقة التي تحيط بسراي ييلدز فقط . ورغم أن الإنارة بالكهرباء دخلت سلانيك بيروت وأزمير منذ مدة طويلة ، فإن الإنارة الكهربائية ، وسيارات الأجرة (التاكسي) لم تقم في استانبول إلا اعتبارا من 1908 .

أما حاجة المدينة إلى الماء فقد رصدت في جميع الأدوار مبالغ كبيرة لتأمينها . دهش فاتح عند دخوله المدينة ، لاكتفاء أهلها بمخازن المياه تحت الأرض ، جلب لهم المياه .

إن آخر إنجاز عثماني كبير هو مياه حميدية التي أسسها عبد الحميد كخيرات من جيبه الخاص ليستعمله فقراء إستانبول ، وكان صالحا للشرب والاستعمال . ومازال كذلك حتى اليوم . وفي غضون 1850 ، جهزت إستانبول باللاسلكي ، والسكك الحديدية ثم الهاتف .

إن كارثة استانبول الكبرى هي الحرائق . والسبب الرئيس في هذه الكارثة هو شغف العثمانيين بالسكن في البيوت الخشبية (عدا الأبنية العامة التي تبنى بالحجر) . هناك حرائق كبيرة أحرقت أكثر من 000 80 دار . أما الكوارث الكبيرة التي حدثت بعد ، فهي الهزة الأرضية في 1894 ، وحرائق 1908 ، 1911 ، آذار 1918 ، 13/ 6 / 1918 .

كان أمن أستانبول جيدا للغاية . كان معدل الجنايات في عهد القانوني جناية واحدة في السنة . تسببت الإنكشارية في الإخلال بهذا الأمن في الربع الأخير من العصر 18 والربع الأول من العصر 19.

يمتدح Sir James Porter في 1769 (ص 311) شرطة استانبول The polis of the great city of Constantinople is admirable. No riots, no mobs, no desorders are known in the street).

يقول Thevenot في 1665 (ص 112) إن عدد المدينة بلغ المليون وأنه حدثت خلال السنوات الأربع 4 جرائم قتل .

نفي Du loir في 1654 وقوع جرائم القتل في استانبول وذكر أنها نادرة الوقوع خارج استانبول (ص 188) .

يذكر De la Montraye في 1727 أنه مكث في استانبول 14 عاما لم يسمع خلالها بحادث سرقة واحد ، وأن 6 من الأشقياء أجلسوا على الأوتاد ، وكلهم من الروم (1 ، 258) .

يسجل أولياء جلبي ، أن باستانبول 12000 حارس مسئول عن أمنها وخاصة في لليل ، وأنهم يحملون العصيّ فقط كسلاح ، وهؤلاء يعرفون أهالي أزقتهم فردا فردا .

« تُجهل تقريبا في تركيا السرقة ، السلب ، قطع الطرق ، الاحتيال ، النشل . الأمن متوافر في الشوارع وقت الحرب والجند في جبهات القتال بقدر ما هو متوافر وقت السلم . وخاصة في الطرق الرئيسية ، إذ إنه يمكن اجتياز الإمبراطورية من أولها إلى آخرها بسلام ودون التعرض إلي أصغر حادث . الحوادث قليلة ، ويندر وقوع حادث واحد على مدى سنوات .

أردت تدقيق ماهية الأسلوب الذي تتبّعه الحكومة لتأمين أمن كهذا .

وقد توصلت إلى أن الإمبراطورية مقسمة إلى مناطق صغيرة ، وأن بكل منطقة شخصا واحدا مسئولا عن أمنها ، وإلى جانب ذلك السرعة الكبيرة في تطبيق العدالة ، ولا أمل في الإفلات من العقاب ، يرسل مفتش واحد من استانبول في أقل الحوادث أهمية ليقوم بتحقيق الحادث بصورة دقيقة وتتحمل القصبة أو المدينة التي وقع الحادث بكل نفقات المفتش ومصروفاته . وقد تراءى لي أن كل هذه الضوابط لا تكفي لتحقيق أمن كامل ، فالإمبراطورية التركية مترامية الأطراف ، والذي يقدم على السرقة يستطيع أن يهرب

ويختفي في مكان ما ، في مثل هذه الإمبراطورية ، إلا أنني وجدت أن الشعب – وبخاصة الطبقة المتوسطة – يخشى عقاب الدولة ، ويحاول جهده ألا يقترف مايستوجب العقاب . إن هذه الخشية لم تكن من عقوبة السجن أو العقوبة المادية فقط ، وإنما كانت كذلك من الضغط الأدبي ، إذ إن الشعب ينظر إلى مثل هذا الشخص على أنه قليل الشرف . صادفت خلال سفري أوروبيا يسافر وحده من إستانبول إلى إيران دون أن يحدث أي تغيير في لباسه الأوروبي ، تكلمت معه لأنه بالنسبة لي ، مشاهد جيد ومحايد . استفسرت منه عما جرى له خلال سفره ، فأجاب بأنه قطع القسم الأكبر من الطريق بدخوله بين صفوف الجيش التركي ، وأنه لجأ إلى ذلك لشعوره بأن ذلك أكثر أمنا ، لكنه علم أخيرا بأنه حتى لو لم يعمل ذلك لما مسه أحد بسوء . وسألته عما إذا كان قد تعرض لمعاملة سيئة من قبل الجيش التركي ، فأجاب بأن الجيش التركي لم يكترث به ولم يتلق إخطارا من أي ضابط بالابتعاد عن داخل الجيش .

إن حوادث النشل ، والاحتيال ، والسرقة نادرة للغاية وخاصة في استانبول . سمعت عن بعض حوادث الغش ، وبعد الاستفسار والبحث والتمحيص علمت أن الفاعلين ليسوا أتراكا ، وإنما بلغار وروم .

يلاحظ أن شعب استانبول لم ير ضرورة في اتخاذ أي تدابير أمنية تجاه السرقة ، وهذا طبعا لاعتماده على استتباب الأمن (Sir James Porter ، 1769 ، 2 ، 50 – 3)

« لايمكنكم أبدا أن تصادفوا عملا يحيد عن العدالة أو يمثل ظلما ، ولم أتمكن من تعليل ذلك ، ربما يمكن القول بأن ذلك يرجع إلى الخوف من العقاب ، وإلى التربية الوجدانية ، وقد يكون الأمران معا . ولكن يجب تحاشي المسيحيين الذين يعيشون في الإمبراطورية والحذر منهم ، وأيضا الأوروبيين الذين يعيشون في استانبول . وبخاصة الروم ، فإنهم محتالون جدا » (General Comte de Bonneval ، 1740 =1, 512) .

الأتراك أناس مدنيون جدا . تكفي مشاهدة تفوق انضباط الأمن ، ليس فقط في إستانبول بل في جميع أنحاء الإمبراطورية » (Guer , 2 , 188) .

« إن الأمن مستقر ليلا في إستانبول ، كما هو في النهار . من النادر حدوث سرقة . وفي حالة عدم العثور على السارق فإن سكان ذلك الزقاق يكونون ملزمين بتحمل السداد ، وأن عثر على السارق ، يعاقب بالحبس الشديد . لاتقع تقريبا السرقة المسلّحة ،

إذ إن عقوبتها الإعدام » (Castellan ، 1811 ، 2 ، 221) .

اضطررت خائفا إلى اللجوء ليلا إلى بيت صغير لأحد التركمان لأكون ضيفا عليه . إذ إن مظهرهم كان وحشيا ، لكنني خجلت إثر المعاملة اللطيفة التي لقيتها داخل الدار . وعلمت فورا أنني في أمان كما لو كنت في أفخم فندق أوروبي » (Mac Farlane ، 1829 ، 1 ، 360) .

إن كيفية السيطرة على الأمن بهذا الشكل ، وخاصة في مدينة كاستانبول ، التي بقدر ماهي كبيرة ، فإن سكانها خليط من مختلف الجنسيات والمذاهب ، موضع تدقيق بالنسبة للأوروبي . إن السكون بعد غروب الشمس كان عجيبا ، كأنه سكون مطلق . لاتشبه استانبول المدن الأوروبية أبدا . لم أجد صعوبة في معرفة السبب ، لم يكن في الشوارع أناس كثيرون في الليل ، المرأة لاتخرج ليلا إلى الشارع أبدا ، كان حمل السلاح ممنوعا ، لم يكن الأتراك يشربون المشروبات أو يلعبون الورق (القمار) . ينامون مبكرين . لأنهم مجبرون على النهوض مبكرين . كان المسيحيون يخشون من ارتكاب أية مخالفة وإضافة إلى ذلك فإنهم لم يكونوا كالمسيحيين الموجودين في أوروبا ، إذا إنهم كانوا قد تطبّعوا بالأخلاق العثمانية بصورة أساسية ، تعوّدوا على السلوك مثلهم . كانت تشكيلات الأمن كثيرة في المدن . لكنهم جميعا لم يكن لديهم ما يعملونه . لاتعرف أبدا المبارزة.، الانتحار والجرائم المدهشة التي تحدث في المدن الأوروبية الكبيرة . لم أشاهد حتى من ينظر إلى الآخر شزرا (Brayer ، 1836 ، 1 ، 196 – 7) .

« علمت أن معدل حوادث السرقة السنوي في استانبول هو 6 حوادث . وهذا الوضع كان واضحا . كان الإمكان التعرف على مدى الأمان من الناس الذين يذهبون لصلاة الظهر ، تاركين مخازنهم المليئة بالحاجيات الثمينة ، مفتوحة دون أن يغلقوا أبوابها » (الكتاب نفسه ، 1 ، 234 – 5) .

إن معدل حوادث السرقة في استانبول سنويا 4 . منطقة بك أوغلو غلطه ، تبقى خارج هذه الإحصائية . تشاهد هناك سرقات بل وجرائم . إن الأمن خارج المدن ، هو كما في المدن على حد سواء . لم يسمع أبدا ، ارتكاب الجندي التركي سرقة ، إن عقوبة السرقة بالنسبة للعسكري ليست السجن كما عند المدنيين وانما الإعدام رميا

بالرصاص . يجب أن يحكى عن أخلاق الأتراك هذه ، في كنائس لندن في مواعظ أيام الآحاد كنموذج يقتدى به (Ubicini ، 1855 ، 329 – 30) .

يستطيع أي شخص ، ينتسب إلى أي دين كان ، ترك بضاعته الثمينة أو نقوده ، في أي جامع تركي ، دون أن يسدّد أي أجور . توضع في الخزائن الموجودة في الطابق العلوي من الجوامع . يستطيع تسلمها كما هي ولو مضت عليها سنوات . لم تسمع أي شكاية في هذا الشأن (Eudel ، 1872 ، 190) .

في الفترة الكلاسكية كان الضباط الذين يطلق عليهم اسم سوباشي ، يشرفون على الأمن نهارا ويشرف الذين يطلق عليهم اسم أساس باشي على الأمن ليلا .

أما رئيس الانضباط العسكري (الشرطة العسكرية) فكان يطلق عليه اسم محضر آغا . لا يعلم أحد أنه شرطي ، كان لديه شرطيات سرّيات من النساء كذلك .

لا يمكن للشرطي أن يتدخل أو يتعرض بأي شكل من الأشكال إلى شخص لم يرتكب حادثا .

كان طوبجيباشي هو المسئول الأعلى عن الأمن في الطوبخانة (معمل المدافع) ، وقبودان دريا (مشير البحر) مسئولا عن قاسم باشا ، الخليج ، بك أوغلو وغلطه ، وبوستانجيباشي هو المسئول عن الحدائق العامة (البارك) والحدائق .

كان رئيس البلدية (شهر أميني) مسئولا عن الخدمات البلدية أمام قاضي استانبول ، و للعمار باشي ، مسئولا عن نظام الإعمار ، وناظر إسالة الماء عن حاجة المدينة إلى الماء ، وسوباشي النفايات ، مسئولا عن النظافة . والإمام مسئولا عن شرف المحلة .

كان مختار المحلة مسئولا أمام الحكومة ، تسدد عائلة القاتل ، وإن كانت غير مقتدرة على ذلك ، فسكنة محلة القاتل ، إلى عائلة القتيل من 250 إلى 700 ليرة ذهب على حسب سن ووضع القتيل الاجتماعي ، كان ذلك مادة قانونية . وإن حدثت أي عاهة جسمانية ، يسري نظام الدية نفسه .

في العصر 16 كان في استانبول 100 كنيسة أرثوذكسية وغريغوريانية تقريبا ، 12 كنيسة كاثوليكية ، والعديد من معابد اليهود ، وكنائس بروتستانتية تابعة للسفارات

الأوروبية . وقد ظل هذا العدد على حاله تقريبا في العصور التالية ، لم يسمح للكنائس في أي وقت من الأوقات وفي أي حال من الأحوال أن تدق الأجراس . عباداتهم ومراسمهم الأخرى ، كانت كما هي عليها في أوروبا ، كان يجوز للكنائس التي توجد في مدن أو قرى يشكل المسيحيون فيها أكثرية ساحقة أن تدق أجراسها ولكن لايسمح بذلك في الأماكن التي تعيش فيها أكثرية مسلمة .

وقد صرف النظر جزئيا عن هذا الحظر في عهد التنظيمات .

كانت الجماعات المسيحية غير متوائمة معا . بعضها يكره بعضها الآخر . وإن تخاصمت جماعتان تتدخل الشرطة العثمانية وتعاقب المتخاصمين ، وكذلك تأتي بالمسئول الروحي لتلك المحلة لغرض التحقيق ، وإن اقتضى الأمر تعزل للمسئول الروحي وتستبدله بآخر . كانت رتبة البطريك (رئيس رؤساء الأساقفة) العالمي في فنر Fener في التشريفات العثمانية وزيرا ، البطاركة الآخرون بكلربك (فريق أول) ، رؤساء الأساقفة سنجق بك (لواء) ، والأساقفة آلاي بك (عقيد) . كانت السلطات العثمانية تعاملهم بموجب تلك الرتب . وإن اقترفوا ذنبا فإنهم يعاملون كما يعامل بقية المسئولين من رعايا العثمانية .

لم يكن جميع الروم الموجودين في استانبول من أصل بيزنطي . كان فاتح قد أسكن في استانبول العائلات الرومية التي قدمت من أدرنة ، غاليبولي ، بورصة ، فيليبة ، ازمير ، سمسون ، سينوب ، طرابزون ، تاشوز ، سمنديرك ، مورا ،.وقد توافد في العصر 16 على المدينة عائلات من اليونان ، تراقيا ، الأناضول ، وكانوا يسكنون في محلاتهم التي تمركزت في بك أوغلو ، وجانب روملي من البوغاز وسواحل الخليج . كانت لهم 30 كنيسة تقريبا ، منع تشييد كنائس جديدة ، وإنما كان يمكن فقط إصلاح وترميم القديم منها .

دخل العثمانيون استانبول ، كما دخلوا مدنا كثيرة أخري دون سفك دماء . اقتداء بأسلوب دخول النبي ﷺ إلى مكة .

كان عدد اليهود لدي البيزنط قليلا . والقسم الأكبر من يهود إستانبول هم أولئك اليهود البالغ عددهم 60 000 تقريبا الذين طردوا من إسبانيا والبرتغال نحو عام 1500 و لم

يقبلهم أي قطر في أوروبا ، ثم الذين وافقت العثمانية على طلب لجوئهم ومنحتهم حق المواطنة ، وأسكن القسم الأكبر منهم في إستانبول والباقي في مناطق أخرى كأزمير وسلانيك . لم يكن اليهود يتمكنون حتى من المرور بإسبانيا والبرتغال لعصور طويلة ، والذي يقبض عليه منهم كان يحرق حيًّا . هؤلاء هم يهود اسكنازى Eskenazi الذين يتكلمون إحدى لهجات اللغة الإسبانية وكانوا أصحاب نفوذ في إستانبول .

هناك اليهود الذين طردوا من بافييرا والأقطار الأوروبية الأخرى نحو 1470 ، وجاءوا إلى الأراضي العثمانية ، وهؤلاء لم يكن عددهم كبيرا كالسابقين ، وهم يتكلمون اللغة الألمانية الخاصة باليهود التي تسمى بيديش Yidis . وهم موسويون سفارديد Sefaridis . أما موسويو رومانيوت Romaniot فقد كانوا قليلي العدد ، يتكلمون الإيطالية ، قدموا إلى الأراضي العثمانية من إيطاليا . والذين هربوا من أوكرانيا ، روسيا ومن بولونيا وقدموا إلى الأراضى العثمانية ، فإنهم يشكلون زمرةِ أخرى ويتكلمون الأوكرانية ، ويقال إن أصل هؤلاء ينحدر من أتراك الخزر . أما موسويو قرايم Karaim أو قاراي Karay فإن منشأهم تركي وخزري بصورة مؤكدة وعددهم عدة آلاف ، ولغتهم الأم التركية ، وهم قد جاءوا من قرم وأسكنوا في قره كوي .

أدخل اليهود نظام العمارات إلى إستانبول منذ العصر 16 . كان قسم من حاخامات اليهود يجيد اللغة العبرية ، ولا يوجد أي يهودي عثماني يتكلم تلك اللغة كلغة أم أساسية .

أسّس اليهود منذ 1494 مطبعة في إستانبول ، واشتغلوا غالبا بالأعمال المالية .

كان عدد الأرمن في المدينة قليلا جدا عندما فتحها فاتح . جلب عائلات أرمنية كثيرة جدا من أماكن كقيصرى ، طوقات ، سيواس ، بورصة ، أنقرة ، أدرنة وبايبورت وأسكنهم إستانبول . وفي بداية العصر 17 جاء قسم من الأرمن من الأناضول الشرقية . انصرف هؤلاء إلى وظائف كالتجارة ، صناعة الباسطرما (اللحم المجفّف) ، الصياغة ، الصيرفة والموسيقى . كان محل سكناهم على الأغلب في مرمرة ، خليج ، سواحل روملي من البوغاز واسكدار ، كانت لديهم 9 كنائس .

كان البطريك العالمي الأرثوذكسي في فنر - استانبول مسئولا أمام الحكومة العثمانية عن كل الروم وبقية الأرثوذكس في الإمبراطورية العثمانية .

وكان الحاخامباشي (رئيس الحاخامات) في استانبول مسئولا عن كل اليهود .

كان البطريك الموجود في استانبول مسئولا عن جميع الأرمن الغريغوريان ، وكان تابعا لبطريك إجميازدين غريغوريان Eçmiazdin Gregoryen الذي يقيم قرب روان . ثم استحدثت بطريركية أرمنيه كاثوليكية تابعة للبابا .

كان الأوروبيون (إيطاليون ، فرنسيون ، إنجليز ، وشعوب أخري) يعيشون في بك أوغلو ، ويوجد من بين هؤلاء من لم يشاهد ، لا هو ولا أبوه ولا أمه ، وطنهم الأصلي أبدا . كانت لغتهم الفرنسية . أكثرهم كانوا قد تزوجوا ببنات روميات أرمنيات ، أو يهوديات ، ويطلق علي هؤلاء (Levanten) . وكانت لهم كنائس كاثوليكية .

كان باستانبول مسلمون ألبانيون ، شركس ، إباضة ، بوشناق ، كريتيون (من جزيرة كريت) ، كرجيون ، عرب ، إيرانيون واكراد ، وأقوام أخري كثيرة جدًا . نسي هؤلاء لغتهم الأم وأصبحوا بعد بطن أو بطنين ، أتراكا .. يقول يحيى كمال بياتلي أكبر شاعر تركي :

« لم يتم إعمار استانبول على أيدي السلاطين والاستانبوليين فقط وإنما اشترك فيه أولئك الذين قدموا من أنحاء الوطن كافة ؛ من قونية ومن بورصة ومن أدرنة ، ومن سيواس ، من طوقات ، من أرضروم ، من اسكدار ، من المجر ، من الحجاز ، من بغداد ، من الأراضي المغربية كتونس ، طرابلس ، الجزائر ، من الذين يروحون ويغدون إلى تلك الأماكن أو الذين يقدمون منها ويقيمون في استانبول ، من العديد من المسلمين والأتراك الذين استوطنوا بنسائهم وأطفالهم وشيوخهم . شارك هؤلاء جميعا بفنونهم اليدوية ، بموسيقاهم ، بأشعارهم الشعبية والكلاسيكية ؛ بمهاراتهم في إعمار المدن ، الأزقة ، البيوت والغرف ، بخبرتهم في بناء الجوامع ، والحمامات والقبب ، بحصيلة فنونهم وذكرياتهم التي جلبوها من كل عصر ، كل هؤلاء شاركوا في إنشاء هذه المدينة التي أصبحت مركبا وخلاصة للتاريخ التركي والجغرافية التركية . لقد أخذ المفهوم ، يسيطر عليّ كلما مرت الأيام وعلمت أن الوطن الحقيقي والمكان الوحيد الذي يسعد الإنسان

فيه هو هذه المدينة التي تشكل روح الوطن بأسره (يحيى كمال بياتلي ، Hatirat ، 51) .

يزور السفراء الأجانب ، بعد حصولهم على الموافقة ، كل الأماكن الدينية ، العلمية ، العسكرية ، الصحية ، الاجتماعية ، الآثار الخاصة باستانبول ، ويجد أكثرهم نفسه مضطرا للاعتراف بعدم وجود مثيل لاستانبول على وجه الأرض (هامر ، 11 ، 151) .

يقدر Pedro أن 50 000 شخص يؤمون المدينة يوميا في العصر 16 (ص 31 ، 136) .

« إن جمال استانبول جمال عالمي . يشعر عالم الآثار ، والشاعر ، والسفير والتاجر ، والأميرة والبحّار ، وأقوام الشمال وأقوام الجنوب بنفس الشعور بالإعجاب أمام هذا الجمال . ويكفي أن نتذكر أهم الكتّاب الذين وصفوا لنا استانبول ، Perthusier عاجز عن النطق . و Tournefort يصف عجز جميع الألسن عن التعبير وPouquevill يشعر أنه انتقل إلى عالم آخر ، و Croix يبدى ولهه ، و De Marcellus شغوف بها مدله ، ولامارتين يشكر الخالق لإبداعه هذا الجمال وإتاحة الفرصة له لمشاهدته ، و Gauthier لايصدق عينيه . ويكرر Chateaubriand المعنى نفسه ، وأنا كذلك حمدت الباري على إبداعه هذا الجمال . واعجبت بذوق الذين زينوا هذا الجمال بالآثار في تناسق منقطع النظير (Constantinople, Edmondo de Amicis ، 1883 ،2 – 3 ، 17 – 8) .

« استانبول تحتوي على 1200 مدرسة ابتدائية و 518 مدرسة (دينية) و 36 مكتبه متطورة على غرار المدن العظيمة في أوروبا » (Hellert ، 1843 ، 57ب) (L' instruction public est aussi florissant à contantinople que dans nos villes littéraires de l'Europe)

« ترتفع القبب الكبيرة والمنائر بعدد لا يصدق بين الأبنية المعتادة . جميع محاريب الصلاة مكسوة بالرصاص ، وجميع نطف القبب (علامات الأهلة) مكسوة بالذهب » (Grelot ، 1680 ، ص 83 – 4) . « الجوامع السلطانية ، أجمل بدرجة غير متناهية من أياصوفيا (infiniment plus belles) (Hellert ، 156) .

إن معالم استانبول المميزة هي الأسوار البيزنطية التي تحيط بداخل للمدينة بطول 20 000 قولاج (مسافة مابين الذراعين إذا فتحنا بشكل أفقي) (Hellert ، 57ب) ، سراي طوبقابو التي بمثابة مدينة ، يدى كوله (سبعة أبراج) التي هي عبارة عن قلعة ذات 7 أبراج ، جسر غلطة المتبقي من الجنويين ، برج بيازيد الذي أمر بصنعه محمود الثاني ، قيز كوله سي (برج البنت) الذي شيّد في عهد أحمد الثالث وسط البحر وفي مدخل البوغاز ، وأخيرا جسر الخليج .

لم يكن في العهد البيزنطي جسر على الخليج . هدم فاتح الجسر الذي شيّده أثناء الحصار لأغراض عسكرية . أراد ابنه بيازيد الثاني تشييد جسر مرتين خلال 1502 إلى 1500 لكنه لم يوفق . افتتح محمود الثاني الجسر الأول (1836/9/3) . قال فون مولتكه الذي مر على الجسر بعد يومين من افتتاحه (ص 61) : « طوله 637 خطوة ، وعرضه 25 خطوة ، لقد غرس في قاعدة هذا الجسر غابة من أجود أنواع الأشجار الصالحة لتكون دعائم إسناد . صنع الجسر في معمل سفن استانبول ، اسمه « جسر خيراتيه » وسمي بعد ذلك « جسر عتيق » كان يصل بين عذابقابو وأونقابوسي . شيدت جسر الخليج الثاني بعد 9 سنوات زوجة محمود الثاني بزم عالم والدة - سلطان التي أوصت معمل السفن بصنعه في 1845 ، وتم نصبه بين قره كوي وأمين أونو . وسمي « جسر جديد » . وهكذا أصبح على الخليج جسران . انسحب نوتية القوارب إلى البوغاز ، لبقائهم في الخليج دون عمل . وبعد 18 عاما رفع السلطان عبد العزيز بن محمود الثاني ، الجسر الذي أطلق عليه الشعب اسم : والده كوبروسي (جسر الوالدة) . وفي 1863 أمر بصنع جسر جديد ، وهو الذي استعمل مدة 12 سنة حتى 1875 . لم يعجب السلطان عبد العزيز بالجسر الذي صنعه ، وأوصى بصنع جسر جديد في 1870 بتكلفة قدرها 000 105 ليرة ذهب ، وتم تثبيته عام 1875 . استعمل 37 عاما حتى 1912 . كانت له 24 طوافة ، حديدي ، طوله 480 م . وعند صنع جسر جديد مكانه في 1912 ، نصب هذا الجسر القديم بين عذابقابو - أونكاباني ، وبقي هناك كجسر ثان مدة 24 عاما حتى 1936 (خدم جمعا 61 عاما) . وكان السلطان عزيز قد نصب كذلك في 1875 جسر عذابقابو - أونكاباني ، تكلف 000 135 ليرة ذهبية . كانت له 26 طوافة ، طوله 480 م عرضه 18 م . تم فك هذا الجسر وتركيبه في 1912 بمكان

جسر قره كوي القديم . أما جسر قره كوي الحالي فقد صنعه الألمان في 1912 وتكلف 350 000 ليرة ذهبية ، وهو مكون من 12 قطعة ، يفتح قبيل الضحى بمدة قصيرة لاجتياز السفن . يقصد الشعب الاستانبولي بقوله « كوبري » هذا الجسر . افتتح في 1940 جسر جديد بدلا من جسر أونكاباني الذي حطمته عاصفة 1936 . أما جسر الخليج الثالث فقد افتتح في 1974 بعد جسر بوغاز إيجي بسنة واحدة .

بدأت المراكب البخارية ، القوارب البخارية ، ووسائط البحر البخارية التي كانت تسمي « موتور » وأخيرا بواخر « شركت خيريه » العمل في العصر 19 . وفي ذات الوقت ، كان لكل مالك دار ساحلية قاربه الخاص ، وفي أواخر العصر 19 زورقه الطويل (KIK) . وهكذا فقد توقف تقريبا استخدام الغناديل التي كانت تحمل الركاب لقاء أجور في البوغاز الذي كان يطلق عليهم اسم « برمنه جيلر » ، وكذلك استخدام القوارب .

تقع « أيوب » ، المدينة الإسلامية الخالصة ، في شمال الخليج كقطعة من استانبول . وهي المنطقة التي كان يفضل منتسبو صنف العلماء السكن فيها ، وكان يطلق اسم « بهاريه » علي قسمها الذي يقع علي ساحل الخليج . في هذه المدينة قبر أبي أيوب الأنصاري خالد بن زيد وجامع كبير شيده فاتح ، وقد جدد سليم الثالث الجامع كله تقريبا . يمنع دخول المسيحيين هذا المكان كما هي الحال في « خرقهء سعادت » (البردة الشريفة) . كانت تجري مراسم تقليد السيف للبادشاه ـ خليفة التي تناظر مراسم التتويج التي تجري للحكام الغربيين داخل مرقد أيوب ، ويقلد البادشاه الذي اعتلى العرش حديثا سيف الرسول ﷺ

تقع محلات طوبخانه في مدخل روملي من البوغاز ، وتقع دولمه بقجه علي مسافة قريبة من شمالها . وهي أراض كبيرة مكتسبة من البحر بواسطة ردمه بالحجارة والتراب ، الأولى ردمها قبودان دريا (مشير البحر) قليج علي باشا نحو عام 1580 ، والثانية ردمها عثمان الثاني في 1620 . شيّد قليج علي باشا جامعه الفخم في قطعة الأرض هذه التي اكتسبت من البحر . وسراي دولمه بقجه الحالي شيّد على الأراضي التي ردمها عثمان الثاني .

يذكر أولياء جلبي ، أنه كان يوجد في استانبول في العصر 17 ، عصر الظرافة والأبهة للمدينة 168 حماما مفتوحا للشعب ، جزء منها حمامات مزدوجة (قسم للرجال وقسم للنساء) . كان أحدث هذه الحمامات ، « جوقور حمام » وبه 110 أحواض . أما سرايات وقصور استانبول ، فكانت تحتوي على مايقرب من 14000 حماما . المعلومات التالية جميعها مأخوذة عن أولياء جلبي :

إن أرقى مستشفى للأمراض العقلية في المدينة ، دار الشفقة في فاتح . ذات 80 غرفة ، 80 قبه ، 200 مستخدم ، وصيدلية . كانت لها عيادة خارجية أيضا . كان المرضى الداخليون يُطعمون لحوم طيور الصيد وتعزف لهم الموسيقى يوميا . كانت مقبرة أدرنة قابو ، أكبر مقبرة في المدينة . يدون في سجل المقبرة الخاص أسماء المدفونين منذ عهد فاتح . كانت قطع القبور العائلية مدونة في السجلات . كانت أيوب وسوتلوجة التي تقع على الساحل المقابل لها ، تحتوي على 800 9 دارا سكنيه ، عدة جوامع ، نحو 80 مسجدا ، و 26 ناحية ، ونحو 700 قريه تابعة لملائية أيوب (دالا قضا، اللواء) . كان المسلمون الوافدون من مختلف أنحاء العالم ، بعدزياراتهم قبر أيوب رتبركهم به ، يأكلون رغيف أيوب الشهير ، كبابه ، جبنته البيضاء ، لبنه ، قشدته ولبنه المختر . كانت الجزر الصغيرة الموجودة في الخليج أماكن سباحة للرجال والأطفال . كانت خاصكوي الواقعة في الخليج مدينة لليهود بها 11 محلة يهودية ، 2 محلة رومية ، ومحلة واحدة أرمنية ومحلة واحدة تركية . كانت بها المقبرة الموسوية الوحيدة في استانبول . كان محظورا على الموسويين دفن موتاهم في مكان آخر .

كان في حديقة ترسانة السلطانية الخاصة في خاصكوي 12000 شجرة سرو ، وكانت هذه الحديقة سابقا حديقة لأباطرة البيزنط ، وكان السلطان إبراهيم ، قد شيّد فيها قصرا شبه سراي ، وكانت الحديقة مفتوحة للشعب .

وبالنسبة إلى الإحصاء الذي أجراه مراد الرابع فقد كان بمنطقة قاسم باشا 11085 دارا سكنية 10 محلات رومية ، محلة واحدة أرمنية والبقية .

كان بمعمل السفن (ترسانة) 31000 أسير حرب (فورس) . تجري عليهم أجرة نظرية عن كل يوم عمل ، وبعد اشتغالهم لعدة سنوات يفترض تسديدهم لما يعادل

ما يجب عليهم سداده ، ويعطى لكل منهم كمية من الدراهم ويرسلون إلي أقطارهم .
كان أسرى الحرب الممتازون كالأميرال الجنرال الكنت يسجنون في يدي كوله ولا يرسلون مع هؤلاء ، وتخصص لهم غرف حسب درجاتهم ولا يستخدمون في الأعمال ، أما الإفراج عنهم فكان يعتمد على الاتفاقيات التيَ تعقد مع دولهم ، أو على دفع الفدية من أقطارهم .

يعتبر جامع المشير البحري الوزير الثاني داماد بياله باشا أكبر جامع في قاسم باشا ، وقد عثر على 7 جرار مليئة بالذهب البيزنطي أثناء حفر قطعة من أرض الجامع أنفقها الباشا على إنشاء كلية تحيط بالجامع .

يتجول بحارة المغرب القادمون من تونس بزيهم الخاص وعددهم كبير دائما .

كان يسكن في غلطة وبك أوغلو 200 000 مسيحي ، 60 000 مسلم ، و 1000 يهودي . كانت المنطقة تتكون من 1 160 زقاقا ، وبها 70 كنيسة ، و 8 أسواق ، 3 080 دكانا . لاتوجد فيها حدائق ولا حقول ، ويوجد بها 200 محل مشروبات على الساحل . كانت ملاّئية غلطة تنقسم إلى 44 ناحية . أي أنه كان 44 قاضيا صغيرا يدعي كل منهم « نائبا » تابعين لقاضي غلطة . كان قد تم إسكان للمهاجرين العرب القادمين من الأندلس في قره كوي نحو عام 1610 . كان لايستطيع أي مسيحي الدخول إلي محلاتهم ، وإن دخل كانوا يشبعونه ضربا ويخرج نادما على دخوله . إذ إن أمهاتهم وآباءهم كانوا قد أحرقوا في الأندلس لكونهم مسلمين .

كانت محلة طوبخانه تحتوي على 70 زقاقًا للأتراك ، و 20 للروم ، و 7 للأرمن . و 700 قصر يحتوي كل منها علي حمّام خاص . وضعت تماثيل أسود علي البوابة الفخمة لأكبر معمل سباكة علي وجه الأرض والذي يسمى طوبخانه .

كانت بشكتاش مع دوله بقجه تحتويان على 6 000 دار سكنية ، وأورطه كوي على 2 300 دارا .
وكان ساحل روملي من البوغاز مقسما إلى نواح تابعة لقضاء غلطة .

تحتوي قورو جشمه علي 11 زقاقا لليهود ، و 3 للروم ، وواحد للمسلمين ، وفيها كنيستان و 3 معابد لليهود ، وكان الساحل مليئا ببيوت رجال العثمانية .

عرنا ووطكوي تحتويان على 1000 دار لليهود والروم .

كان القسم الأعظم من بيك حدائق سلطانية خاصة ومفتوحة للشعب ، وعلى هذا المنوال كانت تتوالى قصبات روملي في البوغاز . وأخيرا كانت قرية أناضولي قاواغي تحتوي على 200 مسكن للمسلمين ، وشمالها الأقصى كان يعتبر خارج حدود مدينة ستانبول .

كـان جانب أناضولي من البوغاز يبدأ من قصبة بيكوز بعد قرية كوجوك أناضولي قاواغي . كان عدد المسيحيين قليلا في قصبات ساحل أناضولي . كانت الأكثرية الساحقة مسلمة . كان هذا الساحل مصيفا مفضلا لرجال العثمانية . كان الساحل من أوله إلى آخره مليئا بالسرايات الساحلية لرجال العثمانية وبالقصور الساحلية .

جنكلكوي التي تحتوي كذلك على كثير من الأروام هي أكبر قصبة ، بها 3060 دارا .

كانت مدينة اسكدار تشكل نهاية الجانب الآسيوي للبوغاز في الجنوب ، وكان بها 900 دار تحتوي على 70 زقاقًا للمسلمين ، و 11 للروم والأرمن ، وزقاق واحد لليهود ، 8 جوامع سلاطينية وجوامع ومساجد كثيرة جدا .

كانت المطابخ العامة (عمارت) التي شيدتها مهرماه سلطان ، ونوربانو والده ـ سلطان ، وكوسم والده ـ أكبر مؤسسات خيرية تحيط بالجوامع .

كان بمدينة استانبول 16 ميدانا كبيرًا (ساحة) . وكان بالمدينة 8 سجون ، 4 منها للجُنح ، و 4 للجنايات . لم يكن هذان النوعان من المذنبين يسجنون في سجن واحد . سجّل نحو 300 استانبولي في سجل سوابق النشل ، ونحو 200 في سوابق الدعارة ، ونحو 500 في الشذوذ الجنسي . تستهلك المدينة يوميا 30 000 رأس من الغنم ، ويذبح في عيد الأضحى مايقرب من 6 ملايين رأس غنم .

كان تجار العبيد في استانبول يدفعون للدولة سنويا 5 ملايين آقجه (13 مليون دولار) . كانت خيرة الجواري حسب تسلسل أثمانهن ، الشركسيات الكرجيات ، الإباضيات واللواتي من أقوام أخرى كن أرخص ، إن لم تكن لهن مزايا خاصة . هناك

جوار وعبيد سود . يجلب في كل عام عدة أطفال ذكور جرى خصاؤهم في أفريقيا ، وهؤلاء يطلبهم السراي فقط . لا تجرى عملية خصاء في استانبول أبدا ، إذ تعتبر خطيئة . وكان قد منع منذ مدة خصاء العبيد البيض منعا باتا .

كان أغنى أصحاب الأعمال هم أصحاب السفن الذين يستوردون السلع من آسيا وأوربا غالبا ، والذين لهم شركاء في الأقطار الآسيوية والأوروبية كافة . كان منهم من يمتلك 50 000 كيس (2.5) مليار آقجه = أكثر من 6 مليارات دولار) ، و 10 سفن كبيرة ، و 7 خانات عمل كبيرة ، وعدة مخازن للبضاعة المستوردة . كان تجار العبيد هم رجال الأعمال الذين يتلونهم فى حجم الثروة .

كانت استانبول تحتوي على أرباب الصناعات من جميع النوعيات . وقد سجل أولياء جلبي أن هناك 12426 عاملا يعملون في 509 أنواع من الأعمال فمثلا هناك نحو من 100 مروّض للحيوانات الوحشية . كانوا يبيعون الحيوانات كالأسود ، النمور والضباع ، إلى السراي بعد ترويضها ، و70 شخصا كانوا يصنعون الساعات ، ونحو 100 شخص يبيعون اللؤلؤ ، و 155 شخصا يبيعون الجواهر الثمينة جداً ، و 600 تقريبا يبيعون الجواهر العادية . وعدا هؤلاء 5000 صائغ تقريبا يُصنّعون الأحجار الثمينة .

كان الأجانب الذين يردون إلى استانبول مستهلكين بدرجة شعب استانبول .

كان هناك كذلك نحّاتون . وكان 1180 فنانا يشتغلون برسم المنمنمات (الرسم المصغر) ، النقش والتذهيب . ونحو 300 مجلّد كتب . وكان بالمدينة 510 مهندسين معماريين ومهندس معمار معيد ، هذا عدا المهندسين الآخرين ، ونحو 6000 رجل و 3000 امرأة أصبحوا حفاظا بعد اجتيازهم امتحانا أمام هيئة الامتحانات ، يكسب هؤلاء عيشهم بقراءة القرآن .

كان هناك 9 469 موسيقيا محترفا و 3 100 راقصو من المحترفين . كان جميع الراقصين المحترفين من الروم الأرمن اليهود والغجر . كانوا يعملون كفرق وليس كأفراد . لايدخل ضمن هذا العدد الراقصات الجواري اللواتي في السراي

كانت الموسيقى أكبر تسلية . وكانت الموسيقى الشعبية معتبرة بدرجة الموسيقى الكلاسيكية .

5 – بورصـــة

تعتبر بورصة مدينة العرش الثالثة ، بعد استانبول وأدرنة وكانت تعامل على هذا الأساس معاملة متميزة . وأصبحت عاصمة فعلية من 1326 إلى 1402 ، ثم اعتبرت بعد ذلك بصورة نظرية ، إحدى مدن العرش الثلاث .

دفن سلاطين العثمانية الـ 8 الأوائل ، من عثمان غازي إلى مراد الثاني في بورصة . ودفن جميع السلاطين اعتبارا من فاتح إلى مجيد الخامس ، في استانبول . قد نجد سلطانا توفي في أدرنة ، ولكننا لا نجد سلطانا مدفونا فيها .

أصبحت بورصة إلى أن فتحها البيزنطيون كمدينة صغيرة ، من أكبر المدن العالمية لذلك العهد وعدا الوضع الاستثنائي لاستانبول في الآثار العثمانية ، فإنها تنافس أدرنة في هذا الصدد ، وقد ظلت عصورا طويلة مركزا عالميا لصناعة الحرير .

حتى نحو 1390 ، كان عدد سكانها قد جاوز 100 000 نسمة ، تضعضعت نتيجة تخريبات تيمور . قل عدد نفوسها عندما انتقلت العاصمة إلى أدرنة .

وقد بلغ عدد سكانها نحو عام 1570 ، 129 000 ؛ منهم نحو 4 000 فقط مسيحيون و 3 000 تقريبا يهود .

بلغ عدد نفوسها في أواسط العصر 17 ، نحو 250 000 نسمة ، ثم بدأ تعدادها يقل بعد ذلك .

كانت تحتوي في العصر 17 على 205 محلة ؛ 176 منها للأتراك ، 357 جامعا ، 683 مسجدا .

كان السراي الهمايوني في بورصة ، لايزال قائما في ذلك العهد ، لكنه كان متروكا وخارجا عن قائمة سرايات البادشاه . لم يبق اليوم أي أثر منه لدرجة أننا لانعرف ماهية المساكن التي أقامت بها شخصيات كلورخان غازي ويلديرم بيازيد .

كانت بورصة مركزا للواء خداوندكار وهذا اللواء كان تابعا لايالة اناضولي التي كان مركزها كوتاهية . يعيّن لها رجال ممتازون جدا برتبة سنجق بك (لواء) وفي حالة ترفيعه ، يصبحون فورا بكلربك (فريق أول) . كان قاضي بورصه ، رئيسا لبلدية المدينة وحاكمها الأكبر . في حالة ترفيعه ، يصبح أولا قاضيا لأدرنة ، ثم مكة أو مدينة ، ثم قاضيا لاستانبول برتبة قاضي عسكر . كانت المدينة تنقسم إلى 7 نواح . كانت لها مولويخانة (موقع تجرى فيه المراسم الدينية المولوية) فخمة ذات 80 غرفة ، كان بالمدينة 27 مطبخا عموميا ، 10 أوتيل مجاني ، 70 خانا للمسافرين بعضها به 200 غرفة وعدد كبير من الخانات (عمارات كبيرة) التجارية . كان الماء متوافرا بكثرة . ويوجد 2 030 دورة مياه وسبيل ماء في الشارع يصل الماء إلى 23 000 دار . وتحتوي على 9 محلات رومية ، 7 أرمنية ، 6 يهودية ، ومحلة واحدة للغجر . بالسوق السلطاني 9 000 دكان . والبدستان (محل بيع السلع الثمينة) يتكون من 300 دكان . كان محاطا بالكروم وأشجار التوت .

كانت محلة مرادية التي تحتوي على قبر فاتح بورصة أورخان غازي وبجواره أبوه عثمان غازي والتي جعلها مراد الثاني من أعظم الزوايا الروحانية الإسلامية في العالم ، من المزارات الكبيرة ، وفي 1970 ، جاوز عدد سكانها 276 000 وبذلك جاوز عدد سكانها حتى أقصى مابلغته في العهد العثماني . وهي اليوم بعدد سكانها البالغ نصف المليون ، المدينة التركية الخامسة .

أصبحت بورصة في 1844 ، مركزا لإيالة خداوندكار . كانت تتكون من 5 ألوية (بورصة ، قلراسي = بالق أسير ، كوتاهية ، أرطغرل = بيله جك ، قرة حصار = أفيون) . إن اللواءين الآخرين (أسكي شهر وأوشاق) اللذين أصبحا حاليا ولايتين ، كانا قضاءين تابعين للواء كوتاهية . كانت مساحة الإيالة 879 81 كم^2 . كان عدد سكانها في 1903، 000 1691 ، % 95. 14 منهم مسيحيون ، % 0.25 موسويون و % 80. 84 مسلمون .

كان بالإيالة 29 قضاء ، 78 ناحية ، 3578 قرية . وتحتوي على 065 660 2 رأس حيوان صغير وكبير (313 ألف رأس من البقر) ، 34 ألف رأس جاموس ، 76 ألف حصان ، 8،

آلاف بغل ، 8 آلاف جمل ، 128 ألف حمار ، 715 ألف عنز ، 582 ألف عنز انكور ، و 363 1 (ألف من الغنم) .

كانت أربعة أخماس القرى ، تحتوي على مدارس ابتدائية ، وعلى مدرسة متوسطة في مركز قضاء ، وعلى مدارس ثانوية نظامية ومدارس (دينية) في مركز كل لواء . وتوجد كذلك مدرسة متوسطة ومدرسة (دينية) في بعض مراكز النواحي . كانت الإيالة تحتوي على 28 مكتبة عامة ، هذا عدا مكتبات أخرى داخل المدارس .

6 ـ أدرنة .

فتح أدرنة مراد الأول الذي كان قد اعتلى العرش حديثا في 1363 ، أصبحت عاصمة من 1402 إلى 1453 . واستمرت في جميع الأوقات على وضعها كمدينة عرش للإمبراطورية بعد استانبول . سكن السلاطين أدرنة في النصف الثاني من العصر 17 حتى 1703 أكثر مما سكنوا إستانبول وبلغت المدينة غاية اتساع لها ، وأصبحت من أكبر مدن العالم وأكثرها إعمارا . كانت أدرنة أو لواء باشا أيلي ، تابعة لإيالة روملي . تأسست إيالة أدرنة في عهد التنظيمات وكانت تشمل تراقيا الشرقية والغربية كلها وروملي الشرقية .

إن المدينة التي كانت في 1529 تحتوي على 144 محلة ارتفع عدد محلاتها في 1609 إلى 321 (290 للمسلمين ، 19 للمسيحيين و 12 لليهود) .

وفي 1669 كانت تحتوي على 160 محلة ، 28 مكتبة ، 300 جامع ، 24 مدرسة (دينية) ، 220 مكتبا (مدرسة) ، 53 خانا (عمارة) تجارياً ، 8 ارتفع عددها فيما بعد إلى 13 ، 53 منزلا كبيرا (كروانسراي) ، معامل صابون ، نسيج ، عربات ... إلخ ، ويوجد فيها 450 حديقة عامة (بارك) مفتوحة للشعب .

أصيبت المدينة بتلف كبير خلال الاحتلالين الروسيين في 1829 و 1878 ، وفي الاحتلال البلغاري في 1913 ، والاحتلال اليوناني في 1919 . وهي بعيدة اليوم جدا عما وصلت إليه في وفرة عدد السكان خلال جميع العصور العثمانية .

تلك المدينة التي كانت تحتوي على سراي همايوني أوسع من سراي طوبقابو ، كان

عدد سكانها قبل الفتح قد وصل مابين 150 إلى 200 ألف نسمة . لم يبق محل واحد من محلات توزيع المياه (سبيل) الثلاثة عشر التي كانت في المدينة ، بقي القليل من دورات المياه الـ 124 .

أسست المدينة في الموقع الذي يلتقي فيه رافد آردا بنهر مريج ، على ارتفاع 41 م عن مستوى البحر ، ويلتقي نهرا أوزونجة وطونجة ، بمريج في ذات للوقع أيضا .

الجوامع السلطانية في أدرنة هي جامع خداوندكار الذي شيده فاتح أدرنة مراد الأول ، جامع يلديرم الذي شيّده ابنه بيازيد الأول ، أسكي جامع أو أولو جامع الذي شيّده أولاد الأخير سليمان الأول ، موسي خان و محمد الأول ، وجامع مراديه الذي شيّده مراد الثاني وخاصة جامع دار الحديث ذا الثلاث شرفات الذي شيّده هو أيضا ، جامع بيازيد الذي شيده بيازيد الثاني ، جامع طاشلق الذي شيّده القانوني وجامع سليميه الذي يعتبر أفخم جامع عثماني وهو الذي كلّف سليم الثاني المعمار سنان ببنائه . وبالنسبة لتعداد عام 1638 ، كان بالمدينة 14 جامعًا سلطانيا ونحو 300 جامع ، 1386 مسجدا في الأزقة والقصور .

وكانت مدرسة أدرنة تقدم خدمات ثقافية بمستوي عال ، وكذلك بدرجة دكتوراة التي تفوق التحصيل العالي .

ينير جامع سليميه 12000 قنديل ، ويدخله ضوء النهار من خلال نحو 250 زجاجة بلورية ونجف . خطّ الكتابات بداخله قرة حصاري حسن جلبي ، أقدر تلامذة قرة حصاري أحمد شمس الدين أمهر خطاطي كتابات سليمانية . مساحة الفناء 180 × 180 قدما مكسو بالمرمر الأبيض وبه 26 عمودا . للجامع 10 أبواب ، وله 4 منائر كل منها ذات 3 شرفات طويلة جدا ورفيعة جدا .

كانت تكية بهلوانلر التي أسسها مراد الأول في 1363 من أمواله الموقوفة ، ناديا رياضيا تجري فيه كل أنواع الألعاب ، طبقت شهرته العالم في العصور القديمة . خرّج أبطالا كثيرين . وكذلك استمرت شهرة دار الشفاء (مستشفي الأمراض العقلية) العالمية الذي أسسه السلطان بيازيد ، لعصور طويلة . كانت بالمدينة في 1653 ؛ 6170 زقاقا ، 700 6 دكان .

7 – روملي .

تأسست إيالة روملي عام 1363 ، كإيالة ثانية بعد إيالة أناضولي . وبينما كان مركز الإيالة أدرنة ، نقل أولا إلى فيليبه ، ثم مناسطر ، ثم صوفيا .

يقيم والي الإيالة (البكلربك) حسب رغبته في إحدى هاتين المدينتين ، كان بكلتيهما سرايات رسمية .

ويمكن القول بأن الإيالة – عدا الجزر – كانت تشمل شبه جزيرة البلقان بأسرها التي تقع في جنوب ألطونة ، إلا أن تأسيس إيالتي بوسنة في العصر 16 وسيليسترة (Ozu) في العصر 17 ، سبّب تقليص حدود إيالة روملي وقطع ارتباطها بالبحر الأسود ، واستمرت في امتدادها إلى بحر الأدرياتيك غربا ، وإيجه جنوبا . كانت تمتد في أقصى الجنوب إلى البحر الأيوني والبحر الأبيض . وبينما كانت جائزة على المرتبة الأولى في التشريفات العثمانية ، تقدمت عليها مصر في 1517 وبودين (المجر) في 1541 وهبطت روملي في التشريفات العثمانية إلى المرتبة الثالثة .

كان مركز الإيالة أدرنة خلال 1363 –1453 ، ثم فيليبة ، وفي السنوات الأولى للعصر 16 صارت صوفيا واستمر الوضع على ذلك ، أقام الولاة في بعض الأدوار ، في مناسطر .

بلغت الولاية حدها الأقصى بألويتها الواسعة التي يبلغ عددها 32 ، في 1521 . أعطيت بعض ألويتها إلى إيالتي بوسنة وبودين عند تأسيسهما . وتقلصت أكثر ، عند تأسيس إيالتي سيليسترة (OZU) في 1608 ، وموروا في 1715 . نقل مركزها إلى أدرنة في السنوات الأخيرة من العصر 18 وإلى مناسطر في بداية العصر 19 . ثم تأسست إيالات Vidin ، Nis ، Varna ، وأخيرا وحّدت هذه الإيالات وشكلت إيالة طونا (Tuno) في 1864 وجعل مركزها روسجك .

تشمل إيالة طونا ـ عدا روملي الشرقية وعدا احتوائها على بلغاريا الأصلية ، ألوية دوبروجة ونيش وتطغى بشكل واسع على رومانيا ، وخاصة بوغسلافيا . أما روملي الشرقية (Filibe) ، فقد ألحقت مع ميناء بورغاز بإيالة أدرنة . وتنقسم في مكدونيا إلى قسمين شمالي وجنوبي وشكلت إيالات كوسوفا (Uskub) وسلانيك ، وبينهما إيالة مناسطر ، أما في الغرب فقد تم تشكيل إيالتي أشكودرا ويانيا . وهكذا فإن إيالة روملي التاريخية ، انقسمت في عهد التنظيمات على الصورة آنفة الذكر . وفي 1878 ، تأسست إمارة بلغاريا (إيالة مستقلة ذاتيا) على الأراضي الأصلية لإيالة طونا .

يمكنني هنا استنادا إلى النشرة السنوية لولاية طونا لسنة 1868 (**طونا ولايتي سالنامة سي**) أن أقدم أعداد بعض المؤسسات الإسلامية الفعلة منها فقط .

في صوفيا 44 جامعا ، و 4 مدارس (دينية) ، و 8 مكاتب (مدرسة) ، 18 تكية ،

في شومنو 40 جامعا ، و 19 مكتبا ، و 4 تكايا .

في روسجك 30 جامعا ، و 6 مدارس ، و 9 مكاتب ، و 7 تكايا .

في Vidin 24 جامعا ، ومدرسة ، و 12 مكتباً ، و7 تكايا .

في حاجي أوغلوبازاري 20 جامعا ، و 4 مدارس ، و 12 مكتبًا و تكيتان .

في لوفجة 20 جامعا ، و 4 مدارس ، تكية .

في زيشتوفي 19 جامعا و مدرسة ، و 3 مكاتب .

في فارنا 19 جامعا ، و مدرسة و 12 مكتبا ، و تكية .

في Plevne 18 جامعا ، و 3 مدارس ، و 4 مكاتب ، و 5 تكايا .

في أسكي جمعة 17 جامعا ، و 6 مدارس ، و 6 مكاتب ، و تكيه .

في Kostendil 16 جامعا ، و 3 مدارس ، و 7 مكاتب و 16 تكية .

في نيغبولو 12 جامعا ، و مدرسة ، و 8 مكاتب ، وتكية .

في سيليسترة 12 جامعا ، و 6 مدارس ، و 7 مكاتب..

في Razgrad 11 جامعا ، مدرستان ، 7 مكاتب ، 4 تكايا .

في Pravadi 11 جامعا ، و مدرستان ، و 3 مكاتب .

في Balecik 10 جوامع ، و مدرسة ، و 3 مكاتب .

في Servi 10 جوامع ، ومدرسة ، و 5 مكاتب .

في Samakov 10 جوامع ، و مدرستان ، و 3 مكاتب ، وتكيتان

في Berkofca 9 جوامع ، و مدرسة ، و 5 مكاتب ، و تكيتان .

في عثمانبازارى 8 جوامع ، 3 مدارس ، 8 ، مكاتب ، تكية .

في Vraca 7 جوامع ،ومدرسة و5 مكاتب، تكتيان .

في Lom 5 جوامع ، مدرسة ، تكتيان .

في Tutrakan 3 جوامع ، مدرسة ، 4 مكاتب ، .

في باباداغي 3 جوامع ، مدرسة ، تكتيان .

في Rahava 3 جوامع ، مدرسة ، مكتب ، تكية .

في Jhtiman جامعان ، مدرستان ، تكيتان .

وفي كوسنتجة جامعان ، و 3 مكاتب .

وأنقل فيما يلي عن أولياء جلبي ، وضع بعض المدن المهمة لإيالتي روملي و Silistre (OZU) في أواسط العصر 17 : .

جورلو ، مركز قضاء تابع لأدرنة ، يحتوي على 3000 دار ، و 3 جوامع ، و 12 مسجدا ، و 20 مكتبًا ، و 180 خانا صغيرا .

لولة برغاز ، مركز قضاء في لواء قيرقلارايلى به 700 دار . و 3 جوامع ، و 3 مساجد ، يحتوي على كلية صوقوللو هندسة المعمار سنان ،ومنزل فخم للمسافرين وجسر .

آيدوس ، قضاء قيرقلارايلى ، وبه 1000 دار ، و جامع ، و 4 مساجد ، و 6 خانات

شومنو ، قضاء نيغبولو ، وبه ، 2000 دار ، و 10 جوامع ومساجد ، و 7 مكاتب .

هزاركراد ، قضاء نيغبولو ، وبه ، 1700 دلر ، و 17 جامعا ومسجدا .

روسجك ،قضاء نيغبولو ، به ، 200 2 دار .

يركويو ، قضاء نيغبولو ، في الساحل الشمالي للطونة (رومانيا) به ، 600 دار .

زيشتوفي ، قضاء نيغبولو ، وبه ، 300 دار .

وكان لكل من هذه المدن الصغيرة قلاع وجنود .

Nigboluأو **Nigebolu** ، مركز لواء في إيالة أوزو . تقع على جنوب ساحل الطونة ، وبه ، 3950 داراً ، و 26 جامعا ومسجدا ، و 26 مكتبًا ، و 10 حمامات ، و 7 خانات

Silistre ، مركز إيالة أوزو . والي (بكلربك) أوزو يسكن في هذه المدينة . تقع على الساحل الجنوبي من الطونة . إن جميع سواحل البحر الأسود ، من قيرقلارايلي إلى قرم ، السواحل الجنوبية للطونة تشكل إيالة أوزو التي كانت ضمن إيالة روملي في القرن 16 . قلعتها ذات 500 برج ، و 11 برجا عاليا ، و 40 مدفعا ، و 7 جوامع ، و مساجد كثيرة ، مدرسة ، و 40 مكتبا ، و 3 حمامات ، و 48 حماما داخل قصور ، و 10 حنفيات مياه مبنية ، و 20 سبيلا للمياه المجانية .

حاجي أوغلوبازاري ، مركز قضاء للواء سيليستره المركزي ، وبه ، 2000 دار ، و 4 جوامع ، و مساجد كثيرة ، و 11 مكتبًا ، و 3 حمامات ، و 3 خانات ، و 9 حنفيات مياه مبنية .

Mangalya ، قضاء سيليسترة ، و 7 مكاتب ، سوق لبيع الحاجيات الثمينة (بدستان) ، و 3 خانات و ميناء فعّال .

كوسنتجة ، قضاء سيليسترة ، و جامع ، و عدة مساجد ، و 150 دارا ، ورصيف بحري فعّال .

باباداغي ، قضاء سيليسترة ، 3000 دار ، و جامع سلطاني لبيازيد الثاني ، وتكية بكتاشية مشهورة جدا باسم صاري باسم سالطق ، و 3 مدارس ، و 20 مكتبًا ، 8 خانات ، 3 حمامات . ويحتوي على جامع وقبر (1571) شيخ النقشية الشهير

نقّاش - زادة مصطفى جلبي .

أستراباد ، مركز قضاء آخر ذو 1500 دار على مقربة منه .

Karasu ، مركز قضاء آخر ذو 7 مكاتب ، و 7 أسبلة .

أسليمية ، مركز قضاء ذو 12 جامعًا ومسجدا .

يني زاغرا أو زاغرا ينيجه سي ، مركز قضاء به 7 محلات ، و جامعان ، و 5 مساجد ، و 7 مكاتب ، و 3 خانات .

اسكي زاغرا مركز قضاء تابع لولاية جيرمن Girmen ، (أدرنة) كاللواتي مرّ ذكرهن آنفا ، به ، 3000 دار ، و 6 جوامع ، و 11 مسجدا ، و 5 حمامات ، و 855 دكانا ، ونحو 200 قصر .

فيليبة Filibe ، مركز قضاء في لواء صوفيا اللواء المركزي لإيالة روملي . المدينة ذات 3 نواح ، وفوق ذلك ، فإن 9 نواح تابعة لهذا القضاء ، وبه ، 600 80 دار ، كانت تحتوي على 23 محلة للأتراك ، و 6 للمسيحيين ، و 1 لليهود . و 10 جوامع ، و 43 مسجدا ، و 11 تكية ، 880 + 300 دكان على شكل سوقين ، 165 قصرا وحماما ، مطبخان عموميان وجسر كبير . شيّد أول جامع مراد الأول الذي فتح المدينة بعد أدرنة مباشرة في 1363 .

تاتاربازارجيغي ، على ساحل مريج الشمالي . وعلى الشمال الغربي من فيليبة التي تقع على ساحله الجنوبي . مركز قضاء في لواء صوفيا . ويحتوي على 8 جوامع ، و 12 مسجدا ، و 876 دارا ، و 7 تكايا ، و 3 حمامات ، و 7 خانات ، و منزل مسافرين كبير (كروانسراي) مقبول إبراهيم باشا الذي يستوعب 5000 حيوان . أسس المدينة جلبي محمد لكن الذي وسّعها هو بيوك إبراهيم باشا .

Ihtiman مركز قضاء في لواء صوفيا ، به 600 دار وتكيتان ، وحمّام ، و عدة جوامع ، و مسجد وحنفيات مياه .

صوفيا ، مقر إقامة الوالي (بكلربك) في إيالة روملي . مخصصات الوالي الذي برتبة

وزير السنوية مليون آقجة (1 700 000 دولار) . تقدّم الإيالة 40 000 تمارلي سباهي . للوزير ، 4 مساعدين بدرجة بكلربك (فريق أول) . يعيش التركمان الذين فتحوا روملي في النصف الثاني من العصر 14 في 8 أماكن منفصلة ، بحالة شبه مستقلة ، ولهم 8 بّكات برتبة لواء (سنجق بك) .

تنقسم الإيالة إلى الالوية التالية ، المركز صوفيا ، كوستنديل ، أشكودرا ، ترهالا ، أوهرى ، آفلونيا ، لآجاحصار ، بريزرين ، فولجترين ، يانيا ، جيرمن (أدرنة) ، مناسطر وقاوالا .

تغيرت الألوية بين الحين والآخر . يعين لواء بحري لقلوالا . يقدم اللواء المركزي صوفيا ، 3000 سباهي . يوجد في المدينة من الجوامع والمساجد ما ينيف عددها على 100 ، لايوجد جامع سلطاني . يوجد نحو 70 سراي تحتوي على حمّامات . بها منزلان كبيران للمسافرين . اثنتان من مدارسها (الدينية) كانت لهما شهرة ذائعة .

لها 4 حمامات جوفية حاره فتحها مراد الأول وتتسع لـ 1000 شخص . تحتوي أيضا على تكية وقبر الشيخ الكبير بالي أفندي الذي عاش على عهد القانوني ، من أكبر شيوخ الطريقة البايرامية وهي من أكبر تكايا روملي . كل شيء في المدينة من أثر العثمانيين ، يقول بعض المؤرخين « إن صوفيا تركية إلى درجة أنه لايمكن أن يرى فيها شيء يرجع إلى ماقبل الأتراك .

اسكي كوستنجة ، قضاء صوفيا ، بها 700 دار ،وجامع ، 6 مساجد .

جسر مصطفى باشا ، هي المدينة التي أسسها داماد مصطفى باشا ونصب جسرها العظيم ، وشيّد جامعها وكليّتها . وبالإضافة إلى ذلك ، توجد 6 مساجد . وعلى مقربة منها توجد قصبة **هارمان** التي تسمى Cirmen أيضا . وللواء (سنجق بك) الخيار في الإقامة في أدرنة أو في هذه القصبة .

أسست حفصة والده – سلطان والدة القانوني مدينة **حفصة** ، وفي 1576 ، وسّعها صوقوللو وطلب إلى سنان أن يشيّد فيها كلية ، وبها بالإضافة إلى ذلك 7 مساجد .

بابا ايسكي ، مركز قضاء ، يحتوي على 1060 دارًا ، وجامع ، و7 مساجد و7 خانات ،

و 7 مكاتب ، و 3 دكاكين . يقع على الضفة الغربية من رافد بابا ايسكي (بابا عتيق) الذي يصب في أركنه وذو جسر . يحتوي على الكلية التي كلف الصدر الأعظم سميز علي باشا ، سنان بإنشائها .

جتالجه ، قضاء إستانبول ، يحتوي على 5 جوامع ، و 42 مسجدا و 7 تكايا .

قرق كليسة (Kirklareli) ، مركز لواء في إيالة سيليستره (Ozu) .

Varna ، ميناء مهم ذو قلعة كبيرة . يحتوي على 5 جوامع ، و 36 مسجدا . يدخل ميناءه سنويا 1500 سفينة . محلاتها ، 7 للأتراك ، و 1 للروم ، و 2 للأرمن ، و 1 لليهود و 1 للبلغار .

Tulca أو **Tolca** ، مركز قضاء . ذو 5 نواح في شمال دوبروجا ، وبه 600 دار . يقع على الساحل الجنوبي من الطونة . وعلى مقربة من شماله تقع **إسماعيل** ، مركز قضاء . ولم تعد هذه المنطقة دوبروجا وإنما بوجاق (بيسارابيا الجنوبية) . فتحها إسماعيل قبودان في عهد بيازيد الثاني ، بها 2000 دار .

Akkerman ، قلعة كبيرة وميناء على الخليج الذي يصب فيه نهر تورلا (Dnyestr) . مقر إقامة أمير اللواء (سنجق بك) . استولى عليها بيازيد الثاني من إمارة بغدان وقطع ارتباط الإمارة بالبحر الأسود وجعلها لواء . إيالتها أوزو . يقدم اللواء 500 جندي تمارالي . تحتوي القلعة على 180 مدفعًا كبيرًا جدًا ذات 13 محلة و 4 جوامع و 17 مكتبًا ، ومدرسة .

Bender ، فتحها بيازيد الثاني تقع على الضفة الغربية من نهر تورلا ، بين آكرمان و كيشينيف . والضفة المقابلة للنهر ، هي أوكرانيا وليست بيسارابيا . هي مركز لواء آخر في إيالة أوزو . يقدم اللواء 3000 سباهي . وإضافة إلى ذلك ، فإنه يوجد في اللواء 500 12 جندي . إحدى القواعد الكبرى العثمانية .

بقلعتها 12 برجا من صنع سنان . هاجمها الروس بـ 6 طلعات بـ 000 100 جندي وارتدوا خاسرين . مثوى للغزاة . بها 100 1 دار و 6 جوامع .

Hotion ، تقع على الساحل الجنوبي من نهر تورلا ، في قطر **Bukovina** و **Podolya**

و غاليجيا ، تشكلان الضفة الجنوبية للنهر . مركز لواء لإيالة أوزو . قلعة تم الاستيلاء عليها من بولونيا على عهد عثمان الثاني وحصنت بصورة فائقة . استشهد بكلربك (امير أمراء ، والي) بودين الوزير قره قاش محمد باشا مع آلاف الجنود (15 /9 1621) المسجلة اسماؤهم فردا فردا في مقبرة الشهداء ، عندما حاصر محمود الثاني القلعة .

كامانيجة (بالاوكرانيّة : Kamenets - Podolsky) ، قلعة كبيرة في القطر المسمى بودوليا ، تقع على شمال نهر تورلا ، وهي قطعة من غاليجيا . فتحت على عهد محمد الرابع وجعلت مركزا للإيالة .

Kiev ويسميها أهالي القرم « Mingkerman = ألف قلعة » ويطلق عليها العثمانيون غالبا اسم « Korlb » . مدينة أرثوذكسية مقدسة . خضعت للعثمانية بين الفترة والأخرى ، وخضعت على الأغلب لبولونيا ، وخضعت لروسيا في نهاية العصر 17 .

خوجابك Odesa ، ميناء يقع على رأس الشمال – الغربي للبحر الأسود ورصيف على خليج بين قلاع وموانى أوزو و Akkermann . لها قلعة ، مركز ناحية .

Ozu (Oczakov) ، على مقربة من شرق أوديسا ، قلعة وميناء على البحر الأسود . سميت باسم نهر أوزو (Dnyepr) الذي يجري على الشرق منها . ومع أنها تشمل كامل غرب البحر الأسود من قرقلارايلي إلى قرم وأقطار سواحل الطونة الجنوبية ، وكونها مركزا لإيالة أوزو الكبرى التي أسست بعد انفصالها عن روملي ، فإن والي الإيالة يقيم على الأغلب في سيليسترة . إن إفلاق (رومانيا) وبغدان (مولدافيا) ، تعتبران لواءين لهذه الإيالة . هي الإيالة الكبرى الممتدة بين قرقلارايلي وكييف . يقيم بالقلعة 000 10 جندي ، 210 أمراء لواء موظفين لإدارتها . وهذا يبين مبلغ ما أولته العثمانية لهذه القلعة من الأهمية . تحتوي على معمل سفن وأسطول حربي ، و قاعدة عسكرية بها 880 دارا . قلعة قيل بورنو العظمى التي شيدها مراد الرابع ، ترتفع على السحل المقابل لها .

Kili (Kilye) ، قلعة وميناء على الضفة الشمالية من دلتا الطونة ، في شرق إسماعيل . أكبر موضع لنصب الشراك الثابتة لصيد الأسماك للدولة ، تحيط بها 200 سفينة . تستخرج منها جبال من الأسماك ، وهو أيضا من أهم الأماكن التي يستخرج منها بيض السمك (Caviar) من سمك مرسين . بها مركز قضاء ، وجامع ، و7 مساجد ، و 2000 دار .

Hirsova (Harsova) ، مركز قضاء في Dobruea الوسطى ، بها 1 600 دار ، و 17 جامعا ومسجدا .

إبسالا Ipsala ، Inoz (Enez) ، كشان ، مالقارا ، اينه جك ، مراكز أقضية في إيالة روملي .

كاربناباد أو بويحد Boyhad ، بها ، 1 000 دار ، مركز قضاء في لواء سيلسيترة المركزي في إيالة أوزو .

Ishakçi ، مركز قضاء في إيالة أوزو . في دوبروجا الشمالية على ضفة الطونة الجنونية . الساحل المقابل بوجاق .

شاركوى مركز قضاء في إيالة روملي ، بها 1000 دار .

نيش هو للوضع الذي يلي صوفيا ، بعد شاركوى وموسى باشا بالانغاسي . يقع على الضفة الجنوبية من نهر شلفا فرع موارافا . مركز قضاء به 2 060 دارا ، فتحه مراد الأول 1375 ، به جامع سلطان مراد ، و جامعان ، ومساجد كثيرة ، و 22 مكتبًا ، وتكايا كثيرة ، تحتوي على مقبرة دفن فيها بعض أعضاء أسرة ميهال – زاده لر .

Yogodin ، قضاء في لواء Semendire ، به 1600 دار فتح في 1375 .

بلغراد ، مركز لواء سمندره . يقيم أمير اللواء (سنجق بك) حسب رغبته في بلغراد أو على مقربة من جنوبها في سمندره . لواء تابع لإيالة بودين (المجر) . تبع إيالة روملي أحيانا . من أهم الألوية . يرسل إلى قلعة بلغراد أحيانا محافظ بدرجة وزير . وفي تلك الحالة ، ينسحب السنجق بك إلى سمندره . ورغم محاصرة مراد الثاني و ابنه فاتح وابنه بيازيد الثاني هذه القلعة المجرية 3 مرات ، لم يتمكنوا من فتحها ، وفتحها السلطان سليمان القانوني في أول حملة همايونية له في 1521 . هي البوابة التي تفتح إلى أوروبا الوسطى والمجر . تقع على ملتقى نهرى الطونة وسافا وعلى الجنوب من ضفتى كلا النهرين . قلعتها التي تشتمل على 116 برجا و 5 060 مزغلا ومكونة من 4 طوابق ، تعد من أقوى القلاع العثمانية تحصينا . بها جامع سلطاني للسلطان سليمان ، فاتح بلغراد . وعدا ذلك ، توجد 3 جوامع أخرى . كان يتجمع في أوقات الحملات الأوروبية جيش كامل في بلغراد . يستوعب المخزن الموجود تحت القلعة ، 3 000 أسير عدا الجنود من جميع الأصناف الموجودين خارج القلعة ، فإن لواء سمندره يقدّم 2 000 من جنود

تمارلي سباهي .
يعيش في اللواء نحو 200 000 مسيحي البقية بمسلمون . يعد والي المحافظة (سنجق بك) من أهم ولاة المحافظات في الدولة مخصصاته السنوية تبلغ 260 540 آقجة ، وإن نقل من وظيفته ، ينقل واليا لإحدى الإيالات برتبة فريق أول (بكلربك) . يعيش في المدينة والقلعة نحو 150 000 نسمة . من أكبر المدن الأوروبية . تحتوي على 17 000 دار ، 160 سراي وقصر ، و 28 جامعا و 189 مسجدا ، و 17 مدرسة ، و 270 مكتبًا ، و 17 تكية ، و 26 حنفية مياه مبنية ، 600 حنفية عامة ، 8 كنائس أرثوذكسية ، ومعبد يهودي ، 11 000 بئر ، و منازل كبار المسافرين 7 خانات مسافرين (أوتيل) ، و 21 خان عمل ، سوق به 3 700 دكان . يحتوي منزل للسافرين الكبير (كروانسراي) الذي شيّده صوقوللو ، وكأنه قلعة خارج المدينة ، على 1660 غرفة . إن حجم كروانسراي السلطان سليمان مقارب لحجمه.. جميع القوافل التي تروح وتغدو إلى أوروبا ، تتوقف في بلغراد . إن مخازن السلع المستوردة و مصانع المدافع الخاصة بالجيش و مصانع السباكة كلها أماكن تستحق المشاهدة . قبر شيخ الإسلام أدنه لي عبد الرحيم أفندي موجود في بلغراد . إن أشاغي شهيد لك ، تحفة للناظرين . دفن فيها آلاف الجنود الذين استشهدوا في محاصرة بلغراد الثانية التي أجراها فاتح 1456 . وفي 1521 ، أي بعد 65 عاما دفن فيها أيضا بأمر السلطان سليمان آلاف من الذين استشهدوا .

Valva ، قضاء سمندره به ، 870 دارا ، و جامع واحد ، 9 مساجد .

يني بازار ، مركز قضاء يتبع أحيانا بوسنه وأحيانا إيالة روملي . حوّله فاتح إلى مدينة . يحتوي على 23 جامعا ، و 11 مسجدا ، و34 مكتبًا ، وتكيتين ، و 49 دورة مياه ومطبخين عموميين ، و 3 000 دار ، وحمامين ، و 1 100 دكان . يحتوي على معامل البنادق ، و المسدّسات ، و الأقفال ، و المطارق الحديدية .

Mitroviçe ، 300 دار تقع بين يني بازار و Pristine .

Valcitrin ، في ذات المنطقة ، مركز لواء لإيالة روملي . 4 000 جندي تمارلي سباهي بها 2 000 دار و بها جامع سلطاني لمراد الأول . مشهد خداوندكار ، هي المقبرة التي دفنت فيها الإحصاء الباطنية للسلطان مراد خان الأول وتقع وسط صحراء كوسوفا ، أحد ثاني الأماكن المقدسة الكبرى للعثمانية في روملي . أكثر الأماكن تقديسا ، هو قبر الأخ

الأكبر للسلطان مراد فاتح روملي ، غازي سليمان باشا في بولاير . تحيط بمشهد خداوندكار ، قبور 10 000 جندي عثماني استشهدوا في كوسوفا ، وكأنهم يحرسون سلطانهم .

Pristine ، وهو أيضا من فتوحات السلطان مراد ، قضاء للواء **Vulçitin** ، في حافة صحراء كوسوفا ، به 2 060 دار .

Kaçanik ، قضاء للواء أسكب ، وهو في الأصل قريب جدا من أسكب .

Uskub ، مركز لواحد من أهم ألوية إيالة روملي . يعين فيه على الأغلب سنجق بك (والي المحافظة برتبة بكلربك (فريق أول) . من فتوحات غازي أفرنوس بك . قضاؤه المركزي ذو 5 نواحٍ ، و 350 قرية . يقدم اللواء 4500 جندي تمارلي . إن مناجم Kratova للفضة والحديد قريبة جدا للمدينة . تحتوي اسكب على أحد أكبر معامل البارود . إذ يتم إخراج نترات البوتاسيوم على مسافة قريبة منه . ذو 70 محلة ، 1 060 دارا ، جامعين سلطانيين لمراد الثاني وفاتح ، و 43 جامعا ، و 75 مسجدا ، و 70 مكتبة ، و 20 تكية ، و 14 مدرسة ، و 110 حنفية مياه مبنية ، و 200 سبيل مياه مجانية ، و 1 060 قصرا ذا حمّام ، و 7 منازل كبيرة ، و 13 خان مسافرين ، وخانات عمل كثيرة ، و 9 مطابخ عمومية (عمارات) .

Kumanova ، مركز قضاء في شمال – شرق أسكب ذو 600 دار .

Kratova ، مركز قضاء في أسكب ، و 800 دار و 350 دكان . من فتوحات افرنوس بك . مشهور بفضته ، يحتوي على مناجم ذات 7 عروق جوفية للفضة الخالصة والبقية مناجم للفضة الممزوجة بالحديد والنحاس . به 20 جامعا ومسجدا .

Kostendil ، مركز لواء في إيالة روملي ، يقع في جنوب – غربي صوفيا ، على طريق صوليا – أسكب ، يحتوي على 1100 دار . و جامع سلطاني للسلطان مراد الأول ، و جامعين ، و مساجد كثيرة ، و 3 مدارس ، و 6 مكاتب ، و 5 تكايا ، وكروانسراي السلطان مراد . مياهه الجوفية مشهورة .

Dobniçse ، مركز قضاء من فتوحات لالا شاهين باشا . **Koprulu** ، قضاء كذلك للواء

كوسنتديل ، على الضفة الشرقية من واردار ، وعلى الجنوب ـ الشرقي من أسكب ، ذو 4 محلات .

Pirlepe ، مركز قضاء ، من فتوحات تيمورطاش باشا ، به ، 1000 دار .

Manastir ، بها 3 000 دار ، و 70 جامعا ومسجدا ، و 9 مدارس . من فتوحات مراد الأول . وهي مدينة كبيرة ، مركز لواء في إيالة روملي . سكن قسم من ولاة إيالة (بكلربك) روملي ، هذه المدينة بدلا من صوفيا .

Florina ، قضاء مناسطر ويقع في جنوبه 6 محلات ، و 1500 دار ، و 17 جامعا ومسجدا ، و 3 مدارس ، و 7 مكاتب ، و خانان ، وتكية .

كسترية (باليونانيه : **Kastoria** مركز قضاء من فتوحات مراد الأول ، بها جامعان سلطانيان للسلطان سليمان ووالده ـ سلطان ، جوامع ومساجد كثيرة ، 2500 دار ، وهى مدينة رومية على الأغلب وبها 70 كنيسة . وشوارعها ذات أرصفة .

صاري كول Sarigol ، قضاء به 300 دار .

Serfice ، مركز قضاء في شمال ـ غربي يني بازار ، به 1800 دار . و 6 جوامع ، و 6 مساجد و 7 كنائس . هذه الأقضية تقع في لواء **Vulcitrin** .

Novoberda ، وهو مركز قضاء اشتهر بعروقه الجوفية الثلاثة لمناجم الفضة .

كورشونلو ، يتبع قضاء فولجيترين كذلك .

آلاجه حصار (بالصربية : **Kurgujevac**) ، مركز لواء في إيالة روملي ، يحتوى على 9 محلات ، و جامع مراد الثاني ، و جامع آخر ، و 7 مساجد ، وتكيتين ، و 3 مكاتب .

Semendire ، مركز لواء في جنوب ـ شرقي بلغراد ، على ساحل الطونه الجنوبي ، في إيالة بودين ، كان سابقا تابعا لإيالة روملي وكان لأمير اللواء (سنجق بك) يقيم أحيانا فيها ، وأحيانا يقيم في بلغراد . تبع هذا اللواء العثمانية على عهد يلديرم بيازيد ، وعلى عهد مراد الثاني ، لكنه فتح بصورة نهائية في عهد فاتح . يقدم اللواء 4 000 جندي تمارلي . قلعته ذات 30 برجا مرتفعا ويحرسها 350 جنديا . به جامع فاتح ، و 4 جوامع ، 20 مسجدا ، ومدرستان ، و10 مكاتب ، و 4 000 دار . مثوى للغزاة .

Yejan ، مركز قضاء في Ohriو Les ، و مركز قضاء في Dukagin .

اشكودرا ، فتحت مع لش Les على يد فاتح بعد حروب شديدة . تقع على رأس بحيرة اشكودرا الجنوبي – الشرقي . مركز لواء في إيالة روملي . تقدم 4000 تمارلي ، وبها 2600 دار ، و جامعان سلطانيان لفاتح وبيازيد ، و 9 جوامع ، و 70 مسجدا . وقسم من المدينة يقع في الضفة الشرقية من نهر درين Drin . ويقال لاشكودرا « إسكندرية » وكذلك « عرنووط إسكندرية سي » (إسكندرية الألبان) .

Podgorie (بالصربية : Titograd) ، في شمال البحيرة ، قلعة شيدها فاتح بها 300 دار .

Kotor ، Budva ، Bar ، Ulgun (بالإيطالية : Dulcigno) ، Busat ، Mat ، Yakova ، قلاع من فتوحات فاتح أكثرها تقع في منطقة اشكودرا ، قسم منها أقضية (على نهر أدريا) ، أحيانا مراكز ناحية .

Istib ، من فتوحات مراد الأول ، في شمال مكدونيا ، مدينة تركمانية خالصة بها 2 420 دارا ، و 24 جامعا ، و 24 مسجدا ، ومدرسة ، و11 مكتبًا ، و 7 تكايا ، و كروانسراى . وفيها جامع مراد خان .

Samakov ، قضاء في لواء صوفيا ، 1 700 دار ، و 12 جامعًا ، و 8 مساجد ، ومدرستان ، و 3 مكاتب . بها منجم كبير جدا للحديد . ينقل سنويا إلى الأقطار العثمانية بالبحر عن طريق سلانيك ، 800 عربة من الحديد . فتحها لالا شاهين باشا عام 1370 .

جربان ، مركز قضاء ذو 302 قرية في روملي ، و 600 دار ، و جامعان ، و 4 مساجد ، و 3 تكايا ، و 3 مكاتب .

قنزيل آغاج ينيجة سي ، مركز قضاء ذو 25 قرية ، تابع للواء قيرق كليسة في إيالة أوزو ، يقع على الضفة الشمالية لنهر طونجة شمال أدرنة ، وبه 300 دار .

كوجك أسكب ، قضاء قيرق كليسة ، به 3000 دار ، وجامع ، و 6 مساجد .

Vize ، مركز لواء في إيالة أوزو . وفي الجنوب الشرقي منها قرق كليسة ، به ، 300 دار . يوجد في هذا اللواء أيضا أمير لواء (سنجق بك) آخر للعشائر الرحل .

بينار حصار ، مركز قضاء طو ، به 400 دار .

سراي ، مركز قضاء ذو 800 دار في لواء ويزة أيضا .

حلقة لي ، اسمه الكامل حلقه لي بينلر ، قريب جدا من استانبول ، يحرس السراي الهمايوني الذي كلف القانوني ، سنان بإنشائه ، 60 بستانجي (حرس عسكري يعني كذلك بالحدائق) داخل الحديقة السلطانية الخاصة .

قيزانلق ، مركز قضاء على مقربة من شمال طونجة ، تابع للواء أدرنة ، وبه 1060 دارا ، ومدرستان ، و 3 تكايا ، وشعبة تركماني .

Lofca ، قضاء في لواء نيغبولو ، من فتوحات غازي ميهال بك ، على عهد مراد الأول ، به 3000 دار ، و 16 محلة تركية ، و 4 بلغارية ، وواحدة يهودية ومحلة واحدة غجرية ، وبه أيضا 7 جوامع ، و 23 مسجدا ، و 3 جسور ، و 3 مدارس ، و 6 مكاتب ، و 5 تكايا ، و 6 حنفيات مياه مبنية ، وحمامان ، و 7 خانات ، و 215 دكانا . جامع هنكار ، جامع سلطاني شيّد بأمر السلطان مراد الأول .

Plevne ، قضاء نيغبولو ، من فتوحات ميهال بك أيضا وأحد مراكز بني ميهال ، به 2000 دار ، وسراي فخم ، وجامع ، ومساجد ، ومدرسة ، و6 تكايا ، و 6 خانات ، و حمّام ، مطبخان عموميان ، أكثرها من أعمال بني ميهال الخيرية .

Vraca ، قضاء نيغبولو ، به 1500 دار و 9 جوامع ومساجد ، ومدرستان ، و 4 حمامات و تكيتان ، 200 دكان .

Vidin ، مركز لواء في إيالة روملي . على الساحل الجنوبي من نهر الطونة . وقالافات Kalafat ، في الساحل المقابل في رومانيا ، تابعة لفيدين . وعلى الغرب منه يصب نهر Timok الذي يشكل حدود لواء سمندرة (بلغراد) لإيالة روملي وإيالة بودين . من فتوحات اقرنوس بك عام 1389 . يقدم 2000 تمارلي . ترسو على نهر الطونة في فيدين 10 سفن حربية . مدينة مهمة تشتمل على 19 محلة تركية و 4 بلغارية

وواحدة يهودية ، و 4700 دار . بها 10 جوامع و 14 مسجدا ، و 9 مدارس ، و 11 مكتبًا ، و 7 تكايا ، و 200 قصر ذي حمامات .

ايليجة ، قضاء فيدين ، به 200 دار ، و جامعان ، و 4 مساجد ، و 2 تكيتان ، و مدرسة ، ومكتبان .

يني بازار قضاء في لواء سيلسترة ، به ، 150 دارا ، و جامعان .

يانبولو ، مركز قضاء على نهر طونجة . من فتوحات مراد الأول في 1363 ، 3500 دار . يحتوي على 17 محلة للأتراك ، وواحدة للبلغار ، وواحدة لليهود ، و 17 جامعا ومسجدا ، له سوق لبيع السلع الثمينة ، و 3 حمامات ، و 6 خانات مسافرين و 5 خانات عمل ، و 3 مدارس ، و 11 مكتبًا ، و 5000 بغل تخص الدولة تنتظر بصورة دائمة في منزل للمسافرين (الكروانسراي) خارج المدينة ، لخدمة الجيش وقت الحرب .

خاصكوي ، قضاء تابع للواء قرق كليسة يقع بين أدرنة وفيليبة ، على مقربة من جنوب مريج Meric ، به 250 دارا ، و 6 جوامع ، و حمام .

Dimetoka ، قضاء تابع للواء أدرنة . به سراي كبير لفاتحها مراد الأول الذي أقام فيه عدة سلاطين وبه ، 600 دار ، جامع سلطاني لييلديرم ، و 11 مسجدا ، و 4 مدارس ، و 5 مكاتب و 5 تكايا ، ومطبخان عموميان و 2 كروانسراي (منزل) ، و خانان ، و 3 حمامات ، و 70 قصرا ذا حمّام .

Ferecik ، قضاء أدرنة ، من فتوحات غازي سليمان باشا ، وبه ، و 4 مساجد ، ومدرستان ، و تكيتان .

ده ده آغاج ، قضاء أدرنة ، من فتوحات أفرنوس بك ، على بحر إيجة وعلى مسافة ليست بعيدة عنه جزيرة سماديرك Semadirek . يوجد به جامع ييلديرم خان .

كمو لجينا Gumulcina قضاء من فتوحات أفرنوس بك وهو مدينة مهمة تحتوي على حمامات و 4000 دار ، 16 جامعا ، 11 مسجدا ، و 5 مدارس ، و 7 مكاتب ، و 7 خانات عمل و 10 خانات مسافرين . أكثرها أعمال خيرية لعائلة أفرنوس . بك الغجر المعترف به من الدولة ، يقيم في كموجلينه . و المحيط ، من أملاك عائلة أفرنوس .

أورهانية ، مركز قضاء في لواء سلانيك في روملي ، Sidrekapsi ، كسابقتها

أيضا . يوجد فيها أحد معامل النقود للدولة التي يبلغ عددها 47 . ناحية Aynaroz ، ضمن هذا القضاء ، ومشهورة بديرها العائد للروم . والذي يقع في جبل Athos (2030 م) ولا يمكن لأحد أن يدخله .

آورالحصاري ، قضاء آخر لسلانيك . Doyran ، مركز قضاء آخر لسلانيك .

ينيجه ، هي قرة صو ينيجه سي قضاء سلانيك من فتوحات أفرنوس بك ، به 1000 دار ، على نهر اسكجه ، وعلى مسافة قريبة من البحر . به منزل للمسافرين وجامع فخم لاكمكجي - زاده أحمد باشا .

قاوالا Kavala ، في مكدونيا ، ولم تعد في تراقيا الغربية . ميناء جزيرة تاشوز ذو القلعة مقابل لها .

مركز إمارة اللواء البحري في إيالة روملي . تضع تحت أمر أمير لوائها سفينتين حربيتين . يقدم اللواء نحو 2000 تمارلي ، به 7 أقضية ، و 700 دار ، بالقلعة 50 مدفعا . معظم أبنيتها من أعمال مقبول إبراهيم باشا الخيرية . فتحها مراد الأول .

Drama ، مركز قضاء ، على مقربة من شمال - غربي قاوالا ، من فتوحات أفرنوس بك ، به 800 دار ، 13 جامعا ، 7 مساجد ، مدرستان ، 3 مكاتب ، تكيتان ، 10 خانات ، حمام . اسكي جامع ، جامع سلطاني لبيازيد الثاني .

Zihne ، قضاء سلانيك ، من فتوحات أفرنوس بك ، بها 200 دار ، جامع سلطان بيازيد الثاني .

Serez أو Siroz ، قضاء سلانيك ، وهي مدينة كبيرة ذات 6000 دار بها 12 جامعا ، 87 مسجدا ، 30 مدرسة ، وتكية ، 21 مكتبًا ، 717 حنفية مياه مبنية (جشمة) وحنفيات (مصلق) ، وبها أيضا سوق للسلع الثمينة ، 5 حمامات ، 1060 قصرا بها حمامات ، 7 خانات عمل و 9 خانات للمسافرين ، جسر ، 30 محلة تركية ، 10 مسيحية . دمير حصار ، مركز قضاء في لواء سلانيك به 1600 دار .

سلانيك ، ميناء كبير . فتحه اولا يلدرم بيازيد ، ثم مراد الثاني . مركز إمارة اللواء البحري في إيالة روملي . يقدم اللواء 6000 تمارلي سباهي ، ويمكن تجنيد 12000 متطوع

يستقر في اللواء 40000 جندي بّري وبحري بصورة مستمرة . يعزف للهتر (الموسيقى العسكرية) في كل مساء في 4 أماكن مختلفة من قلعتها الكبيرة ذات الـ 150 برجًا و 4000 مزغل (مرمى) . أعاد سليمان القانوني إنشاء القلعة في 1545 . تحوي المدينة على نحو 150 جامعًا و 150 مسجدًا ومنشآت أخرى توازي ذلك ، 48 محلة تركية ، 57 يهودية ومسيحية . يعيش في لواء سلانيك 000 500 نسمة ، قسمها الأعظم في مدينة سلانيك ، وهي تحتوي على 340 محلا للمشروبات الروحية و 17 مقهى فيها جوقات موسيقية فخمة ، فيها أيضا ما يقرب من 300 قصر ذي حمام ، و 11 حماما داخل السوق ، و تكية المولويين الشهيرة جدا وتكايا الطرق الأخرى ، ومنازل مسافرين كبيرة ، وخانات مليئة بالبشر والبضائع .

فاردار ينيجة سي (ينيجة فاردار) ، قضاء سلانيك ، من فتوحات أفرنوس بك ، وبها 1500 دار ، و 17 جامعا و 5 مساجد ، ومدرسة ، و 7 مكاتب و 3 مطابخ عمومية ، و 740 دكانا ، و حمامان ، و 2 كروانسراي (منزل كبير) ، و 9 خانات ، و 20 حنفية مياه مبنية (جشمة) ، و 41 سبيل مياه مجانية ، أكثرها من أعمال أفرنوس - زاده لر الخيرية .

Vodine ، قضاء سلانيك ، به 1060 دارا ، و 8 جوامع ، و مسجدا ، و مدرسة ، و 4 مكاتب ، و 10 خانات ، و مطبخ عمومي ، و 7 كنائس نحو 300 دكان . على مقربة منه دير أرثوذكسي يقبل البنات الأبكار .

Karaferye ، من فتوحات أفرنوس بك ، قضاء سلانيك ، مدينة ذات 4000 دار . وبها 16 محلة تركية ، و 2 يهودية ، و 15 مسيحية ، و جامعان سلطانيان لمراد الأول وموسى خان ، و جامعان ، و 19 مسجدا ، و 3 مدارس ، و 10 مكاتب ، و 5 تكايا ، و 5 حمامات مزدوجة (للنساء والرجال) ، نحو 70 قصرا تحتوي على حمامات ، و 3 مطابخ عمومية ، سوق للسلع الثمينة ، 600 دكان .

Alasonya ، مركز قضاء به 655 دارا ، وأيضا 4 جوامع ، 7 مساجد . له جسر على نهر أوليمبوس

Tirnovi ، ورغم أنها كانت ناحية لها لكنها أكبر منها بكثير ، وبينما كانت قرية إلى عهد قريب فقد أصبحت مدينة رومية ذات 3500 دار . شوارعها قذرة جدا وضيقة .

يني شهر (باليونانية : larissa) ، مركز قضاء في لواء Tirhala (Tesalya) ، يقيم فيها أمراء الألوية أحيانا بدلا من ترخالا ، يتبع هذا القضاء 200 قرية ، ويحتوي على 22 جامعا ، 49 مسجدا ، 8 مدارس ، 22 مكتبًا ، 10 تكايا ، 5 حمامات ، نحو 400 قصر ذي حمام ، 21 خانا ، 880 دكانا ، 10 جسور على رافد Kustum (Pintos) ، 300 حنفية مياه مبنية (جشمة) ، سبيل وحنفيات ، 160 3 بئر مياه وتكيتها المولوية من التكايا الكبيرة .

Tirhala ، مركز لواء في إيالة روملي . من أهم الألوية ، به ، 300 2 دار ، 8 جوامع ، 8 مساجد ، 6 مدارس ، 9 مكاتب ، 8 تكايا ، 3 حمامات ، نحو 70 قصرًا يحتوي على حمّام ، وجسر جميل جدا ذو 6 قناطر . أكثرها من الأعمال الخيرية لابن عمة السلطان سليمان القانوني سلطان ـ زاده (سليل العائلة السلطانية) عثمان ـ شاه بك ، وهو الذي صيّر المدينة على هذا الشكل ، شغل وظيفة أمير لواء (سنجق بك) لمدة طويلة في Tesalya وتوفي فيها .

فنار Fener (يني شهر فنار) قضاء ترخالا ، به 160 دارًا، و 5 جوامع ، و 3 مساجد ، و مدرسة ، و مكتب .

Kardiçe ، رغم أنها ناحيتها لكنها أكبر منها بكثير ، بها تقريبا 1000 دار ، 9 جوامع ، 8 مساجد .

ناردا (Arta) ، قضاء تابع للواء يانيا (Epir) وفي أقصى جنوبه ، به 2000 دار ، 10 محلات رومية ، 3 مسلمة ، 4 يهودية . لها جامع سلطاني لبيازيد الثاني وجامع آخر ، مساجد ، 3 مدارس ، 5 مكاتب و 3 تكايا ، 11 كنيسة ، جسر .

Yanya ، مركز لواء في إيالة روملي . ، وهو لواء مهم ذو 22 قضاء ، قلعة كبيرة ، 23 محلة للمسلمين ، 14 للروم ، 1 للغجر ، 4 لليهود ، 4800 دار ، 845 قصرا ذا حمامات ، 260 2 دكانا ، 23 جامعا ، 12 مسجدا ، 16 مدرسة ، 11 مكتبا ، 7 تكايا ، 3 خانات ، حمامين ، 400 4 بئر مياه . جامع فتحية لبيازيد الثاني يقع في القلعة .

Aydonat ، قضاء تابع للواء Delvine ، وهو قصبة ألبانية مسلمة ، به 840 دارا ، 3 جوامع (أحدها لبيازيد الثاني) ، 3 مساجد ، 6 مكاتب ، 3 تكايا ، حمامان ، 17 حنفية مياه مبنية .

Margalic ، مركز قضاء Delvine ذو 40 قرية ، وبه 1 300 دار ، 3 جوامع (أحدها لبيازيد الثاني) ، 7 مساجد ، مدرسة ، مكتبان ، تكيتان .
قلعة Parga قريبة لها ومقابلة لجزيرة Korfu مسقط رأس الصدر الأعظم مقبول إبراهيم باشا .

Delvine مركز لواء في إيالة روملي . من فتوحات بيازيد الثاني ، وهي لواء صغير يقدم 2 200 تمارلي . تقع على مقربة من جنوب Ergeri ، قصبة ألبانية صغيرة . لها جامع ، مسجدان ، 3 مدارس ، مكتبتان ، و 3 تكايا .

أركري (Argyrokastro) ، قضاء دلفين ، ترتبط بها 68 قرية ، يحتوي على قلعة بيازيد الثاني وجامعين في الضواحي ، و 7 جوامع أخرى و 7 مساجد ، و مدرستين ، و 5 مكاتب ، ويسكن أمير لواء دلفين أحيانا في هذه المدينة .

Pogonya ، مركز قضاء آخر في اللواء نفسه ، تبه ده لن Tepedelen مركز قضاء في آفلونيا له 80 قرية ، و 240 دارا .

Iskarapar ، قضاء تابع للواء بآفلونيا له 47 قرية ، به جامع لبيازيد الثاني ، وعلى مقربة منه قرية Rosnik ، التي ولد فيها الصدر الأعظم كوبرولو محمد باشا الذي اهتم بعمرانها وجعلها قصبة . أما قرية Lavdani الواقعة على مقربة منها ، فهي مسقط رأس كانكش قرة مصطفى باشا الصدر الأعظم الأخير لمراد الرابع والأول لإبراهيم خان . أما قرية Jotom التي تقع بعد عبور إحدى السواقي ، فهي مسقط رأس آغا الإنكشارية وزير مصطفى باشا الذي سقط شهيدا في النمسا في الحرب الميدانية Sen Gotar .

Berat ، وتدعي كذلك بـ « عرنووط بلغرادي » (بلغراد ألبانيا) ، يقيم بها أمير لواء آفلونيا أكثر مما يقيم آفلونيا . تقع بين آفلونيا و Goriee ، يتبع قضاءها المركزي 120 قرية . لها 9 أقضية ، للواء 4000 تمارلي وجنود آخرون ، وبيرات مدينة مهمة .

تحتوي على 4 جوامع مستقلة لبيازيد الثاني ، 480 5 دارا ، وعدا ذلك فإن بها 26 جامعا ، 17 مسجدا ، 5 مدارس ، 4 تكايا . ولها 170 قصرا ذا حمام ، وبها 19 محلة البانية مسلمة ، 10 محلات البانية مسيحية (سكانها يجيدون اللغة التركية) ، 3 مطابخ عمومية ، 11 خانًا .

Avlonya ، تقع على الجنوب ـ الغربي من بيرات ، جانب منها يقع على الخليج وجانبها الآخر يقع على البحيرة . يجري نهر Viyosa في شمالها . وعلى مسافة منها جزيرة Sazan . وتقع على مضيق Otrano الذي يربط البحر الأدرياتيكي بالبحر اليوناني (الأيوني) . شيّد السلطان سليمان القانوني فيها قلعة كبيرة وجامعين ؛ بها 300 1 دار ، 4 جوامع ، 5 مساجد ، 3 مدارس . ميناؤها كبير .

Drac ، قضاء ذو 73 قرية في لواء الباسان . ميناء على الأدرياتيكي ، وقضاء Kavaya ، على مقربة من ضولحي دراج .

Pekin مركز قضاء آخر لباسان ، وبه 430 دارا ، 5 جوامع ، 7 مساجد ، 3 مدارس ، 5 مكاتب ، تكيتان ، 7 حنفيات مياه مبنية ، وأكثرها أعمال خيرية للوزير عبد الرحمن باشا آغا الإنكشارية عند فتح كاندية التي ولد فيها .

إلباسان Elbasan ، أصلها « Ilbasan » أطلق هذا الاسم السلطان محمد الفاتح . مركز لواء في إيالة روملي . يقدم اللواء 4600 جندي ، ويتبعه 426 قرية . يقع على الضفة الشمالية لفرع Iskombi . شيّد فاتح قلعة المدينة مع جامعين . يحتوي اللواء على 44 جامعا ، 24 مسجدا ، 11 تكية ، 7 مقاه فخمة ذات جوقات موسيقية ، 11 خان عمل ، 9 خانات مسافرين ، 2060 بئرا ، 18 محلة ألبانية مسلمة وتركية ، 10 محلات ألبانية أرثوذكسية ، محلة واحدة ألبانية كاثوليكية ، أكثرية الألبان يجيدون التكلم بالتركية كذلك .

اوهري ، مركز لواء صغير آخر في إيالة روملي ، على الضفة الشمالية ـ الشرقية من بحيرة أوهري بين الباسان ومناسطر ، يستقر في اللواء نحو 7000 جندي . قضاؤها المركزي ذو 3 نواح . تعد أوهري من أكبر مدن روملي . تحتوي على مايقرب من 15000 دار و 400 قصر ، 10 محلات للمسلمين ، 6 للأرثوذكس وواحدة للكاثوليك . يشكل الألبان أكثرية السكان ثم يليهم الأتراك ، ثم الروم ، ثم المكدونيون ، باللواء 17 جامعا ، 18 مسجداً ، 3 مدارس ، 7 مكاتب ، 3 مطابخ عمومية .

Resne ، مركز ناحية تابع للقضاء المركزى أوهرى ، به 180 دارا ، محلتان ، جامعان ، مدرستان ، قصبة صغيرة نصف سكانها من المسلمين والنصف الآخر أرثوذكس .

Astrova ، تقع على ساحل البحيرة المسماة بالأسم نفسه ، Presba (Prespe) ، كلاهما قضاءان في لواء أوهري .

Ardoviste ، قضاء تابع للواء كزستندل ، به 400 دار ، 5 جوامع ، مسجدان .

تكوش Tikves ، مركز قضاء آخر في اللواء ذاته ، به 300 دار ، 3 جوامع ، مسجدان .

أوستروجة (Strumice) ، مركز قضاء في جنوب شرقي إيشتب ، قصبة تركانية بها 1000 دار ، 14 جامعا ومسجدا ، مدرسة ، 6 مكاتب ، 12 دورة مياه ، 13 خانًا ، وعلى مقربة من جنوبها تقع بحيرة Doyran وقصبتها .

Petric ، مركز قضاء كوستندل به ، 240 دارا ، جامعان ، مسجدان ، مدرستان ، 3 مكاتب ، حمامان ، تكية واحدة

Vetirne ، مركز قضاء يتبعه 48 قرية في اللواء نفسه .

Stanimaça ، مركز قضاء في لواء فيليبه ، يحتوي على 300 دار للبلغار ، 100 للأتراك .

خيرابولو Hayrabolu ، من فتوحات غازي سليمان باشا فاتح روملي ، مركز قضاء في لواء أدرنة .

تكفور داغي (تكرداغ) مركز لواء في إيالة روملي ويقع على ساحل مرمرة ، فتحه سليمان باشا على عهد أبيه أوخان غازي وهدم قلعته ، وهو من الألوية المهمة ، ويعتبر رصيفا بحريا رئيسيا لأدرنة ، وهى مدينة كبيرة وغنية .

إركلي Eregli (Marmara Ereglisi) قصبة صغيرة ولكنها ميناء فعال ، من فتوحات سليمان باشا أيضا ، بها 300 دار .

قال نامق كمال بك (1840 – 1888) ، « إن حد الدولة العثمانية الطبيعي هو خط ألطونة (الدانوب صباح ، 5 /11/ 1912) . واضافة إلى ذلك « إن فقدان هذا الخط يعني فقدان الوطن » . أما المؤرخ الأستاذ (أوردیناریوس بروفسور) مكرمين خليل يينانچ فيقول « إن أكبر خسارة في تاريخنا ، هي فقداننا روملي » (على جانقايا 4 ، 1707) .

إن روملي التي وصفها لنا أولياء جلبي في أواسط العصر 17 والتي سلف وصفها فقدت على مرحلتين في 1878 و 1913 ؛ في هزيمتي حرب 93 وحرب البلقان . ورغم الحفاظ على لقب « سلطان البحرين » (البحر الأبيض والأسود) للبادشاه العثماني ، فإن نصف لقب « خاقان البرين » (خاقان القطعتين) الأناضول وروملي) أصبح موضعا للشك . كيف يفقد وطنا أما يرجع تاريخه إلى 500 سنة مضت ؟ إنها حكاية لا تكاد تصدق .. لكنها وقعت حقا . تراجع خط ألطونة للمسلمين إلى مريج . عشرات الملايين من المسلمين يرقدون حاليا في الأراضي المسيحية .

أسست إمارة بلغاريا في 1878 من 6 ألوية من إيالة طونا وإيالة روملي الشرقية ومن لواءين من إيالة أدرنة (فيليبة وأسليمية) ، ومنح الاستقلال الذاتي لكليهما . وقبل الحرب في 1877 كان يسكن في الألوية الستة 1 130 000 بلغاري + 1 120 000 تركي = (2 250 000 نسمة) ، أما سكان اللواءين اللذين يشكلان روملي الشرقية ، فكانوا 483000 بلغاري + 681 000 تركي = (1 164 000 نسمة) ، وجمعا 1 613 000 بلغاري + 1801000 تركي = 3 414 000 نسمة . وهذا هو المجموع للألوية الثمانية التي كانت تشكل ملكية بلغاريا التي انفصلت عن العثمانية عام 1908 . كان عدد نفوس الأتراك في الأحصاء والذي تم عام 1887 هو 676 215 . وإذا كان نفوس الأتراك بالنسبة لاحصاء 1876 هو 1 801 000 وإذا ما أضيف إلى ذلك الزيادة الحاصلة في النفوس فإنه يتضح أن 1 300 000 تركي زالوا عن الوجود . إن مايقرب من ثلثي هذا الرقم تركوا وطنهم الذي يعود تاريخه إلى 5 عصور وهاجروا إلى تركية ، أما ثلثه الباقي ، فقد قتلهم الروس والبلغار بشكل جماعي ، ومات قسم منهم في الطريق أثناء هروبه بسبب البرد والجوع والمرض . كان 53 ٪ من مجموع السكان في الألوية الثمانية

في 1876 أتراكا ، وكان بها 45 مدرسة متوسطة وثانوية للأتراك 2255 ، إبتدائية ، ومايتيف على 100 مدرسة (دينية) ، عدا المدارس التي توجد بالجوامع . انخفض عدد السكان الأتراك في بلغاريا بعد كارثة 93 إلى الثلث ، ولم يتمكنوا من خفض هذه النسبة إلى الربع رغم جميع المحاولات والضغوط التي مورست خلال مدة طويلة جدا . وفي 19 / 2 / 1946 أصدر السكرتير الأول للحزب الشيوعي البلغاري رئيس الوزراء جورجي ديميتروف التعليمات التالية :

« يجب علينا أن نسعى لتأمين بقاء البلقان للبلقانيين فقط ، وعدم السماح للسلاف أن يلعبوا الدور الرئيسي في البلقان . يجب أن تنمحي تماما آثار الإمبراطورية العثمانية للعصور السالفة التي كانت تحكم فيها البلقان » .

إن هذا البيان يمثل خطأ تاريخيا ، حيث يغفل كون الأتراك من الأقوام الرئيسية التي تشكل البلقان ؛ حتى إنه حتى في العام الدراسي 1949 / 1950 ، كان في بلغاريا 3037 مدرسا تركيا يعملون بالتدريس في 1199 مدرسة تركية ابتدائية ومتوسطة ويدرسون لـ 100 376 طالبا تركيا ، وأتراك كثيرون آخرون يتلقون تعليمهم في المدارس البلغارية .

هاجر 156 000 تركي من بلغاريا إلى تركية خلال سنة واحدة 1950 / 1951 وخلال 1878 – 1908 كان في بلغاريا المستقلة ذاتيا ، 15 صحيفة تركية و 12 مجلة ، وفي الوقت الذي كانت تصدر فيه في بلغاريا الملكية خلال (1908– 1944) ، 28 صحيفة تركية 38 مجلة ، هبط هذا العدد في غضون 1960 إلى 3 صحائف ومجلة تركية واحدة وكان شرط صدورها أن تروج الدعاية الشيوعية . وفي 1985 كان لايزال عدد سكان الأتراك يتجاوز كثيرا 1 : 10 من سكان البلاد ولايزال عددهم حاليا ، يتجاوز المليون نسمة بكثير . يعلن السكرتير الأول للحزب رئيس الوزراء تودور جيفكوف Todor Jivkov ببيانه الصادر في 28 /5 / 1962 أن « بلغاريا ليست دولة جمهورية شعبية ذات شعوب مختلفة » يعلن أن كيان الدولة يختلف كل الأختلاف عن السوفييت والصين ويوغسلافيا وكان يقول للأتراك « لكم الفناء أو للموت » . وأخيرا في 1985 شرعت بلغاريا في تطبيق السياسة التي طبقتها أسبانيا على العرب قبل عصور ، بأقسى مظاهرها ، على المسلمين فيها .

منحت معاهدة برلين 1878 لواءين من إيالة طونا يشكلان Dobruca إلى إمارة رومانيا التي انفصلت عن الإمبراطورية ، ولواء نيش إلى صربيا التي انفصلت كذلك عن الإمبراطورية . وبالنسبة لإحصاء النفوس لعام 1868 كان 125 945 تركيا وعدد من Ulah (الرومان) والبلغار يسكنون في ألوية كوستنجة و تولجا . وبالنسبة للإحصاء الروماني لعام 1930 ، كان نفوس الأتراك في (Dobruca) 720 345 ، وكانوا يشكلون الأكثرية . وهبط في 1965 ، إلى 000 250 . أما أتراك لواء نيش فقد تركوا اللواء بأجمعهم تقريبا منذ 1878 .

وهكذا أسفرت كارثة 93 ، عن فقدان نصف روملي العثمانية في 1878 ، وضاع النصف الآخر بعد 35 عاما . تحقق ذلك أيضا عام 1913 . محيت الآثار العمرانية العثمانية بالأسلوب ذاته .

8 بوسنة .

كانت بوسنة – هرسك في البداية ، قسما من إيالة روملي ، ثم انفصلت عنها وأصبحت إيالة بذاتها . البوشناق أى الخروات المسلمون ، كانوا يشكلون أكثرية نفوسها ، كانوا سنة حنفيين . وهم حاليا يشكلون الأكثرية في القطر . تطبعوا بالثقافة العثمانية العميقة . ظهر منهم صدور عظام ووزراء كثيرون ، وعلماء وكتاب ائمة وشعراء وفنانون . يوجد كذلك في بوسنة أتراك ، وخاصة فى هرسك . أخذ هؤلاء يتكلمون اللغة البوشناقية وعلى مر الزمن تطبعوا وأصبحوا بوشناقا . الألبانيون قليلون جدا . والأقوام الأخرى هم الخروات الكاثوليك والصرب الارثوذكس . كانت تأثيرات الثقافة العثمانية في الصرب أكثر عمقا . يميل الخروات على الأكثر إلى المجر والالمان .

يشرف لواء هرسك التابع لبوسنة ، على البحر الأدرياتيكي . دالماجيا هو الشريط الجبلي الطويل للبحر الأدرياتيكي الذى يفصل بوسنة عن البحر . كان هذا الشريط موضع خلاف مستمر بين العثمانية والبنادقة . شعبه خروات وإيطاليون أي إنهم كاثوليك . توجد في الجنوب منطقة صغيرة تسمى قرة داغ تفصل هرسك عن ألبانيا . يسكن فيها أحد فروع الصرب الأرثوذكس الذين يطلق عليهم اسم قرة داغلي . كان هؤلاء قوما جبليا متوحشا . العثمانيون الذين دخلوا ملكية بوسنة (التي كانت كاثوليكية) منذ أواخر

العصر 14 فتحوا القطر كاملا في حملات فاتح . أدى اهتداء الخروات الذين كانوا على مذهب بوغوميل Bogomil ، وأخذهم عن الدين الإسلامي بعض مبادئه في العصر 15 ، واختلاطهم بالسكان الأتراك الذين قدموا إليها لغرض الاستيطان . إلى جعل القطر قطرا إسلاميا ، وهو حاليا وبصورة جزئية كذلك ، إلى درجة أنه كان في مدينة Mostar عاصمة هرسك في عام 1878 ، 36 جامعا ، فى مقابل كنيستين صربيتين أرثوذكسيتين وواحدة خرواتية كاثوليكية فقط (Vakiflar Dergisi ، 7 ، 215) .

لواء يني بازار ، يفصل بين قرة داغ وصربيا ، ومع أنه يتبع إيالة بوسنة أحيانا ، فانه تبع على الأكثر إيالة روملي .

كانت بوسنة سراي (Sarajevo) المركز حتى سنة 1550 ، ثم أصبحت Travnik الواقعة في الشمال – الغربي مركزا حتى 1583 ، ثم Banyaluka التي تقع في أقصى الشمال – الغربي حتى 1639 ، ثم بوسنة سراى مرة أخرى إلى 1648 ، ثم Travnik مرة أخرى حتى 1850 ، ثم بوسنة سراي مرة ثالثة بعد 1850 .

ولكننا نجد الوالي يقيم في بوسنة سراى على الأكثر وحتى في فترات انتقال المركز إلى مدن أخرى . كانت إيالة حدودية (سرحد) حيث كانت ألمانيا تحدها من الشمال والبندقية من الشمال – الغربي . كان ثلثا النفوس مسلمين ، بوشناقا وأتراكا أو خليطا من كليهما .

انفصلت في 1521 ، ولاية بوسنة عن إيالة روملي وأصبحت لواء مستقلا ، وفي 1583 رفعت وأدخلت إلى نظام الإيالات . انقسمت الإيالة في 1866 إلى 7 ألوية (محافظات) ، كانت إحداها هرسك . افتتح في 1872 خط بانيالوكا – نوفي ، ثم مدت السكك الحديدية الأخرى . وفي 1876 ، كان في بوسنة سراي ، مدرسة حقوق شاهانه (كلية الحقوق) ، مدرسة غازي خسرو بك العليا ، 28 مدرسة ثانوية ومتوسطة ، 917 مدرسة ابتدائية ومدارس متوسطة كثيرة ، هذا عدا مدارس المسيحيين التابعة للكنيسة . وبالنسبة لإحصاء السكان لعام 1953 ، فإن 42.6 ٪ من سكان جمهورية بوسنة – هرسك الائتلافية الشعبية مسلمون بوشناق ، 1 / 35 ٪ منهم صرب

أرثوذكس ، 21,5 ٪ خروات كاثوليك ، 9, ٪ أتراك مسلمون ، ألبانيون وغجر .

وفي 1957 كان في بوسنة - هرسك 635 جامعا من جملة 1514 جامعا كانت مفتوحة للعبادة في يوغسلافيا . بينما كان عدد الجوامع في بوسنة - هرسك حتى في عام (1939) ، 1173 جامعا .

إن عدد الجوامع في بوسنة سراي الذي كان في عام (1939) ، 108 ، أصبح في عام (1955) ، 87 ، وكان في Gradiska عام (1943) ، 26 جامعا ، ثم هبط العدد في 1957 إلى (واحد) .

فوجا Foça التي كان عدد سكانها في العصر (19) ، 12000 نسمة و بها 12 جامعًا (**قاموس الإعلام**، 5 ، 3443) ، هبط عدد سكانها في 1934 إلى 600 4 (Pelletier ، Sarajevo ، 242) . وفد إلى البلاد كثيرون من الخروات ، وخاصة الصرب واستوطنوا فيها .

جسر Drina (الطول 179 م ، العرض 4,35 م) الذي شيّده المعمار سنان قريب جدا إلى Visgrad ، ويقف شامخا بقدر شموخ جسر Mostar لسنان أيضا . منحت الإيالة لإدارة أوستريا - المجر عام 1878 ، وفي 1908 ، ألحقت بأوستريا - المجر وانقطعت علاقتها بالعثمانية ، ثم انتقلت في نهاية عام 1918 بتسميتها يوغسلافيا ، إلى ملكية صربيا التي وسعت جدا . يسرد أولياء جلبي معلومات مفصلة جدا عن الإيالة في الفصول الأخيرة من مجلده الخامس . وسنكتفي هنا بنقل بعض أسطرمنه ، وسننقل لكم فيما يلي بعض المعلومات التي دونها الرحّالة عن المدن مراكز الألوية فقط :

بوسنة سرايي أو بوسنة سراي أو سراي بوسنة ، ومختصرا سراي ، وبالصربية - الخرواتية Sarayevo ، أصبحت مركزا للواء في إيالة روملي في 1436 ، ثم اتخذت بعد ذلك مركزا لإيالة بوسنة - هرسك ، وتتميز خلال فترات عدم اتخاذها مركزا بأنها أكبر مدينة في الإيالة ، ومركز ثقافي عثماني ، ومن أهم مدن الإمبراطورية . تقع على ضفة نهر بوسنة الذي يصب في سافا . وفي 1436 ، شيّد أمير لواء (سنجق بك) أسكب غازي باشا ييغيت محمد بك - زاده غازي إسحق بك ،

عند تعيينه ، دائرة حكومية كبيرة سميت « سراي » ، أصبحت اسما للمدينة . وسراي التي كانت قصبة صغيرة ، أصبحت مدينة كبيرة (يستعمل حاليا سراي إسحق بك ، دائرة حكومية في جمهورية بوسنة - هرسنك) . يتبع الإيالة 8 ألوية ، يتولى إدارتها غالبا الفرقاء الأول (بكلربك) برتبة وزير . تحتوي الإيالة على 773 قلعة وحصن وقلاع مصنوعة من عواميد خشبية (بالأنغة) ، وتقدم 000 15 جندي . يبلغ عدد المسيحيين 000 385 نسمة وتعداد المدينة التي تحتوي على 92 محلة للمسلمين ، 10 للمسيحيين ، 2 لليهود ، يبلغ نحو 000 170 نسمة . بها جامع فاتح السلطاني في القلعة . وبها أيضا 77 جامعًا ، 93 مسجدا ، 18 مدرسة (مدرسة غازي خسروبك ، مدرسة عالية) ، تكية كبيرة للمولويين مع 47 تكية أخرى ، 180 مكتبًا ، وحوالي 100 حنفية مياة مبنية ونحو 300 حنفية بسيطة ، 700 بئر ونحو 670 قصرا ذا حمّام ، 3 منازل كبيرة للمسافرين ، 23 خان تجارة و 8 خانات للمسافرين ، سوق لبيع السلع الثمينة ، 080 1 دكانا ، 7 جسور ، عدة كنائس وأديرة ومعبد يهودي واحد مع مدرسته ، 7 مطابخ عمومية .

يتكلم الشعب في المدينة اللغة البوشناقية والتركية ، و يجيد التكلم بهما . أما الجنود الموجودون في القلاع فإن أكثرهم يتكلم التركية فقط .

تستهلك المدينة يوميا 000 2 رأس غنم وسنويا الباسطرما للصنوعة خارج المدينة من لحوم 000 40 رأس من الغنم وعدة آلاف من البقر . والجبن المصنوع من 000 100 برميل من حليب الماعز ، ويستهلك الطرشي المصنوع من مئات الألوف من رءوس الكرنب (لهانة) . يبلغ عدد الخبز الذي يستهلك في المدينة وضواحيها 000 600 يوميا . إن الكلية الكبرى الموجودة في المدينة ومنشآت كثيرة أخرى كلها من إنجازات غازي خسرو باشا ابن عمة القانوني الذي تقلّد الولاية فيها مدة طويلة جدا . وقبره مزار كبير مفتوح للجميع .

Travnik ، مركز لواء في الأوقات التي لا تتخذ فيها مركزا للإيالة . تقع في شمال غربي ، بوسنة سراي في القسم الكائن بين مصب رافدي Bosna & Vrbas . مدينة صغيرة ذات 000 2 دار وقصر ذي طابقين ، تحتوي على 17 جامعا ومسجدا . إن Helvina التي تلي قضاء كليس بعد آقحصار (Dolnji - Asagi = Vakuf Vakif) ذات 800 خانه ، هي مركز لواء كليس Klis . لواء صغير على حدود البندقية . في خرواتيا ودلماجيا ،

على البحر الأدرياتيكي . يقدم نحو 2000 جندي تمارلي ، به 1400 دار ذات طوابق عديدة ، به جامع القانوني ، و7 جوامع أخرى ، 6 مساجد ، 3 مدارس (دينية) ، 6 مكاتب (مدرسة) ، 6 تكايا .

(Sin Sinj) قلعة في قضاء Klis .

Klis ، في دلماجيا قريبة جدا إلى بحر دلماجيا ، وقريبة جدا من شمال – شرقي Split (Spalato) . فتحها سلطان – زاده خسرو باشا عام 1536 ، وانتقلت إلى حوزة البنادقة في 8/ 9 / 1647 .

Knin ، مركز لواء Kerka (Krka) . يقدم اللواء 3 300 جندي . فتحه غازي مالقوج في 1553 ، يقع على فرع Krka ، شرق Zara ، وعلى الشمال الشرقي من Sibenik (Sebeniko) .

Obroça ، كانت مركز لواء في عهد القانوني . وحاليا ، قضاء تابع للواء Kerka . تقع في شمال – شرقي زارا . فتح Split (Ispelet= Spolato) غازي خسرو باشا ، واسترجعتها البندقية Kalamue ، قضاء في لواء كليس . Papicsa ، مركز قضاء آخر .

Banyaluka أو Banaluka ، تقع على رافد Vrbas الذي يصب في سافا ، في شمال Yayçe ، مركز لواء وهي المدينة الكبيرة الثانية في الإيالة . من فتوحات غازي فرهاد باشا . يقيم فيها بكلربك بوسنة أحيانا ، تحتوي على 700 3 دار ، 45 جامعا ومسجدا ، 11 مكتبًا ، وسوق للسلع الثمينة .

Kradiska ، من فتوحات خسرو باشا ، قضاء بانيالوكا ، بها جامع القانوني ، 7 جوامع ، 18 مسجدا .

Kostaniçse (Kostajnica) ، قضاء آخر لبانيالوكا يتكون من 40 قرية . و Koknovi قضاؤها أيضا .

Bihke (Bihaç) ، قضاء في أقصى شمال بانيالوكا وعبرها خرواتيا .

يني حصار (Bosanski Novi) ، مركز لواء في نقطة تلاقي نهري أونا و سانا وتقع خرواتيا في الساحل المقابل لفرع أونا .

Siska (Sissek , Sisak) ، مركز قضاء في لواء Krka ، من فتوحات رستم بك ، تقع في الجنوب – الشرقي من زغرب وهذه المنطقة هي خرواتيا .

Zagreb (بالألمانية : Agram) ، مركز خرواتيا وأكبر مدنها . كانت في العهد العثماني تابعة للواء Krka وتدفع الجزية للعثمانية ويديرها البانات (بان = لقب أمراء الألوية في خرواتيا) . احتلها للمرة الأخيرة غازي رستم باشا في 1595 ، ثم عادت فانتقلت إلى الألمان .

Çernik ، مركز لواء . يقع شمال سافا وفي سلافونيا . فتحه سلطان ـ زاده غازي محمد بك (باشا) ابن عمة القانوني عام 1539 . فيه جامع القانوني ، 3 جوامع ، 18 مسجدا .

Pakriçe ، مركز قضاء تابع للواء باكريجة .

Pojega (Pozega) ، مركز لواء يقع على نهر Pakra في سلافونيا . فُصِل هذا اللواء من إيالة بوسنة وألحق بكانيجة عند تأسيس إيالة كانيجة عام 1600 . من فتوحات سلطان ـ زاده محمد باشا . من الألوية الكبيرة ، تقدم 4 000 سباهي .

Rahoviçe ، مركز لواء آخر ، فصل كذلك في 1600 عن إيالة بوسنة وألحق بإيالة كانيجة . وهو كذلك من فتوحات محمد باشا . وهو لواء كبير يوجد فيه 5 000 جندي . والمناطق التي تليه ، هي حدود ألمانيا . ويبدأ القطر الذي يديره ألبانات (الأمراء) الخروات من بني زرين (Zrin Ogullari) بصورة متوارثة ، وهذه العائلة ، لاتميل إلى الألمان ، وعلى الأغلب تتبع العثمانية . وسلوفينيا تشكل أقصى شمال خرواتيا . يشتبك العثمانيون في هذه المنطقة مع الألمان بصورة دائمة . يحكم هذه المنطقة بنو زرين (زرين أوغللري) منذ 800 سنة . لقبهم دوق .

Visegrad ، مركز قضاء ، فيه ، 700 دار في لواء هرسك . جميع المؤسسات الخيرية في القصبة من الأعمال الخيرية لصوقوللو . يقع في هذا المركز جسر Drina المشهور عالميا والذي كلف سنان بصنعه ، وقرب الجسر منزل عظيم للمسافرين .

Priboy و Yeni Varos ، قضاءان تابعان للواء بوسنة سراي المركزي ، أراضي كل من القضاءين في صربيا . بالأول 300 دار وبالثاني أكثر من 2 000 دار . والمنطقة التي تلي هذين القضاءين هي إيالة روملي .

زار الولياء جلبي لواء هرسك بعد 3 أعوام (1664) . وخصص في المجلد السادس فصلا كبيرا لوصف هذا اللواء، أنقل لكم بعض سطوره .

أوزيجة (Uzice) ، قضاء تابع للواء Semendir (بلغراد) التابع لإيالة بودير شرق فيشغراد ، في صربيا ، وهي مدينة مهمة تحتوي على 800 4 دار ، 34 جامعا ، 29 مسجدا ، 5 مدارس ، 11 مكتبًا ، 9 تكايا بكتاشية ، تكية واحدة خلوتية ، 3 جسور ، حمامين ، سوق للسلع الثمينة ، 140 1 دكانا ، منزل واحد كبير للمسافرين ، 11 خان عمل ، وفي الضواحي 060 1 بستان كروم .

Pripol (Pripolye) ، مركز قضاء هرسك ، على الضفة الشرقية من فرع ليم في جنوب أوزيجة . شيّد السلطان محمد الفاتح جسرا على النهر . يحتوي على 6 محلات للمسلمين و 4 للمسيحيين . 11 جامعا ومسجداً ،3 مدارس ، تكيتين للخلوتية ، تكية واحدة قادرية وواحدة بكتاشية ،

Miloseve ، ناحية لها ، وهي إحدى القلاع التي شيّد فيها السلطان محمد الفاتح جامعا .

طاشليجة (Plevlje) ، مركز قضاء في لواء هرسك ، وأحيانا يصبح مركز لواء بدلا من موستار . وأساسا ، فإنه يقع خارج هرسك الأصلية وعلى أقصى الشرق . ولد فيها طاشليجة لي يحيى بك من أمراء اللواء (سنجق بك) وأكبر شاعر في العصر 16 في هذا المركز 5 محلات تركية ، 5 مسيحية ونحو 70 قرية تابعة للقضاء . القصبة فيها 700 دار ، 6 جوامع ، 4 مساجد ، مدرستان ، مطبخ عمومي (عمارت) ، تكيتان . من أهالي طاشليجة الوزير حسن باشا الذي أصبح واليا على مصر ، وقد أحيا القصبة على عهد القانوني وأذاب 000 10 قطعة نقود ذهبية واستعملها لطلاء ذوائب الجامع .

Caniçe ، ناحية طاشليجة لكنها كمحلة بعيدة عنها ، بها 700 دار ، 5 محلات مسلمة ، 3 مسيحية ، 10 جوامع ، 5 مساجد ، 11 تكية ؛ 3 مدارس ، مطبخ عمومي ، على مسافة نصف ساعة من طاشليجة . تحتوي على كلية سنان باشا ، صهر صوقوللو وفيها قبره أيضا .

Foca ؛ مركز قضاء في لواء هرسك . فتحه ، فاتح بنفسه بصورة نهائية عام 1464 . يحتوي على 10 محلات مسلمة ، 8 مسيحية ، 1 يهودية ، 166 2 دارا ، 17 جامعا

وبضعة مساجد . يحتوي على جامع بيازيد الثاني و جامع فاطمة سلطان ، 19 تكية ، 6 مدارس ، سوقها يحتوي على 540 دكانا ، 3 حمامات ، مطبخين عموميين .

Ustikolina ، قضاء هرسك ، بها 175 دارا .

Nevesin (Nevesinye) ، قضاء هرسك ، يتبعه 70 قرية . مسقط رأس صالح باشا صدر أعظم إبراهيم خان وعدة وزراء آخرين . يحتوي على 1 500 دار ، 4 محلات مسلمة ، محلتين مسيحيتين ، 11 جامعا ، 8 مساجد ، 3 تكايا . Ustulea ، قضاء هرسك ، به 280 دارا .

Lobin ، قضاء هرسك ، به 200 دار .

Dobrovenedik (بالخرواتية : Dobrovink ، بالإيطالية : Ragusa) ، ميناء على البحر الأدرياتيكي ، جمهورية ومقاطعة تجارية خرواتية كاثوليكية . على شمالها نهر Trebinçika الذي يجري موازيا للبحر ، ويشكل الحدود مع ولاية هرسك . تابع للدولة العثمانية منذ عهد مراد الأول ويدفع ضريبة سنوية . يؤمن معيشته عن طريق التجارة البحرية . يتاجر مع إيطاليا ويجيد تجّاره اللغات الإيطالية واللاتينية . لم تمس العثمانية استقلاله ، إذ إنه يشكل منفذه المفتوح إلى إيطاليا . ويؤم إليه التجار المسلمون كذلك بكثرة يديره 12 بك (أميرا) شرفاء وأغنياء يرتدون القبعة الأفلاطونية اللون .

Nove (Hersegnovi) ، تقع على البحر الأدرياتيكي ، في الشمال – الغربي من الخليج ، وميناء كتّارو يقع على الرأس الآخر للخليج . قريبة من قرة داغ . فتحها فاتح ، واسترجعتها البندقية ، وأعيد فتحها في عهد القانوني . تتبع قضاء هرسك ، يحرس قلعتها 1900 جندي . لها 3 080 دارا ، 44 جامعا ، ومسجدا ، ومدرستان ، 7 مكاتب . وفيها جامع بيازيد الثاني . لها عدة نواح أكثرها يحتوي على قلاع ، إحداها Niksik . Satra devam edilek .

polgay ، قضاء هرسك . فتحه الفاتح ، به جامع ، 450 داراً ، تكية خلوتية ، له قلعة محكمة كما هي الحالة في جميع قصبات بوسنة – هرسك .

Gabela ، قضاء هرسك ، يقع في جنوب موستار ، به جامع ، مسجدان ، 180 دارا . شيّد الفاتح قلعته وجامعه .

Mostar ، مركز لواء هرسك . ويعني باللغة البوشناقية « المدينة ذات الجسر » . شيد القانوني قلعتها . جسر موستار الشهير ، من أعمال القانوني الخيرية ومن بناء سنان ، يؤمه الناس من جميع أمصار العالم لمشاهدته . اكتمل في 1566 . يصاب بالدهشة الذين لهم إلمام بالهندسة المعمارية ، عند مشاهدتهم الجسر . إذ إن الأستاذ كان قد أقدم بجزأة على إجتياز النهر بقنطرة واحدة . تحتوي المدينة على 3 040 دارا ، 45 جامعًا ومسجدًا ، 127 قصرًا ذا حمام ، 350 دكانا مبنيًا بالحجر ، وسوق واحدة ، ومنشآت أخرى مماثلة . يتكلم أغلب الشعب اللغة التركية ، وقسم قليل منه اللغة البوشناقية ؛ أما الأقلية المسيحية فإنها كاثوليكية وتتكلم الخرواتية ، لكن الجميع يجيدون اللغة التركية . كثير من الأتراك قدموا إليها من الأناضول واستوطنوا فيها .

كونيجة (Konyika) ، مركز قضاء في هرسك يقع في منتصف طريق موستار – بوسنة سراي على ضفتي نهر نارنتا ، ذو 6 محلات وجسر واحد ، 8 جوامع ومسجد ، مدرستين ، 3 مكاتب ، تكيتين ، حمّام ، خانين ، 75 دكانا . وعلى مقربة منه تقع مناجم الفحم والحديد . ينتهي لواء هرسك في هذا الموقع . يحد اللواء شمالا لواء بوسنة سرايي ، وشرقا لواء Dukagin ، جنوبا لواء أشكودرا .

يني قصبة ، قصبة لواء بوسنة سراي . أسسها موسى باشا أحد وزراء مراد الرابع . تحتوي على 170 دارا ، 3 مساجد ، تكيتين ، خانين ، حمّام ، 18 دكانا ، كلها من أعماله الخيرية .

Izvornik (Zvornik) مركز لواء في إيالة بوسنة ، يقع على حدود لواء سمندرة (بلغراد) التابع لإيالة روملي .

Drina لها لواءان ، من فتوحات السلطان محمد الفاتح . اللواء ذو 18 قضاء ويجّهز نحو 2000 سباهي . يحتوي على أكثر من 3 800 دار ، جامع فاتح ، جامع فتحية للقانوني ، وعدا ذلك 16 جامعًا ، 8 مساجد ، 8 تكايا ، 3 مدارس ، 7 مكاتب . مجاري نهري درينا وسافا نظيفة و موضع عناية فائقة ، إذ إن السفن تسير باستمرار عن طريق النهر بين أزفونيك وبلغراد .

Tuzla و Byelina ، قضاءان من أقضية أزفورنيك . يقع أحدهما على الشمال - الغربي منه ، والثاني على الشمال - الشرقي .

Raça (Bračka) ، يقع على الضفة الجنوبية من سافا . تبع لواء Sirem بينما كان قضاء في لواء أزفورنيك . يحتوي على 7 محلات للمسلمين ، 4 للمسيحيين ، 550 دارا ، 5 جوامع ، مدرستين ، 3 مكاتب ، تكيتين ، خانين ، حمّام ، عدة جسور ، ليس به مسجد .

Moravaç و Nemse ، قضاءان تابعان للواء Sirem تحتوي Nemse على 040 1 دارا ، 6 محلات للمسلمين ، 3 للمسيحيين .

9 - المجر :

فتح السلطان سليمان القانوني المجر في 1526 . عاشت ملكية المجر 15 عاما تابعة للسلطان . ألغى السلطان سليمان الذي جاء إلى بودابشته (بودابست) بنفسه في 29 / 8 /1541 ، الملكية وألحقها بإدارة العثمانية المباشرة باسم « إيالة بودين » ورفع درجتها إلى الإيالة الثالثة في تشريفات الإمبراطورية بعد إيالة مصر التي تأسست في 1517 وقبل إيالة روملي التي تأسست في 1363 . وشرع في إدارتها بواسطة الأمراء (فرقاء الأول ، بكلربك) نواب السلطنة الحقيقيين في المجر وكلهم تقريبا برتبة وزير . جعل القانوني ترانسلفانيا التي تسمى « أردل » خارج إيالة بودين ، وسمح بأن تستمر فيها إمارة مجرية مستقلة ذاتيًا ، كما سمح بأن يحمل ملك المجر الأخير يانوش الثاني (بالمجرية : Janes) الذي كان طفلا ، لقب الملك وعين أمير (فويفودا) أردل ووالدته الملكة نائبا له ، وهكذا كانت عاقبة ملكية المجر الكاثوليكية التي كانت إحدى أكبر الدول الأوروبية منذ 6 عصور . إن تاج هذه الملكية أضحى أحد الأحجار العديدة التي ترمز إلى الملكيات في شارة رأس السلطان .

وبعد أن أسست إيالات جديدة ، تقلّصت مساحة إيالة بودين . وإحدى هذه الإيالات هي إيالة كانيجة التي أسست في 1600 والتي كانت تشمل جنوب شرقي المجر وسلوفينيا ، والأخرى إيالة أكري (Egri) التي تأسست في 1596 وكانت تشمل شمال - شرقي المجر وشرق سلوفينيا ، والأخرى إيالة تامشوار التي تشمل جنوب شرقي ترانسلفانيا وقطر Banat . تم فصل لواء بيوك سمندرة (بلغراد) ، عن إيالة روملي

وألحق بإيالة بودين ، كان قسمه المسمى فويفودينا وأراضيه التي كانت تخص الصرب في السابق والتي تقع في جنوب سافا ، كانتا موقعين يسكنهما المجر أكثر مما يسكنهما الصرب .

كان والي بودين ، مأذونا بصفته نائبا للملك المجر ، بمراسلة إمبراطور ألمانيا شخصيا ، وإرسال سفير إلى فيينا واستقبال سفير الإمبراطور باسم البادشاه . استمرت إمارة (بكلربك) بودين 145 سنة ، 4 أيام (29 / 8 / 1541 – 2 / 9 / 1686) .

أطلق العثمانيون اسم « بودين » على ضفة بوداً (بالألمانية : Ofen من إيالة بودابشته (بودابست) ، وكان يطلق على قسمها الذي يقع في الجانب المقابل من ألطونة اسم بشتة . ورغم أنه تم خلال 145 عاما تعيين 98 واليا ، فإن عدد الولاة أقل من ذلك ، إذ إن بعضهم عين في هذه الوظيفة مرتين و 3 و 4 مرات . 10 ولاة منهم فقط تمكنوا من البقاء في هذا المنصب مدة يزيد مجموعها على 4 سنوات . صوقوللو – زاده مصطفى باشا 12 سنة ، 3 أشهر ، 7 أيام ؛ وقد أحرز كل من داماد أوزون إبراهيم باشا وقاضي – زاده علي باشا الرقم القياسي ببقاء الأول ثلاث دفعات مدتها 9 سنوات ، 5 أشهر ، وبقاء الثاني أربع دفعات مدتها 9 سنوات .

أول وال هو رمضان أوغلو أوزون سليمان باشا ، وهو أول وال (بكلربك) على بغداد (العراق) أيضا ، ظل 6 أشهر ، وهو من سلالة بكات التركمان في أدنة . أما سلطان – زاده غازي كوجوك بالي باشا الذي احتل مكانه فهو حفيد بيازيد الثاني ، ابن يحيى باشا وابن عمة القانوني ، بقي في الولاية حتى وفاته مدة 1,5 سنة . عين مكانه أخوه سلطان – زاده محمد باشا وبقي هو الآخر واليا حتى وفاته مدة 4,5 سنة .

وعدا أن بودين كانت تدخل في أعماق أراضي يوغسلافيا الحالية ، فإنها كانت في الشمال تتجاوز الأراضي الجيكوسلوفاكية . كانت سلوفاكيا تحتوي على 4 ألوية عثمانية : Uyvar (بالسلوفاكيـة : Move Zamky ، بالمجرية : Ersekujvar ، بالألمانيـة : Neuhausel) ، Komaron (Komorn) (بالسلوفاكيـة : Kamarno ؛ بالمجريـة : koemoern ، Filek (بالسلوفاكية : Filakovo بالمجرية : Fulek) و Rima Sonbat (بالسلوفاكية : Rimavska Sobota ، بالمجرية : Rimas Zombat بالألمانية : Gross - Steffelsdorff) .

ثم أسست إيالة Uyvar في سلوفاكيا . وإضافة إلى ذلك فإن ملكية المجر الوسطى التي تتعدى منطقة ماوراء الكاربات والعائدة لسلوفاكيا والموجودة حاليا في حيازة روسيا ، كانت تابعة للعثمانية . منحت الحكومة العثمانية لقب (ملك المجر الوسطى) لبعض أمراء المجر .

يقول المؤرخ السلوفاكي لتلك الفترة Michal Matunak (Kremnice ، 385 – 7) :
« عندما كانت القرية السلوفاكية المسماة Oçova تابعة للألمان ، كان أهالي القرية يهربون برمتهم ويختبئون في الغابات حالما يقترب الجنود الألمان . أما الآن ، فإن القرية التي تتبع العثمانيين ، تعيش برفه وتتاجر مع الجيش التركي . كان خطرا في العهد الألماني التجوال بدون سلاح أو بدون بندقية . وحاليا ليست هناك حاجة حتى إلى حمل العصى أثناء التجوال » .

تم إلحاق قسم من سلوفاكيا ، إيالة أكري التي أسست في 1596 . كانت Rimavska Sobota مركزا للواء Filek ، (1554 – 1593 و 1596 – 1686) . تحتفظ سلوفاكيا حاليا في أرشيفها بنحو 1 000 وثيقة أرشيفية ، بقيت من ذلك العهد ، وفقدت البقية في الحروب .

أنقل إليكم بعض مادونه أولياء جلبي عن المجر في الربع الثالث من العصر 17 :

Tamesvar (بالمجرية : Tamesvar ، بالرومانية : Timisoara) مركز إيالة . تقع على فرع Bega الذي يصب في Tisa . من فتوحات داماد قره أحمد باشا الذي صار فيما بعد صدرا أعظم للقانوني . يتكون من 6 ألوية : Orsova , Morava, Gole, Cenar, Lipve, Tamesvar يوجد بالإيالة 10 000 جندي . يسكن المدينة 36 000 مسيحي . وفي 1659 ، فصل كوبرولو محمد باشا 3 ألوية (Lugos, Sebes, Yanova) من إمارة أردل وأضافها إلى إيالة تامشوار ورفع عدد ألويتها إلى 9 . تحتوي القلعة على نحو 200 مدفع . وبالمدينة 2 700 دار ، جامع سليمان خان ، و 4 جوامع أخرى .

Arad ، مركز ناحية في قضاء تامشوار المركزي . Lipve (Lippa) ، مركز لواء في إيالة تامشوار .

فتحه صوقوللو محمد باشا في 1551 . به 1 500 دار ، جامع سليمان خان ، جامعان ، مسجدان ، 3 تكايا .

Yanova (بالمجرية : Jeno) ، مركز لواء آخَر . يقيم فيه والي تامشوار منذ 1659 ويحتوي على 800 دار ، 3 جوامع .

Lugos ، مركز لواء آخر يقع في شرق مدينة تامشوار . Kohlabos ، أحد مراكز ألوية تامشوار .

Kolçovar (بالمجرية : Kolozsvar بالرومانية : Cluj) ، أكبر مدن إمارة أردل . أزدل بلغرادي (ببلغراد الأردلية) (بالمجرية : Gyulafehérvar ، بالرومانية : Alba Julia بالألمانية : Karlsburg) مدينة العرشْ لأمير أردل .

Kase (بالمجرية : Kassa ، بالألمانية : Kaschau بالسلوفاكية : Kosice) مدينة مجرية أخرى في سلوفاكيا ، كانت موضع نزاع بين ألمانيا والعثمانية .

Brasov (بالمجرية : Brasso) تقع جنوب أردل وبعد مسافة قصيرة تبدأ إيالة إفلاق .

Seben (بالمجرية : Szeben ، بالرومانية : Sibiu) ، مدينة أردلية أخرى تقع في الجنوب - الشرقي من بلغراد الأردلية . يوجد في المدن الأردلية جيش مجري وقلاع ومدافع . أما في إفلاق وبغدان ؛ فلا توجد قلاع . بك (أمير) أردل ، بدرجة وزير ، أما بكّات (أمراء) إفلاق وبغدان ؛ فهم بدرجة بكلربك (فريق أول) . يتولى بعض الصدور الأعظم أو مرافقوهم تتويج أمراء أردل ويمنحونهم لقب « ملك » باسم البادشاه .

Mitroviçe ، مركز لواء Sirem في إيالة budin . يقع في الشمال - الغربي من بلغراد . يعسكر في اللواء ذي الـ 9 أقضية ، 3 600 جندي .

(يجب تمييزه عن Mitroviçe الموجود في Kosova) ، بالمركز 12 محلة ، 12 جامعًا ، 6 مساجد ، 5 مدارس ، 10 مكاتب ، 3 تكايا ، 3 حمامات ، 3 خانات ، 400 دكان ، 1 500 دار . بنى أحد جوامعه سليمان خان .

Osek (بالمجرية : Eszek ، بالألمانية Essek ، بالخرواتية : Osijek أو Osek أو Osiyek ، تقع في Esklavonya (Slavonya) وعلى الساحل الجنوبي من Drava . فتحها مقبول إبراهيم باشا الذي كان يقود مقدمة الجيش في حملة موهاج في 1526 وهي من أوائل القلاع التي فتحها إبراهيم باشا في تلك الفترة من بين ما يقرب من 40 قلعة صغيرة وكبيرة . ارتبطت حتى 1541 بإيالة روملي كلواء ثم إيالة بودين ، وفي 1600 ارتبطت بإيالة كانيجة . بها 18 محلة ، جامعان لسليمان خان ، 10 جوامع أخرى ، 40 مسجدا ، 4 مدارس ، 5 مكاتب ، 4 تكايا ، مطبخ عام لتوزيع الطعام المجاني (عمارت) ، حمام ، 12 سبيلا . جسر Osek من إنجازات[1] إبراهيم باشا العظيمة وهو عريض بحيث تتمكن واسطتا نقل من العبور عليه جنبا إلى جنب ، وعلى مسافة قريبة منه جسر Drava وهو كبير جدا أيضا . يجتاز الجيش هذه الجسور للعبور إلى المجر .

Mohaç ، مركز لواء في إيالة بودين . أفنى السلطان سليمان القانوني ، الجيش المجري مع مليكه Layos الثاني في المستنقعات التي تقع خارج هذه القصبة وفتح المجر . يحتوي المركز على 350 دارا وجامع سليمان خان .

Peç أو Peçuy (بالمجرية : Pécs بالألمانية : Funfkirchen) ، مدينة مهمة ، مركز أحد ألوية إيالة بودين يقع في شمال – غربي موهاج . له قلعة جميلة بها 87 برجًا ، 5 500 مزغل و 200 جندي . يحتوي على 17 محلة للأتراك ، 1 للمجر ، 2 200 دار وقصر ذي عدة طوابق . أكثرها به حديقة ، أحواض وفسقيات ، أسطحها مكسوة بالقرميد الأحمر اللون ، ويتعاقب نحو 40 قصرا وسراي فخما على الشارع الكبير تحصى البكات الأتراك . له 17 جامعا ، 10 مساجد ، 5 مدارس ، 6 تكايا . (مساحة جامع سليمان خان 250 × 1 000 ذراع . الصعود للمحراب بواسطة سلم ذي 40 درجة) ، جامع ياكوفالي حسن باشا ومدرسته بها 70 غرفة ، تكيته المولوية وسط حديقة من الورد على درجة من الجمال لايمكن وصفها وكلها من أعمال الباشا الخيرية . إن عدد غرف البناية التي تقع في الفناء الخارجي فقط للتكية يبلغ 80 غرفة . إيرادات التكية السنوية 10 000 ليرة ذهب ، أيضا تكية فرهاد باشا الخلوتية عظيمة ، وبالمدينة أيضا 47 حنفية مياه مبنية (جشمة) ، 3 خانات نحو 400 دكان . كامل شعبها تقريبا أتراك . أكثرهم ينطق المجرية وقسم منهم ينطق الصربية . معظم المثقفين ينطقون اللغة الفارسية أيضا

لايستغنون في المطالعة عن كتب المثنوي ، **كلستان ، بستان ، ديوان حافظ ، خمسة نظامي ، رباعيات الخيام** .

Segsar (بالمجرية : **Szegszard**) مركز لواء في إيالة بودين . يحتوي اللواء علي 1 600 جندي . وتحتوي القلعة علي جامع سلمان خان ، وعدا ذلك 4 جوامع ، ومساجد ، وجسر كبير .

بودين ، مركز الإيالة المسماة بنفس الاسم . ويطلق على جزئها الواقع في الجانب الآخر على الضفة الشرقية من ألطونة اسم بشتة **Peste** . تبلغ مخصصات الوالي (البكلربك) السنوية 000 880 12 آقجه (وتعادل 150 مليون دولار) ، يمنح في الإمبراطورية ، بكلربك مصر فقط راتبا يفوق هذا المبلغ . كل أصناف الجيش موجودة عدا جنود التمارلي ، وهي بشكل خاص وكر للمغاوير (الصاعقة) . مدة خدمة الجندي عدا التمارلي والمغاوير ، سنة واحدة .

يتردد علي بودين ذهابا وإيابا في كل عام 000 36 جندي سراي قيزيل الما (التفاحة الحمراء) ، هو سراي ملوك المجر . لم يسكنه الوالي لمكوث سليمان خان فيه خلال زياراته العديدة بعد عام 1526 ، وصار كمتحف مفتوح للشعب ، حيث يتمكن الجميع من زيارته . كتب فاتح المجر السلطان سليمان القانوني علي جدار الديوانخانة (صالة الاستقبال الكبري) بخط يده شخصيا البيت الذي معناه :

إنه مثوى الغزاة ، سادتي لاشك في ذلك ، ومن ظلم فيها ، أبشره بسوء العاقبة .

يقرأ الكل من الوزير إلي أبسط الزوار تهديد السلطان هذا بدهشة وخوف واعتبار . كتب السلطان سليمان تحت هذا البيت من الشعر ، الحديث النبوي الشريف التالي باللغة العربية « وعدل ساعة ، خير من عبادة ستين عاما » .

يتكون قضاء بودين المركزي من 10 نواح . أما لواء بودين المركزي فيتكون من 21 قضاء و 060 1 قرية وفي كامل الإيالة 900 3 قرية ، 306 قلاع بالأنغة (قلاع مصنوعة من عواميد خشبية) . عدد الرجال المسيحيين الذين يدفعون الضريبة في الإيالة 053 600 . يشكل نهر **Raba** (بالألمانية : **Raab**) في الغرب ، الحدود بين الإيالة والإمبراطورية الألمانية . ويحد إيالة بودين شمالا نهر الطونة وتبدأ إيالة أويفار في الضفة

الشمالية من الطونة ، ومن الشمال ـ الشرقي إيالة أكري ، ومن الجنوب ـ الشرقي إيالة تامشوار وفي منتصف كلتيهما إيالة فارادين ، ومن الجنوب ـ الغربي إيالة كانيجة ، ويحدها جنوبا إيالة روملي وإيالة بودين . وفي حالة عدم إقامة قائد الطونة البحري اللواء البحري (دريا سنجق بك) في بودين ، يترك نيابة عنه في المدينة عقيد بحري (دريابك) .

حيث إن لديه سفنا في نهر الطونة . ترسو في ميناء ومصنع سفن بودين 52 قطعة بحرية حربية . يتبع قائد الطونة البحري 2000 ضابط تقريبا ، لكن قسمًا منهم يرابطون في بودين .

يبلغ عرض أسوار القلعة 56 ذراعا ويمكن أن تسير عليه عربتان جنبا إلى جنب ، للقلعة 90 برجا عاليا و 17 حصنا كل منها يستوعب ألف جندي ، وبكل حصن منها 10 ـ 15 مدفع من نوعًا باليمز بعيد المدى ، ولكل حصن اسم خاص . يحرس القلعة الداخلية 500 جندي ، ولا يمكن لأحد أن يقيم فيها أو يدخلها . تحتوي القلعة على أكثر من ألف غرفة . يقيم في القلعة المسئولون الكبار والجنود . سراي قيزيل الما وسراي البكلربك ذوات الـ 200 غرفة وطوبخانة (التي هي من أكبر مصانع سباكة المدافع ، داخل القلعة) مساحة جامع سليمان خان 200 × 100 ذراع وهو أكبر الجوامع التي يبلغ عددها 21 الموجودة داخل القلعة . وبالقلعة سوق للحاجيات الثمينة وسوق يحتوي على 300 دكان ، 75 سبيلا ، و حماما ، و 170 خزان مياه تحت الأرض وبئر و 7 مدارس ، و 6 مكاتب ، وقبور الباشوات الذين توفوا في بودين . وتحتوي كذلك على برج ساعة .

بمنطقة طبقخانة خارج القلعة 1 000 دار ، 11 جامعا ومسجدا ، 4 مكاتب ، 3 تكايا ، 3 خانات ، 3 حمّامات بالمياة المعدنية الجوفية الحارة و 100 مصنع لدباغة الجلود والمدينة الأصلية هي بيوك فاروش ، خارج القلعة ، لكنها محاطة بالأسوار . لها حصن ذو 5 طوابق ، 10 أبواب ، 13 محلة . بها 2 500 دار ، و 24 جامعا ومسجدا ، و 5 مدارس ، و 6 مكاتب ، و تكية كلبابا البكتاشية ، 3 مطابخ عامة للمحتاجين ، وتحتوي بودين على محلتين لليهود ومعبد لهم ، و 3 كنائس أرثوذكسية . ربطت 70 سفينة بعضها إلى بعض بالسلاسل وجعلت جسرا بين بودين وبشتة ، يقطع الجسر ويمنع العبور في الليل . يحرس الجسر 300 جندي . يجيد جميع المسلمين تقريبا في بودين التكلم باللغة المجرية

إجادة تامة .

بشته (Pest) ، تقع على الجانب الشرقي من الطونة . بها 5 جوامع ، 6 مساجد ، 11 محلة ، ونحو 1000 دار حجرية ذات طابقين ، و مدرستان ، و 3 مكاتب ، و تكيتان ، و مطبخان عامان ، و حمامان . هي ناحية القضاء المركزي لبودين . يسكن بشته مسئول برتبة لواء .

Estergon ، تقع في شمال – غرب بودين . على الساحل الشمالي من الطونة والساحل المقابل لم يعد المجر ، بل سلوفاكيا وهي مثوى جنود الصاعقة المغاوير الغزاة (بالمجرية : **Estergon** ، بالألمانية : Gran) . و هي مركز لواء في إيالة بودين . يتكون اللواء من 6 000 جندي تمارلي وتحتوي القلعة على جنود من جميع الأصناف . يشكل جنود العثمانية أكثرية شعب للدينة وبخاصة الصاعقة وهم يحسنون التكلم باللغة المجرية بصورة جيدة . جانب الطونة من القلعة حجر صلد بارتفاع ثلاث منائر . تحتوي على معمل للمدافع . باشا سراي ، داخل القلعة ، يسكن فيه اللواء (سنجق بك) . الساحة المجاورة ، هي ساحة الشهداء وجامع قيزيل الما الذي يصعد إليه بواسطة 110 درجات . بالمدينة 3 100 دار ، و 3 جوامع ، و مسجدان ، و مدرستان ، و 4 مكاتب ، وسوق فيه 210 دكاكين . المجريون أكثرية . أسوار المدينة في بعض الأماكن خمسة طوابق . فتحها السلطان سليمان القانوني بنفسه . سقطتْ بيد الألمان مدة عشرة أعوام واسترجعها الصدر الأعظم صوقوللو – زاده لالا محمد باشا . أتراك استركون لطفاء ، ذوو شهامة ، يتصفون بالكرم والشجاعة . لايمكن للنمخاتلين والمخادعين والأنذال أن يندسوا بينهم . حصّنت القلعة بشكل يمكنها من أن تقاوم 100 000 من جنود العدو شهورا عديدة . يعبر إلى الساحل سلوفاكيا المقابل بواسطة 17 سفينة مصفوفة جنبا لجنب . والجسر منفصل عادة . يلتئم عند الاجتياز ، وبعد الانتهاء من الاجتياز يفصل مرة أخرى .

جكرده لن (بالمجرية : **Parkany**) ، هو قسم قلعة استركون الباقي في ساحل سلوفاكيا المقابل للطونة أسسها السلطان سليمان وأطلق عليها اسمها عام 1543 . تتكون حاميتها من 250 جنديا ، وبها جامع واحد و مرتبطة باستركون . تستطيع تحكيماتها أن تستوعب عشرات الألوف من الجنود وقت الحرب . تحرك العثمانيون من هذه القاعدة وتمكنوا من السيطرة على 700 قرية .

Uyvar ، مركز إيالة في سلوفاكيا . لها قلعة كبيرة جدا . **Nitro** ، مركز لواء في إيالة أويفار يقع في غرب سلوفاكيا وشمال أويفار وعلى الساحل الغربي من نهر **Nitra** . وعلى بعد 75 كم من براتسلافا و 145 كم مسافة مستقيمة من فيينا . بها 3 600 دار ، 7 كنائس ، وعدة أديرة . أحد الجوامع شيّده محمد الرابع والآخر شيّدته والدته تارهان والده – سلطان . ويوجد في أويفار كذلك جامعان .

Leve (بالسلوفاكية : **Levice**) ، تقع بالقرب من الضفة الشرقية لنهر **Horn** (**Gran**) في سلوفاكيا تتبع إيالة أويفار ويتبع لواءها 300 قرية بها جامع محمد الرابع وفاضل أحمد باشا .

Novigrad (**Neograd**) ، تقع بين استركون و **Vaç** ، على الضفة الشمالية للطونة ، من فتوحات سلطان – زاده محمد باشا في 1549 . استولى عليها الألمان في 1593 ، استعيدت من الألمان في 5/ 11 / 1663 ، وهي مركز لواء في إيالة أويفار . تحتوي على جامع سليمان خان .

Vaç (بالمجرية : **Vacz** ، بالألمانية : **Vac**) ، مركز لواء في أويفار يحتوي على 1 000 دار ، 7 جوامع ، 3 كنائس . أحد الجوامع لسليمان خان فتحها في 1541 أوزون سليمان باشا والي بودين الأول ، استولى عليها الألمان في 1602 استرجعت في 1663 .

Rudnik ، مركز قضاء في لواء سمندرة ، يحتوي على 800 دار ، 11 جامعا ، ومسجدا ، 3 مكاتب ، وحمام .

جاجكا (بالصربية : **Cacak**) ، قضاء في اللواء ذاته ، يقع بين **Rudnik** و **Ozice** على الضفة الجنوبية من نهر مورافا ، يتبعه 96 قرية ، وبه 7 جوامع ومسجد ، و 3 مدارس ، و 4 مكاتب ، و 3 تكايا ، و خانان ، وحمام .

Pojegaeik (بالصربية : **Pozega**) ، قضاء في اللواء ذاته ، يتبعه 110 قرى ، وبه 1060 دارا ، و 10 جوامع ومساجد ، و 3 مدارس ، و 6 مكاتب ، و 4 تكايا .

Valpo (بالخرواتية : **Valpovo**) ، ناحية القضاء المركزي للواء **Pojega** به 3 جوامع ومساجد ، ومدرسة واحدة ، و مكتب واحد ، و تكية واحدة ، وحمام واحد ، وخانان .

Siklos (بالمجرية : **Siklos**) ، مركز لواء في إيالة كانيجه . يقع في جنوب **Pec** من

فتوحات سليمان خان في 1543 . قلعه ذات 3 طوابق و 17 برجا ، به 850 دارا ، جامع سليمان خان ، وعدا ذلك 14 جامعا ومسجدا ، و 3 مدارس ، و 3 تكايا ، و خانان ، ومكتب واحد .

Sigetvar (بالمجرية : Szigetvar) ، تقع في غرب|بـج ، مركز لواء | في إيالة كانيجة . فتحه السلطان سليمان في حملته السلطانية الثالثة عشرة عام 1566 ومات أمام القلعة . تتكون حامية اللواء من 600 3 سباهي . باللواء 6576 دارا ، و 8 جوامع ، و 3 مساجد ، و 8 تكايا .

Kanije (بالمجرية : Nagrk anizsa) ، قريبة من حدود سلوفينيا وأوستريا . فتحها الصدر الأعظم داماد إبراهيم باشا في 1600 وجعلها مركزًا للإيالة . أسست هذه الإيالة بعد فصل ألوية من إيالات بودين وبوسنة ، وتتكون من 10 ألوية : المركز كانيجة ، بـج ، Sigetvar ، Sislos ، Kaposvar ، Kopan ، Pojega ، Yakova ، Kemenvar و Egersek . جدد إنشاء القلعة في 1661 . ترى فيها حتى الآن المدافع التي غنمها غازي ترياكي حسن باشا من الألمان بالقلعة على 77 مدفعا . وبها 500 1 دار ، و 3 مصانع للبارود ، و جامع محمد الثالث ، و 5 جوامع ، و 6 مساجد ، و مدرستان ، و 6 مكاتب ، و 3 تكايا ، و 4 خانات .

يني قلعة (بالمجرية : Serinvar ، Zrinvar) ، تقع في جنوب كانيجة عند مصب نهر Mur في Drava شيّدت في 1661 ، بها 7 مواقع مستحكمة ، وبكل موقع من 40 – 50 مدفعاً . صنع جسرها من تجميع 50 قطعة بحرية .

Kosek (بالمجرية Kozeg ، بالألمانية Guns) ، من فتوحات سليمان خان ، وهي حاليا لدى الألمان .

Kopan ، مركز لواء في كانيجة ، يجهز 000 3 جندي سباهي . يحتوي على 17 محلة ، و جامع سليمان خان ، و 3 جوامع ، و 11 مسجدا . اللواء صغير وذو قضاء واحد . **قبر سليمان خان** ، خارج سكيتفار وتسمى « تربة » وهي في الأصل فإنها عبارة عن قلعة صغيرة . رأى المهندس العثماني أنه من اللائق أن يشيد لأحشاء السلطان الغازى

الذي مات أمام العدو في هذا الموقع قبرا على شكل قلعة . وضع قلب ، ورئتا ، و كليتا وأمعاء سليمان خان في طبق ذهبي ودفن في الموضع الذي نصب فيه السرادق الهمايوني . ذؤابة القلعة مطلية بالذهب الخالص ، تبهر العيون . محيط القبر 1 500 ذراع . تحيط به (المشتملات والمرافق ، التي هي عبارة عن جامع ، و مسجد ، ومدرسة ، ومكتب ، وتكية ، وخان ، بناها جميعا كوبرولو – زاده فاضل أحمد باشا . يزور هذا المكان المجريون والسائحون على أساس أن « قلب سليمان العظيم مدفون فيها » .

Simontorana (Simontornya) ، مركز لواء في إيالة بودين . يقع في جنوب استولني بلغراد . يجهز 3 060 جنديًا تمارلي سباهي . يتبع قضاءه المركزي قرية . من فتوحات سليمان خان . له جوامع ، مدارس (دينية) وتكايا .

Istolni Belgrad أو Istuni Bedgrad (بالمجرية Székesfehervar ، بالألمانية : Stuhlweissenburg) ، مركز لواء مهم جدا في إيالة بودين ، ولاته بمرتبة فريق أول (بكلربك) . يقع بين الرأس الشمالي لبحيرة Balatan وبودين . « استولني) تعني « اسكملة » أي كرسي . إذ إن ملوك المجر ، يحضرون بعد اعتلائهم العرش إلى الكاتدرائية الموجودة فيها ويشرعون في الدعاء وهم جلوس على الكرسي . ينقل جثمانهم بعد وفاتهم إليها ويدفنون في مخزن الكاتدرائية . فتحها سليمان خان في 1 543 وعين ابن عمته سلطان – زاده أحمد بك واليا (سنجق بك) عليها وهو الأخ الأصغر لبالي باشا ومحمد باشا ، وجميعهم أبناء غازي داماد يحيى باشا والسلطانة ابنة بيازيد الثاني . حاصرها الألمان مدة 4 أشهر في 1594 وخسروا 47000 جندي ، ولم يتمكنوا من الاستيلاء عليها . استولى عليها الألمان في 1601 ، ثم استرجعت في السنة التالية 1602 . تحتوي القلعة على 9 مواضع استحكامية ، يمكث فيها نحو 2 000 جندي ، وتحتوي على 14 محلة ، جوامع ومساجد كثيرة جدا . خمس من تكاياها البالغة إحدى عشرة ، بكتاشية و بها 7 مكاتب . أكبر بناء فيها هو جامع سليمان خان . يقوم الحرس العثماني بحراسة الكاتدرائية التي بقيت داخل القلعة بكل دقة ، لها زوار كثيرون . إذ إنها من الأماكن التي تستوجب الزيارة وهي مقدسة بالنسبة للمجريين . يرقد فيها كل ملوك المجر داخل قبور فخمه ويهتم الجند العثمانيون جدا ألا تصاب اللحود بأدنى ضرر .

وعند وفاة يانوش Yanos الذي نصبه السلطان سليمان ملكا على المجر ، دفن فيها كذلك بأمر البادشاه . ودفن كذلك في هذا المكان بأمر البادشاه الملك Layos الثاني الذي قتله سليمان خان في حملة موهاج في 1526 .

Petervaradin أو مختصرا Varadin ، فتحها الصدر الأعظم مقبول إبراهيم باشا الذي كان يقود الطليعة أثناء ذهابه لحملة موهاج . تقع في الساحل الجنوبي من الطونة . وتوجد Novi Sad في ساحلها الشمالي للقابل . وهي مركز قضاء في لواء Sirem التابع لإيالة بودين ، تحتوي على جامع سليمان خان ، و جوامع ، و مساجد ، و 3 مدارس ، و 4 مكاتب وتكايا .

Hatvan ، مركز لواء في إيالة أكري . يرابط في اللواء 6 000 جندي ، 300 منهم في قلعة Hatvan . تقع بين بودين وأكري . في القلعة 8 مواقع استحكامية وجسران ، 107 مدافع . وتحتوي القلعة على برج ساعة مرتفع فوق البوابة الكبرى . يحتوي المركز على 700 دار ، و جامع محمد الثالث ، وجوامع وأبنية أخرى .

Egri (Eger ، بالألمانية Erlau) ، تقع في الشمال ــ الشرقي من المجر . كان قد حاصرها على عهد سليمان خان ، الوزير الثاني (وبعدها الصدر الأعظم) فاتح تامشوار غازي داماد قرة أحمد باشا ولم يتمكن من فتحها ، وفتحها محمد الثالث بنفسه من الألمان عام 1596 وسمّي « فاتح أكري » . هي مركز إيالة منذ ذلك العهد . فصل القسم الأكبر من الإيالة من إيالة بودين . واعتبارا من 1 640 ، شرع في تعيين ولاة بمرتبة وزير على الأغلب . تحتوي على 7 ألوية : **Egri** ، **Hatvan** ، **Sonluk** ، **Seçan** ، **Baçka** ، **Segedin** و **Keçkemet** . وبذلك فإن القسم الأكبر من سهل Alfold الكبير الواقع بين الطونة وتيسا ، بقي في هذه الإيالة . وتشمل تقريبا كامل المجر الشرقية . عدد المجريين في هذه الإيالة ، يفوق عددهم في إيالة بودين وكانيجه . يمكث في الإيالة نحو 20 000 جندي منهم 4 500 يمكثون في قلعة أكري . يبلغ راتب البكلربك السنوي 650 000 آقجه . تحتوي الإيالة على 40 مدينة و 111 قلعة وبالأنغة (قلعة خشبية) . يبلغ ارتفاع أسوار أكري 47 ذراعًا وعرضها 50 ذراعًا . يحيط بالقلعة خندق عميق جدا وعريض . يوجد في القلعة جامع علم شريف لمحمد الثالث . سمي بهذا الاسم بسبب أن محمد الثالث قطع من حافة الراية النبوية الشريفة خيطا وعلقه

بنفسه على المنبر في 1596 . مساحة باشا سراي 200 × 100 ذراع ، وباشا جامع داخل القلعة كذلك . إن جامع « كوجوك باشا جامعي » ومخزن العتاد ، موجود في سراي ميدان . يوجد على البوابة الكبرى برج يحتوي على ساعة . يبلغ محيط السور 12 000 ذراع ، ويتصل بالخارج بواسطة 5 أبواب . القلعة مستحكمة بواسطة عشر طبقات من الأسوار . إن الشارع الذي يصل بين باب ايليجة وباب Malatoz ، والذي يبلغ طوله 500 ذراع ، مكسو بالخشب الثمين (باركه) . تبقى قلعة بارود خانة في الجهة الجانبية . محيطها 500 ذراع . شيّدها كوبرولو عام 1658 . تحتوي المدينة على أكثر من 3000 دار ، 46 جامعا ، و 31 مسجدا ، و 4 مدارس ، و 17 مكتبًا ، و 7 تكايا ، و 20 سبيل ماء ، حمامين ، و 5 خانات ، 600 دكان ، ونحو 800 قصر تحتوي على حمامات . هي ثاني المدن في المجر بعد بودين التي سكنها عدد كبير من الأتراك . تحتوي المدينة على جامع فتحية لمحمد الثالث . وتقع مدينة أكري ، في شمال الإيالة . ويسمى أقصى شمالها ، المجر الوسطى ، يوجد فيها أمير مجري تابع للعثمانية ويمنح أحيانا لقب « ملك » .

Haçova ، على مسافة 7 ساعات من شمال أكري . سهل مخيف . استولى محمد الثالث في 1596 على أكري بعد إفنائه الجيش الألماني . وبالرغم من مرور 70 عاما ، كانت أكوام عظام المسيحيين القتلى تظهر في سبعين أو ثمانين مكانًا . استخدمت حافة السهل كمقبرة لنحو 30 000 من شهداء العثمانية في هذه الحرب الميدانية الكبرى . دفن زملاء القتال متجاورين .

Debrecin (Debrecen) ، مدينة مجرية كبيرة تقع في أقصى شرق المجر ، في إيالة أكري لا قلعة لها ، فيها 12 800 دار و 40 ديرًا وكنيسة . يسكنها الأتراك ، كذلك تحتوي على 4000 ماكينة لحياكة الجوخ .

Kenkus (بالمجرية : Miskolc) مدينة حرة في إيالة أكري أيضا ، لا يوجد فيها أتراك . تمتد هذه المدينة على طول 8000 ذراع ، وبها نحو 200 كنيسة وأديرة كبيرة ، و دكاكين ، و للمدينة قلعة ولكنها فارغة . يمر الأتراك عن طريق هذه المدينة لكنهم لا يتخذونها محلا للإقامة ويقيمون في مدينة أكري . يسلم رئيس بلدية كنكوش سنويا الضريبة المعيّنة التي جمعها إلى أكري . ليس بالمدينة جنود عثمانيون .

Fulek ، مركز لواء في جنوب منتصف سلوفاكيا ، تابع لإيالة بودين . تم فتحه في 1564 . استولى عليها الألمان في 1594 ، واسترجعها محمد الثالث في 1596 ، ثم انتقلت لحيازة الألمان في 1604 ، ثم فتحها للمرة الثالثة فاضل أحمد باشا في 1662 خلال حملة أويفار . لها قلعة ذات 7 أبراج ، وبها ماينيف على 1000 دار ، جامع محمد الرابع ، 300 دكان و 10 كنائس . شعبها مجري .

Seçen (بالمجرية : Széchen ، Szécheny ، أحد مراكز لواء إيالة بودين ، يقع بين أكري ونيوغراد في جنوب Fulek . فتحت في 1592 ، استرجعها الألمان في 1594 . ثم أعيد فتحها في 1662 . يحتوي اللواء على نحو 3000 جندي وفي القلعة جامع محمد الرابع .

Germat (بالمجرية : Balassa - Gyarmat) مركز لواء في إيالة بودين في الساحل الجنوبي لنهير Ipoly والجانب المقابل ، سلوفاكيا . في الشمال - الشرقي من بودين . فتح في 1592 وفقد في 1594 ، ثم فتحه فاضل أحمد باشا مجددا في 1662 .

Tata ، مركز لواء آخر لإيالة بودين . يقع بين استركون ويانق (Gyor) . فتح على عهد القانوني ، فقد في 1565 ، ثم استرجع في 1593 ، وعاد لحيازة الألمان في 1597 ، ورغم أنه استرد في العام نفسه ، إلا أنه عاد مرة أخرى لسيطرة الألمان في 1601 . يحتوي على 2000 دارا . ثبّتت على هذه الأراضي علامات الحدود العثمانية - الألمانية بمسافات منتظمة .

Komran أو Komorn أو Komorno ، تقع في جنوب أويفار ، على مسافة 12 ساعة من استركون ، بها 2000 دار ، 300 دكان ،7 كنائس . كانت سابقا مركز لواء في بودين .

يانق أو Yanikkala (Yanikkal'a = يانق قلعة أي القلعة المحروقة) (بالمجرية Gyor ، بالألمانية : Raab) في الساحل الجنوبي من نهر Raba (بالألمانية : Raab) . منتصف طريق بودين وبج (فيينا) . أطلق السلطان سليمان هذا الاسم على القلعة وذلك أن الجيش الهمايوني أحرقها أثناء ذهابه لمحاصرة فيينا . فتحت في عهد القانوني

استرجعها الألمان ، ثم أعيد فتحها مرة أخرى في 1594 وفقدت في 1597 . أصبحت مركز إيالة في تلك الفترة الأخيرة . كان يحمي قلعتها 20 000 جندي . وتعتبر المنفذ إلى فيينا ، وجودها بحوزة الأتراك يمثل تهديدا كبيرا لفيينا . يحمي القلعة 7 مواضع استحكامية . وتحتوي على 2000 دار .

Samorin (Samorin ، شامورين) أو Samartin أو Sen Marten ، فتحت وفقدت مع يانق ، كانت مركز لواء . يقع بين يانق و براتسلافا .

Kasevar (بالألمانية : Kaschau ، بالسلوفاكية Kosiee ، بالمجرية Kassa) ، بلا قلعة ، وبها 8.000 دار . تبعت/العثمانية ، يديرها على الأغلب ملك المجر الوسطى .

Sonlok (بالمجرية : Szolnok) ، مركز لواء في إيالة أكري ، يقع على ساحل الطونة الغربي في الجنوب - الشرقي من بودين . يحتوي اللواء على 3500 جندي . فتحه أولا سليمان خان في 1526 ، ثم والي بودين علي باشا في 1552 ، ثم محمد الثالث في 1596 . تحتوي القلعة على جامع محمد الثالث ، وفي الضواحي عدة جوامع وأبنية أخرى .

Keckemet (بالمجرية : Kecskemet) ، مدينة مجرية في إيالة بودين تحتوي على أكثر من 1000 دار ، 3 كنائس . تدفع ضريبة سنوية ، ولايوجد في المدينة مسلمون .

Sombor (بالمجرية : Zombor) ، مركز قضاء في لواء Segedin . من فتوحات برتو باشا عام 1552 ، تحتوي على جامع سليمان خان ، 5 جوامع ، 9 مساجد ، مدرستين ، 6 مكاتب ، تكيتين .

Bac (بالمجرية : Bacsalmas) ، مركز قضاء في لواء سكدين . يسكنها أمير لواء سكدين أكثر مما يسكن سكدين . يحتوي على جامعين شيّدهما سليمان خان ، بها 7 مساجد ، 400 دار ، سوق جديد به 140 دكانًا . وجنوبا على مسافة 6 ساعات قلعة **Votok** الخشبية ، مركز ناحية يحتوي على جامع سليمان خان ، 3 مساجد ، 180 داراً .

Titel ، قضاء سكدين ، يحتوي على جامع سليمان خان ، ومسجدين ، 3 مدارس ، 4 مكاتب ، تكيتين ، حمامان .

Sente (Senta ، على مسافة 6 ساعات ، قلعة ذات جامع واحد .

Sobocka (بالصربية : Subotica بالألمانية : ariatheresiopel ، من فتوحات سليمان خان في 1526 ، ناحية سكدين فيها 140دارا وتحتوي على جامع سليمان خان .

Segedin (بالمجرية : Szeged ، بالألمانية : Szegedin) ، في الساحل الغربي من نهر تيسا من فتوحات سليمان خان . بها قلعة ذات 7 أبراج وفي كل برج من 40 – 50 مدفعا . مركز لواء في إيالة أكري ، يقيم أمير اللواء الذي يتقاضى مخصصات سنوية قدرها 000 500 آقجة الأغلب في مدينة بـج . من الألوية الكبيرة ، ويوجد جامع سليمان خان .

Canad (بالمجرية : Csanad) ، مركز لواء في إيالة تامشوار . وإيالة تامشوار هي الأراضي الواقعة في شرق تيسا . أما شمال نهري Koros و Berettyo فهي إيالة أكري كذلك . تقع جاناد بين تامشوار وآراد في جنوب نهر ماروش ، من فتوحات داماد قرة أحمد باشا . يحتوي اللواء على مايقرب من 6000 جندي ، 7 نواح و تتبع 240 قرية لقضائها المركزي . تحتوي على جامع سليمان خان وعدا ذلك ، جامعين ، 10 مساجد ، 3 مدارس ، 4 مكاتب ، 3 تكايا ، 535 دارا حجرية وقصرا ، ونحو 300 دكان .

Gole (بالمجرية : Gyula) ، مركز لواء . يحتوي اللواء على 800 8 جندي . قلعتها ذات 60 مدفعا ويوجد فيها ما ينيف على 100 1 دار وقصر ذي حديقة ، جامع سليمان خان ، جامع ومسجدين ، 3مكاتب ، تكيتين ، 11 خانا ، 3 كنائس ، نحو 300 دكان .

Varadin (بالألمانية : Grosswardein ، بالرومانية : Oradea ، بالمجرية : Varod) ، انفصلت في 1661 عن إمارة أردل وأسست إيالة فارادين . تقع في جنوب شرقي Debrecen . يتقاضى أمير أمرائها (بكلربك) الوالي وهو بمرتبة وزير ، راتبا سنويا قدره 800000 آقجة . يحتوي لواؤها المركزي على 8000 جندي و12 قلعة . يمنح الوالي عدا ذلك مخصصات سريّة سنوية قدرها 24000 ليرة ذهبية ليصرفها في الأغراض التي يراها مناسبة . تتكون الإيالة من 5 ألوية ويحتوي لواؤها المركزي على 10 نواح ونحو 340 قرية تحتوي القلعة على 60 مدفعا وبرج وساعة و 5 مواقع مستحكمة كبيرة مع

جامع محمد الرابع . تحتوي مدينة فارادين على 250 1 دارا ، 3 جوامع ، 14 مسجدا ، 3 مدارس ، 4 مكاتب ، تكيتين ، 3 خانات ، مطبخ عام (عمارت) ، 7 أسبلة و 300 دكان . ويشاهد خارج المدينة كذلك 66 مدفعا و 12 موقعا استحكاميا صغيرا .

Senkoy ، مركز لواء في إيالة فارادين ويحتوي اللواء على مايقرب من 000 9 جندي .

Bohar ، مدينة مجرية أخرى ، ومركز لواء في الإيالة ذاتها ، يحتوي اللواء على 000 9 جندي .

Verse ، قضاء في تامشوار يحتوي على جامع سليمان خان .

يني بالأنغة لواء Medova في إيالة تامشوار . يحتوي اللواء على نحو 5000 جندي ، 350 دارا نصفهم مسلمين ، جامع السلطان محمد الفاتح ، وجامع آخر ومسجدين .

Medova ، فتحها بيوكبالي بك على عهد فاتح . يحتوي على 200 دار ، وجامعين . كان أمير اللواء يقيم فيه سابقا .

Orsova أو Irseve أو Irsova ، من فتوحات بيوك بالي بك كذلك ، وهو مركز اللواء الكائن في أقصى جنوب إيالة تامشوار . يقع على الضفة الشمالية لأحد منعطفات الطونة وعلى الشرق منه تقع إمارة إفلاق . يحتوي اللواء على نحو 3000 جندي ، 350 دارا ، وجامعين ، ومسجد ، مدرسة . وعلى مقربة من جنوب أورشوفا ، تقع دميرقابو وهي دوّامة مائية مخيفة . من المعلوم أن نهر الطونة مليء في هذا الموقع بالصخور التي يبلغ حجمها قدر حجم قبب الحمامات ، وتسير السفن بواسطة المرشدين الذين يعرفون مواقع هذه الصخور بصورة جيدة . يمنع مرور السفن بدون دليل . تحصل الدولة على ضريبة عن كل سفينة تتولى إمرارها حسب حجمها ، من 100 إلى 250 ليرة ذهب . وفي حالة اصطدام السفينة تسدّد قيمة الأضرار بالليرات الذهبية .

فتح الإسلام (بالصربية : Gladova) هي جارة أورشوفا التي بقيت في جانب الطونة الجنوبي . مركز قضاء في لواء Vidin التابع لإيالة روملي . دخلت تحت الحماية العثمانية قبل عام 1400 ، تم فتحها في عهد فاتح وعلى يد/ بيوك بالي بك (باشا)

يحتوي على جامع سليمان خان ، وجامعين آخرين ، ومسجدين ومدرستين ، 5 مكاتب وتكيتين .

10 – رومانيا .

كانت رومانيا الحالية ، تحتوي على إمارتين (فويفودا) مستقلتين استقلالا ذاتيا ، عدا ترانسلفانيا ، بانات ودوبروجه : إفلاق وبغدان . كونت هاتان الإمارتان قسما من الإمبراطورية العثمانية حتى معاهدة بخارست في 1878 . تبعت الإفلاق ، العثمانية على عهد يلدرم بيازيد وبغدان على عهد فاتح ، وارتبطتا بالعثمانية بروابط وثيقة جدا .

كانت درجة كل من الأميرين (فويفودا) في التشريفات العثمانية بكلربك (أمير الأمراء فريق أول) لكن كان أمير بغدان يتقدم على أمير إفلاق . لم تكن هاتان الإمارتان دولتين مستقلتين ، قبل انضمامهما إلى العثمانية ؛ فقد كانت إفلاق تابعة للمجر غالبا أما بغدان فكانت تابعة لبولونيا . عين الديوان لهاتين الإمارتين حتى 1711 ، أمراء من أشراف الرومانيين الذين يطلق عليهم اسم « بويار Boyar » ؛ و لم تكن التعيينات لمدى الحياة ، وإنما كان الأمراء يتغيرون في فترات قصيرة جدا . واعتبارا من 1711 ، شرع بالنسبة لكل من الإمارتين ، في تعيين أشراف الروم المقيمين في إستانبول الذين كان يطلق عليهم اسم فنار بكلري (بالفرنسية : Phanariote) ، وأصبحت الإمارتان تحت رقابة عثمانية أشد .

أساسا ، كانت كلتا الإمارتان تحت رقابة والي روملي أولا ، ومن ثم تحت رقابة والي أوزو . كانت كلا من الإمارتين ترسلان إلى العثمانية في حالة الحرب مع ألمانيا ، وحدتين قوام كل منها على أكثر تقدير 10000 شخص . كان الأمراء يترأسون جنودهم بأنفسهم ، وكانوا يقدمون إلى استانبول عند تعيينهم واستدعائهم ، ويرسلون إلى استانبول في كل عام ضريبة سنوية مقطوعة . هدمت كل القلاع الموجودة في كل من الإمارتين ومنع تشييد القلاع . ومقابل ذلك ، لم يكن المسلمون يسكنون في كلا الإمارتين ، وإنما كانوا يقيمون إقامة مؤقتة كتجار فقط . وضعت حامية قوية من الانكشارية في سراي كل من الأميرين بدعوى للحراسة . قلصت العثمانية على مر الزمن حدود الإمارتين ، وحتى أن صلة بغدان بالبحر الأسود انقطعت في نهاية القرن 15 . وبناء على ذلك ، فإنه لم يكن لكلا الإمارتين

اللتين تسميهما العثمانية « مملكتين » ساحل على البحر . يطلق على الإفلاقيين « Ulah » ، وعلى البغدانيين « Moldav » وينطقون بلهجتي الرومانية .

كانت Tragoviste عاصمة الإفلاق حتى 1661 ثم أصبحت العاصمة بخارست ؛ أما عاصمة بغدان فكانت سوجافا Suçava حتى 1568 ، ثم أصبحت العاصمة ياش .

يتم إجلاس كلا الأميرين على العرش أمام الشعب في عاصمتهما ، من قبل أحد مرافقي البادشاه . يلبسانهما القبعة الحمراء ، ثم تتلى براءة السلطان بالتعيين وتوضع على أكتافهما الخلعة . كان لكل من الأميرين فرقة موسيقى عسكرية (مهترم) مكونة من الموسيقيين العثمانيين . كان في روما ، كما كان في جميع أنحاء أوروبا عبيد يعملون في الأراضي يطلق عليهم Serf » . أعتقت رقاب هؤلاء العبيد عام 1740 ، وقد حدث ذلك قبل ألمانيا بـ 50 سنة وقبل روسيا بـ 125 عاما . اهتدى بعض الأمراء (Voyvoda) إلى الإسلام . يوجد في كل من العاصمتين قاض عثماني . ينظر القاضي في الدعاوى القائمة بين المسلمين الذين كانوا يقيمون في الإمارتين كحرس عسكريين ، أفراد الموسيقى العسكرية (مهتر) والتجار ، وبين الرومانيين . كان القانون ينص على أن يكون لكل أمير 24 مرافقا ؛ 12 منهم من الضباط العثمانيين ، و 12 من الضباط أتراك قرم . كان لكل من الأميرين مكتب يشكله الكتبة العثمانيون وعلى رأسهم رئيسهم المسمى « ديوان أفنديسي » (رئيس الديوان) لتأمين المراسلات باللغة التركية . كانت عروش إفلاق وبغدان وفويفودات (أمراء) أردل التي تعامل معاملة مرتبة الوزير في التشريعات ، تسمى « اسكمله » (كرسي) كان أمير أردل بمرتبة ملك كملوك المجر الوسطى وخانات قرم ، زيدت حريات إدارات الحكم الذاتي في الإمارات في العصر 19 وفي 1859 ، أدمجت الإمارتان وأصبحت العاصمة بخارست (بالعثمانية بكرش) .

ياش أوياش يازاري أو Papaz Yaska (القس ياشكا) (بالرومانية :Iassi) ، كانت بالنسبة لما كتبه أولياء جلبي في 1659 ، تحتوي على 20 000 دار ، قصورها وسراياتها على الأسلوب العثماني من الناحية المعمارية والتأثيث . وتحتوي على أكثر من 2000 دكان ، 11 كنيسة .

بكرش(بالرومانية : بخارست Bucarest) ، كانت بها 12 000 دار ، ويوجد خارج

المدينة منزل كبير للمسافرين المسلمين . كانت إفلاق تحتوي على 120 مدينة وقصبة و 3600 قرية . كان بالمدينة عدد أكبر من العثمانيين بالنسبة إلى باش . علم إفلاق ، كان على شكل صقر مفتوح الجناحين .

11 - بودوليا :

كانت بودوليا تتبع في السابق ، بولونيا ، واليوم تتبع جمهورية اوكرانيا السوفيتية ، وهي القطر الذي ينحصر بين شمال رومانيا وشمال Dnyestr . وبينما كانت قلعة Hotin تابعة لبغدان سيطرت عليها بولونيا (بجوي ، 2 ، 379 ؛ نعيما ، 2 ، 206) . انتقلت إلى العثمانية نتيجة لحملة بولونيا الهمايونية لعثمان الثاني عام 1622 وأصبحت قلعة عثمانية مستحكمة ومهمة جدا . بقيت لدى العثمانية حتى 26 / 11 / 1806 .

احتلها الروس في هذا التاريخ (Iorga ، 5 ، 159) . أما القطر الأصلي المسمى بودوليا ، فقد فتحه قبلان مصطفى باشا عام 1672 وأسست إيالة كامانيجه (30 / 8 / 1672) . أعيدت إلى بولونيا عام 1699 وانتقلت إلى روسيا عام 1793 . تقع كامانيجه (بالأوكراينية : Kemanets - Podolski) في شمال - شرق هوتين على مسافة من الساحل الشمالي لدنيستر . أما Bukovina الشمالية التي تقع في جنوب Prut وجنوب Hotin ، فإنها تركت لألمانيا مع مدينة جرنوفيج عام 1792 .

12 - القرم :

كما أن بعض الإمارات لبني جنكيز أمثال قسيم ، قزان ، استرخان ، نوكاي وباشكردستان وكذلك الخاقانيات التابعة لأتراك الشمال التي تسيطر عليها دولة جوجي ، تبعت العثمانية بين حين وآخر ، كذلك ارتبطت قرم بالعثمانية اعتبارًا من 1475 . كانت قرم تجّهز جيشا يتكون من 200 000 خيال ؛ 100 000 منه تحت إشراف الخان ، 60 000 تحت إشراف كالغاي (ولي العهد) و 40 000 تحت إشراف نور الدين (ولي العهد الثاني) . كان تعيين ولاة العهد (كالغاي) وولاة العهد الثانين (أنوار الدين) يصدر من أستانبول ، كالخانات . كان الخان سابقا ، في مستوى الصدور العظام في التشريفات وذي 5 شارات توضع على الرأس . اعتبر في العصر 16 ، في مستوى الوزراء ذوي 3 شارات (طوغ) .

Kefe ، ألحقت كفه بالعثمانية رأسا كلواء في 5 /6 / 1475 وفي 1580 ، أصبحت إيالة . كان هذا اللواء يشمل المنطقة التي تمتد من سفاستوبول إلى كرج ، ويشمل كامل الساحل الجنوبي – الشرقي من القرم وشبه جزيرة تامان التي تقع تجاهه وكان مسيطرا على مضيق كرج . ولواء آزاك (روستوف) أيضا ، أصبح بعد ذلك إيالة . وكان هذا اللواء كذلك ، مسيطرا على بحر آزاك ومصب نهر الدون . وقد اعتبرت كفه وآزاك في بعض الفترات لوائين لإيالة واحدة . تولى كل من شهزاده (ولي العهد) محمد أحد أبناء بيازيد الثاني ، وبعده ، ابن أخ هذا شهزاده سليمان (القانوني) ، إدارة لواء كفه . الحق باللواء عام 1479 ، قضاء تامان وناحيتي آنابا Anapa و Kopa . وفي 1479 ، بدأت آزاك ، قبل أن تكون لواء – بتشكيل أحد أقضية كفه الستة (الأقضية الأخرى هي : Sogdak ، Mengup ، Kerç) . كان عدد سكان كفه في 1671 ، 40 000 ، 8000 منهم مسيحيون والباقي مسلمون . كان ميناًء فعالا (Chardin ، 1 ، 104 ، 107 – 8) . نقتبس من أولياء جلبي بعض ماسرده من سطور في مجلده السابع عن جولته في قرم .

اورقابو Orkapi (بالروسية : Perekop) ، مركز قضاء في إمارة قرم . هي القلعة التي شيّدها صاحب كيراي خان في العصر 16 . وهي قطعة الأرض الضيقة جدا التي تربط قرم باوكرانيا وأوروبا ، ولولا وجود هذا البزرخ الضيق لأصبحت قرم جزيرة تامة . حامية القلعة ليسوا جنودا من قرم ، دائما جنود عثمانيون يرسلون من استانبول . إذ إن أهالي القرم لا إلمام لهم بشئون المدافع ، والبنادق والقلاع ، وإنما يحاربون بالنبال والسيوف على ظهور الخيل . ملأ محمد كيراي خان في نهاية القرن 16 الخندق المقابل للقلعة بالماء وجعل من قرم جزيرة . أعدم قائد البحر (قبطان دريا) قيليج علي باشا الذي حضر إلى قرم بقصد التفتيش ، محمد كيراي وأعاد ملء الخندق بالتراب .
إلا أنه في أواخر القرن 17 ، حفر أهالي القرم الخندق ثانية وملؤوه بالماء بموافقة الحكومة العثمانية ، واليوم ، قرم كجزيرة ليس لها إتصال بالأرض . يمكن العبور إليها عن طريق الجسور المنصوبة في أماكن معيّنة . لا يمكن أن يخرج أو يدخل أي شخص من وإلى قرم عن طريق البر خفية وبدون إذن . يجهز قضاء اورقابو 12000 خيالا . يحتوي القضاء على 1 680 دارا ، 14 جامعا ومسجدا ، ونحو 500 دكان ، مدرسة واحدة ، مكاتب ، خانات ، تكايا . ويمتاز جامع صاحب كيراي بجماله .

غازي كيرمان أو قلعة دوغان كجيدي (ممر دوغان) ، خارج قرم ، في زاوية البحر الأسود التي يصب فيها دنيبر . مركز لواء إيالة أوزو . شيد القلعة في 1661 كوبرولو محمد باشا . يحميها 1800 جندي عثماني و 1200 قرمي . إرتفاع أسوارها 27 وعرضه 20 ذراعا . يحتوي على جامع محمد الرابع (حاليا Kherson) .

قلعة Gozleve (بالروسية : Yevpatorya) ، ميناء على البحر الأسود . غرب قرم . شيد صاحب كيراي قلعتها الكبرى التي يبلغ طول محيطها الخارجي 400 3 ذراع وتحتوي على 13 جامعا ، 12 مسجدا ، 5 مكاتب 3 كروانسراي (منزل مسافرين) ، 14 خانا ، 5 حمامات ، 7 دورات مياه ، 795 دكانا . تتبع 300 قرية تقريبا لقضاء اورقابو ، تتبع 110 لـ Gozleve . جامع بهادركيراي ، من أبنية المعمار سنان الفخمة .

Inkerman ميناء كبير وناحية قضاء باليكوفا لإيالة كفه العثمانية . تحتوي على 750 دارا ، جامعين ، مسجدين ، مدرسة ، مكتبين ، تكية خلوتية واحدة . إن قلعتي **Serkerman** وتجاهها **Salonya** الواقعتان على مسافة 6 ساعات هما أيضا ناحيتان لباليكوفا . **Balikova** ، ميناء ذو قلعة في الجنوب . و شمالا Akyar (Sivastopol) . قلعته ذات 50 مدفعا . تحتوي على 250 دارا ، جامع واحد ومسجد واحد .

Menkup أو Mengup قضاء كفه ، ميناء ذو 70 قرية وقلعة . يحتوي على جامع بيازيد الثاني . وعلى 1000 دار يملكها القرميون Karaim (الموسوي التركي الذي ينطق بلغة قرم التركية) . وعلى مقربة منها قلعة **جوهركيرمان** وهي الأخرى تحتوي على 150 1 دارا للقرميين حامية القلعة موسويون ، لذا سميت جفود = Gfit قلعة سي (قلعة اليهود) ، ولا يوجد في الدولة العثمانية نظير لها ، إذ إنها القلعة الوحيدة التي يسيطر عليها الموسويون . تحتوي على جامع صاحب كيراي لكن جماعته قليلة جدًا .

سالاجك ، قلعة ذات 3000 دار ، 5 جوامع . كان لخانات قرم للتأخرين قصور جميلة في المنطقة المحيطة بالسراي الذي بناه منكلي كيراي في القرن 15 .

باغجه سرايي ، مدينة عرش قرم . تحتوي قرم بكاملها على 21000 جامع ، ومسجد ، وتكية . تنتشر فيها الطرق الخلوتية والجلوتية . كلا الطريقتين لها 000 40 مريد .

شعبها سني – حنفي . الشافعيون قليلون . تقع باغجه سرايي في جنوب قرم لكنها ليست على الساحل . عبارة عن 5000 دار حجرية وقصر . سميت بهذا الاسم لأن السراي الذي شيّده صاحب كيراي الذي عمر المدينة خلال 7 سنوات ؛ كان داخل حدائق جميلة جدا . كانت جزيرة قرم تحتوي على 25 قضاء ، 4 تديرها العثمانية مباشرة . وعدا أمراء قرم ، كان هناك 40 بك من أشراف التتر . كان هؤلاء كولاة برتبة عقيد ولواء في العثمانية . تحتوي قرم بكاملها على نحو 1600 قرية وما يقرب من 6000 مزرعة . يسكن في قرم نحو 000 20 مسيحي (أروام وأرمن) عدا الأسرى ويعملون بالتجارة يبلغ عدد الأسرى في بعض السنين مئات الألوف . تحتوي باغجه سرايي على 24 جامعا ومسجدا ، وعدة مدارس دينية ، و 17 مكتبا ، و 9 تكايا ، و 117 جشمة (دورة مياه) ، وسبيل ، و 14 خانا ، و 4 حمامات ، و 3 مطابخ للمحتاجين وعدد غير قليل من سرايا وجهاء قرم . يجري الماء في كل مكان . جامع صاحب كيراي ، أكبر جامع تبلغ مساحته 110 × 70 ذراعا . حدائق مدينتي Salacik و Sala تجاور باغجه سراي . تحتوي ثلاثتها على 8000 دار ، قصر وسراي . يحتوي منزل المسافرين الذي بناه غازي صفر آغا في 1661 داخل السوق ، يحتوي على 177 غرفة، والحمام الذي شيّده محمد كيراي في نفس العام داخل السوق ، يحتوي على 6 أقسام خاصة ، فسقيات أحواضها وطاساتها مطلية بالذهب . الحمام بكامله مكسي بالبلاط الأبيض . أطقم الحمام من الحرير . العبيد القفقاسيون والسلاف يخدمون ويوزعون العطور اللطيفة بصورة مستمرة . لا يوجد في استانبول حمام مشابه له . إذ إن هذا البذخ يعتبر خطيئة لدى العثمانيين . نحو 600 قصر يحتوي على حمام خاص . خانات قرم ، يدعون الموسيقين ، الملحنين ، الشعراء والخطاطين المشهورين في إستانبول إلى سراياتهم ، يضيفونهم وأحيانا يضيفونهم لفترات طويلة تستغرق السنين . يعشقون الفنون الجميلة العثمانية .

آق مسجد (بالروسية : Simferepol) ، على مقربة من شمال – شرق باغجه سراي في منتصف قرم نحو الجنوب . يقيم فيها كالغاي ولي عهد قرم تحتوي على 2370 داراً ، قصر ، وسراي ، ونحو 200 دكان و 5 جوامع و 4 مساجد ومدرستين و 3 تكايا و 4 دورات مياه وخانين وحمام . الجامع الذي شيده منكلي كيراي عام 1508

فخم جدا ؛ فيه منزل مسافرين كبير شيّده محمد كيراي عام 1652 في قرية عزيزلر على طريق آق مسجد قرة صوبازاري .

قرة صو بازاري ، يقع في شمال شرق آق مسجد وبين آق مسجد - كفه . تحتوي المدينة على وحده إنكشارية أرسلها والي كفه . نهر قرهصو يجري وسط المدينة . سكنة دورها الـ 500 ، أتراك أناضوليون هاجروا من آماسيا ، سيواس وتوقاظ . فيها 8 جسور على نهير قرهصو ، 5 جوامع ، 23 مسجدا 5 مدارس ، 8 مكاتب ، 4 تكايا ، 27 سبيلا ، 8 خانات ، 4 حمامات ، 296 1 دكانا . البيوت ذات حدائق ، وخان غازي صفر آغا الذي شيّده في 1651 ، له 4 أبراج ، بوابتان حديديتان و 120 غرفة .

Sudak ، ميناء مركز قضاء في اللواء المركزي لإيالة كفه . ذو قلعة . يقع بالقرب من جنوب - غربي كفه . تحتوي قلعته التي يبلغ محيطها 300 ذراع ، على 24 برجا وجامع بايزيد الثاني . المدينة المسماة **اسكي قرم** (قرم القديمة) ، قضاء تابع للواء كفه المركزي يقع في شمال - غربي كفه ، به 500 دار . يحتوي على جامع منكلي كيراي الذي بني في 1512 ، وجامع آخر ، 3 مسجد ، مدرستين ، تكيتين . تأخرت نهضتها عند تطّور بغجه سراي . يشاهد فيه بقايا خربه لخاقانات الطون اوردي .

كفه Kefe (بالروسيه : Feodosiya) ، مرفأ وقلعة في جنوب - شرقي الجزيرة ، مركز إيالة عثمانية فتحها قبودان دريا (مشير البحر) كديك أحمد باشا من الجنوبيين في 1475 . يتقاضى الوالي راتبا سنويا قدره 766 504 آقجه . لاتوجد في الإيالة تشكيلات تيمار .

يقيم فيه الأميرال أو عقيد البحر المسمى كفه قبوداني (قائد كفه) ، يتجول بواسطة أسطوله في بحر آزاك والمناطق المجاورة . للوالي عدا ذلك مخصصات سرية تترواح مابين 19 500 إلى 25 000 قطعة ذهبية . تنقسم الإيالة إلى 8 ألوية في قرم Kefe ، Kerc ، ولاية Tat . والألوية الخمسة الأخرى تقع خارج قرم (Bolva ، Adahun ، Azak ، Balasira و Taman) .

Taman ، هو المرفأ الواقع في الجانب المواجه لقرم من مضيق كرج .

Azak (بالروسية : Azov ، ضاحية روستوف) ، مرفأ في الموضع الذي يصب فيه نهر الدون في البحر ، في الرأس الشمالي - الغربي لبحر آزاك (آزوف) .

Bolva ، مرفأ على بحر آزوف ، يقيم فيه لواء بحري يتجول بصحبة 20 قطعة بحرية حربية . يراقب مصب نهر كوبان وأطرافه ، يعتبر آزاق من أهم الألوية . راتب أمير اللواء البحري (سنجق بلك) 000 800 آقجه في السنة . وهو بمرتبة فريق أول (بكلربك) . وهذا اللواء هو أقصى وحدة إدارية حدودية تابعة لإدارة العثمانية متوغلة في قلب روسيا . لا يستطيع الروس أن يروا قفقاسيا والبحر الأسود ولو من بعيد ، دون سحق هذا اللواء . يقيم والي كفه في آزوف ، منذ 1657 . وتوجد عدا هذه الألوية الـ 8 ، أقوام ، قبائل وأراض تابعة لإيالة كفه ، وهي الأقوام التي تعيش في جبال القفقاس ، وأهمها الشراكسة . إن 40 بك (أمير) شركسي حلفوا يمين الإخلاص للعثمانية .

والي كفه وآزوف وخان قرم لهم نفوذ قوي في هذه الجبال . لايمكن أن يصل نفوذ روسيا من الشمال ولا نفوذ إيران من الجنوب ، إلى هذه الجبال . يبلغ محيط قلعة تكفه 8000 ذراع . أسوارها البرية مزدوجة وبإرتفاع 30 ذراعا . وأمامها خندق بعرض 50 ذراعا وعمق 20 ذراعا . لها 117 برجا مرتفعا . وهي مرفأ فعال ، و مدينة كبيرة تحتوي على 10 جوامع ، نحو 50 مسجدا ، 5 مدارس ، 9 تكايا ، 45 مكتبًا ، 10 حمامات نحو 600 قصر ذي حمام ، أكثر من 4000 دار ذات بئر ، أكثر من 1000 دكان ، 23 مقهى فخما به جوقات موسيقية وشعراء وجامع سلطاني عظيم لولي العهد سليمان (القانوني) خان مساحته 150 ×100 قدم ، ذي 5 قبب قائمة على 6 أعمدة : شيده السلطان سليمان عندما كان أمير لواء على كفه . معظم التكايا خلوتية ، جلوتية ، كلشنية وقادرية . يرقد منتسبو السلالة العثمانية تحت صناديق مرمرية في فناء جامع سليمان خان . إذ إن 3 ولاة عهد ، تقلدوا وظيفة أمير لواء كفه . المدينة من المراكز الكبيرة لبيع العبيد والجواري . أكثرهم قفقاسي وسلافي .

كرج ، مركز لواء في إيالة كفه ، مرفأ ذوقلعة . واقع على ضفة قرم لمضيق كرج .

في أقصى شرق قرم . يرى في مواجهته شبه جزيرة تامان . قلعته وجامعه من أعمال بايزيد الثاني . وعدا ذلك هناك جامعان و 520 دارا . مليء بمنشآت الميناء والمخازن .

13 - جزر البحر الأبيض :

جزائر بحر سفيد وباللغة التركية آق دنيز آدلري (جزر البحر الأبيض) ، هي إيالة قبودان دريا (قبودان باشا ، مشير البحر) للإمبراطورية العثمانية . ناظر البحرية المسمى قبودان دريا ، هو في نفس الوقت أمير لواء (بكلربك) والٍ لهذه الإيالة . يوجد في كل لواء من ألوية الإيالة ، أمير لواء بحري (سنجق بك) وكل منهم يشرف على أساطيل تحت إمرته . أن « آق دنيز » (البحر الأبيض) تعني في علم الاصطلاحات الفنية (Terminology) العثماني ، المجال الممتد من استانبول إلى البحر الأسود بما فيها أرخبيل بحر الجزر (إيجه) وبحر مرمره . وما بعده هو البحر الأسود . يطلق على مضيق جناقلعة ، أسم مضيق البحر الأبيض كذلك . البادشاه العثماني ، خاقان هذين البحرين ، البحر الأسود والأبيض (خاقان بحرين) . قلّصت حدود هذه الإيالة البحرية في فترة التنظيمات بشكل كبير وأصبحت مقصورة على الجزر الآسيوية لبحر إيجه (رودس ، ساقز ، مديللي ، لمني) وحتى 1878 قبرص وسميت أيضا « جزائر بحر سفيد » ، لم يعّين فيها بحريون بل ولاة مدنيون . وحّدت قبرص في الفترة الكلاسكسة أحيانا مع عدة ألوية أناضولية وشكلت إيالة منفصلة ، وضمّت أحيانا كلواء إلى جزائر بحر سفيد .

أما مورا فإنها ربطت كليا أو جزئيا بإيالة جزر البحر الأبيض عندما كانت لواء لإيالة روملي ، ومن ثم أصبحت إيالة مستقلة . كريت ، إيالة أخرى ليس لها علاقة بهذه الإيالة . كانت تمتد إلى البحر الإدرياتيكي . ارتبط بهذه الإيالة بين الحين والآخر ، قسم من الجزر الأيونية (اليونانية) ، بعض الألوية في الساحل الأناضولي ، 3 ألوية بحرية على البحر الأبيض في مصر (إسكندرية، دمياط ، رشيد) . وفي الوقت الذي كان يقيم فيه ناظر البحرية في غاليبولي حتى 1453 ، بدأ يقيم بعد هذا التاريخ ، في استانبول . كانت ساقز ، مركزا للإيالة على عهد التنظيمات ، لفترة أصبحت جناقلعة ثم ظل المركز في ردوس وفقدت غاليبولي أهميتها على مر الزمن . وفي 1836 ، هبط

عدد سكانها من 000 80 إلى 000 17 (Hallert ، Atlas ، 61 ب) . بينما تطورت في الجانب المقابل جناقلعة الحالية التي كانت تسمى قلعة سلطانية . كان يحمي مضيق جناقلعة في 1836 ، 580 مدفعا وكان قد « رصد لهذه الأسلحة مبلغا كبيرا » (Von Moltke ، 42) . أنقل إليكم فيما يلي بعض ماكتبه أولياء جلبي حول جزائر بحر سفيد (جزر البحر الأبيض) :

قره بيغا ، مركز لواء في إيالة آق دنيز ، في غرب خليج أردك ، وشمال بيغا . يجهز 500 جندي تمارلي (الجنود الذين لا يتقاضون رواتب من الدولة ويكسبون عيشهم من زراعة الأراضي التي توزعها لهم الدولة لكنهم يشتركون في القتال بأسلحتهم) . جامع ؛ وعلى مقربة من جنوبه **جارداق** ، ذي جامع ، ومسجد يقع على جناقلعة وعلى مقربة من جنوبها مرفأ Lapeški ذي 300 1 دار وجميعها مراكز أقضية مواجهة لغاليبولي .

كليد البحرين تعني بالعربية قفل البحرين أو كما يسميها الشعب « كليد بحر » ، المواجهة تماما لمدينة جناقلعة وفي الجانب الأوروبي ، وهي أضيق نقطة في المضيق . قلعة سلطانية (جناقلعة) تقع في مواجهتها ، يمكن لهاتين القلعتين في حالة فتح نار المدفعية منهما معا ، إغراق أي نوع كان من السفن التي تجتاز دون الحصول على موافقة .

شيّد السلطان محمد الفاتح هذه القلعة الكبيرة . لأول مرة في التاريخ أغلق مضيق جناقلعة كما أغلق مضيق استانبول وأصبحا تحت سيطرة الدولة . كانت المضائق قبل 1453 ، طرقا مائية مفتوحة ، وكان من المتعذر قطعها بواسطة المدافع . تحتوي هذه القلعة على أكبر المدافع العالمية . في القلعة 1530 مدفعي ، 24 منهم ضباطا . لا يوجد جنود من أصناف أخرى ، إذ لا حاجة لذلك . كان بإمكان المدفعيين أن يسجلوا إصابات على النقطة أو الهدف الذي يشاءونه في البحر لدرجة أنهم كانوا يجعلون القذائف المنطلقة من طرفي المضيق ، تصطدم مع بعضها . إن اتخاذ تدابير كهذه ، كانت في محلها تماما ، إذ إن أية سفينة أو أسطول يجتاز المضيق يجد نفسه أمام استانبول .

من الصحيح أنه لايمكنه أن يعمل شيئا في إستانبول ، لكن دخوله سوف يولّد اضطرابا وهياجا كبيرين ، ومن غير المستطاع أو المستساغ أن يقال لشعب استانبول إن عدوا توصل جبرا إلى استانبول . منطقهم لا يمكن أن يتقبل ذلك ، لقد كانوا يقلقون

من احتمال حدوث أيّ ضرر على استانبول ، عند حدوث قتال أمام استركون وبودين وأزوف . إن **جناقلعة** وبلغة الشعب قلعة سلطانية تواجه قلعة كليد البحر ، في جهة آسيا . تحتوي على جامع فاتح ، وجامعين آخرين ومساجد ، وسوق ذي 800 دكان . شيّد القلعة فاتح .

بوزجه آدا ، جزيرة صغيرة قريبة جدا من شبه جزيرة جناقلعة . ولأنها واقعة في مدخل البوغاز ، فإنه يعتني بقلعتها حتى لا يتمكن العدو من اتخاذ موضع له فيها ، يحميها 2000 جندي . شعبها رومي خارج القلعة . وهي قضاء للواء غاليبولي مثل كليد البحر .

غاليبولى Gelibolu ، معمل سفن ومرفأ وقاعدة بحرية واقعة في نقطة انتهاء البوغاز قرب مرمرة في جانب روملي ، نحو الشمال - الشرقي من الجزيرة المسماه بنفس الاسم . مركز لواء . وهو في الحقيقة مركز إيالة ، إلا أن ناظر البحرية الذي بمثابة أمير الأمراء (بكلربك) ، فريق أول ، للإيالة ، لا يقيم فيه بل في استانبول .
لكنه بصفته فريقا أول بحريا لإيالة البحر الأبيض ، يتقاضى راتبا إضافيا قدره 885 000 آقجه في السنة . ينقسم المركز إلى 13 لواء : غاليبولي ، آغريبوز ، قارلي ايلي ، إينه بختي ، رودس ، مديللي ، قره بيغا ، قوجا ايلي ، صيغلا (أزمير) ، Mizistre ، ساقز ، نقشة (جزر كيكلاد) ومهدية في تونس . الألوية الثلاثة الأخيرة فقط ليس فيها تشكيلات التيمار .

كانت مور سابقا ضمن إيالة البحر الأبيض عدا ميزسترة ، وحاليا هي إيالة منفصلة . وقبرص ، ضمن إيالة إيجل Içel وحاليا إيالة منفصلة . وكذلك كريت إيالة منفصلة . يوجد في لواء غاليبولي نحو 3000 جندي بحري تمارلي . مخصص ناظر البحرية (قبودان دريا) ، مبلغ 32 500 ليرة ذهب سنويا من المخصصات السرية عدا راتبه السالف ذكره لإدارة هاتين الإيالتين . كانت هناك فصيلة غوص . يتمكن أفرادها من الغوص لعمق 60 قولاجًا (مسافة بين اليدين من الإصبع إلى الإصبع إذا فتحتا بشكل مستو) . قلعتها ذات 70 برجا و 1 200 موضع رماية (مزغل) ، لكن مدافعها صغيرة . إذ لايحتمل أن تجتاز سفن العدو من البوغاز وتصل أمام غاليبولي . تحتوي المدينة على نحو

من 1200 دار ، ومجموع عدد الجوامع والمساجد والتكايات 164 ، اثنان من الجوامع . جامعان سلطانيان (فاتح ومراد الرابع) . بها 8 أسواق ، يحتوي أكبرها على مايقرب من 800 دكان ، وبها 11 خانا للمسافرين ، ونحو 200 قصر ذي حمام خاص . وعلى شمال الميناء فنار بحري كبير يضيء على بعد أميال ويرشد السفن . بها مزار وتكية يازجي أوغلو (يازجي - زاده شيخ محمد أفندي) خليفة حاجي بايرام ولي ، وهي من أكبر تكايا القطر العثماني . حررت هذه الشخصية **محمديّة** في غاليبولي . ويرقد بجواره أخوه يازجي - زاده أحمد بيجان أفندي مؤلف **أنوار العاشقين** .

بولاير Bolayir ، ناحية غاليبولي ، تقع في شمال غاليبولي داخل حدائق السنبل ، فيها 1000 دار ، جامع ، 6 مساجد ، تكية ، مطبخ عام ، نحو 100 دكان . تحتوي على قبر فاتح روملي أولو شهزاده غازي سليمان باشا ، كان السلاطين يقدمون إلى بولاير لمجرد تقبيل حاشية غطاء ضريحه . علق سيفه على مقربة من رأس الضريح . وهو ولي العهد الذي فتح قارة أوروبا للعثمانية ، والعم الكبير لجميع السلاطين . هو الابن الأكبر لا ورخا غازي ونيلوفر خاتون ، لم يعتل العرش لوفاته واعتلى العرش بدلا منه أخوه المولود من الأم ذاتها ، مراد الأول ؛ واستمر في فتوحات أخيه ووصل حتى البحر الإدرياتيكي والطونة وفتح البلقان .

سماديرك Semadirek أو سمنديرك (باليونانية : Samothraki) . مركز قضاء ذو قمة شهيرة بإرتفاعها البالغ 1 600 م يقع بين إيمروز وطاشوز ، Semendirek عبارة عن جزيرة سكانها روم . ميناؤها وقلعتها كبيرتان .

Ezdin ، مركز قضاء في لواء آغريبوز التابع لإيالة البحر الأبيض (آقدنيز) . لكنه ليس في جزيرة آغريبوز بل في شبه جزيرة Attika . يحتوي على 13 محلة للمسلمين ، 8 للمسيحيين ، 2 550 دارا ، 4 جوامع ، 4 مساجد ، 5 جسور ، نحو 40 قصرا ذي حمام ، تكايا عديدة ، ومدارس . فتحها السلطان الفاتح من البندقيين .

Bardacik و Modononuç ، قضاءان لنفس اللواء . اشتهر في باردا جك جسر السلطانة كوسم ذو 7 قناطر على نهر Barda

Livadye (Levadia) مركز قضاء آخر لنفس اللواء وكان مركزا للإيالة في السابق . يقع في جزيرة آتيكا ج فتحه تورهان باشا على عهد فاتح من البندقيين . يحتوي على 7 محلات للمسلمين ، 6 للمسيحيين ، 2000 دار ، 7 جوامع ، مدرستين ، 3 تكايا ، 3 مكاتب ، 3 جسور . أحد جوامعها ، الجامع الذي شيّده سلطان - زاده بالي بك (باشا) ابن خالة القانوني عام 1525 .

Istife ، قضاء آغريبوز أيضا ، من فتوحات تورهان باشا ، به 2500 دار ، 4 جوامع ، 3 ساجد ، 4 مدارس .

آغريبوز أو أكريبوز (باليونانية Halkis , Euripos) ، قلعة ومرفأ ومركز لواء آغريبوز الذي يشمل شبه جيرة Attik أيضا واقع في منتصف ونحو الساحل الغربي لأكبر جزيرة (4 297 م^2) من جزير بحر أرخبيل فتحه السلطان فاتح من البندقيين حيث سار إليه بالجيش برا وبالأسطول بحرا بعد حرب ضارية . لواء بحري (أمير لوائها « سنجق بك » برتبة لواء بحري) يتقاضى أمير اللواء سنويا 000 440 آقجه راتبا و 000 200 3 آقجه مخصصات . من الألوية الكبيرة . اللواء تابع لإيالة البحر الأبيض للقبودان – باشا . قلعتها التي يبلغ محيطها 000 6 ذراعا وعرض أسوارها من 40 - 50 ذراعا بإرتفاع 40 ذراعا ذات الـ 7 طوابق ، مخمسة الشكل وتقع على الساحل . كل برج من أبراجها الـ 111 يحتوي على مابين 10 إلى 15 مدفعا و 40 إلى 50 مزغلا . قليل من القلاع تحتوي على هذا العدد من المدافع . ولكن هذا التدبير كان تحسبا للبنادقة . ان معمل مدافع القلعة الذي شيّده سليمان خان ليس لتصليح المدافع فحسب بل لسبك مدافع جديدة أيضا . يحتوي داخل القلعة على 10 محلات للمسلمين ، 11 جامعا (من جملتها جامع فاتح 130 ×90 ذراعا) ، 6 مساجد ، 19 حنفية مياه مبنية (جشمه) ، مدارس (دينية) عديدة ، مكتب (مدرسه) وتكيه . أما في الضواحي (خارج السور) فتوجد نحو 2000 دار ، قصر وسراي ، جامع ، 9 مساجد ، مدرستان ، 5 مكاتب ، 4 تكايا ، حمامان ، خانان . تقع مقبرة الشهداء بين القلعة والضاحية . يرقد فيها آلاف الجنود الذين استشهدوا في فتح آغريبوز . يستوعب المرفأ 400 سفينة . جزيرة باشا (باشا آداسي) الواقعة في مدخل الميناء ، هي الجزيرة الصغيرة التي نصب فيها فاتح سرادقه وأدار الحرب منها .

Dopoz و Kese ، مركز قضاء في لواء آغريبور قرب أثينا . قصبتين صغيرتين ذواتي 200 أو 300 دار .

أثينا ، مركز قضاء في لواء آغريبوز . تبعت العثمانية على عهد يلدرم بايزيد ، دخل فاتح المدينة بنفسه كأبيه وألحقها بإدارة العثمانية المباشرة . وهى مدينة رومية كبيرة تحتوي على 7000 دار ، المسلمون قليلون جامع فاتح ، داخل قلعتها المسماة Agora ومجاور لمعبد Partenon . بالإضافة إلى ذلك ، توجد 3 جوامع أخرى ، 7 مساجد ، مدرسه ، 3 مكاتب ، 3 تكايا ، 3 حمامات، خانان ، 118 حنفية مياه مبنية ، هذا عدا الأبنية الخاصة بالمسيحيين . توجد في أثينا وأطرافها نحو 300 كنيسة ودير أرثوذكسي . يقوم بالخدمة فيها نحو 3000 راهب وقس . إن مرفأ Terzi (Pire) هو مرفأ أثينا ، وتقع جزيرة Salamis أمام المرفأ ، أما بين مورا واتيكا ،

فتوجد جزيرة **Egine** الواقعة داخل الخليج الذي يطلق عليه الاسم ذاته ، وهي تحتوي على قلعة وجامع و 100 محلة للمسلمين و 400 للروم .

AyaMavri (Leukas) ، لواء بحري واحد فى الجزر السبع الأيونية (اليونانية) والواقعة على البحر الذي يحمل الاسم ذاته . أما جزر Zanta (zakyntohos) و (Kefellenia) **Kefalonya** فإنها قد انتقلت حاليا من العثمانية لحيازة البندقية . أما جزيرة كورفوأهم الجزر الأيونية ، فلم يتم الاستيلاء عليها من البنادقة بشكل تام في أي وقت من الأوقات ، رغم أن العثمانيين والسلطان سليمان بالذات دخلوها .

Satirbasi جزر **Kiklad** مجموعة جزر واقعة جنوب بحر أرخبيل الجزر وتمتد من آغريبوز نحو الجنوب ـــ الشرقي إلى رودس . لواء بحري في إيالة البحر الأبيض . تم فتحه من البنادقة في القرن 16 . إن كل جزيرة من الجزر ، كنقشه (Nokos) ، ودكير منلك (Milos) قضاء منفصل . يسكنها الروم المولّدين من الإيطاليين . توجد في الجزر قواعد بحرية عثمانية .

Salone ، قضاء آغريبوز الواقع في أقصى الغرب ثم يبدأ بعده لواء اينه بختي .

اينه بختي (بالإيطالية : Lepanto ، باليونانية : Navpaktos) ، مرفأ ، قلعة وقاعدة بحرية . مركز اللواء البحري في إيالة البحر الأبيض . يقع على مضيق ضيّق جدا بين خليجي Korinthos-Potras وتجاهه Mora . فتحها بايزيد الثاني من البندقيين . باللواء 000 6 جندي ، 5 سفن حربية ، راتب الوالي (سنجق بك) 000 300 آقجة في السنة ومخصصاته 500 3 قطعة ذهبية . قلعته ذات 70 برجا و 5 أبواب . يحتوي المركز على 000 3 دار ، 8 جوامع 11 مسجدا ، 3 مدارس ، 6 تكايا ، 45 دورة مياه ، 3 حمامات . أكبرها جامع فتحية لبايزيد الثاني . المدينة كبيرة وأكثرية سكانها مسلمون . يحتوي قضاؤها المركزي على نحو 000 27 مزرعة كروم ونحو 245 نبع مياه . المدافع التي تطلق من قلعة اينه بختي يمكنها دك سواحل مورا المقابلة .

Zeban ، قضاء في لواء قارلي ايلي ، يحتوي على 4 جوامع ، و 11 مسجدا ومدرستين .

Voniçse (Vonitsa) قضاء في لواء AyaMavri مواجه لـ **Preveze** يحتوي على جامع بايزيد الثاني .

Behor ، قضاء تابع لقارلي ايلي ، يحتوي على 20 دار وجامع واحد .

Angeli Kasri (Argyrokasto) ، بالمركز الجديد للواء قارلي ايلي البحري في إيالة البحر الأبيض . يتكون المركز من أقضية Ekseromoz ، Valtoz ، Voliçe ، Lahar . كان في السابق لواء واسعا جدا وكانت كل من جزر Preveze ، Aya Mavri و

Kefalonya أقضية تابعة لهذا اللواء . كان طرغد باشا الشهير ، واليا على هذا اللواء قبل أن يعين واليا على طرابلس (ليبيا) . إن قصر آنجيلي من فتوحات فائق باشا عام 1500 ، استولي عليه من البندقة . باللواء 4000 جندي ، 3 سفن حربية ، ويتبعه 46 قرية ، أكثرها قرى ألبانية أرثوذكسية . يحتوي على 300 دار ، جامع بايزيد خان ، مسجد واحد ، مدرسة واحدة ، تكيتين .

Verehor (Agrinion = Vrahori) ، كضاحية لقصر آنجيلي ، يوجد فيها 300 دار ، 3 جوامع ، 11 مسجدا ، مدرستان ، تكيتان ، 3 مكاتب ، شعبها أتراك .

Aya Mavri أو Aya Mavra (بالإيطالية : Santa Maura ، باليونانية : Levkas) ، جزيرة كبيرة واقعة في جنوب Preveze ومركز لواء بحري في إيالة البحر الأبيض ، استرجع قيليج علي باشا هذه الجزيرة بمنحه جزيرتي Kefalonya و Ithaki إلى البنادقة ، إذ إنها كانت أقرب إلى الساحل العثماني . لكن كيفا لونيا أكبر منها . باللواء 2000 جندي تمارلي ، 4 سفن حربية . راتب أمير اللواء 400 000 آقجه و مخصصاته 1 880,000 آقجه في السنة . يشاهد في القلعة 196 مدفعا . يحتوي على جامع سليم الثاني ، وعدا ذلك 4 جوامع ، 11 مسجدا ، مدرسة واحدة ، تكية ، جسر ، 500 دار . جزيرة Lefka (Megarasi) تابعة لآيا مافري .

Preveze ، مرفأ يقع في مدخل خليج Arta ، قلعة بحرية ، لايمكن لأية سفينة أن تدخل الخليج جبرا في حالة فتح نار المدفعية من هذه القلعة بالاشتراك مع القلعة الواقعة في الساحل المواجه ، بصورة متقابلة . تحتوي على 400 دار ، جامع سليمان خان ، 3 مساجد ، مدرسة . يستوعب ميناؤها 200 سفينة .

Preveze ، مركز قضاء في لواء قارلي ايلي . حقق بربروس خير الدين باشا انتصاره الكبير على الأسطول الصليبي بالقرب من هذه المنطقة .

منه من كوزل حصاري ، قرة فوجا ومنه من Menemen 3 مراكز أقضية في لواء صيغلا Sigla . يحتوي Menemen ، على نحو 3000 دار وقصر ، 29 جامعا ومسجدا .

أزمير ، مركز لواء صيغلا البحري لإيالة البحر الأبيض ، ميناء كبير وقاعدة بحرية .

سميت المنطقة بهذا الاسم نسبة إلى صيغلا أوغلو علي بك أحد بكّات التركمان الذي فتح في هذه المنطقة من البيزنطيين في أواخر عهد السلجوقيين . للمدينة قلعتان إحداهما في الجانب البحري والأخرى في الجبلي . إيرادات الخزينة السنوية من ضريبة جمارك هذه المدينة تبلغ 000 200 ليرة ذهبية .

إن كلا من أورلا ، سنجق بورون ، قرة بورون ، جمعة آباد ، وترنده آباد ، نواح تابعة لقضاء أزمير المركزي . بالمدينة قناصل 7 دول أوروبية . فيها تجار كبار نّموا ثرواتهم أبًا عن جد . منهم مليارديرات مثل محمود أفندي ، حسن آغا ، كوجوك حسين آغا تتراوح ثروة أغناهم أوزون أحمد آغا ، بين 1000 إلى 2000 كيسه (وتعادل بالسعر الرائج حاليا مبلغ 0,9 إلى 1,8 مليار دولار) . بنى فاتح القلعة الحالية المشرفة على البحر . من أكبر مدن العالم التي تحتوي على 300 12 دار وقصر . عدد المسيحيين أكثر ، ويشكل الأوروبيون بينهم عددا ضخما . تحتوي على 15 جامعا ، 77 مسجدا ، 43 مدرسة ، 11 حماما عموميا ، نحو 600 قصر يحتوي على حمّام خاص ، 82 خانًا عمل كبير جدا ، 40 مكتبا ، مطبخ للمحتاجين ، 87 حنفية مياه مبنية وسبيل ، نحو 3000 دكان وما يقرب من 300 مخزن للبضائع ، نحو 200 حانة مشروبات ومقهى ، محل بيع البوظة (مشروب غير كحولي يستخلص من عصير بعض الحبوب) ، 70 معمل صابون و 20 مصنعًا للأصباغ ، سوق واحدة للسراجين ، معمل واحد للشمع . بناية عظيمة للجمارك وأبنية أخرى تناظرها . أسواقها شديدة الزحام ببشر من جميع الأقوام ، جلب بلطه جي محمود آغا الماء إليها من مكان على بعد 6 ساعات . أنفق الكثير على ذلك . وهو عمل خيري كبير . ترسو في المرفأ المقابل لكمر كخانة (بناية الجمارك) ، 200 سفينة ، تتجول سفينتان عسكريتان بصورة مستمرة للطوارئ ؛ الكل يعمل بالتجارة ، يشترون ويبيعون . نرى في سنجق بورنو (Alsancak) القلعة التي شيّدها كوبرولو محمد باشا . ترابط فيها حامية أزمير . تفرغ السفن الأوروبية حمولتها وتعود بعد تحميله مجددا ببضاعة أكثر من الذي جلبته . يمنع سيرها بين مرفئين عثمانيين فمثلا ، جميع السفن التي تنقل البضاعة من وإلى مصر يملكها المسلمون . يوجد في سنجق بورنو جامع محمد الرابع .

وبينما كانت أورلا وقرة بورون ناحيتين لقضاء أزمير ، فإنهما الآن قضائين في لواء صيغلا . أورلا ، عبارة عن 11 محلة ، 5 جوامع ، 35 مسجدا . أحد الجوامع هو جامع قيليج علي باشا .

جشمه ، قضاء آخر لصيغلا يقع على بوغاز ساقيز ومرفأ ساقيز لجزيرة مواجه له . له قلعة ، به 200 دار ، شوارعه مزينه بأشجار النخيل .
شيّدت القلعة والجامع بيازيد الثاني في 1518 .

ساقيز Sahiz ، هي الجزيرة الكبيرة المواجهة لجشمه (902كم٢) ، المرفأ والقلعة والمدينة التي تحمل الاسم ذاته تشرف على مرفأ جشمه وهي مركز لواء ساقيز البحري التابع لإيالة البحر الأبيض . يفصل الجزيرة عن الأناضول بوغاز ساقيز وتظل في قارة آسيا . وبينما عاشت مدة طويلة كإمارة (بكلك) تحت حماية العثمانية ، الحقت في 1560 من قبل بياله باشا ، مشير البحر الذي كان عائدا من حملة جربه Gerbe . يتقاضى الوالي (سنجق بك ، أمير اللواء) سنويا 000 700 آقجه راتبا و 000 10 ليرة ذهبية مخصصات . تحتوي الجزيرة على عدة قصبات أخرى و 25 قرية جبلية و 25 قرية رومية على الساحل تعمل بزراعة أشجار العلك (ساقز) . تصدّر أشجار العلك من الجزيرة إلى كل أنحاء العالم لعدم توفرها في مكان آخر . كثافة النفوس كبيرة جدا . تشم رائحة العلك في جميع أطراف الجزيرة . تقف بالجزيرة سفينتان حربيتان و 2000 1 جندي على أهبه الاستعداد . ترسل الجزيرة سنويا من ضريبة الجمارك إلى أستانبول مبلغ 4 ملايين آقجه . يستوعب مرفؤها نحو ألف سفينة . تحتوي القلعة على 100 2 دار ذات طابقين . كل البيوت يملكها الأتراك . تحتوي على جامع سليمان خان ، 5 جوامع ، ومسجد . يسكن الروم في الضاحية ويشكلون 40 محلة ، 5 محلات للكاثوليك ، 3 محلات لليهود ومحلتان للمسلمين وتحتوي على ما يقرب من 4000 زقاق ونحو 2000 دكان . فيها جامع بياله باشا وقيليج علي باشا . يسدد شعب ساقز ضريبة سنوية قدرها 28,4 مليون آقجه .

سيوري حصار ، **جمه آباد** ، **قنزيل حصار** ، **آيا سولوك** ، كلها مراكز أقضية في لواء صيغلا . يوجد في آياسولوك الواقعة في رأس خليج قوش آداسي الشمالي – الشرقي ، جامع آيدن أوغلو عيسى بك الخارق للعادة .

قوش آداسي ، قضاء آخر لصيغلا . يحتوي على 4 جوامع ، 5 مساجد ، 4 مدارس ، 7 مكاتب ، 7 حنفيات مياه مبنية ، وعلى منزل مسافرين أنشأه الصدر الأعظم داماد أوكوز محمد باشا به 80 غرفة .

Balat ، **Mandaliyat** ، **Ineabad** و **Soke** سوكة ، 4 أقضية أخرى لصيغلا . يقيم والي صيغلا في سوكة ، أكثر من إقامته في أزمير . صيغلا ، من الألوية المهمة جدا . يتقاضى الوالي (بكلربك) أمير اللواء البحري برتبة فريق أول 800 000 آقجه راتبًا ، و 20 000 ليرة ذهبية مخصصات سرية في السنة ، ويخضع له 2000 جندي و سفينتان حربيتان . تتكون من 17 قضاء ونواح كثيرة جدا . تحتوي سوكة على 1 100 دار ، 6 جوامع و 3 مساجد .

جزيرة استانكوي (Kos) ، قضاء في لواء رودس . استانكوي ، جزيرة رفيعة وطويلة وكبيرة نوعا ما ، تقع على مدخل خليج استانكوي (Kerme) ، على الجنوب – الغربي من بودرم . فتحت في 1522 من الفرسان . تحتوي على 4 نواح ، والناحيتان الأخريتان منها هما جزيرتا باشا و Kalimnos . يدير جزيرة استانكوي عقيد بحري ، يتبعه نحو 500 جندي وسفينة حربية واحدة . تحتوي قلعتها على 205 مدافع وجامع سليمان خان ، وفي الضاحية 3 200 دار ، 5 جوامع ، مسجدين ، 7 مكاتب ، تكية ، وليس بها مدرسة (دينية) . عبارة عن 26 محلة للروم و 8 للأتراك . تصنع النساء الروميات العرقي و الشراب في بيوتهن .

Rodos رودس ، لواء في إيالة البحر الأبيض . فتحه السلطان سليمان في 1522 في حملته الهمايونية الثانية . أرسل قبله فاتح أسطولا على دفعات لكن الجزيرة لم تسقط . لا توجد تشكيلات التيمار في اللواء . تتكون الجزيرة من 44 قرية وقصبة . يتسلم اللواء البحري راتبا قدره 870 000 آقجه . من أهم الألوية . ترابط فيه بصورة دائمة 4 قطع بحرية حربية . قاعدة بحرية كبيرة وإحدى أكبر قلاع الإمبراطورية . محيط القلعة 5 700 ذراع ، طول الأسوار 9 700 ذراع ، تركت في القلعة التي بنيت بحجر **Kufeki** بعض الفتحات التي أحدثتها قذائف سليمان خان من زنة 40 – 50 آقة للذكرى ، على

وضعها السابق و لم ترمم . إن الزنازين الموجودة في القلعة تحت الأرض وكأنها علب ، تشكل عبرة . كان الفرسان يحجزون فيها مايقرب من 12000 أسير مسيحي . لازالت كتابات الأسرى المسلمين تقرأ على الجدران . كتب أحد الأتراك المسنين ، أنه أسر منذ 40 سنة ، وأنه خلال هذه المدة لم يهمل ولا وقت من أوقات صلاته ، وتمنى أن يهب الله عز وجل له السعادة في الدار الآخرة .

وفي كتابة أخرى لتركي آخر كتب أنه وقع في أسر الرودسيين للمرة الثالثة . وكتب آخر أن الكفار استولوا على شحنة سفينتين من بضاعته ، وأنه بحار أسير منذ 30 عاما وأنه خلال هذه المدة ضرب 3000 عصا . وتقرأ في كتابة أسير آخر أن عينه فقئت لمحاولته الهرب ، وقلعت جميع أسنانه . وعلّق من يديه لمدة 3 أيام و 3 ليال . وكتابة أخرى دونها قاضي عسكر مملوك مصر سلطان اينال ، يذكر فيها أنه خلال مدة أسره قام بواجب الإمامة للأسرى .

تحتوي القلعة على نحو 700 مدفع . و جامع سليمانية ، داخل القلعة 3000 موضع رماية . الطاقة الاستيعابية للمرفأ ، 300 سفينة . يرسو فيها أسطول عثماني بصورة مستمرة . بإمكان مرفأ السفن الحربية إيواء 500 سفينة أخرى وبإمكان المرفأ الخارجي استيعاب 1000 قطعة من السفن . يحتوي معمل السفن ، على السفينة التي ركبها السلطان سليمان في حملته على رودس والمسماة يشيل ملك (وتعنى الملك الأخضر) مصبوغة باللون الأخضر ، تعرض على المتفرجين بعد سحبها إلى البر . وتحفظ فيه كذلك أشياء تاريخية أخرى . مخازن المعمل مليئة إلى آخرها بالأدوات البحرية . ينفى خانات قرم الذين تغضب عليهم الدولة ، إلى رودس . شيّد لهم فيها قصر يقيمون فيه ويدعون للدولة . بعضهم توفي فيها ، ودفنوا في جامع مراد رئيس . تحتوي على 20 محلة للأتراك ، و 4 للروم ، 2 لليهود و400 دار وقصر ، 10 جوامع ، 30 مسجدا ، 4 مدارس ، 17 مكتبًا ، 4 تكايا ، 4 حمامات ، 70 حنفية مياه مبنية . دفن بجوار قبر مراد رئيس ، بحارة مشهورون جدا . يسكن نحو 7000 رومي في Lindos ، المدينة الثانية في جزيرة رودس (341 1 م[٢]) . الجزر الاثنا عشر ، أقضية تابعة لرودس . إحداها جزيرة سنبكي (Sym) . توجد في الجزر قلاع ومرافئ . جزيرة بوسام Susam (Sisam ، Samos) كذلك مركز قضاء .

مديللي Midilli (Midillu بالبونانية : Lesbos) (1696 كم٢) لواء بحري في إيالة البحر الأبيض .

14ـ مورا :

مورا (643 , 21 كم٢) ، أصبحت إيالة بحرية مستقلة ، بعد أن كانت تابعة في البداية لإيالة روملي ، ثم لإيالة البحر الأبيض . تتكون من 7 ألوية : كردس Gordes (Korinthos) ، باللي بادرا (Patras) إينه بختي (Lapento) ، آيا مافـرا (Leukas) ، قارلي ايلي (Preveze) ، Manya و Mizistre . ومنها كردس ، باللي بادرا ، مانيا ومزسترة ، تشكل مورا ، وتبقي الألوية الأخرى خارج مورا .

وكذلك يبقى قضاء Megara للواء Gordos في Attika خارج مورا . جزيرة مورا تحتوي على 24 مدينة وقصبة يسكن الأتراك للدن الساحليه . بدأ فتح مورا على عهد يلدرم بايزيد . وفتح كاملها تقريبا بحملات مورا الهمايونية لفاتح ، إلا أن قواعد البنادقة البحرية لم يتم الاستيلاء عليها إلا في عهد بايزيد الثاني ، بل إن بعضها تم الاستيلاء عليه على عهد القانوني .

Gordos (Korinthos) ، مركز لواء . يقع على الرأس الجنوبي – الغربي للبرزخ الذي يصل مورا بـ آتيكا . يحتوي اللواء على 306 قرية ، نحو 3000 جندي . يحيط بقلعته سور طوله 000 14 ذراعٍ ، به 7700 موضع رماية . وبالرغم من وجود هذه القلعة ، اجتاز البرزخ بكّات تورخان أوغللري (بني تورخان) المغاوير مئات الدفعات ودخلوا مورا إعتبارا من عهد يلدرم . بالإمكان ملء البرزخ بالماء وبذلك تنفصل مورا عن آتيكا وتصبح جزيرة كاملة (تعتبر مورا حاليا جزيرة ، بواسطة قناة كورينثوس) . تحتوي على جامع فاتح و 6 جوامع آخر ، مسجدين ، 3 تكايا ، 7 مكاتب ، 700 دار ، ونحو 70 قصرا ذي حمام .

Kalavrata ، مركز قضاء في شمال مورا ، بين كردس وباترلس ، ذو 70 قرية ، يحتوي المركز على 420 دارا ، و جامع ، مدرسة .

Vosticse ، مركز قضاء كذلك .

Mora Kasteli (وتعني قلعة مورا) ، ناحية قضاء باتراس المركزي ، هي القلعة التي شيّدها بربروس خير الدين باشا ، وعلى الضفة المقابلة توجد إينه بختي . إن نار المدفعية الصادر من كليهما يقطع السبيل على مرور أية سفينة من الخليج .

Ballibadra (Patras) ، مركز الإيالة وأكبر مدينة في مورا ، تقع على الساحل الشمالي لمورا وعلى الساحل الجنوبي للخليج المسمى بالاسم ذاته . يقيم البكربك (الفريق الأول البحري أو الاميرال الكبير « المشير ») فيها أو في Gordos . في المدينة قناصل 6 دول أوروبية . تحتوي على 3 400 دار ، 4 جوامع ، 4 مساجد ، 4 مدارس ، 5 مكاتب ، 4 تكايا ، 3 حمامات ، نحو 40 قصرا يحتوي على حمام .

Helomic ، مركز قضاء ، يحتوي على جامع بايزيد الثاني .

Gastun (Gasṭuni) ، قضاء في لواء باتراس المركزي ، يحتوي على جامعين ، ومسجدين ومدرسة ، و 4 تكايا .

Fener (Mora Feneri) وتعني فنار مورا) ، مركز قضاء ذو 2000 دار ، و جامع ، و مدرسة . فتحه الصدر الأعظم قوجا مصطفى باشا في 1 500 .

Arkadya (Arkadia ، Kyparissia) قضاء في لواء باتراس المركزي . فتحه بايزيد الثاني في 1 500 من البندقية . يحتوي على 380 دار ، وجامعين ، ومسجد ، و مدرسة و تكية . أحد الجوامع ، الجامع الذي شيّده سليمان خان .

نافارين Navarin أو Anavarin (باليونانية : Pylos ، بالإيطالية : Navarino) ، ميناء ، قلعة وقاعدة بحرية على الساحل الغربي من شبه الجزيرة التي تقع في أقصى الغرب من بين أشباه الجزر الثلاث الصغار في جنوب مورا . فتحها بايزيد الثاني من البندقية في حملته الهمايونية لمورا . تحتوي على 913 دارا ، جامعي بايزيد خان ومراد الثالث وعدا ذلك جامع واحد و 3 مساجد

Moton (باليونانية : Methoni) ، على مقربة من جنوب نافارين ، قلعة ، ميناء ، وقاعدة بحرية . وعلى مسافة من جنوبها ، توجد جزيرة Sapienza التي يطلق عليها الأتراك اسم « جزيرة براق رئيس » Barak Reis التي استشهد فيها براق رئيس في

1499 . أجهز زميله كمال رئيس على الأسطول البندقي في هذا الموقع . فتح بايزيد الثاني Moton من البنادقة عام 1500 . تحتوي على جامعي بايزيد ومراد الثالث ، رصيف كاسر الأمواج لسليمان خان ، وفي قلعتها برج ذو 12 ضلعا ، 9 طوابق وذو 12 مدفعا ، بها 5 مساجد ، تكيتان ، مطبخان للمحتاجين ، مدرسة بايزيد و 950 دارا . أعاد المعمار سنان إنشاء كاملا لقلعتها تقريبا ، التي أنتقلت إليهم من البنادقة . مركز قضاء وقاعدة بحرية عثمانية كبيرة .

Koron ، تقع شرق Modon وتجاهها تماما . مركز قضاء آخر ، ميناء ، قلعة وقاعدة بحرية . من فتوحات بايزيد خان من البندقية عام 1500 . وعند سقوطها في أيدي البنادقة عام 1533 ، أدركها بربروس خير الدين باشا فورا واسترجعها . هو اللواء المركزي لمورا . له قلعة ذات موقع مستحكم ، 47 برجا ، 1900 موضع سلاح ، نحو 1300 دار وقصر ، جامع بايزيد ، جامع ، مسجد ، تكية ، مدرسة .

Kalamata ، قضاء في لواء مزستره . فتحها فاتح . تحتوي على جامع محمد الرابع ، وجامع آخر ، 9 كنائس ، و 800 دار . مشهورة عالميًا بزيتونها .

Andorese ؛ قضاء في اللواء ذاته ، وبه جامع بيازيد خان وجامع ، و مدرسة ، تكية ، 125 دارا .

Kritna ، مركز قضاء Petretna في اللواء ذاته . تحتوي على جامع بايزيد خان ، جامع ، مسجدين ، مدرسة ، تكية ، جسر واحد .

قلعة **Londar** ، ناحية اللواء المركزي ، تحتوي على جامع بايزيد خان ، مدرسة ، تكية

Mizistre ، هي مدينة Sparta للعصور القديمة . وقد سماها العثمانيون « Isparta ، Misehor ، Misistre ، Mizistre ، Mistra » . مركز إيالة . يتقاضى الوالي (أمير اللواء) سنويًا 000 219 آقجة راتبا و 000 1200 آقجة مخصصات . فتحها فاتح من الأمراء البيزنطيين . يحتوي اللواء على نحو 3000 جندي و 3 سفن حربية تحت أمر أمير اللواء البحري . طول أسوارها 9020 ذراعا ، ذات 8 أبواب . تحتوي على 600 1 دار ، جامعي فاتح وفتحية ، جامع ، 4 مساجد ، 7 كنائس ، 29 ديرا ، مدرستين ، 3

تكايا ، منزلين للمسافرين ، 5 خانات ، 380 دكانا ، معبد لليهود . نصف شعبها أتراك والبقية روم وقسم آخر يهود .

Bardonya ، مركز قضاء في مرستره ، يحتوي على جامع فاتح .

Benefse (Monemvasia) ، ميناء ، قلعة وقاعدة بحرية في جنوب - شرقي مورا ، على بحر الأرخبيل . وعلى أقرب نقطة إلى ميناء خانيا في كريت . مركز قضاء في لواء مورا المركزي . كان على عهد القانوني مركزا لأحد الألوية البحرية . يحتوي على 1 600 دار ، جامعي السلطان سليمان وفتحية للقانوني ، 3 جوامع أخرى ، مسجدين ، مدرسة .

Tana ، قضاء في اللواء المركزي ، به 500 دار .

Trapoliçe (Tripolis) ، قضاء في اللواء للمركزي في منتصف مورا تماما ، في شمال Sparta . فتحه فاتح من الأمراء البيزنطيين . يحتوي على نحو 1000 دار ، جامعين ، 6 مساجد ، مدرستين ، تكيتين ، مطبخ عمومي ، 14 حنفية مياه مبنية (جشمة) ، 160 دكانا ، قلعته فارغة .

Arhoz (Argos) ، مركز قضاء في شمال - شرقي Trapoliçe . يحتوي على قلعة ، جامع فاتح ، جامعين ، 10 مساجد ، مدرسة ، تكيتين ، 1045 دارا .

Anapoli (Nauplion ، Nauplia ، Napoli ، Mora Napolisi) ميناء في الرأس الشمالي للخليج الذى يحمل الاسم ذاته ، قلعة وقاعدة بحرية . مركز قضاء في اللواء المركزي . لم يتمكن من فتحها لا فاتح ولا بايزيد الثاني وفتحت على عهد القانوني من البندقية . سكنت في هذه المدينة أسر البحارة المشهورين الذين أنجبوا للدولة أميرالات عديدين ، يسكنون في قصورهم الشبيهة بالسراي . تحتوي على 1805 دار وقصر ، جامع سليمان خان ، جامعين ، 250 دكانا ومنشآت أخرى .

Zaranta ، قضاء في لواء مزستره ذو قلعة . هي منطقة مانيا Manya . المانيون قوم متوحش يتكلم اليونانية بشكل غريب . لايسكن المسلمون هذه المنطقة . جعلت مانيا لواء نحو عام 1666 .

15 - كريت

جزيرة كريت (8 379 كم^2) ، إيالة عثمانية منفصلة . تأسست هذه الإيالة مع فتح يوسف باشا خانيا في 19 / 8 / 1645 وأصبحت مركزا للإيالة . انتقل إليها مركز

الإيالة ، عندما فتح فاضل أحمد باشا كاندية في 27 / 9 / 1669 ؛ وفي 1850 نقل المركز إلى خانيا أيضا . فتحت كريت من البندقية ، بعد حروب دامت ربع قرن . يقدم أولياء جلبي الذي كان في الجزيرة خلال فتح كاندية ، معلومات وافية عن الإيالة التي كانت قد تأسست حديثا . تم إعمار الجزيرة في العصور التالية بشكل فائق وأصبح نصف سكانها مسلمين . عين في كثير من الأحيان وزير مستقل لكل من خانيا وكاندية بلقب « محافظ » واتخذت تدابير واسعة لحمايتها تجاه أي تعرض بندقي وأوروبي . إذ إن أوروبا بأسرها دافعت عن كريت تجاه العثمانية . وأنقل إليكم فيما يلي بعض السطور عن أولياء جلبي حول الوضع في 1669 :

Hanya (Hania ، Kanea) ، ميناء وقلعة وقاعدة بحرية . تقع على ساحل الجزيرة الشمالي – الغربي . يعسكر فيها تحت أمر الوالي الفريق الأول ، 500 1 جندي . مخصصاته السنوية 25000 ليرة ذهب . ورتبته وزير . يحتوي الميناء على 6 جوامع ، 7 مدارس (دينية) ، مكاتب (مدارس) كثيرة ، تكايا ، 6 حمامات ، خانات ، حنفيات مياه مبنية ، 520 دكانا ، شيّدت في الـ 25 سنة الأخيرة .

Suda ، ميناء وقلعة ، تستوعب 3000 سفينة قريبة لخانيا .

Aporkon ؛ مركز لواء . وقلعة خارج شرم Suda . يوجد في القلعة 500 جنديا .

Zibartma (باليونانية : Armyro) ، مركز لواء آخر . قلعة في الشمال قريبة إلى البحر ، تحتوي على جامع السلطان إبراهيم . يرابط في اللواء 5000 جندي وتحتوي على تشكيلات التيمار .

Retme (Resmo) مركز لواء ، ميناء وقلعة في الساحل الشمالي للمشرف على بحر ارخبيل الجزر ، ثالث مدينة في الجزيرة ، بها 3700 دلر وقصر . تحتوي على جامعي إبراهيم خان ووالده – سلطان ، و 4 جوامع أخر ، 9 مساجد ، مدرستين ، 3 مكاتب ، 3 تكايا و حمامين ، 10 مطابخ عمومية ، 10 حنفيات مياه مبنية ، 3 خانات ، و 150 دكانا . ازدهرت المدينة على يد فاتحها دلي حسين باشا .

عنادية Inadiye ، القلعة والمدينة التي أسسها دلي حسين باشا على مقربة من غرب كاندية . تحتوي على جامع سلطان إبراهيم ، 7 جوامع ، نحو 40 مسجدا ، 3 مدارس ،

5 مكاتب ، تكيتين ، 6 حمامات ، 7 خانات ، 2000 دكان ، نحو 7500 بيت بسيط . ترك الجيش هذه المدينة ، عند فتح كاندية ، قل شأنها وقل عدد نفوسها بسبب إنتقال سكانها إلى كانديه .

Kandiye (باليونانية : **Heraklion** ، بالإيطاليه : **Candia** ، **Megalokastron**) ، مركز كريت الجديد . أكبر مدينة فيها ، قلعتها وميناؤها . **Candia** ، هي في نفس الوقت الاسم الذي أطلقه الإيطاليون على جزيرة كريت التي سماها اليونانيون « **Kreta** » والعرب « اقريطش » . تقع على الساحل الشمالي من الجزيرة وفي منتصفها وعلى مسافة منها جزيرة **Dia** الصغيرة . فتح كوبرولو – زاده ، هذه الجزيرة الشديدة المنعة التي دافعت عنها أوروبا بأسرها بعد أن أسس تحت الأرض وحول كاندية مقر جيش – مدينة عظيمة تحتوي على 160 مسجدا ، واغتنم معدات حربية وافرة تملأ مدينة كامله . قلعتها ذات 12 770 موضع سلاح . وتحتوي على مصنع سفن عظيم ومعملين مدهشين للمدافع والبارود ، وجامع السلطان محمد خان الرابع ، بناء بيزنطي . كان جامعا على عهد العرب وأصبح كنيسة مرة أخرى بعد استرجاع البيزنطيين له ، وكاتدرائية على عهد البنادقه ، ثم عاد الآن وأصبح جامعا . مساحته 250 × 100 ذراع وإرتفاعه 40 ذراعا . وعدا جوامع تارهان – والده ، إبراهيم خان كوبرولو – زاده ، شيّد خلال مدة قصيرة 8 جوامع ، 71مسجدا ، 70 حنفية مياه مبنية ، حمامان ، 9 مدارس ، 9 مكاتب ، 17 تكيه ، 3 منها تكايا بكتاشية وإحداها تكية أوقجولر . كانت تحتوي عند فتح المدينة على 1 700 دكان . شيد فيها الآن 3 أسواق ذات 150 و 50 و 30 دكانا . فيها أيضا 68 مخزنا لخزن البضائع ، 17 خانا ، 10 مقـاه ، 20 بوظه خان (معمل صنع البوظه ، مشروب غير كحولي يصنع من عصارة بعض الحبوب) .

في المدينة الآن حركة نشطة لإنشاء الابنية الجديدة وإصلاح القديمة المنهدمة . وتحتوي على 4000 دار وقصر وتحتوي على نحو 9 000 بئر ماء ونحو 7000 خزّان مياه تحت الأرض . تركها الآن عدد كبير من الإيطاليين وخرجوا منها . ظل الروم ومحلة يهودية واحدة في أماكنهم . وقبل عهد فاتح كان يسكنها 20 محلة للإيطاليين الكاثوليك ، 20 محلة للأرثوذكس الروم . تم وضع اليد على الكنائس الكاثوليكية فقط من بين 172 كنيسة وديرا . وتركت الكنائس الإرثوذكسية على وضعها . يمنح واليها (بكلر بك) الذي بمرتبة وزير ،

راتبا قدره 1 270 000 آقجه . قسمت الجزيرة إلى 5 ألوية و 20 قضاء . وبهذا الشعب الرومي المحلي بالتسجيل في دائرة النفوس فردا فردا . تحتوي على 861 قريه ، 200 قصبة و 25 قلعة مليئة بالجنود .

Kisamo (Kisamos Kasteli « قلعة كيساموس ») مركز لواء ، قلعة وميناء يقع في أقصى الشمال – الغربي من الجزيرة . شيّد فيها كل من محمد الرابع وكوبرلو – زاده جامعا . يتبع اللواء 84 قرية .

Isfakya (Sphakia) ، مركز لواء ، قلعة وميناء في الجنوب – الغربي . هو الموقع المهم الوحيد في جنوب الجزيرة المشرف على البحر الأبيض .

تحتوي الجزيرة على 3 مناجم نحاس ، منجمي فضة ، 7 ملاحات ، 40 منجم نترات البوتاسيوم ، 4 مناجم شب ، 7 مناجم كلس وحجر الكلس ومنجم واحد لكل من الذهب ، والحديد ، والرصاص ، و الزرنيخ ، و الزفت ، الكبريت ،

استغلت جميع هذه المناجم وجدّدت عقودها مع الدولة . وتحتوي الجزيرة على نحو 8000 طاحونة قريبة ، 71 000 خلية نحل ، 41 000 حظيرة مواشي ، نحو 160 000 حقل ، مايقرب من 200 000 مزرعة كروم وحدائق ، 2800 حصان ، 70 000 بغل ، 400 000 حمار ، 263 000 رأس بقر وجاموس ، 280 جملا و 600 000 رأس غنم وماعز . أجري تعداد النفوس في الجزيرة ، فبلغ 324 000 عدا الأطفال الذين لم يبلغوا سن العاشرة .

كانت نفوس الجزيرة أكثر في السابق ، واتضح أن نحو 7000 رومي اهتدى إلى الإسلام خلال الـ 25 سنة الأخيرة .

16 – أناضول الغربية .

إيالة اناضولي ؛ هي نواة للإمبراطورية العثمانية . تكونت الدولة في 1326 واتخذت بورصة مركزا لها (مدينة العرش) . واعتبارا من 1360 حتى 1451 اتخذت أنقرة مركزا للإيالة . نقل فاتح عند اعتلائه العرش مركز الإيالة من أنقرة إلى كوتاهية . وظل المركز في كوتاهية حتى العصر 19 . كانت حتى تشكيل إيالة روملي الإيالة الأولى في تشريفات الدولة ، ثم الثانية ، وعند تشكيل إيالتي مصر وبودين في 1517

و 1541 ، أصبحت الإيالة الرابعة في التشريفات وعندما خرجت بودين من حوزة العثمانية في 1686 ، أصبحت الثالثة . تغيّرت بين الفترة والأخرى الوية أقدم الإيالات هذه . في 1520 ، كانت 17 لواء : كرميان Germiyan المركز (كوتاهية خد اوندكار (بورصه) ، قوجا إيلي (أزميت) ، كاراسي (بالكسير) ، بيغا (جناقلعه) ، ساروهان (مانيسا) ، سلطان أونو (أسكي شهر) ، أنقرة (أنكرو) ، بولو ، قسطموني ، آيدن ، تكة (انطالة) ، منتشه (ميلاس) ، حميد (اسبارطه) ، قرة حصار صاحب (أفيون) ، جنقرى (كنكرى) ، علائية (آلانيه) . كانت كل من سقاريا ، زنغلداق ، سنوب ، نوشهر ، قيرشم ، بيله جك ، أوشاق ، دنيزلي ، بوردور .. اللواتي أصبحن اليوم ولايات ، عبارة عن أقضية تابعة للألوية المذكورة وأصبح بعضها بعد ذلك مراكز ألوية (مثل دنيزلي ، بيله جك ، سينوب ، اوشاق) . كان للوائي خداوندكار (بورصه) و ساروهان (مانيسا) ، مكانا متميزا بين هذه الألوية . إذ ان أولها كان الثالث في تشريفات الإمبراطورية وأخر مدينة عرش ، أما مانيسا ، فكان اللواء الذي يديره ولي عهد – شهزاده بالذات . قسم من إيالة أناضولي ، هو الأراضي التي فتحت من البيزنطيين – التي كانت الأراضي الأصلية لبني عثمان – أما القسم الأكبر منها ، فقد تكون بإلحاق الإمارات (بكلك) التركمانية ، وهذه الإمارات التركمانية ، كانت قد فتحت أراضيها – باسم بني سلجوق – من البيزنطيين أيضا . فتح بنو عثمان معظم المناطق القريبة من مرمرة ، بالذات من البيزنطيين . ومن ثم إبتداء من أمارة كراسي ، ألحقوا الإمارات التركمانية كبني كرميان ، ساروهان ، تكه ، آيدن ، منتشه ، حميد وآهي بإيالة أناضولي ، كألوية . ولو كانوا قد جعلوا كل إمارة من الإمارات التي ألحقوها ، إيالة منفصلة ، لكان من المحتمل أن تطول مدة أنصهارها مع بعضها ضمن إطار دولة موحدة . تمزقت في عهد التنظيمات تلك الإيالة العظمى ، التي تمتد من البحر الأسود إلى البحر الأبيض ، من مرمرة وإيجه إلى قيزيل إيرماق ، وتكونت على أراضيها 4 إيالات : خداوندكار (بورصة) ، آيدن (أزمير) ، انقرة وقسطموني Kastamoni . وظلت على الوضع ذاته حتى 1920

إيالة أناضولي ، أغنى الإيالات وأكثرها تقدما في الإمبراطورية . ولأحد أكثر الأقطار

تطوّرا بالنسبة لأقطار ذلك العصر . كانت مهدا للحضارات الكبرى طوال العصور التاريخية ، ويمكن القول إنها قد حافظت تقريبا على وضعها هذا حتى أواسط القرن 19 . وعاشت قمة دور عزها في عهد القانوني. ولايوجد اليوم قسم من القرى التي كانت موجودة على عهد يلدرم بايزيد (1389 – 1402) في سهل بورصة ، زالت (Dergisi Vakiflar ، 8 ، 39 ب) . كانت كثافة النفوس فيها كبيرة في العهد العثماني ، كما كانت عليه في العصور القديمة وفي عهد السلاجقة . أنقل إليكم فيما يلي بعض ما كتب أولياء جلبي الذي زار قسما من مدن إيالة أناضولي في أواسط القرن 17 :

بورصة Bursa ، مركز لواء خداوندكار . سميت المنطقة باسم « خداوندكار » إضافة إلى لقب مراد الأول . فتحها أورهان غازي في نيسان 1326 وجعلها مدينة العرش ، وبقيت كذلك حتى تموز 1402 . من أهم الألوية . راتب أمير لوائها 079 618 آقجة .

موداينا Mudanya ، أحد أقضية لواء خداوندكار . يحتوي على 3 جوامع ، 7 مساجد ، 3 خانات ، حمام .

أزنكميد Iznikmid أو أزميت Izmit ، ميناء مرمرة ، تقع في رأس الخليج المسمى بالاسم نفسه . مركز لواء قوجا إيلي . ربطت بإيالة البحر الأبيض (آقدنيز) عندما كانت لواء في إيالة أناضولي . إذ إنها لواء بحري وقاعدة بحرية . سميت المنطقة قوجا يالي نسبة إلى آقجاقوجا ، أحد بكات (أمراء) عثمان غازي الذي فتحها من البيزنط . شيّد مراد الرابع في المدينة سرايا هما يونيا . يحرسه 200 بوستانجي (حارس وبستاني فى نفس الوقت) . تحتوي على 3500 دار وقصر ، 19 محلة تركية ، 3 مسيحية ، ومحلة يهودية ، 23 جامعا ، ومساجد عديدة ، مدرسة ، تكية ، 1140 دكانا ، 200 مخزن لتخزين المواد الواردة إلى الجمارك كلية برتو باشا ، حمام رستم باشا ، جوامع محمد بك ، علاء الدين بك ، عبد السلام بك من بناء المعمار سنان .

يالوه Yalova أو يالاق آباد Yalakabad ، مركز قضاء في لواء خدلوندكار ، اشتهر بحمّاماته المعدنية الحارة ، يحتوي على 700 دار ، 7 جوامع ومساجد ، 3 خانات .

شيلة Sile ، قضاء قوجايلي ميناء ذو 600 دار .

آقجه قوجا Akeakoca مركز قضاء في لواء بولو ، به 600 دار . رصيف بحري لبولو .

أما سرا Amasra ، قضاء بولو ، ذو قلعة ، ميناء جميل .

إينه بولو Inebolu ، قضاء قسطموني ورصيفها البحري . قلعتها بناء جنوي مثل آماسرا .

سينوب Sinop ، مركز لواء ، ميناء على البحر الأسود . أقصى شمال الأناضول وتجاه قرم . قاعدة بحرية لها مصنع للسفن . استولى على قلعتها من بني أسفنديار أولا يلدرم ، ثم فاتح بعد آماسرا بدون قتال . لها 24 محلة ، أولو جامع أحد الآثار الفنية النفيسة الباقية من عهد السلاجقة ، جامع سليمانية ، 4 جوامع أخرى ، 15 مسجدا ، مدرسة علاء الدين كيكباد ، و4 مدارس أخرى ، ونحو 60 مكتبا ، مطبخ عمومي ، 1080 دكانا .

كبوزة Gebze) قضاء قوجايلي ، يحتوي على 1000 دار ، 3 جوامع ، 41 خانا ، 180 دكانا ، رصيفه البحري درايجه Darica . تحتوي كبوزة علي كلية الوزير مصطفى باشا الذي شيّد الجسر المسمي جسر مصطفى باشا والكلية بالقرب من أدرنه وقد شيّدها في بداية العصر 16 جامع الكلية الفخم ذو أنصاف القبب السبع وخاصة منزل المسافرين الذي شيّده والذي يستوعب 2000 حصان و 300 شخص ، يستحق المشاهدة . يقوم الخدم بتوزيع الطعام ونقله إلى غرف المسافرين دون مقابل . شرط الباشا الواقف ذلك في وقفيته مقدرا أن المسافرين يحتمل أن يكونوا|علي درجة من التعب بحيث لايمكنهم النزول إلى صالة الطعام . إلا أنه يصادف كثيرا أن يمر بأمثال هذه المنازل التجار الأغنياء جدا فيغدقوا على الخدم مبالغ كبيرة ويرمموا بعض أماكنها .

سابانجة Sapanca ، مركز ناحية في قوجايلي ، به 1000 دار . موّل كل من رستم باشا وبرتو باشا المعمار سنان في عهد القانوني وبنى لكل منهما منزلا عظيما للمسافرين .

يشتمل المنزل الذي أنشأه رستم باشا على 170 غرفة ، حمامات وأسواق .

خندق Hendek ، قضاء بولو . **دوزجه** Duzee ناحية قضاء بولو المركزي ، ويقال أيضال دوزجه بازاري . له جامع وخانان ، وهو من الأعمال الخيرية للوزير اسفنديار اوغلو شمسي باشا . الباشا الذي له جامع في أسكدار على البحر .

بولو Bolu ، مركز لواء . فتحه أوهان غازي في 1326 من أومور بك . فقد لفترة من الزمن ثم استرجع في 1354 . راتب أمير اللواء السنوي 122 300 آقجه ومخصصاته 5000 سكة ذهبية . تجهّز 3600 جندي تمارلي سباهي . يحتوي اللواء على 3 محلات ، 34 جامعا ومسجدا ، 7 خانات ، 1 بدستان (سوق التحف الثمينة) عدة مدارس ، 70 مكتبا ، 3000 دار ، 400 دكان . لاتسكنه الأقليات . جامعا مصطفى باشا وفرهاد باشا من هندسة المعمار سنان . معظم الأعمال الخيرية تعود إلى بني أسفنديار وبخاصة شمسي باشا .

كرده Gerede ، قضاء بولو ، يحتوي على 10 جوامع ومسجد ، 100 دار ، 3 تكايا .

جركش Cerkes ، قضاء جانقيري ، به 300 دار . شيّد فيها الوزير الثاني مصطفى باشا ، نديم مراد الرابع ، كروانسراي (منزل مسافرين) مكونا من 150 غرفه وسوق وقف به 100 دكان .

توسية Yosya ، قضاء قسطموني ، مدينة تحتوي على 3000 دار ، 340 دكانا ، 21 جامعا ومسجدا ، سوق للسلع الثمينة (بدستان) ومنشآت أخرى عديدة . فتحها مراد الأول ومن ثم جلبي محمد .

قلعة جك (Kalecik) ، قضاء جانقيري ، يحتوي على 220 1 دارا ، 18 جامعا ، ومسجدا .

أنقرة Ankara (Enguru) ، مركز لواء . راتب أمير اللواء 400 263 آقجه في السنة ومخصصاته 000 20 ليرة ذهب . يجهز اللواء نحو 3000 تمارلي سباهي . يحيط بقلعتها الواقعة على رابية سور طوله 6000 ذراع ، وبالقلعة 86 مدفعا . تحتوي المدينة على 6000

دار ، ونحو 200 قصر به حمام خاص ، 76 جامعا ومسجدا 18 تكية 170 حنفية مياه مبنية ، مدارس كثيرة ، نحو 180 مكتبا ، 2000 دكان ، ما يقرب من 200 سبيل ماء ، سوق للسلع الثمينة .

شوارعها نظيفة ومكسية بالحجر الأبيض . بالمدينة أكثر من 1000 حافظ قرآن . لها جامعان مشهوران لحاجي بايران وجنابي أحمد باشا (بناهما سنان) . يقيم في تكية حاجي بايرام أكثر من 300 درويش وشيخهم من أحفاد حاجي بايرلم . شعبها المحلي تركمان . وقد هاجر إليها عدد كبير من سكان البحر الأسود واستوطنوا فيها . يسكنها عدد من اليهود ، الأرمن ، الروم ، الغجر . ماعز مالطز (معز أنقرة « Angora ») يعيش في هذه المنطقة فقط ؛ لأنه يأكل ورق البرنار (شجر البلوط) وإن لم يتغذ بهذا الورق يتحول صوفه فى الحال إلى صوف الماعز العادي . عقوبة تهريب ماعز أنقرة إلى الخارج ، هي الإعدام وعلى الرغم من هذه العقوبة المشددة ، فإن الربح الكبير الناشئ عن ذلك أغرى الأوروبيين بتهريب الماعز ، إلا أنه من الملاحظ أن هذا النوع من الماعز إذا أطعم النبات المشابه للنبات الموجود في أنقرة . وتحوّل في الأقطار التي سيق إليها إلى ماعز ذي صوف اعتيادي . ولذلك ومن أجل الحصول على ربح بمقدار النصف ، اشتروا الخيوط المصنوعة من صوف الماعز (تيفتيك) أي صوف معز أنقرة المسموح بتصديره ، لكنهم لم يتمكنوا من نسج الأقمشة التي تحاك فى أنقرة ، ونسجوا القماش الأسود غير المموج الذي يرتديه الرهبان ، وهو قماش لا يمكن مقارنته إطلاقا بصوف أنقرة . أن صوف أنقرة المعمول من خيوط الماعز (تيفتيك) مشهور عالميا ، يهدى إلى الحكام . يمكن صباغة هذا الصوف بجميع الألوان وحياكته ، وهو نوعان : صيفي وشتوي . يرتدى رجال العلمية (رجال الدين) لدينا الألبسة المصنوعة كلها من الصوف (Sof) . ويمتاز بنعومة كالحرير ، رغم أنه صوف خالص .

آياش Ayas ، قضاء أنقرة ، يحتوي على 1000 دار ، 10 جوامع ومساجد .

بك بازاري Beypazari قضاء أنقرة ، بها 41 جامعا ومسجدا ، أكثر من 3000 دار ، 3 مدارس ، نحو 70 مكتبا ، 7 خانات ، 600 دكان يرجع الفضل في رفاهية المدينة إلى صناعة خيوط الماعز ، حيث تصنعها وتبيعها في كل مكان ، في السهول والجبال .

ورغم أن **نالي خان** Nalli han و **نازلي خان** Nazli han قريتان ، فإن نظيف باشا شيد في كل منهما منزلا للمسافرين لأنهما تقعان على طريق المسافرين . يحتوي كل من هذين المنزلين على 150 غرفة واسطبلات للحيوانات تستوعب 2000 حيوان كما أن بهما جوامع و حمامات وأسواقا .

كوينوك Coynuk ، من فتوحات عثمان غازي ، مركز قضاء في بولو بها 2200 دار ، 18 جامعا ومسجدا ، ونحو 20 مكتبا ، ولا توجد بها مدرسة . فيها قبر الشيخ محمد آق شمس الدين ، فاتح إستانبول المعنوي . دفن بجواره ابنه الصغير الشاعر الكبير حمد الله حمدي جلبي .

تاراقلي Tarakli من فتوحات عثمان غازى ، عبارة عن 500 دار ، 11 جامعا ومسجدا ، 5 خانات ، 6 مكاتب و 200 دكان .

كيوه Geyve ، فتوحات عثمان غازي ، مركز قضاء ، بها 300 دار . على مسافة قريبة منها على نهر سقاريا يوجد جسر بايزيد الثاني الكبير .

أيزنيك Iznik ، قضاء بورصة ، من فتوحات أورهان غازي . وعلى ساحل بحيرة إيزنيك ، توجد قلعته التي تحتوي على 366 برجا ويحيط بها سور طوله 6000 ذراع ، تحتوي على 1000 دار ، 26 جامعا ومسجدا ، 9 مدارس ، 46 مكتبًا ، 7 تكايا ، 7 مطابخ عمومية ، حمامين مزدوجين (للرجال والنساء) ، و 1 كروانسراي ، 7 حنفيات مياه مبنية ، 600 دكانا ، 7 معامل خزف . كانت قديما مدينة كبيرة ويتضح ذلك من آثارها ، وبمرور الزمن أنتقل شعبها إلى مدينة بورصة . وانتقلت صناعة الخزف إلى أستانبول وكوتاهية . احترق جامع أوهان غازي على عهد السلطان سليمان . شيده سنان مجددا . يرقد المتصوف والشاعر الكبير أشرف أوغلو رومي في زاوية من زوايا الجامع المسمى باسمه . جامعا فاتح روملي سليمان باشا ، وجاندارلي - زاده خير الدين باشا ، وكروانسراى (منزل) رستم باشا من بناء سنان ، تكية أشرف أوغلو تستحق الذكر . الأواني ، الصحون والأباريق الخزفية المصنوعة في إيزنيك مشهورة عالميا ، تشتري وتباع كتحف وهي ذات قيمة كبيرة .

بورصة يني شهري Bursa Yenisehri ولفكة Lefke (عثمان إيلي Osmaneli) ، قضاءان في لواء بورصة ، يتبع بورصة 70 قرية تحتوي على 600 دار ، 5 جوامع ومساجد و 4 خانات .

سوكوت Sogut ، ناحية لقضاء بيله جك ، بها 700 دار . أصبح قبر أرطغرل غازي الموجود فيها مزارا وطنيا . فتح أرطغرل غازي القصبة من البيزنطيين في 1231 واتخذها مركزا له .

إسكي شهر Eskisehir ، مركز قضاء في لواء سلطان أونو (بيله جك يحتوي على 18 محلة ، 800 دكان ، 7 تكايا ، 7 خانات وعدة مدارس . دخلت ضمن إدارة الدولة في 1280 .

سيدي غازي Seydigazi ، قضاء بيله جك ، من فتوحات مراد الأول . يرقد المجاهد الملاطية لي (نسبه إلى ملاطية سيد بطال غازي في قبره الموجود فيها . وبجواره تكية بكتاشية ، قبره مزار كبير جدا . كل موضع فى القبر مكسو بالفضة دون استثناء . له صندوق ضريح عظيم يبلغ 10 أذرع . يحتوي على 150 دارا ، يتبع هذا القضاء 76 قرية ، يحتوي على كروانسراي (منزل) مصاحب سلاحدار مصطفى باشا به 70 غرفة .

بولفادين Bolavadin ، قضاء تابع لولاية قره حصار . يحتوي على جامع رستم باشا من بناء سنان .

جانقيري Cankiri ، مركز لواء . يجهز 1500 جندي تمارلي سباهي . راتب ومخصصات أمير اللواء (سنجق بك) 781 350 آقجه و 5000 ليرة ذهب . يتشكل قضاؤه المركزي من 13 ناحية . من فتوحات يلدرم بايزيد . تحتوي المدينة على 4000 دار ، وجامع سليمان خان .

جاغا Gaga ، مركز قضاء تابع لبولو ذو 47 قرية .

مودورنو Mudurnu ، من فتوحات عثمان غازي ، تتبع قضاء بولو . بها أكثر من 3000 دار . فيها جامع يلدرم خان .

بازاركوي Pazarkoyu (أوهان غازي) ، قضاء بورصة ؛ به 1300 دار و جامعان وعدة مساجد .

إنكروجك Engurucuk (كوجوك أنقرة = أنقرة الصغيرة) تتبع قضاء بورصة ، من فتوحات عثمان غازي ، بها 1000 دار .

كملك Gemlik ، قضاء بورصة ، فتحها أورهان غازي من البيزنط في 1334 .

آبوليوند Apolyond ، قضاء بورصه ، بها ، 1000 دار ، آخر موقع فتحه عثمان غازي من البيزنط .

أولوباد Ulubad ، قضاء بورصة فتحه أوهان غازي في 1334 من البيزنط ، به 2000 دار .

كرماستي Kirmasti (مصطفى كمال باشا) ، تابع قضاء بورصة من فتوحات أورهان غازي من البيزنط عام 1342 .

ميهالج Mihalic (قره جه بك Karacabey) ، تابع قضاء بورصة . فتحها غازي مهال بك من البيزنط في 1342 . تحتوي على كلية قرة جه بك ، كروانسراي ، وجامع .

باندرمه Bandirma ، قضاء بورصة ، من فتوحات أورهان غازي من البيزنط عام 1342 ، ميناء فعال ذو 17 جامعا ومسجدا .

قابوداغي Kapidagi (إردك Erdk) ، تابع قضاء بورصة ميناء ، فتح غازي سليمان باشا شبه جزيرة قابوداغي من البيزنط . تحتوي على 1000 دار ، جزر مرمرة نواحي هذا القضاء .

إدينجك Edineik ، يتبع قضاء بورصة . ميناء في خليج إردك ، بها 2000 دار ، فتحها أورهان غازي من البيزنط . وتقع بحيرة مانياس في جنوب باندرمه . أطلق التركمان عليها هذا الاسم . مجال كبير للصيد حيث البحيرة مليئة بالأسماك . كما يجري صيد الطيور في الشتاء ، وفرة الطيور وتنوعها لا مثيل لهما في أي مكان في العالم . غير مسموح بالصيد دون موافقة الدولة وسداد الرسوم اللازمة ، كما أنه هنالك خطر على صيد بعض

أنواع الحيوانات .

Dimetoka (بيغا Biga) ، من فتوحات أورهان غازي من البيزنط . قضاء بورصة . أما **كونن**Gonen فهي ناحيتها .

إينه كول Inegol ، يتبع قضاء بورصة ، ذو 1000 دار ، و 60 قرية . فتحه عثمان غازي من البيزنط عام 1299 ، به جامع يلدرم خان واسحق باشا ، 3 مساجد ، مدرستان ، 3 مكاتب ، 7 دورات مياه يرقد اسحق باشا في ضريحه الكائن في كلّيته . **جوقورجه** Cukurea قضاء بورصة .

كوتاهيه Kutahya ، مركز إيالة أناضولي . يسمى لواها المركزي كرميان سنجاغي (لواء كرميان) . انتقلت من بني كرميان إلى بني عثمان في 1378 . يتقاضي والي أناضولي ، وهو بمرتبة وزير ، مليون آقجه راتبا سنويا . كانت أكثر اتساعا ، وهي الآن (1671) 14 لواء : كرميان (كوتاهيه) ، خداوندكار (بورصة) ، ساروهان (مانيسا) ، آيدن (قسطموني) ، بولو ، منتشه (موغلا) ، سلطان أونو (بيله جك ، اسكيشهر) ، أنكروا (أنقرة) ، قرة حصار صاحب (أفيون) ، تكه (أنطاليا) ، كانغري (جانقري) ، حميد (إسبارطة) ، كاراسي (بالكسير) . كانت سينوب لواء ، ثم أصبحت قضاء تابعا إلى قسطموني . أما لواء جانيك Conik سمسون (Samsun) ، فقد ارتبط بإيالة روم سيواس) . يوجد في الإيالة 4 موظفين بدرجة أمير لواء يطلق عليهم اسم مُسلّم (بضم الحرف الأول وفتح الثاني وشد الثالث) يرعون شئون الأتراك المهاجرين . وفي الإيالة 36 800 جندي ، منهم 13 800 تمارلي سباهي ، ويبقي 3000 مع أمير الأمراء (الوالي) بصورة دائمة . تتمكن الدولة في حالة الحاجة من تجهيز 90 000 جندي من هذه الإيالة ، إذ إنه من السهل جدا تسجيل 50 – 60 ألف متطوع كجندي . يذهب متطوعون كثيرون من شباب هذه الإيالة ، وبخاصة من الألوية الساحلية كمنتشه وآيدن ، إلى حاميات المغرب « مغرب أوجاقلري » (جزائر ، تونس ، طرابلس) ، للتسجيل كجنود بحارة (لوند) وانكشارية ، وتصبح لهم هناك مكانة وشهرة . يحد الإيالة شمالا البحر الأسود ، جنوبا البحر الأبيض ، غربا بحر أرخبيل ، الجزر أو إيالة البحر الأبيض شرقا– من الشمال إلى الجنوب – إيالتا روم

(سواس) ، قرة مان ورمضان (أدنة) . ينقسم لواء كرميان المركزي إلى 25 قضاء ، أما قضاء كوتاهية المركزي ، فينقسم إلى 10 نواح . يربط في قلعة كوتاهية 70 جنديا لإجراء المراسم ، ويوجد بالقلعة جامع كرميان أوغلو . المدينة كبيرة وبها 7000 دار . تحتوي على 28 محلة للأتراك ، 3 محلات لكل من الروم والأرمن . ولا يوجد يهود .

أن باشا سراي ، الذي يقيم فيه الوزير أمير الأمراء ، هو سراي بني كرميان القديم الذي أقام فيه بعض ولاة العهد العثماني . يحتوي على 360 غرفة وعدة صالات استقبال (ديوان خانة) ، ذو حمام وحديقة . يعمل فيه 40 خادما بصورة مستمرة لغرض التنظيف فقط . وتحتوي الإيالة على 11 جامعا ، 37 مسجدا ، 8 مدارس ، 70 مكتبا ، 3 مطابخ للمحتاجين ، 3 حمامات ، 23 سراي وقصر ذي حمام ، 17 خان عمل ، 70 حنفية مياه مبنية وسبيل ، 8 أبار مياه جوفية ، 3 كنائس للأرمن و 2 للروم ، سوقين للتحف الثمينة إحداها لكديك أحمد باشا ، سوق ذي 860 دكاناً (سوق سلطاني) .

مساحة أولو جامع 180 × 90 ذراعا ، بناه يلدرم بايزيد ، وأتم نواقصه موسى جلبي ، أما سليمان خان ، فإنه أمر سنان بإصلاحه . تم ترميم جامع كيخسرو في 1642 . جامع سليمان ـ شاه من مخلفات بني كرميان . (13 مسجداً من مساجدهم مكسية بالرصاص) . التكية المولوية . تكية كبيرة جدا من بين تكاياه الـ 6 . خان كابان ، ذو 12 عمودا ، رواقه ذو فسقيه وحوض ، كل غرفة من غرفه تحتوي على موقد ، به 200 غرفه ، تاريخ بنائه 1506 . أقضية لواء كرميان هي : المركز كوتاهية ، عنيد ، إكريكوز ، سيماو ، سيركه ، جاقيرجه ، كوكأويوك ، دنيزلي ، شيخلي ، بأقلان ، دازقيري ، سوما ، كنكر ، أوشاق ، بانلز ، هوناز ، أزنية جهاشمية ، داغاردي ، جال ، كركيفران ، افرنجيك طاوشانلي ، كموش ، عرموطلو Armatlu (Ermudlu) وآلطونطاش Altintas ذو 200 دار .

قرة حصار صاحب (أفيون Afyon) ، مركز لواء في إيالة اناضول . وسمي « قرة حصار » أي القلعة السوداء ، لميل لون قلعته إلى السواد ، ولتميزها عن القلاع الأخرى ، أضيفت كلمة « صاحب » ان أحد وزرائه المسمى صاحب عطا ، هو الذي عمر المدينة . ويقال « افيون قرة حصاري » أيضا لكثرة الأفيون في المنطقة . يرابط في المنطقة

200 4 تمارلي سباهي . راتب ومخصصات أمير اللواء 299 240 آقجه ، 100 كيسة .
ينقسم اللواء إلى الأقضية التالية :

المركز قرة حصار ، صندوقلي ، سنجانلي ، شهد ، جلة ، قيرامق ، جاي ، بيوك بارجن كوجوك بارجن ، أصلح السلاجقة قلعته التي شيدها البيزنط ، ثم أصلحت مجدّدا نحو عام 1570 ، يرابط فيها نحو 200 جندى . انتقلت المدينة إلى الإدارة العثمانية على عهد مراد الأول . تحتوي على 600 5 دار ذات حدائق وبساتين ، 1000 منها تقريبا يملكها المسيحيون ، 12 جامعا ، 3 مساجد ، 7 تكايا ، 5 حمامات ، مدارس ومكاتب ، سوقين للتحف الثمينة ، 2048 دكانا ، 19 خانا ، أكثر من 200 حنفية مياه مبنية وسبيل . جامعا علاء الدين كيكباد وهنكار داخل القلعة . تكيتها المولوية فخمة . يعمل 3000 عامل بالسراجة ، ويعمل عدد مماثل بصناعة الزيوت . مصنوعاتها من الجلود التي تمتاز بليونتها ، مرغوبة حتى في إستانبول .

شهد Suhud ، قضاء أفيون ، ذو 40 قرية ، 200 1 دار ، 9 جوامع ومساجد .

سنان باشا Sinanpasa ، مركز قضاء سبحانلي التابع لأفيون ، ذو 200 دار ، يحتوي على كلية سنان باشا .

صندوقلي Sandikli ، بقضاء أفيون ، 350 دارا ، جامع ، 3 مساجد ، له 70 قرية .

باناز Banaz ، قضاء في لواء كرميان ، قرية كبيرة ذات 100 دار ، كانت ناحية للعشاق ، أصبحت نحو عام 1660 قضاء ، ارتبط بها 40 قرية .

أوشاق Usak ، قضاء كرميان ، بها 3600 دار ، 4 جوامع ، 14 مسجدا ، حمامان ، 7 خانات ، 377 دكانا ، خان السلطان علاء الدين كيكباد شبيه بالكروانسراي (المنزل الكبير) .

كديز Gediz ، قضاء كرميان ، به 2000 دار ، 20 جامعا ومسجدا ، يحتوي على كلية دار السعادة آغاسي غضنفر آغا .

سيماو Simav ، قضاء كرميان ، به 200 1 دار ، 4 جوامع ، 13 مسجدا ، 255 دكانا ، ألولو جامع مخلفات السلاجقة .

دميرجي Demirei ، قضاء ساروهان ، يحتوي على أكثر من 3000 دار ، 7 جوامع ، 35 مسجدا ، 4 مدارس ، 10 مكاتب ، 17 حنفية مياه مبنية ، تكيتين ، 7 خانات .

جامعه الكبير من مخلفات بني ساروهان .

كولا Kula ، قضاء كرميان ، يحتوي على 1 200 دارا ، 24 جامعا ومسجدا ، 11 مكتبا ، 6 خانات ، لايحتوي على مدرسة .

آلا شهر Alasehir ، قضاء آيدن من فتوحات يلدرم خان من البيزنط ، يحتوي على 2070 دارا ، 24 جامعا ومسجدا ، مدرستين ، 16 مكتبا ، 9 خانات ، حمامين . وكلية يلدرم خان تحتوي على 70 دكانًا من 800 دكان ، يستخرج الأصباغ من النباتات بشكل جيد ، يصنع فيها أجود أنواع الصبغ النفطي (الأخضر الغامق) فى العالم .

سارت Sart ، قضاء ساروهان ، به 150 دارا .

كوردس Gordes ، قضاء ساروهان ، به 2 200 دار ، 3 جوامع ، 8 مساجد ، مدرسة ، 9 مكاتب ، تكيتان ، 6 حنفيات مياه مبنية ، 3 خانات .

قاياجك Kayacik ، قضاء ساروهان ، يحتوي على 300 دار ، و جامع ، و مسجدين .

آقحصار Akhisar ، قضاء ساروهان ، يحتوي على 2 600 دار ، 10 جوامع ، 37 مسجدا ، سوق تحف ثمينة ، نحو 1000 دكان ، 9 مدارس ، 23 مكتبًا . يحتوي على جامع سلطان علم ـ شاه .

كول مرمرة Golmarmara أو مرمرة ، قضاء ساروهان يحتوي على 1 200 دار ، 22 جامعا ومسجدا ، له قرية ، وفيه كلية لالا باشا .

طرغدلو Turgutlu ، قضاء ساروهان ، يحتوي على 1 500 دار ، 5 جوامع ، 16 مسجدا ، 11 حماما ، 3 خانات .

نيف Nif ، قضاء ساروهان . يحتوي على 1 200 دار ، 9 جوامع ومساجد ، حمامين ، قضاء نيف وهو نهاية لواء ساروهان غربا ، ويبدأ في الغرب لواء صيغلا (أزمير) التابع لإيالة البحر الأبيض .

مغنيسا Magnisa (مانيسا Manisa) ، مركز لواء ساروهان . كان هذا اللواء في السابق خاصا بولاة العهد ـ الأمراء ، كان ولي العهد يقدم منها إلى أستانبول ويعتلي

العرش . من أهم ألوية الدولة . راتب أمير اللواء 600 000 اقجه . تتبع هذا اللواء 500 قرية . يجهز اللواء مايقرب من 4000 تمارلي سباهي . له قلعة محاطه بسور طوله 6000 ذراع . مانيسا ، مدينة عرش بني ساروهان القديمة فتحت أولا على عهد يلدرم بايزيد من ثم على عهد ابنية جلبي محمد . مدينة كبيرة بها نحو من 700 6 دار . فيها قصور وسرايات كبيرة ، 105 جوامع ومساجد . وعند اعتلاء مراد الثالث الذي تقلد أمور الولاية فيها مدة 9 سنوات العرش في 1586 ، شيّد فيها جامع مراديه ذا المئذنتين ، انفق مبلغ 000 40 ليرة ذهب على طلائه الذهبي فقط . زجاجة من البّلور والنجف . أقامت حفصه والده _ سلطان ، أم القانوني مدة طويلة في مانيسا ، عندما كان ابنها يرعى أمور الولاية فيها . جامع « كوجوك والده جامعي » الذي شيّدته والدة الأمير شهنشاه ابن بايزيد الثاني في 1491 ، وجامع زال داماد محمد باشا ، يستحقان الذكر . تحتوي المدينة على 3040 حنفية مياه مبنية ، من بينها حنفيات المياه الموجودة في القصور والبيوت ، 6 من مدارسها تقدم دراسات في المدارس العالية ، المدارس الأخرى متوسطة الدرجة . كان لقسم الطب من المدرسة السلطانية ولطلابها ، مستشفى خاص بالأمراض العقلية « دار الشفاء » قسم حفاظ القرآن الذين أشرف عددهم في المدينة على 3000 ، كانوا من النساء والأطفال . تحتوي المدينة والمناطق القريبة منها على نحو 600 مكتب ويوجد أكثر من 100 خان ، 6 مطابخ للمحتاجين ، نحو 70 تكية . تكيتها المولوية فخمه ، 760 بناية سقوفها مكسوة بالرصاص . إن قبّة حمام حفصة سلطان ، مماثلة لقبب استانبول الكبيرة ، شيّد البناء بالمرمر الأبيض . يلجها ضوء النهار من خلال نحو 300 نافذة ذات زجاج بلوري ونجف . تحتوي على سوقين لبيع التحف الثمينة ، 360 3 دكانا ، مقاهيها الفخمة المليئة بالمغنين والمغنيات والفرق الموسيقية الشرقية ، الرقاصين ، المهرجين والشعراء ، مزدحمة بالبشر . جميع الشوارع دون أستثناء نظيفة ومرصوفة بالحجر الأبيض . لهجة وأخلاق ومعاملة الشعب ، كالشعب الاستانبولي تماما . يكرم أصحاب الدكاكين عملاءهم بتقديم عصير العنب (شيري) في أقداح خزفية صينية . يرى في جميع الدكاكين داخل المزهريات ، باقات من أجمل أنواع الزهور التي تبدل كل يوم . يعيش حاليا في المدينة 17 شاعرا من أصحاب الدواوين . ولا يعلم عدد الشعراء الذين ليست لهم دواوين إلا الله . الطرق المولوية منتشرة جدا .

الكل محب لمولانا . سراي مانيسا الهمايوني فخم ، أقام فيه العديد من السلاطين عندما كانوا أمراء (شهزداه) . إن ضريح ساروهان بك الذي فتح مانيسا من البيزنط مزار وطني .

برغاما Bergama ، مركز قضاء في لواء بورصة .

كوزل حصار Guzelhisar (آيدن Aydin) ، مركز قضاء في لواء آيدن . مدينة كبيرة . كان يقيم فيها أمير لواء آيدن ، ويقيم الآن بمدينة تيرة . تحتوي على أكثر من 6700 دار ، قصر ، سراي ، 56 جامعا ، ومسجدا ، 18 مدرسة ، 40 مكتبًا ، 9 خانات ، سوق تحف ثمينة ، 600 دكان ، 4 حمامات .

تيرة مركز لواء آيدن الحالي . من أهم ألوية الدولة . تجهز 3500 سباهي . يتسلم أمير اللواء سنويا 000 847 آقجه راتبا و 25000 سكة ذهبية مخصصات . ينقسم اللواء إلى 19 قضاء : تيرة ، فوانا ، بيوك برغاصو ، كوجوك برغاصو ، معدن ، بايندر ، بركي ، سارت ، باليامبولو ، كليس ، كوزل حصار ، كشك ، سلطان حصاري ، نازللي ، آرباز ، آماسيه ، إينه كول ، آلاشهر ، وقف . يتبع اللواء نحو 1000 قرية . تيرة ، مدينة كبيرة . تحتوي على 36 جامعا ، 8 مساجد ، مدارس عديدة ، 60 مكتبًا ، 270 حنفية مياه مبنية وسبيل ، 27 خاناً ، 13 حماما عموميًا أكثرها ذات أحواض ، 8 مطابخ للمحتاجين ، 2800 دكان . يشتغل الجميع بالصناعة والتجارة . تنافس أزمير . ازدحمت فجأة . تحتوي ضاحيتها ، قره قاضي وينيجه على حوالي 5000 دار . ويرى فيها أبنية فخمة ترجع إلى ياوز ، القانوني ، ووزراء العصر 16 .

بايندر Bayindir ، قضاء فى آيدن ، من فتوحات يلدرم خان ، يحتوي على 200 دار ، و جامع ، 3 تكايا .

بيركي Birgi ، يتبع قضاء آيدن . انضم إلى إدارة الدولة العثمانية عندما ألحق يلدرم خان إمارة آيدن . يحتوي على نحو 3000 دار ، 24 جامعا ومسجدا . شيّدت نحو من 3000 دار جبلية فى هضاب بوزداغ . وهو مصيف بيركي . كان مستوى التعليم في مدرسة بيركي فى القرن 16 ، عاليًا . شيّد آيدن أوغلو محمد بك اسكى جامع

قبر سلالة محمد بك موجود فى هذا الموقع ، فقد كان مدينة العرش لبني آيدن .

كولشن Gulsen (كوكجن Gokcen) ، قضاء آيدن ، ذو 20 قرية .

باليامبول Balyambolu ، قضاء آيدن ، عبارة عن 300 دار ، 7 قرى .

كشك Kosk ، قضاء آيدن ، يحتوي على 200 دار ، جامع ، ومسجدان .

دندرار . Donduran ، قضاء آيدن ، به 100 .

آن آماسيه Amasya ، **بوزدوغان** Bozdogan ، به 200 دار ، **آربان** Arpan ، **وسلطان حصاري** Sultanhisari ، به 300 دار ، وهذه أيضا 4 مراكز أقضية للواء آيدن .

نازللي Nazilli ، مركز قضاء كبير في ولاية آيدن . يحتوي على قلعة من مخلفات بني آيدن ، محاطة بسور طوله 6000 ذراع ، بها 3170 دارا ، 12 جامعا ، سوق تحف ونحو 2000 دكان . الحقت بإمارة آيدن في 1390 . ونازللي رازاري ، ناحيتها خارج المدينة ، ذات 300 دار ، سوق كبيرة جدا . تحتوي على خانين للعمل و 5 للمسافرين ، ودكاكين لاتحصى ، 300 منها تعمل كل يوم باستمرار .

قويوجاق Kuyucak ، قضاء آيدن . يحتوي على 1200 دار ، و جامع ، و 5 مساجد .

سراي Saray ، قضاء دنيزلي بها 200 دار ، جامع ، مسجدان ؛ ويسمى كذلك سراي قويو وازينه آباد . **هوناز** Honaz ، قضاء دنيزلي ، به 400 دار ، جامع ، مسجد .

دنيزلي Denizli ، وفي الوقت الذى كان فيه مركزا للواء ، ربط نحو 1660 ، بلواء كرميان كقضاء . يحتوي على 3600 دار ، 440 دكانًا ، 20 جامعا ، و 37 مسجدا ، 8 مدارس ، 7 مكاتب ، 11 تكية ، 6 حمامات ، نحو 100 قصر ذي حمام . مدرستان من مدارسها عالية المستوى .

عاشقلر Asiklar ، قضاء دنيزلي ، يحتوي على 450 دارا . **قيزيلجه بوركلو** Kizilcaborklu أو Kizilcaboluk ، قضاء آيدن عبارة عن 150 دارًا ، كانت سابقا تابعة لمنتشه .

تلكلي Telekli ، قضاء منتشه ، يحتوي على 300 دار ، و جامع ، و مسجد .

تاواس Tavas ، قضاء منتشه ، به 350 دارا ، 5 جوامع ومساجد ، 3 مكاتب ، تكيتان ، 6 زوايا (تكية صغيرة) ، يحتوي القضاء على نحو 300 مزرعة كروم

مغله Mugla ، مركز لواء منتشه . ألحقت إمارة منتشه على يد يلدرم خان بدون قتال عام 1390 . من الألوية الكبيرة . راتب أمير اللواء 800 400 آقجه . ويجهز نحو 3000 جندي سباهي . يحتوي على 2170 دارا ، 70 جامعا ومسجدا ، 200 دكان ، حمامين ، 7 مدارس ، 11 مكتباً ، 13 جسرا مشيّدا على مسافات متقاربة ، مطبخين عموميين للمحتاجين . يحتوي قضاؤها المركزي على 11000 مزرعة كروم . يدرس أكثر من 1 000 طالب وطالبة في مدرستها الابتدائية المسماة « شاهدي مكتبي » . المكاتب (المدارس) التي يصل عدد طلابها إلى هذا الرقم قليلة جدا ، وهي مدارس مرغوبة لتطبيقها الأصول التربوية للشيخ شاهدي . كل شعبها أتراك مشهورون بالرغبة في تلقي العلم ، وكثير منهم يذهب إلى إستانبول لإكمال تحصيله العالي .

أولا Ula ، قضاء منتشه ، به 2000 دار ، 19 جامعا ومسجدا ، مدرستان ، تكيتان ، حمامان ، 300 دكان . تقع كوك آباد على مسافة 3 ساعات وهي رصيف بحري لـ « أولا » .

يركسيغى Yerkesigi ، قضاء منتشه ، وبه 150 دارا و جامع .

بوزويوك Bozoyuk ، قضاء منتشه ، عبارة عن 150 دارا ، و جامع ، نصب سليمان خان ، في حملة رودس الهمايونية عام 1521 ، سرادقه الهمايوني في هذا الموقع ، واستقبل كل شعب منتشه وتحدث إليهم مجتمعين . تقلد الأمراء منصب الولاية في منتشه .

اسكى حصار قضاء منتشه ، به 280 دارا ، وجامعان .

ميلاس Milas ، قضاء منتشه ، به 1000 دار ، 3 جوامع ، مسجدان ، حمامان ، خانان ، 50 دكانا ، ومدرسة ، يتبع القضاء 75 قرية . كانت في السابق مدينة مهمة ويقال إنها كانت مقرا لبني منتشه . فتح بنو منتشه لواء منتشه من البيزنط . الجوامع الثلاثة الموجودة من بناء بني منتشه . وأصبحت **بجين** كذلك مركزا لإمارة

منتشه ، وحاليا هي ناحية ميلاس ، بها 120 دارا . توجد كلية عظيمة لمنتشه اوغلو غازي أحمد بك . **كمر** Kemer مركز قضاء في اللواء ذاته ذو 100 دار .

بودرم Bodrum قضاء في منتشه ، قلعة وميناء مقابل جزيرة استانكوي . كانت سابقًا لدى العثمانية ظلت عصرا واحدا لدى فرسان رودس استعيدت عام 1522 . آخر موقع تم الإستيلاء عليه من المسيحيين في الأناضول كلها . قلعته التي بها جامع سليمان خان ، الحقت بقضاء استانكوي البحري التابع للواء رودس العائد لإيالة البحر الأبيض ، وبقيت الضواحي في لواء منتشه ؛ ولذا فإن قاضي بودرم يقيم في كمر . كان الأسطول البندقي قد حاصر قبل عدة سنوات في حرب كريت 17 سفينة حربية عثمانية كانت راسية في ميناء بودروم التابعة لإمارة الجزائر ، وتبودل القصف المدفعي الشديد ، فانسحب البنادقة الذين لم يتمكنوا من الصمود تجاه نيران مدفعية الأسطول العثماني وقلعة بودرم ، بعد أن غرقت سفينتان من سفنهم وعادوا أدراجهم . لم تصب أية سفينة من السفن العثمانية ، غير أن أحد قوادها استشهد . انتشلت إحدى السفن الغارقة مع من فيها من البحر .

كليسه لي kiliseli ، قضاء منتشه ذو 47 قرية ويطلق عليها كذلك اسم Penice ، Zarahiye ، وبخاصة داتجه Datca .

كره مه Gereme قضاء منتشه ذو 47 قريه . **كوك أوفا** Gokova ، قضاء آخر ذو 70 قرية .

مرمريس Marmaris ، قلعة وميناء في قضاء منتشه .- قلعتها من بناء سليمان خان وكل الأعمال الخيرية الأخرى الموجودة في القصبة أقامتها والدته حفصه سلطان .

مكري Mekri ، قضاء منتشه ، به 50 دارا و جانع و 70 قرية . **آغير دوس** Agirdos قضاء منتشه به 100 دار .

فينيكه Finike ، مركز قضاء في لواء تكه ، قلعة وميناء ، بها 300 دار .

أكيردر Egirdir ، قضاء في ذات اللواء ، يقع في شرق فينيكه ، وهو ليس Egirdir الكائن في أسبارطه .

إلمالي Elmali ، قضاء في اللواء ذاته . يسكن فيه حاليا أمير لواء تكة بدلا من أنطالية . راتبه 328 000 آقجه ، تكة ، إمارة أخذها يلدرم خان من بني تكه عام 1391 بدون قتال . يقسم اللواء إلى 10 أقضية : المالي ، قاش ، قالقانلي ، فينيكه ، أكيردر ، آدريسان ، إنطاليه ، إيستانوس ، قيزيلقايا ، تكه قره حصارى . كانت قاش وقالقانلي ، قديما تابعة إلى منتشه . تحتوي المالي على نحو 900 8 دار بسيطة ، 32 جامعا ، ومسجدا ، 4 مدارس ، 77 مكتبًا ، 7 حمامات ، مطبخ عمومى ، 3 خانات ، نحو 300 دكان .

استانوس Istanos (قورقودايلي Korkuteli) ، قضاء تكة ومدينة العرش القديمة لبني تكة . تقلد منصب الولاية في تكه بعض الأمراء (شهزاده) من أولاد السلاطين . الكليّة مع الجامع الكبير من بناء السلطان علاء الدين كيكياد ، أصلحه قويوجو مراد باشا . كل السكان موزعون في الجبال على أطراف استانبوس ، ويوجد ما يقرب من 200 مسجد .

إسبارطه Isparta أو حميد آباد ، مركز لواء حميد . راتب أمير اللواء 000 200 آقجه . يجهز اللواء 400 5 جندي . يتسلم أمير اللواء مخصصات قدرها 15000 ليرة ذهبًا . كانت مدينة العرش لبني حميد ألحقت بالعثمانية على عهد مراد الأول . جامع فردوس بك ، من بناء سنان .

آداله أو **أنطاليه** Antalya ، ألحقت بالعثمانية في عام 1391 ، ميناء وقلعة في أقصى شمال خليج أنطاليه . مركز لواء أنطالية ، لكن أمير اللواء يسكن حاليا في المالي . أنتقلت قلعتها المحاطة بسور طوله 4400 ذراع من البيزنطيين إلى السلاجقة . لم يقم العثمانيون بإصلاحات في القلعة . تحتوي القلعة على 80 برجا . تبلغ إيرادت الخزينة السنوية من جمرك أنطاليه 7 ملايين آقجه . المرور البحري في طريق انطاليه ـ إسكندرية كثيف . لها 24 محله للأتراك ، 190 دارا للروم (الروم في إيطاليا لايجيدون التكلم بالرومية ، ويتكلمون التركية باللهجة القره مانية ، يحتوي على 11 جامعا ومساجد كثيرة جدا ، 9 مدارس ، 17 مكتبًا ، 7 تكايا ، 11 قصرا ذي حمام ، خانات كثيرة جدا ، نحو 500 دكان وأكثر من 200 جنفية مياه مبنية ، بها خان ديزدار جعفر آغا ، وهو في الحقيقة

منزل مسافرين ذو 600 غرفة . تكيتها المولوية كبيرة جدا . تحتوي على 8 حمامات عامة ، جامع علاء الدين كيكباد ، اسكي جامع ، 3 مدارس وبعض الأبنية الأخرى من مخلفات السلجوقيين . شيّد السلطان قورقود خان ، يني جامع عندما كان واليا عليها المنطقة مليئة بكثافة بأشجار التين ، والزيتون ، و قصب السكر ، و الرمان ، و السرو و الليمون والبرتقال .

تكه حصاري Teke Hisari ، مركز قضاء لولاية تكة ذو 70 قرية . فتحها السلاجقة من البيزنط كأنطاليا .

17 – أناضول الوسطى .

يحتوي قطاع أناضول الوسطى على إيالات ؛ روم (سيواس) ، قره مان (قونية) ، دلقادر (ماراش) و رمضان (أدنه) . يحدها شمالا البحر الأسود ، وجنوبا البحر الأبيض . وتغطي إيالة أناضولي الغرب تماما ، أما شرقا – من الشمال إلى الجنوب – فتوجد إيالات طرابزون ، أرضروم ، دياربكر . وبينما فتح السلاجقة وأمراء الحدود التابعون لهم والعثمانيون الأناضول الغربية ؛ فإن كامل أناضول الوسطى فتحت على يد السلاجقة أو قبلهم .

أسس فاتح ، إيالة قره مان ذات الستة ألوية (المركز قونيه ، قيصري ، ايجل (سلفكه) ، نيغده ، آقسراي ، بكشهري) . أسس ياوز إيالة دلقادر ، ذات 6 ألوية (المركز ماراش ، البستان ، عينتاب ، عُزير (بضم الحرف الأول) ، طرسوس ، أدنه) . كوّنت إيالة أدنة في العصر 17 وتقلّصت حدود إيالة دلقادر . ألغى القانوني إيالة أرزنجان التي أسسها والده ياوز وكون إيالة أرضروم بعد أخذه لواء من إيالة روم أيضا . إيالة روم (إيالت روميه ، صغري) التي تكونت في نهاية العصر 14 ، عبارة عن 8 ألوية (المركز سيواس ، آماسيا ، جورم ، جانيك (صصون) ، توقاط ، مالاطيه . ديوريكي ، كركر) (أصبحت كرر بعد ذلك كاهيا Kahya ومن ثم حصن منصور = لواء آدي يامان . نقل مركز هذه الإيالة في 1520 ، من توقاط إلى سيواس . فقدت أناضول الوسطى أهميتها في العهد العثماني بالنسبة إلى ماكانت عليه في عهد

السلجوقيين ، وبذلك فقدت رفاهيتها كذلك ، إذ إن أناضول الوسطى كانت نواة السلجوقيين . أما نواة العثمانيين فقد كانت أناضول الغربية وروملي . ازدهرت آماسيا كمركز ثقافي عثماني مهم جدا وبخاصة في القرن 15 . تقلد فيها منصب الولاية 7 شهزادات (أمراء من أبناء السلاطين) خلال الفترة 1393 _ 1559 والذين اعتلوا العرش من بين هؤلاء هم جلبي محمد الأول (والي في 1393 – 1403) ، مراد الثاني (والي في 1417 – 1421) ، فاتح (1437 – 1438) ، بايزيد الثاني (1457 – 1481) . الاثنان الأخيران هما ابنا القانوني أولو شهزاده مصطفى (1541 – 1549) وشهزاده بايزيد (1558 –1559) . ولد في آماسيا كل من مراد الثاني في 1404 وياوز سلطان سليم في 1470 .

أنقل فيما يلي عن أولياء جلبي بعض الملاحظات عن الأناضول الوسطى في أواسط القرن 17 :

بافره Bafra ، مركز قضاء في لواء جانك (سمسون) التابع لإيالة روم (سيواس) ، له جامعان .

سمسون Samsun ، مركز لواء جانك في إيالة سيواس . من فتوحات يلدرم خان . يقع على الساحل لكن ليس له مرفأ . له قلعة .

انيه Unye ، قضاء جانك . ناحيته فاجا (فطسه Fatsa) بها 300 دار . فونا (أوردو Ordu) قضاء جانك . ان كركواز Kerkevaz ذو 60 قرية ؛ **وعثمانجك** Osmaneik به 7 جوامع ومساجد و 10 خانات وهما قضاءان للواء جورم التابع لإيالة سيواس .

آماسيا Amasya ، مركز لواء في إيالة سيواس . راتب ومخصصات أمير لوائها السنوية 200 000 آقجه + 35000 ليرة ذهبية . تقسم إلى 12 قضاء : آماسيا ، وزير كوبروسي ، سمره ، زيتون ، كوموش ، بولاق ، مرزفون ، كركواز ، لادك ، فراى ، سنون آباد والوان جلبي . يحيط بالقلعة سور طوله 9000 ذراع . في آماسيا جامع يلدرم خان ، 48 محلة تركية و 5 أرمنيه وروميه ، وبها 56000 دار قصر

وسراي ، 2 سراي همايوني ، 240 جامعا ومسجدا ، 11 مدرسة ، نحو 200 مكتب ، 9 دور للقراء (الحفاظ) ، 40 تكية ، 5 كروانسراي ، 10 مطابخ عمومية ، 6 حمامات ؛ 3 منها مزدوجة (للنساء والرجال) ، سوق تحف ، 1060 دكانا ، 5 منازل مسافرين ، وخانات كثيرة جدا . أقام السلطان سليمان مدة من الزمن في آماسيا ، خلال سلطنته ، ومن آثاره العظيمة في آماسيا كلية بايزيد خان التي اكتملت في 1488 ، جامعه ذو المأذنتين والبالغ مساحته 100 × 100 ذراع ، مدرسته التي تقدّم التحصيل العالي ، مطبخه العام وأقسامه الأخرى أثر عظيم ، تكيته المولوية .

نيكسار Niksar ، قضاء في اللواء المركزي التابع لسيواس ، له 12 ناحية ، 3000 دار ، 500 دكان ، 9 جوامع ، 51 مسجدا . فيها جامع دانشمند أوغلوا مليك غازي ، وهو من بدائع الأسلوب القديم .

لادك Ladik ، قضاء آماسيا بها 3020 دارا ، 3 جوامع سلطانية ، 3 جوامع و 41 مسجدا ، 7 تكايا ، 7 خانات ، 6 مدارس ، 19 مكتباً ، مطبخان للمحتاجين ، وبها نحو 40 قصرا ، و400 دكان . بها جامع سلطان أحمد ، وهو من الأعمال الخيرية لابن بايزيد الثاني الكبير .

مرزفون Merzifon ، قضاء آماسيا ، وبها 4000 دار ، 74 جامعا ومسجدا ، عدة مدارس ، نحو 70 مكتبا ، 7 تكايا . قلعتها من أعمال دانشمندلي ، وبها جامع مراد الثاني ومدرسته .

كوبري Kopru ، وتذكر كذلك باسم وزير كوبروسي ، بسبب أن كبرولو محمد باشا بدأ بإعمارها اعتبارا من عام 1660 تقريبا . قضاء آماسيا ، تتبعها 140 قرية ، وبفضل كوبرولو ، ازدادت إلى 6000 دار . شيد فيها 11 جامعا ، 11 خانا ، ومطبخين للمحتاجين ، 48 مكتبا ، نحو 1000 دكان ، و مساجد وتكايا عديدة .

زيتون Zeytin ، قضاء آماسيا ، بها 2000 دار . و **كوموش** Gumus ، قضاء آماسيا ، بها 1000 دار ، 11 جامعا ومسجدا . وعلى مقربة من شمالها الشرقي ، كوموش حاجي كوي ، التي تستخرج منها الفضة ، من 7 عروق جوفية ومن 70 موقعا .

جورم Gorum ، مركز لواء في إيالة سيواس . يقبض أمير اللواء راتبا قدره 300 000 آقجه . يحتوي على 42 جامعا ، 300 4 دلر ، 40 قصرا ذي حمام ، 7 مدارس ، 11 مكتبًا ، 7 خانات ، 3 تكايا ، 18 حنفية مياه مبنية ، 300 دكان . والحقيقة أن جامع السلطان علاء الدين كيكباد ، هو الجامع الذي قام سليمان خان بإصلاحه ، وكلّف سنان بإعادة إنشائه بصورة كلية . يوجد في جورم جامع وكليّة مراد الزابع .

ألوان جلبي Elvangelebi ، قضاء آماسيا ، به 200 دار .

آقشهر Aksehir ، مركز لواء في إيالة قرة مان . يتقاضى أمير اللواء سنويا 190 500 + 000 800 آقجه راتبا ومخصصات . يرابط فيه 1300 جندي . في هذه المدينة قبر نصر الدين خواجا الذي طبقت شهرته أرجاء العالم .

إيلغن Iligin ، قضاء آقشهر . يحتوي على كروانسراي مصطفى باشا وعين المياه الحارة لعلاء الدين كيكباد . ماتَ فهيم (1627 -1648) - من أكبر الشعراء - في 21 من عمره أثناء عودته من واجبه كمستشار (ديوان افنديسي) لوالي (بكلزبك) مصر ودفن أمام محراب الجامع . كان صديقا مقربا لي .

قونيه Konya ، مركز إيالة قرة مان والعاصمة القديمة للسلاجقة وبني قرة مان . كثير من الأمراء (أبناء السلاطين) تقلدوا منصب الولاية في هذه المدينة . أشرفت قلعة قليج أرسلان على السقوط حاليا لعدم استعمالها . راتب الوالي 070 660 آقجه . يرابط في الإيالة 12000 جندي . يحدها من الغرب والشمال إيالة أناضولي ، ومن شمالها - الشرقي سيواس ، وشرقا ماراش ، وجنوبا إيالة أدنة ، ليس لها منفذ إلى البحر ، وهي حاليا 7 ألوية : قونيه ، آقشهر ، بيشهري ، نيغده ، اقسراي ، قيصري ، قير شهري . تقع المدينة في شرق مزارع كروم مرام . تحتوي القلعة على جامع علاء الدين كيكباد ، وجامع سليمان خان ذي المنارتين . أما الجوامع والمساجد والمدارس فإنها كثيرة تحتوي على نحو 170 مكتبًا ، وما يقرب من 40 تكية ، 11 مطبخا للمحتاجين ، 11 دارا للقراء (الحفاظ) ، 3 دور الحديث ونحو 340 قصرا وسراي ، 26 خانا للمسافرين ، وعدد كبير من الخانات التجارية ومنازل المسافرين ، سوق خف ، 900 دكان ، عدد كبير من حنفيات المياه المبنية ، 700 2 بئر ، ويوجد في قضائها

المركزي نحو 9000 مزرعة كروم وحديقة . آلاف من البيوت ، المساجد ، الخانات ، الحمامات منتشرة في مزارع كروم « مرام » . يصعب المرور بسبب كثرة أشجار الفواكه ، لدرجة أن شعب مو ـ ، يضل فيها . تكية مولانا من أكبر أماكن الزيارة في الدولة العثمانية . يقيم عندها شيخ الطريقة المولوية الكبير المسمى « جلبي » ويكون عادة من سلالة مولانا جلال الدين الرومي ، ولا يمكن لأي شخص أن يصبح شيخا لأية تكية مولوية مالم يحصل على إذنه . مما زاد في اعتبار هذه الطريقة ، كونها الطريقة الأكثر انتشارا لدى بني عثمان وكون كامل السلاطين تقريبا محبين للمولوية ، وزيارة الخاقانات السلجوقيين والعثمانيين لمرقده وإعلانهم خضوعهم له . صرف السلطان سليمان أثناء ذهابه إلى حملة بغداد ، 8 ملايين آقجة (380 مليون دولار) وجدّد التكية الحالية مع الجوامع بصورة كلّية ، وزين جميع أطرافها بالفضة والذهب والأحجار الكريمة . تعادل منزلة الجلبي في التشريفات العثمانية ، الوزراء ، ومع ذلك ، فإن وزراء وقضاة عسكر كثيرون ، يقبلون يد الجلبي . لا يرد والي قونيه أي رجاء للجلبي . يتولى الخدمة في التكية نحو 1000 درويش ، 300 منهم سماعزن (الراقصون بشكل خاص) . جامع سلطان سليم ذو المنارتين الذي يجاوره ، يتبع التكية . يوجد قبر الشيخ صدر الدين قنوي ، وهو ربيب الشيخ الأكبر محيي الدين العربي من زوجته ، بالقرب من التكيه . أكثر سلاطين السلاجقة في قونيه دفنوا في جامع علاء الدين . جامع سليمان الموجود في السوق من بناء المعمار سنان .

أركلي Eregli أو قونيه إركليسي ، أو قره مان إركليسى ، قضاء في لواء قونيه المركزي . فيه جامع صوقوللو محمد باشا ومنزل مسافرين رستم باشا ، وهما من أعمال المهندس المعمار سنان .

أولو قشلاق Uiukislak ، قضاء نيغده . يحتوي على كلية (مجمّع أبنية ومرافق) محمد أوكوز باشا ، ويحتوي على منزل مسافرين به 170 غرفة ، حوض اسطبلات للجمال والخيل ويوجد بها كذلك سوق وقف يحتوي على 300 دكان مبني بالحجر .

تنتهي إيالة قره مان في بوغاز **كولك** Kulek ، وتبدأ إيالة أدنة . توجد في البوغاز الموجود على جبال طوروس ، قلعة وجامع فاتح .

باياس Payas أو ياقاجك Yakacik ، مركز قضاء في لواء أدنة المركزي ، ميناء وقلعة . ويحتوي على كلّية صوقوللو وكروانسراي صوقوللو العظيم ، يحتوي على 1 150 دارا .

اسكندرون ، ميناء وقضاء في لواء حلب المركزي . إيرادات جمرك حلب السنوية تبلغ 7 ملايين آقجه . ترده وترسو فيه سنويا 200 سفينة عثمانية وأوروبية . وفيه نواب قناصل لـ 7 دول أوروبيه ويقيم القناصل فى حلب .

بلن Belen ، قضاء في لواء حلب المركزي ، به 700 دار .

مرج دابق (بالعربية مرج الدابق ، بالتركية دابق جايري) ، قضاء اللواء المركزي لحلب ، به 150 دارا . هو الموقع الذي هزم فيه السلطان ياوز سليم المماليك وقتل سلطانهم وأسر الخليفة .

أنطاكية ، قضاء في لواء حلب المركزي ، كانت سابقا مدينة كبيرة . قل عدد سكانها عند ازدهار حلب . وضع على قلعتها لغرض الزينة ، 20 مدفعا قديما . طول السور 48000 ذراع ، ويشير ذلك إلى وفرة عدد سكانها فى السابق .

(أسوار إستانبول تبلغ 87 000 ذراع . أسوار بغداد 51 000 ذراع . أسوار القاهرة ، شام ، حلب ، كفة وسلانيك أقصر من أسوار أنطاكية) . الحقيقة أن هذه المدن قد فاضت إلى خارج الأسوار تماما ، لكن ذلك يعطي لنا فكرة عن نواة هذه المدن . ترتفع الأسوار حتى 80 ذراعا . آخر من قام بإصلاحها المماليك ، أما العثمانيون فقد تركوا القلعة والأسوار على ماهي عليه ، إذ إنها صارت وسط الدولة العثمانية تماما وفي حماية من التعرضات الأوروبية . تحتوي المدينة على 8 سراي ، 10 مدارس ، نحو 40 مكتبًا ، 9 خانات مسافرين ، وكثير من خانات العمل والجوامع والمساجد ، وسوق فيه 300 دكان .

قيصرية (قيصري Kayseri) ، مركز لواء في إيالة قره مان . تناقص عدد سكانها عما كان عليه في عهد السلاجقة يجهز اللواء 5000 جندي . يحتوي على 1 600 دار وقصر ، و17 جامعا ، ومساجد كثيرة جدا ، و تكية مولوية عظيمة و تكايا أخرى ،

وسوقين لبيع التحف الثمينة ومنشآت خيرية أخرى كثيرة . يلاحظ أن آثار السلاجقة أكثر ؛ أولو جامع أثر سلجوقي . جوامع لالا باشا ، عثمان باشا ، حاجي باشا من بناء سنان . نشأ المعمار سنان فى إحدى قرى قيصري . لا يجيد الروم الموجودون فى المدينة التكلم باللغة الرومية ، ويتكلمون التركيه ومازالت بعض مدارسها تدّرس العلوم العالية

بور Bor أو بوربازاري Borpazari ، قضاء نيغده ، يحتوي على 7 جوامع ، 46 مسجدا ، 7 مدارس ، نحو 40 مكتبا ، 4 تكايا ، 12 منزلا للمسافرين ، سوق تحف به جامع علاء الدين كيكباد القديم وكلية صوقوللو .

اورطة كوي Ortakoy ، قضاء اقسراي يتبعه 36 قرية . اقسراي Aksoray ، مركز لواء في إيالة قره مان . به 23 محلة ، 5 جوامع ، 98 مسجدا . به جامع قره مان أوغلو إبراهيم بك ومدرسته ، وهما أثران جميلان .

البستان Elbistan ، قضاء اللواء المركزي لماراش ، مركز لواء سابق . آجتي ، قضاء ماراش ، به 1000 دار . **كورون** Gurun ، قضاء فى لواء سيواس المركزي ، وبه 1000 دار . **دارنده** Darende ، مركز قضاء في لواء سيواس المركزي ، به 1000 دار ، 7 جوامع ، ومساجد . **أولاش** Ulas ، قضاء فى اللواء ذاته ، به 500 دار .

سيواس Sivas ، اسمه الأصلي إيالت رومية صغرى (الإيالة الرومية الصغرى) ويسمى كذلك (إيالة أناضولي الصغرى وهو مركز الإيالة التي تسمى أيضا إيالة روم وإيالة سيواس . كانت مدينة توقاط مركز هذه الإيالة قبل عام 1520 ، يجهز اللواء المركزي 3133 جنديا سباهيا من مجموع الـ 000 10 سباهي الموجودين فى الإيالة . راتب الوالي (بكلربك) 000 900 آقجه . تنقسم الإيالة إلى 8 ألوية : سيواس ، توقاط ، آماسيا ، جورم ، بوزاوق (يوزغات) ، ديفريكي ، جانيك (سمسون) وعربكير . وبهذا تصل حدودها شمالا إلى البحر الأسود . يحدها غربا إيالة أناضولي ، شرقا إيالة أرضروم ، من الجنوب الغربي إيالة قره مان ، ومن الجنوب الشرقي إيالة ماراش ودياربكر . هدم تيمور قلعتها في 1400 ، ولانتفاء الحاجة إليها تركت بعد ذلك على وضعها . شيّد جلبي سلطان محمد الذي تقّلد الولاية فيها القلعة الداخلية . يشاهد في القلعة نحو 40 مدفعا قديما . تحتوي سيواس على 38 محلة للأتراك ، ومحلة

واحدة لكل من الروم والأرمن . بها 4600 دار وقصر ، عدد كبير جدا من المساجد ، المدارس ، نحو 140 مكتبًا ، 11 تكية ، 18 خانا ، و7 حمامات عامة كلها مزدوجة (للنساء والرجال) ، 18 قصرا يحتوي على حمام ، سوق كبير لبيع التحف فيه 1000 دكان . لم يبق ذلك الازدهار الذي كانت عليه سيواس في عهد السلاجقة . شيّد أولو جامع الذي تبلغ مساحته 200 × 200 ذراع ، شيّد السلطان قيليج ـ أرسلان الثاني ، كما شيّد قيزيل مدرسة في عام 1171 ، بها 80 غرفة في 7 طوابق وهي من بدائع الفن العماري السلجوقي . اشترط في وقفيته ، تقديم أنواع الطعام لطلاب المدرسة العالية على دفعتين وداخل 8 صحون فغفورية (خزف صيني) . ليس بالإمكان حاليا تحقيق ذلك الشرط . تكية عبد الوهاب غازي ، وقبر شيخ قره شمسي أفندي أماكن زيارات كبرى فى سيواس .

ديفريكي Divrigi (ديفريك Divrik) ، مركز لواء في إيالة سيواس . يحتوي اللواء على 2000 **جندي** ، 46 محلة . شيّد أولو جامع علاء الدين كيكباد وهو بمثابة القانوني بالنسبة لبني سلجوق . شُغل مرمره بالنقوش وُخرّم كما يخرّم القماش . ترك بعدها العثمانيون هذا النوع الدقيق من الزينة واعتبروه فنا عماريا مؤنثا .

أكين Egin (كالية) ، قضاء ديفريكي الذي تبدأ شرقه إيالة ارضروم . به نحو 1000 دار .

عربكير Arabgir ، مركز لواء فى إيالة سيواس يحتوي على 2000 جندي . الفرات الغربي ، يفصل بين لواء عربكير التابع لإيالة سيواس ولواء جميشكزك التابع لإيالة دياربكر . أما فى الجنوب فيبدأ لواء ملاطية التابع لإيالة مراش .

آريكوفا Arikova (آرتوفا Artova) ، قضاء في لواء بسيواس المركزي ذو 7 نواح .

بوزوك (يوزغات Yozgat) ، لواء فى إيالة سيواس يتقاضى أمير اللواء سنويا 300275 آقجه راتبا ، و 5500 ليرة ذهبًا مخصصات . يرابط فيه 1100 جندي سباهي ، لا يوجد في اللواء مكان آهل يمكن أن يقال عنه أنه مدينة . يقيم أمير اللواء في القصبة التي يرغب أن يقيم فيها ، يفصل نهر دليجه Delice ، لواء بوزوك عن ألوية أنقرة وقير شهري ، وفى الشمال ــ الغربي ، يقع لواء جوروم . يقسم اللواء إلى 9 أقضية : صورغن ، آقداغ ، حسين أوفا ،

بوداك أوزو ، قيزيل كوجالي ، بشكوزو ، كدك ، جبك ، قازاوفاسي صونغور انجي (صونغورلو) ، ناحية قضاء حسين أوفا .

زله Zile ، قضاء توقاط التابع لإيالة سيواس ، كان فى السابق تابعا للواء سيواس المركزي . يحتوي على 3000 دار ، 12 جامعا ، 24 مسجدا ، 7 مدارس ، 12 مكتبًا ، 3 حمامات مزدوجة ، 20 قصرا ذي حمام ، 4 خانات ، 800 دكان ، وسوق تحف .

إسكيلب Iskilip ، قضاء جوروم ، يحتوي على نحو 40 مكتبًا .

ملاطية Malataya ، مركز أحد الألوية الكبيرة التابعة لإيالة لقادر (ماراش) راتب أمير اللواء 500 000 آقجه . يحتوي اللواء على نحو 2000 جندي ، محيط القلعة 5 100 ذراع . تحتوي محلاتها البالغة 25 محلة للمسلمين و 7 للأرمن ، على 5 565 دارا ، 11 سراي ، 12 جامعا ، 20 مسجدا ، 7 حمامات ، نحو 200 قصر ذي حمام ، 7 كنائس أرمنية . ويشاهد على بعد 5 أميال نحو الجنوب جسر سلطان حسن ذو الـ40 قنطرة . كلية الوزير الثاني لمراد الرابع صاحب مصطفى باشا وبخاصة محطة إستراحة المسافرين ذات 170 غرفة التي شيّدها هو كذلك ، عظيمة . يحتوي مركز القضاء على 7800 مزرعة كروم و 600 بستان . استولى يلدرم خان على ملاطية في البداية ، من المماليك ، انتقلت ثانية إلى المماليك فى 1402 ، وفي 1516 ضمها ياوز إلى الدولة العثمانية .

توقاط Tokat ، مركز لواء فى إيالة سيواس وهو مركز الإيالة قبل 1520 . يُهبط من قلعتها البالغ محيطها 6000 خطوة إلى نهر يشيل إيرمق بواسطة سلّم مكون من 62 درجة . هناك جامع ملك غازي الذي انتقل من الدانشمنديين وأصلحه يلدرم ، خان وتوجد 10 جوامع آخر ومساجد كثيرة جدا . ومن الآثار الدانشمنديه العظيمة مدارس كوك مدرسة ، خاتونية وأولو جامع . مازالت المدارس تدّرس بعض العلوم العالية . أكبر تكية بين تكاياها العديدة تكية مولويخانة . توجد مئات من حنفيات المياه المبنية والأسبلة . و 1045 سراي وقصرا يحتوي على حمام خاص . وكذلك 11 حماما عاما ، كنيسة رومية وأخرى أرمنية . ومحطات استراحة للمسافرين تستحق الذكر أيضا .

ماناوغات Manavagat ، مركز قضاء في لواء علائية ، به 75 دارا ، جامع . له 40 قرية .

علائية Alaiye (آلانيا Alanya) ، مركز لواء إيالة آدنة الكائن في أقصى غربها ، سمي بهذا الاسم لفتحه من البيزنط على يد علاء الدين كيكباد . وضعت تحت تصرف أمير اللواء البحري الذي يتسلم سنويا راتبا قدره 250 000 آقجه ومخصصات قدرها 15000 ليرة ذهبا ، سفينتان حربيتان و 3000 جندي سباهي . يستوعب الميناء 2000 سفينة . قلعته على رابية مرتفعة جدا ومهيبة .. أعاد السلجوقيون بناءها . تحتوي على 83 برجا ، و 4000 حائط . له 5 أقضية (علائية ، ماناوغات ، آق سكي ، دوشنبه ، ايرادي) و 26 ناحية . قصبة كبيرة تحتوي على 1 100 دار ، 16 جامعا ومسجدا ، مدرستين ، 6 مكاتب ، 3 خانات ، حمام ، 150 دكانًا .

سلينتي Selinti (غازي باشا Gazipasa) ، قضاء صغير في لواء سلفكه (بكسر الحرفين الأول والثاني) ذو 26 قرية .

معمورية Mamuriyye (آنامور Anamur) قضاء سلفكه تتبعه 30 قرية وأقرب رصيف بحري أناضولي إلى قبرص . تسير سفن كثيرة بين قبرص وآنامور . **كونلر** Cunler (كولنار Culnar) ، قضاء سلفكه ذو 37 قرية و 200 دار .

أرمنك Ermenek ، مركز أحد الأقضية الكبيرة في لواء سلفكه (إيجل Icel) . له ناحيتان ، 70 قرية ، 800 دار ، 4 جوامع ، مساجد عديدة ، 3 مدارس ، 6 مكاتب ، 3 خانات ، حمامان ، 17 حنفية مياه مبنية ، تكيتان وتكية مولوية واحدة . كانت قديما تابعة لإيالة قره مان . من مراكز بني قره مان القديمة .

كافرآباد ، قضاء في لواء قونيه المركزي ، يحتوي على قلعة ذات 30 برجا ، و جامعين ، 8 مساجد ، 3 مدارس .

لارنده Larende (قره مان karaman) أحد الأقضية الكبيرة للواء قونيه المركزي . أحد مدن عرش بني قره مان ، إلا أن العثمانيين عند انتقال إمارة قره مان إليهم لم يسكنوها و سكنوا المدينة الكبيرة قونيه . تحتوي على قلعة يحيط بها سور طوله 7 000 ذراع ، 7 126 دارا ، 10

جوامع و 43 مسجدا ، 8 مدارس ، و مطبخين للمحتاجين ، نحو 70 سراي وقصرًا ذا حمام ، 23 حنفية مياه مبنية ، 470 دكانًا وأبنية أخرى مماثلة .

موت Mut ، مركز قضاء في لواء إيچل (سلفكه) ، به 157 دارا ، و جامعا و مسجدا . يحتوي على منزل استراحة للمسافرين (كروانسراي قره مان أوغلو إبراهيم بك) ذو 200 غرفة ذات مواقد .

زين شريف Zeyn Sherif ، قضاء فى اللواء ذاته ، به أكثر من 200 دار .

سلفكه Silifke أو سَلَفكه (بفتح الحرفين الأول والثاني) Selefke ، مركز لواء Icel في إيالة أدنة . قريب إلى البحر الأبيض . كان اللواءان البحريان علائية وسلفكه تابعين لإيالة قبرص ، وعندما أصبحت أدنة إيالة ضما إلى إيالة أدنة ؛ وارتبطت قبرص بإيالة البحر الأبيض كلواء . يتسلم أمير اللواء سنويا 000 470 آقجه + 000 10 ليرة ذهبا . يرابط فيه 700 1 جندي . يحتوي على قلعة ذات 23 برجا ، بايزيد ، جامع علاء الدين كيكباد ، وجامعين آخرين ومساجد عديدة .

مرسين أوغلو أو مرسين Mersin ، قرية تركمانية مكونة من 70 دارا ، تابعة لقضاء قره طاش التابع لولاية سلفكه (مدينة مرسين الحالية) .

طرسوس Tarsus ، مركز لواء في إيالة أدنة . يتقاضى أمير اللواء راتبا قدره 235 260 آقجه ، يرابط فيه 200 2 جندي . يتكون من 5 أقضية : شرقا طرسوس ، كاسون ، شمالا أولاش ، وغربا كوكجه لي وفي أقصى الغرب الوانلر (الوانلي) . ويحتوي على قلعة ، 15 جامعا ، ومسجدا ، 6 مدارس ، 7 مكاتب ، حمامين ، سوق تحف ، به 80 دكانًا ، وسوق به 317 دكانا .

أدنة Adana ، مركز إيالة رمضان أو أدنة . كانت سابقا لواء لإيالة حلب . تكّونت إيالة أدنة بأخذ لواءي (علائية وسلفكه) من إيالة قبرص ولواءي أدنة وطرسوس من إيالة حلب ، ولواء سيس (قوزان) من إيالة مرعش (دلقادر) . كان بنو رمضان حتى عهد ياوز ، يحكمون لواء ادنه تحت إشراف المماليك ، ولما أعلن هؤلاء الأمراء التركمان خضوعهم لياوز ، فإنهم بالإضافة إلى إبقائهم قرابة عصر كامل ، إلى بداية العصر 17 ،

كأمراء لواء على أدنة ، فإن كثيرين منهم أصبحوا ولاة (بكلربك) وأمراء (بك) على العديد من الإيالات والألوية العثمانية . تعتبر أدنة من الإيالات الكبيرة . يتقاضى الوالي سنويا 000 1095 آقجه + 15000 ليرة ذهبا . يجهز 3000 جندي سباهي ، وعدا ذلك فإن للوالي 200 من جنود المعية . تحد الإيالة الإيالات التالية ؛ غربا أناضولي ، شمالا قره مان ، شرقا دلقادر ، وجنوبا نحو الشرق إيالة حلب . جنوبا البحر الأبيض وشمالا جبال طوروس . لواء أدنة المركزي يشمل السهل المسمى جوقولوفا وينقسم إلى 11 قضاء : أدنة ، نور ، برندي ، ميسيس ، قورد قولاغي ، قينق ، صاريجام ، قره قشله ، دينداراي ، حاجيلي ، قره عيسالي (حقت) . تجهز الإيالة وقت الحرب 10000 جندي . لها قلعة ، وهي مدينة كبيرة تحتوي على 8720 دارا ، 5 جوامع ، 65 مسجدا ، 25 مدرسة ، 40 مكتبًا ، حمامين ، 17 خانا ، مطبخين للمحتاجين ، سوق رمضان أوغلو ذو 360 دكانا مبنيا بالحجر و 730 دكانا آخرى . ومما يجدر ذكره أيضا ، الجامع القديم في الكلية التي شيّدها رمضان أوغلو بيري محمد باشا في 1558 ، المدرسة ذات التحصيل العالي ومنزل للمسافرين به 120 موقدا . يصل طرفي المدينة الجسر الكائن على نهر جيحان والمزدحم ذو البرجين على طرفيه والبالغ طوله 550 ذراعا والمكون من 21 قنطره . قضاؤه المركزي ، يحتوي على نحو 11000 مزرعة كروم وحديقة . أسلوب الري ، الذي هو أحد أعمال بني رمضان الخيرية ، متفوق جدا ..

ميسيس Misis ، قضاء في لواء أدنة المركزي له قلعة ، 380 دارا . يحتوي على جسر جيحان الكبير الذي شيّده محمد الرابع في 1661 . كانت في السابق مدينة كبيرة . وعندما تطّورت أدنة ، نزح سكانها إليها .

سيس Sis (قوزان Kozan) ، مركز لواء فى إيالة أدنة . راتب أمير اللواء 299 260 آقجه + 3000 ليرة ذهبا . هو اللواء الشمالي للإيالة ، يجّهز 1080 جنديا سباهي ، يتبعه 70 قرية . كانت كثافتها السكانية كبيرة فى السابق . والآن عبارة عن هضبة وقرية . أمير اللواء يحكم التركمان المقيمين فى الهضاب .

اثنين Isneyn ، مركز قضاء Kinik التابع للواء أدنة المركزي ، تتبعه 48 قرية .

ماراش Maras (مرعش) ، مركز إيالة دلقادر أو ماراش . أحد مركزي بني دلقادر الذين تبعوا العثمانية منذ عهد يلدرم بايزيد (المركز الآخر البستان) وأسسوا روابط قرابة متينة مع بني عثمان . شغل بنو دلقادر مراكز مهمة فى إيالات وألوية الدولة الأخرى . راتب أمير الأمراء (بكلربك) 450 648 آقجه + 500 23 سكة ذهبية . تنقسم إلى 5 ألوية : ماراش ، عينتاب ، ملاطيه ، ساماد وقادرلي . تجّهز الإيالة 500 5 جندي يرابط فى لوائها المركزي 169 2 جنديا سباهيا » . ينقسم لواؤها المركزي إلى 12 قضاء : ماراش ، هاوسستول ، كورجينلك ، ينيجه ، زيتونيه ، برتيز ، كوينك ، يوروكان ، هارونية ، آندورون ، ألبكي ، نواهي . أصلح إبراهيم خان القلعة بعد سليمان خان في 1643 . توجد في جانبي القلعة أربعة تماثيل لـ 4 أسود مهيبة من الحجر الأسود . مدينة كبيرة تمتد على مسافة 7000 ذراع . تحتوي على 100 11 دار ، وقصر وسراي ، 28 مسجدا ، 11 مدرسة ، 40 مكتبًا ، مطبخين للمحتاجين ، 70 حنفية مياه مبنية ، 6 خانات ، 7 أسواق تحف و 1045 دكانا . إحدى مدارسها عالية .

بسني Besni ، قضاء في لواء ماراش المركزي ، يحتوي على 1040 دارا ، 10 جوامع ومساجد ، مدرستين ، 6 مكاتب ، 4 حمامات ، 75 دكانا . به قلعة وجامع سليمان خان .

عثمان ده ده Osman Dede ، قضاء عينتاب ذو 45 قرية ، 50 دارا .

عينتاب Ayntab (غازى عنتب Gaziantep) ، مركز لواء فى إيالة ماراش من فتوحات ياوز سلطان سليم من المماليك . يتقاضى أمير اللواء راتبا قدره 130 235 آقجه + 25000 ليرة ذهبية . يرابط في اللواء 2800 جندي ، ويحتوي قضاؤها المركزي على 107 قرى . مدينة كبيرة . لها قلعة ، تحتوي على 8067 دارا وقصرا ، 19 جامعا و 121 مسجدا، 14 مدرسة ، أكثر من 140 مكتبا ، سوقي تحف ، 900 3 دكان ، نحو 46 تكية ، مطبخين للمحتاجين ، نحو 70 حنفية مياه مبنية فى الشوارع (جشمة) . تحتوي التكية المولوية التي شيّدت في 1638 على 45 غرفة . قلعتها ذات 26 برجا ، ويمكن إحصاء 70 مدفعا بها .

كلس Kilis ، مركز قضاء فى لواء حلب المركزي ، مدينة مهمة . تحتوي على

4660 دارا ، 8 جوامع ، 22 مسجدا ، 7 مدارس ، 11 مكتبًا ، 9 حنفيات مياه مبنية ، 11 خانا ، 170 2 دكانا ، 40 مقهى ، 7 تكايا وأكثر من 20 قصرا ذا حمام . أكثرية الأعمال الخيرية أقامتها أسرة جان بولاد . تحتوي على قلعة .

18 ـ أناضول الشرقية :

تتكون هذه المنطقة في أواسط العصر 17 من 7 إيالات : طرابزون ، جلدر ، قارص ، وأن ، أرضروم ، دياربكر و رقّه (اورفه) . إيالتا دياربكر وارضروم مهمتان ، إيالة وأن متوسطة الأهمية والبقية إيالات صغيرة . كانت إيالات جلدر ، قارص ، طرابزون تمتد نحو قفقاسيا ، وأما إيالة رقّة ، فإنها تمتد نحو سورية والعراق . كانت هذه الإيالات السبعة واقعة بين جنوب ـ شرقي البحر الأسود سوريا والعراق ، وأناضول الوسطى وبين قفقاسيا وإيران .

على الرغم من أن جنوب ـ شرقي الأناضول خضع للحكم الإسلامى منذ القرن 7 ؛ فإنه توجد مناطق ـ كالمناطق المحيطة بطرابزون مثلا، لم يتم التحاقها بالأراضي الإسلامية إلا بعد فتح استانبول . ومن الممكن القول بأن أناضول الشرقية التي كَونت بصورة عامة ، مناطق متطوّرة في العهد السلجوقي ، أخذت تفقد أهميتها في العهد العثماني . يرجع هذا الوضع إلى وجود إيران شيعية ، تقطع ارتباط أناضول الشرقية بالشرق . أما في أواخر العصر 19 ، فإنه نتيجة تغير الطرق التجارية العالمية بصورة كلّية ، أو ربما الشغب والاضطرابات التي قام بها الأرمن بتحريض روسي وإنكليزي وفرنسي ، وأصبحت الأناضول الشرقية في عداد المناطق المتخلّفة . لقد أدى الوضع الجغرافي للمنطقة واتساعها ، إلى عدم إمكان استفادتها من وسائل المواصلات بالدرجة الكافية ، وهناك سبب آخر لتخلفها ، وهو عدم تمّكن الدولة العثمانية في هذه المنطقة ـ على عكس نجاحها في أقطار كثيرة أخرى ـ من القضاء على نظام القبائل والإقطاع والأغوات الشرقي الطراز جدا . بينما أخذت التكايا في روملي وأناضول القريبة سمة النوادي فقد كانت لها في أناضول الشرقية هوية أخرى .

فتح طرابزون فاتح في 1461 من إحدى السلالات الإمبراطورية البيزنطية ، ثم تبعت بعد ذلك إيالة روم (توقاط) كلواء ، حتى 1470 ، ثم أصبحت لواء مستقلا وتولى

إدارتها أولو شهزاده عبد الله (1470 – 1481) ، ثم أخوه ، شهزاده ياوز سليم – شاه (1487 – 1512) . كان اللواء يشمل ، عدا ولايتي طرابزون وريزه الحالية ، القسم الساحلي من آرتفين وشمال ولاية كموشخانه . وبعد إضافة لواء باطوم كذلك في 1512 ، تكّونت إيالة طرابزون أو باطوم . وفي دور التنظيمات ، أصبحت طرابزون إيالة تشمل كامل المنطقة الساحلية للبحر الأسود وجنوبها من آلاجام (داخله) إلى باطوم (داخله) . ازدهرت المدينة بتجارة الترانزيت ووصل عدد نفوسها في بداية القرن 18 إلى 180 000 نسمة ، ثم أخذت اعتبارا من هذا العصر في الضمور والتقّلص . كان بالإيالة في (1889) ، 690 1004 نسمة ؛ 986 194 منهم مسيحيون ، اللواء المركزي طرابزون 700 447 نسمة ؛ (975 334 أتراك ، 91000 روم ، 000 20 أرمن ، 200 1 أرمن كاثوليك ، 235 أرمن بروتستانت ، 290 أقليات أخرى) ، أما مدينة طرابزون فكان فيها 000 35 نسمة (500 19 أتراك ، 200 8 روم ، 6000 أرمن ، 300 1 أقليات أخرى) تعداد السكان في (1891) ، 315 45 نسمة).

أسس ياوز إيالة دياربكر عام 1515 من 12 ولاية (المركز ، ماردين ، سنجار ، بيره جك ، أورفه ، سيوه رك ، جرميك ، ارغاني ، خربوت ، عربيكر ، كيغيي ، جميشكزك) . أضيف إليها في 1526 ، ألوية موصل ، هيت ، دير ، رحبه ، عانه ، أما ميره جك ، فقد جعلت قضاء كسعرت وحسن كيفا . وأسس ياوز كذلك في 1515 ، إيالة ارزنجان من 8 ألوية (ارزنجان ، طرابزون ، بايبورت ، قره حصار ، كموشخانه ، كه ماه ، ترجان ، أسبير) . ثم ضم لواء طرابزون لإيالة أناضولي ، وأصبح بعد ذلك إيالة منفصلة كما كان في الفترة خلال 1512 ـ 1515 .

فصل القانوني بعد مدة شمال العراق عن دياربكر . وقّلص حدود الإيالة كثيرا وجعلها 23 لواء ، تشمل الولايات الحالية دياربكر ، بنكول ، طونجلي ، ألازغ ، أورفه ، ماردين ، بتلس ، حكّاري ، سعرت ، موش ومنطقة عربكير التابعة لملاطيه وعماديه الواقعة في جنوب حكّاري . كان أمراء اللواء المعينون من المركز يديرون منها 12 لواء (المركز ، كيغي ، جميشكزك ، عربكير ، أرغاني ، خربوت ، جرميك ، سيوه رك ، أورفه ، بيره جك ، ماردين ، سنجار) . و 11 لواء منها ، كان يديرها أمراء

(بكّات) الأكراد بصورة وراثية ومن قبل عائلة واحدة تسمى (يوردلك أو أوجاقلق) (بتلس ، جاباقجور ، بالو ، هزان ، جزره ، أكيل ، حسن كيفا ، سعرت ، شيراون ، ساسون ، عماديه ، حكاري) .

ألغى القانوني إيالة ارزنجان وأسس إيالة ارضروم (5 / 10 / 1535) ، وكان أول من تولى الإدارة (بكلربك) فيها ، هو ابن خال ياوز ، دلقادر أوغلو محمد باشا . تكّونت الإيالة من 12 لواء : ارضروم ، باسينلر (آفنيك) ، ليفانه (آرتفين) ، طرابزون ، قره حصار ، بايبورت ، ايسبير ، كيغي ، كه ماه ، ارزنجان ، جميشكزك ، أولطو . أسس القانوني في 1548 (آب) ، إيالة قارص ، وكان أول وال (بكلربك) عليها هو أخو محمد باشا وابن خال ياوز دلقادر أوغلو ميرزا - علي باشا (جد الشاعر الكبير نفعي لابيه) الذي صار فيما بعد واليا على تفليس أيضا . في 1548 ، أسس القانوني إيالة وان . وفي 1578 ، ارتفع عدد ألوية إيالة ارضروم إلى 22 لواء ، وإيالة وان إلى 15 لواء (وان ، عادل جواز ، بتلس ، حيزان ، شيروان ، أسبايرت ، مكس (بضم الحرفين الأول والثاني) ، أختمار ، وسطان (كواش) ، حكّاري ، الباك (باش قلعة) ، آغاكيس (أرجيش) ، كوتر الباقية حاليا لدى اذربيجان الجنوبية ، سلماس (دلمان) ، أورميه) .

أسست إيالة جلدر في 9 / 8 / / 1578 من 9 ألوية (المركز آخيسكه ، آخيلك ، آلطون قلعة ، أوسكخا ، ججرك ، اسبنجه ، خرطوس ، بوسوف ، جلدر . لم تفتح أقضية قارص ، طوزلوجه ، ايغدر ، آرالق من الصفويين ، إلا في 1583 ، بينما كانت حدود العثمانية تصل وقتئذ إلى أندونيزيا ، أفريقيا الوسطى وأوروبا الوسطى . ولم يتم الإستيلاء على آغري الحالية من الصفويين ، إلا في 1578 .. وفي غضون ذلك ، أسس العثمانيون مدينة جلدر وعمروا وأسكنوا بوجه خارص أرضروم وقارص اللتين خلتا من السكان . وعند انتهاء إعمار قارص في 20 / 10 / 1579 ، أعيد تأسيس إيالة قارص من 5 ألوية (قارص ، كوله ، كاغزمان ، مكزبرد (عرب جاي) و كجيفان) . وأعيد تأسيس إيالة طرابزون مجددا في 1585 ، وأضيف إليها ألوية إيالة أرضروم الواقعة على البحر الأسود .

يصف أولياء جلبي هذه المنطقة التي تلت 1640 كما يلي (خلاصة قصيرة جدا) :

كيره سون Giresun ، مركز قضاء كبير فى لواء طرابزون المركزى ، ميناء وقلعه .

طرابزون Trabzon مركز إيالة طرابزون ، قلعة وميناء على البحر الأسود . يجهز 3000 جندي . إيالة صغيرة ذات 4 ألوية : طرابزون ، باطوم ، كونيه و جنحه (كموشخانه) . تحتوى المدينة على 7 جوامع ، ومساجد كثيرة جدا ، يذكر منها جامع أورطه حصار لفاتح ، وجامع دلقادر أوغلو عائشة خاتون والدة ياوز (وهي مدفونة فى قبرها الكائن فيه) (ولد السلطان سليمان القانوني في طرابزون عندما كان والده أمير لواء فيه) . بها 9 مدارس ، قبور كثيرة ، 7 حمامات ، 245 سراي وقصرا ذا حمام . مركز كبير للتجارة والثروة السمكية والصياغة .

سرمنه Surmene ، مركز قضاء ذو قلعة في لواء طرابزون المركزي .

ريزه Riza ، مركز قضاء وميناء في لواء طرابزون المركزي فتحها السلطان محمد الفاتح مع طرابزون .

كونيه Gonye ، مركز لواء فى إيالة طرابزون . ميناء وقلعة بعد ريزه . من الألوية الصغيرة . تجهّز 1 100 جندي . جميع الساحل حتى نهر جورره Coruh تابع لهذا اللواء .

اسفكسر Isfekser ، قضاء فى لواء شرقي قره حصار فى إيالة ارضروم .

قويلحصار Koyulhisar ، قضاء فى اللواء ذاته . فتحه أولا يلدرم خان ، وبصورة نهائية فاتح من آقويونلو .

ارضروم Erzurum ، كلمة محورة من Erzen - i Rum وقيل من أرض روم Arz -i Rum أيضا . مركز إيالة . يتكون من 12 لواء : ارضروم ، قره حصار شرقي ، ملازغرت ، طورطم ، اسبر ، تكمان ، خنس (بكسر الحرفين الأول والثاني) ، ياسين ، كيغي ، قوزجان ، ميجنكرد ، ممروفان . راتب الوالي 1 200 000 آقجه . تجهز الإيالة 5269 جنديا « سباهي » ، ويبلغ مجموع ما تجهزهم مع الأصناف الآخرى 13000 جندي ، 2 500 منهم قابوقولو (الجيش العثماني الدائم غير الأجير الذى يتسلم راتبه من

الدولة رآسا) . تحتوى قلعتها على 180 مدفعا ملتصقا بعضها ببعض ، موضوعة على مسافات متقاربة . ارتفاع الأسوار 50 ذراعا . ذات 210 أبراج ، وجميعها تحتوي على مواضع لرمي الرصاص ، بها 2080 مانعا (بند) . بداخل القلعة 700 1 دار وتوجد في الضواحي 70 محلة للمسلمين و 7 للأرمن . يتكون باشا سراي ذو الـ 110 غرف من قصرين ، عدة صالات استقبال ، عدة حمامات واسطبلات . وتوجد 7 جوامع ، 70 مسجدا ، عدد كبير من المدارس ، 110 مكاتب ، تكايا وحنفيات مياه مبنية كثيرة جدا ، نحو 70 سبيل ماء ، 70 خان تجّار و 11 خان مسافرين ، سوق تحف ، دار مسكوكات النقود ، سوق كبير فيه 800 دكان ، وسوق آخر للصياغ وآخر للسراجين ، سوق السباهية ، وسوق القزّاز . مساحة أولو جامع 200 × 200 ذراع وهو من آثار آقويونلولر . يظهر أن المدينة كانت كبيرة على عهد السلاجقة ، و عندما تسلمها العثمانيون ، كانت عبارة عن أطلال خربة مهجورة . عمّرها وأسكنها مجددا سليمان خان .

حسن آباد Hasanabad ، مركز لواء فى إيالة ارضروم ، وكان يطلق عليه كذلك اسم حسن قلعه سي ، حسن قلعه و باسينلر . راتب أمير اللواء 124000 آقجه ، لواء صغير . يجهز 00 15 جندي . شيّد مراد الرابع فى قلعته قصرا خلال ذهابه لحملة روان . وقد مّر بهذا الموقع قبلها كل من ياوز والقانوني لغرض الاستراحة . يحتوي على 590 دارا ، نحو 700 جندي ، 9 جوامع ومساجد ، أحدها جامع سليمان خان . ولد فيه الشاعر الكبير نفعي .

خنس Hinis ، مركز أحد الألوية المهمة فى إيالة ارضروم . راتب أمير اللواء 484000 آقجه . يجهّز 2000 جندي . يحتوي على 200 1 دار ، 7 جوامع ومساجد .

آهيسكه Ahiska ، مركز إيالة جلدر . أقام والي هذه الإيالة التي انفصلت عن إيالة ارضروم ، في الموقع الذى شيّدته العثمانية المسمى جلدر وأقام كذلك في قارص ، وحاليا يقيم في آهيسكه . يتكون من 13 لواء : آهيسكه ، جلدر ، أولطو ، أردانوج ، أردخان ، شاوشاد ، هرتز ، هاجره ك ، بوستهار ، محجل ، بورته كرك ، ليفانه (آرتفين) ونيم ليفانه . كانت ألوية لورى ، برتك ، ساسن ، جكه لك ، هتاله ، ايسبير تابعة لهذه الإيالة أيضا . يتقاضى أمير الأمراء سنويا 000 400 آقجه راتبا + 000 3200

آقجه مخصصات . تحتوى الإيالة على 1060 قرية ، 1500 جندي سباهي ، 2000 جندي قابوقولو . أعطيت إدارة ألوية ساوشاد وليفانه إلى أمراء لواء ينحدرون من عائلة واحدة (بالتركية : أوجاقلق) . تتراوح رواتب أمراء اللواء بين 000 65 إلى 190 462 آقجه .
تقع مدينة آهيسكه (حاليا في كرجستان) على نهر كورا Kura (Kur) ، ذات قلعة ، 28 جامعا ، ومسجدا ، سوق تحف (بدستان) ، 100 1 دار و 300 دكان . وتقع Kutalis على مسافة مرحلتين نحو الشمال ، كانت سابقا مركز إيالة ؛ والآن هى مركز حكومة آجيقباش الكردية ، وهى كالإيالة كذلك تحت إشراف والي جلدر .تبعد تفلس عن آهيسكه ، مسافة 5 مراحل .

قلعة **هاجرك** Hacerek ، مركز لواء يقع بين آهيسكه و أرد خان وقلعة **بوستهار** Postahar ، كذلك مركز لواء وهي أيضا من فتوحات فاتح قبرص لالا مصطفى باشا في 1577 . قلاع **شاوشاد** Savsad ، وفي أقصى الجنوب ـ الغربي **آردانوج**Ardanuc و **محجل** Mahcil أو حــدجــي Avhatei كلها مراكز ألوية صغيرة .

أردخانArdahan مركز لواء آخر فى الإيالة . ويطلق عليها كذلك قره أردخان . راتب أمير لوائها 000 300 آقجه ، له 1000 جندي . قلعة جميلة .

أولطوOltu ، على نهر Oltu مركز لواء آخر .

برتك Pertek كذلك مركز لواء من فتوحات لالا باشا أيضا ، وهي من القلاع التي استولى عليها الصفويون من الكرج سابقا .

كوله Gole ، كانت مركز لواء يتقاضى أميرها 300000 آقجه وحاليا مركز قضاء .

ينكYenek ، على مسافة 8 ساعات نحو الغرب من كوله ، من فتوحات ياوز ، مركز لواء يتقاضى أميره 000 400 أقجه

مامردان Mamerdan ، على مسافة ساعتين من ينك ، قلعة أخرى فتحها لالا باشا ، وحاليا مركز لواء فى إيالة ارضروم . بها 800 دار . راتب أمير اللواء 000 203 آقجه

وتشكل خان ده ده سي ، الحدود بين إيالتي ارضزوم وقارص .

كيج قوان Geckovan ، مركز لواء صغير فى إيالة قارص يتقاضى أميرها 500 153 آقجه ، من فتوحات سليمان خان فى حملته إلى نهجوان . تجهّز 1200 جندي . تحتوي على 200 1 دار ، 50 دكانا ، 3 جوامع .

قارص Kars ، بينما كان لواء فى إيالة أرضروم ، ولفترة من الزمن في إيالة جلدر ، أصبح بين حين وآخر مركزا للإيالة . وحاليا مركز لإيالة صغيرة . راتب أمير الأمراء (الوالي) 000 600 . عبارة عن 8 ألوية صغيرة : قارص ، كغيزمان ، مغازبرد ، وريشان ، كجوان ، زلرشاد ، خوجه جان وكوجوك آردخان . يرابط فى الإيالة 3000 جندي ، 500 1 منهم فى قلعة قارص . يتبع اللواء المركزى ، 10 أقضية و 18 ناحية . شيّد لالا مصطفى باشا المدينة وجميع مافيها . طول محيط القلعة 700 5 ذراع ، وبها 2080 موضع رماية . وتحتوى على 200 3 دار ، 8 جوامع ، 39 مسجدا ، 7 مدارس ، 18 مكتبًا ، حمامين عموميين وسوق ذي 200 دكان . فى المدينة عدد قليل من المسيحيين الأرمن .

كاغيزمان Kagizman ، مركز لواء في قارص ، عبارة عن 700 دار ، ويرابط فيها 900 جندي .

مغازبرد Magazbird ، مركز لواء قارص من فتوحات سليمان خان ، به 600 دار ، يجري نهير Arpa أسفل قلعته . **زارشد** Zarsed ، مركز لواء قارص .

كموشخانه Gumushane وتعني باللغة العربية دار الفضة ، مركز في إيالة طرابزون . أطلق الشعب عليها هذا الاسم ، اسمها السابق جنجه Cenha أو جنجه Canea . حفرت الجبال والأحجار لاستخراج الفضة . هو أغنى منجم للفضة بين الـ 70 منجما العاملة حاليا فى الدولة العثمانية .

بايبورد Bayburd ، قلعة قضاء للواء ارضروم المركزي . فيها 300 1 دار . فتحها أولا يلدرم خان ثم فاتح من آقويونلولر ، وجلبوا 3000 شخص من تيره Tire وأسكنوهم فيها .

تورطم Tortum ، مركز لواء في إيالة ارضروم . يجّهز اللواء 6000 جندي . يحتوي

على 7 محلات ، 7 جوامع ومساجد ، 718 دارا ، 70 دكانا ، 10 مكاتب ، خانين ، ليس به مدرسة .

كاه ، مركز أحد الأقضية الكبيرة في لواء ارضروم المركزي ، به 600 دار ، 3 جوامع ، 8 مساجد ، قلعة ركز فيها 36 مدفعا قديما للزينة .

ارزنجان Erzincan ، مركز قضاء في لواء ارضروم المركزي . كانت لواء فى السابق ومركزا لإيالة قبل تأسيس إيالة ارضروم يحتوي على نحو 2000 دار ، قلعة ، 7 جوامع ، 63 مسجدا ، 7 تكايا ، عدة حمامات ، 11 خانا متوسط الحجم ، نحو 40 مكتبًا ، ويحتوي على سوق للتحف الثمينة . مكتبة تكيتها المولوية غنية جدا .

قره صار شرقي Karahisar - i Sarki (شبين قره حصار ، شرقي قره حصار ، دوغو قره حصار) ، يطلق عليها هذا الاسم للتفريق بينها وبين آفيون قره حصار . مركز اللواء الواقع في أقصى شرق إيالة ارضروم . فتحها أولا يلدرم خان ثم فاتح . يتقاضى أمير اللواء سنويا 130 000 آقجه راتبا + 1 600 000 آقجه مخصصات . لواء صغير يحتوي على قلعة ذات 50 مدفعا ، 1670 دارا ، 42 جامعا ومسجدا ، 3 تكايا ونحو 750 دكانا ، 4 خانات ، 7 مكاتب وسوق تحف . بداخل القلعة جامع فاتح .

نزب Nizip ، مركز قضاء فى لواء بيره جك فى إيالة رقه ، قصبة صغيرة .

بيره جك Bircck ، مركز لواء في إيالة رّقه (أورفه) . راتب أمير اللواء 220 295 آقجه . يرابط باللواء حوالي 2000 جندي وبه نحو 70 قرية تابعة لقضائها المركزي . ويحتوي على قلعة ، بها حوالي 1000 دار ، 11 جامعا ومسجدا ، ليس فيه مدرسة .

سروج Suruc (سرج Suruc) ، مركز لواء فى إيالة حلب . راتب أمير اللواء 277 900 آقجه .

أورفه Urfa ، مركز إيالة رّقه . فتح السلطان ياوز سليم كامل الإيالة من المماليك عام 1516 . وتسمى كذلك إيالة أورفه . اسم المدينة الأصلي رحا (بضم الحرف الأول) و « رحاوى » « Ruhavi » تعني « أورفه لى » أى من أهالى اوروفه ، وحّورت بلغة الشعب وبشكل خاطيء إلى « رحاوى » (بفتح الحرف الأول)

« Rehavi » . إيالة صغيرة . راتب أمير الأمراء 600 076 آقجه ، مخصصاته 20 000 سكة ذهب . تجّهز نحو 2600 جندي ، 1000 منهم في اللواء المركزي . تحتوي المدينة على 4 مفتين على المذاهب الأربعة . للإيالة 8 ألوية ؟ أورفه ، جماسي ، خابور ، رّقه ، درجه ، بني ربيعة ، رحبه ، بيره جك . بها 2620 دارا ، قصر وسراي ، 22 جامعا ، 67 مسجدا ، 5 مدارس ، 30 مكتبًا ، سوقان للتحف ، 400 دكان ، معمل سراجه . أكثرية الأبنية من آثار العرب السلاجقة والمماليك . إن الماء الذى انبثق من النار وقت أن كان النمروذ يريد إحراق إبراهيم عليه السلام ، حاليا حوض جامع خليل الرحمن . وهو موقع زيارة كبير للمسلمين يحتوي على تكية ، مطبخ للفقراء (عمارت) ، أوقاف غنية . تحتوي المدينة على 10 خانات ومنزل مسافرين ، حوالي 70 قصرا ذا حمّام ، 8 حمامات عامة .

كرك Kerek ، مركز قضاء في إيالة ماراش .

صمصد Samsad ، قضاء آخر لماراش قريب منه ، وصار مركزا للواء أحيانا .

حرّان Harran (**الطوق باشاق** Altinbasak) ، بينما كانت مدينة كبيرة جدا على عهد العباسيين ، أصبحت الآن ناحية وقلعة خربة على أثر تردّي طرقها المائية .

رقّه مركز لواء يقع في الصحراء قريب إلى الساحل الشمالي للفرات . وتسكن اللواء عشائر تركمانية وعربية .

قلعة جابر Cabir Kalesi ، تقع بين رقّه ومسكنه ، في الصحـراء وعلى الشمال ـ الشرقي من الفرات . مركز قضاء في لواء رقّه . قصبة صغيرة قرب القلعة والنهر . كامل المنطقة يسكنها التركمان ، ولا يسمحون للغريب بالقرب منها ، إذ إنها تحتوي على قبر سليمان ـ شاه الذي يقدسه التركمان ، ويطلق عليه كذلك « تورك مزارى » أى « القبرالتركي » .

بالس Balis ، مركز لواء في إيالة حلب . راتب أمير اللواء 000 280 آقجه . يحتوي اللواء على 1060 جنديا . يقع بين حلب ورقّه . على مسافة منزل واحد من غرب رقّه .

جولاب Gulab ، قضاء لواء اورفه المركزي ، به 1 000 دار .

سيوه رك Siverek ، شمال جولاب ، مركز لواء في إيالة ديار بكر . راتب البك (الأمير) 213 043 آقجه . تجهّز 12 00 جندي . لها قلعة . رحبة ، Rahbe ، مركز أحد الألوية الكبار في إيالة اورفه . راتب البك 600 000 آقجه . يرابط فيه 800 جندي سباهي وجنود آخرون . يصب الزاب الأصغر في دجلة من أسفل قلعته . جنوب الموصل ، لواء إيالة اورفه الواقع في أقصى شرقه .

جرميك Cermik ، مركز أحد الألوية في دياربكر . يتقاضى أميرها 299 400 آقجه .

كاهطه Kahta ، قضاء ملاطيه . إن **حصن منصور** (منصور قلعه سي) ، يطلق عليه التركمان اسم « آدي يامان » Adiyaman ، هو قضاء اللواء المركزي لماراش ، تتبعه 70 قرية .

خربوت Harput ، مركز لواء في إيالة دياربكر .. يجهز 2 200 جندي . قلعة جميلة من فتوحات بييقلي محمد باشا على عهد السلطان ياوز سليم (لم تكن مدينة معمورة العزيز = ألازغ Elazig التي أسسها السلطان عبد العزيز نحو أواخر العصر 19 ، موجودة في ذلك الحين) . يحتوي على أكثر من 1 000 دار ، 9 جوامع ، مساجد كثيرة جدا ، 6 مدارس ، مايقرب من 50 مكتبا ، 20 قصرا ذا حمام ، سوقين للتحف ، سوق ذي 600 دكان ويوجد كذلك سوق للسراجين .

برتك PERREK ، مركز لواء في ديار بكر . راتب أمير اللواء 380 000 آقجه . تجهّز 800 جندي .

ساغمان Sagman ، مركز لواء آخر في شرق برتك . راتب أميرها 369 057 آقجه . تجّهز 850 جنديا .

جميشكزك Cemiskezek ، مركز اللواء الواقع في أقصى غرب إيالة دياربكر . راتب أميرها 334 223 آقجه .

بالو Palu ، أحد مراكز الألوية في دياربكر يجهّز 2 000 جندي ، به 1 000 دار.

جاباقجور Capakcur (بنكول Bingol) ، مركز أحد الألوية في إيالة دياربكر ،

راتب أميرها 000 370 آقجه ومخصصاته 4 ملايين آقجه . يسكن في هذا اللواء نحو 000 200 من العشائر الرحل مع حوالى مليون رأس من أغنامهم .

كنج Gene ، مركز أحد الألوية فى دياربكر ويجهز نحو 000 1 جندي .

آتاك Atak ، مركز أحد الألوية الكبيرة في دياربكر ، يجهز 800 جندي ويتقاضى أميره 300 447 آقجه .

حازو Hazo (حزرو Hazro) ، مركز أحد الألوية في دياربكر يتقاضى أميره 000 200 آقجه ، وبه 500 جندي .

موش Mus ، مركز لواء في إيالة وان .

كيل Gil ، مركز أحد الألوية في دياربكر .

ارغني Ergani ، مركز أحد الألوية في دياربكر . به 3000 جندي .

مركز إيالة دياربكر ، هو **عامد** Amid (**دياربكر** Diyarbakir) ، ويطلق عليه التركمان اسم « قره عامد » (عامد الأسود) نسبة إلى قلعته المبنية بالحجر الأسود . مدينة كبيرة ، ظلّت في حوزة المسلمين منذ بداية االقرن السابع . فتح المنطقة والمدينة من الصفويين بأمر السلطان ياوز سليم في 1515 ، الوزير بييقلي محمد باشا وقد تكوّنت في الحال إيالة ، وأصبحت مركزها من الإيالات الكبيرة . كانت مساحتها أكبر من قبل تكوين إيالتي رقّه (أورفه) و وان . يتقاضى أمير الأمراء راتبا قدره 200 1 000 آقجه + 000 50 ليرة ذهبًا مخصصات في السنة ، ويتقاضى قاضيها راتبا قدره 500 آقجه في اليوم + 000 800 آقجه مخصصات في السنة . شعبها شافعي وحنفي . وفور فتح هذه المنطقة التي تحمل اسم قبيلة بكر بن وائل من البيزنط ، أسكنت هذه القبيلة فيها . يسكن الإيالة حاليا ، قليل من العرب . تحتوي الإيالة - بموجب قانون السلطان سليم خان - على نوعين من الألوية وهي التي تسمى « الألوية العثمانية » و « الألوية الكردية » . الألوية العثمانية ، كألوية الإمبراطورية الأخرى يرسل إليها أمير اللواء (سنجق بك) من استانبول وهي : المركز عامد ، سعرت ، أرغاني ، سيوهرك ، نصيبين ، آقجه قلعة حصن كيفا ، ميّافارقين (سلفان) ، جميشكزك (تونجلي) ، خربوت (ألازغ) ، سنجار ، خابور ، قربنصيبين Vrb - Inusaylin ، والأخير لواء مكون من العشائر . والألوية التي كانت كردية في السابق وأصبحت الآن ألوية عثمانية هي = برتك ، جابا قجور (بينكول) ، جرميك ، كولب ، صاغمان ، آتاك ،

ترجيل ، مهرانية . والألوية الكردية حاليا هي الألوية الـ 5 التالية : جزيرة (جزره) ، أكيل ، كنج ، بالو وهازو (هازرو) . وكما أن هذه الألوية أعطيت إلى بكّات الأكراد بصورة وراثية ، وإلى ذات العائلة ، فإنها كذلك خالية من تشكيلات التيمار . يشترك أمير اللواء الكردي بعدد محدد من جنده في القتال تابعا لأمر أمير أمراء (بكلربك) دياربكر ويرسل سنويا ضريبة معيّنة إلى عامد . لكن القاضي يرسل من استانبول ؛ حيث أن رتبة القضاء ، رتبة العلمية (صنف رجال الدين) لايمكن منحها إلا من استانبول . ولا يجوز لأي وزير أن يمنح رتبة « علمية » . والسبب في تبديل الوضع السابق للألوية التي كانت كردية في 1515 ثم أصبحت خلال عصر ونصف ، ألوية عثمانية ، هو اما وفاة الوالي (بكلربك) الذي لم يخلف ابنا ، واما أن أمراءهم خالفوا أمر والي دياربكر . يرابط في لواء عامد المركزي 5 000 جندي سباهي وفي كامل الإيالة ، 30 000 جندي . قلعة عامد كبيرة جدا . يجري نهر دجلة من تحت القلعة ويرى كالخيط . جدّدها البيزنطيون ، العرب ، السلجوقيون ، دولة آق قويونلو والصفويون . ارتفاع السور 40 ذراعا محيطه 4 000 ذراع . سراي أمير الأمراء الذي يحتوي على 150 غرفي وعدة صالات استقبال ، وله مشتملات ، من أفخم سرايات الولاة الكائنة في الأراضي العثمانية . بدأ إنشاءه فاتح دياربكر بـيـيقلي محمد باشا ، ووسعه كل من الولاة الذين تلوه ، وذلك ببناء أقسام إضافية له . كسا العثمانيون أولو جامع ، أحد الجوامع الـ 16 بالرصاص . قواد عديدون ابتداء من خالد بن الوليد إلى بـيـيقلي محمد باشا ، بنوا جوامع . مدرسة مرجانية المجاورة للجامع ، مدرسة عالية . هناك 7 مدارس أخرى تدرس العلوم العالية . عدا ذلك يوجد عدد غير قليل من المدارس وعدد كبير من المساجد والمكاتب والتكايا . وحوالى 70 سراي وقصرا . صناعات الحديد ، الأسلحة الجارحة والصياغة متقدمة جدا ومنتشرة . يحتوي على 13 حماما كبيرا ، بضعة حمامات صغيرة ، والعديد من دورات المياه . المدينة مرفأ نهري فعّال على نهر دجلة . تجري سفرات متظمة عن طريق النهر بالكلك (الطوف) من عامد إلى بغداد والبصرة . تسير السفن في الفرات ولكن يسير الكلك في دجلة بواسطة قرب منفوخة . وفي 1655 ، صرف الوزير سلاحدار قره مصطفى باشا كل ثروته البالغة 40 مليون آقجه (92 مليون دولار) في سبيل الله لإصلاح مجرى ديالي قرب بغداد وتنظيف مجرى دجلة وتوزيع الماء ، وحقّق عملا

خيريا كبيرا جدا . تحتوي الإيالة على 176 قلعة وحوالي 100 قلعة مهدمة .

ماردين Mardin (Mardin) ، مركز لواء في إيالة دياربكر . يتقاضى أمير اللواء سنويا مبلغ 200000 آقجه راتبا + 10 000 ليرة ذهبا مخصصات . يحتوي اللواء على 1060 جنديا سباهيا و نحو 1000 جندي من الأصناف الأخرى . فتح بييقلي محمد باشا ، ماردين كذلك من الصفويين . **سنجار** ، مركز لواء في دياربكر . يقع في السفح الجنوبي لجبل سنجار (حاليا في العراق) . قصبة صغيرة ذات قلعة يحيطها سور طوله 7000 ذراع . يسكن اليزيديون في المنطقة . له جامع واحد ومدرسة واحدة . تسمى هذه المنطقة ديار ربيعة ، وهي القبيلة العربية التي أسكنت هذه المنطقة في الفتح الإسلامي الذي جرى في أوائل القرن السابع .

ميافارقين Meyyafarikiyn (سلفان) ، مركز لواء في إيالة دياربكر . يقع بين عامد وسعرت . قلعة صفوية استسلمت لبييقلي محمد باشا دون قتال . ويُظن أنها كانت مدينة كبيرة في الماضي . يحيط بالمدينة سور طوله 11 000 ذراع . تحتوي على حوالي 1000 دار . توجد فيها آثار إسلامية غنية من مخلفات العصور القديمة .

حازو Hazo (حزرو Hazro) مركز لواء في دياربكر ذو 1 150 دارا .

بتليس Bitlis ، مركز لواء في إيالة وان . يعين لها منذ عهد ياوز أمراء لواء (سنجق بك) وباستثناء مرة أو مرتين ، أعطيت إلى العائلة المسماة شرف _ خانلر . وكما هو الحال بالنسبة لبكات الأكراد الآخرين ، فإنهم لا يلقبون بلقب « بك » ويلقبون بلقب « خان » . وهؤلاء أغنى وأشهر بكّات الأكراد . يشغل سراي الخان « خان سرايي » نصف المساحة التي تشغلها قلعته البالغة 4000 × 4000 ذراع . الخان بمرتبة بكلربك (أمير الأمراء) وله 2000 جندي . أحد أطراف اللواء ، يصل إلى بحيرة وان وتسكنه نحو 70 عشيرة . يبلغ عدد نفوس مدينة بتليس 40 000 نسمة . يسكن في اللواء 43000 مسيحي . يتقاضى الخان نصف ضريبة الجزية التى يدفعها هؤلاء ويرسل النصف الباقي إلى والي وان .

يوجد في اللواء تشكيلات تيمار ويجهز نحو 1000 تيمارلي سباهي ، وهم الذين أعطيت إدارتهم لبكلر بك وان . وهؤلاء غير جنود شرف خان . قضاء بتليس المركزي ينقسم إلى 18 ناحية . أكثرية الشعب المسلم وسلالة شرف خان شافعيون . ورغم ذلك فإن

بعض بكّات هذه العائلة تعاونوا مع الصفويين . تحتوي المدينة على 110 جوامع ومساجد ، 4 مدارس ، نحو 70 مكتبًا ، حوالي 70 دورة مياه ، 41 سبيلا ، نحو 20 تكية ، 9 خانات ، 11 جسرا حجريا ، 1 200 دكان ، نحو 5000 دار . وعدا ذلك توجد مكاتب (مدارس) تدريس القرآن الكريم التابعة لأكثرية الجوامع والمدارس . يعيش حاليا في المدينة 7 شعراء أصحاب دواوين تركية . الخان الحالي متزوج بخانم ـ سلطان ، هى ابنة بنت سليم الثاني . نحو 100 جارية فى خدمة الخانم ـ سلطان ونحو 600 قصر يحتوي على حمام خاص . يحتوي القضاء المركزي على مزارع كروم كثيرة جدا .

تطوان Tatvan ، هو رصيف بتليس المائي على بحيرة وان ، وهو ناحية لواء وان المركزي . بحيرة وان كاملة محاطة بإيالة وان . يوجد على طريق بتليس ـ تطوان منزل المسافرين الكبير الذي بناه خسرو باشا ، من ولاة وان السابقين .

آهلاط Ahlat ، مركز لواء موش في إيالة وان . سكنها أمير لواء موش بدلا من موش منذ مدة . من أمراء اللواء الكبار الذين يتقاضون راتبا قدره 410 000 آقجه + 20 كيسة مخصصات . له جنود عددهم 1000 جندي سباهي و 500 جندي معية . آهلاط ، رصيف مائي على الساحل الشمالي ـ الغربي من بحيرة وان . يظهر أنها كانت مدينة كبيرة في الماضي . عاش فيها العثمانيون عصرا ونصف عصر قبل مجيئهم في 1231 إلى سواحل سقاريا . يرقد في آهلاط جميع أجداد عثمان غازي ، وقبر قايا ألب جد أرطغول غازي ، مزار وطني كبير . حنّط أكثرهم . سلم الصفويون آهلاط إلى العثمانيين خربة وخالية من السكان . أحيا المدينة الوزير داماد زال محمود باشا ، أبو زوجة شرف خان الحالي بواسطة المعمار سنان . وفي 1556 بنى فيها قلعة ، 350 دارا ، جامع سليمان باشا ، خانا وحماما .

عادلجواز ، مركز لواء في إيالة وان . مرفأ وقلعة على الساحل الشمالي من وان .. وعلى السفح الجنوبي من جبل سبحان (4 434 م) وهذا الجبل أعلى قمة بين جبال الأناضول بعد جبل آغرى . لواء صغير يتقاضى أميره 154036 آقجه راتبا + 4000 ليرة ذهبا مخصصات . له 1000 جندي سباهي ونحو 600 جندي معيّة وجنود حامية القلعة .

تحتوي القلعة على 76 مدفعا وجامع سليمان خان ، طول محيط القلعة 4000 ذارع تحتوي على 8 محلات ، 8 جوامع ومساجد نحو 70 قصرا ذا حمام . ولها أيضا كلية زال محمود باشا . يحتوي قضاؤها للمركزي على مايقرب من 7000 مزرعة كروم .

أرجش Ercis ، أحد مراكز الألوية في إيالة وان . قريب إلى ساحل الخليج في شمال – شرق البحيرة . يتقاضى أمير اللواء 000 300 آقجه راتبا + 10 كيسة مخصصات . له 1000 جندي سباهي وألف جندي معية ، وعدا ذلك جنود حامية القلعة . ومن الممكن أن يجهز نحو 6000 جندي تحتوي قلعته على 110 مدافع ، 1000 دار ، 200 دكان ، جامع سليمان خان ، ومنشآت خيرية أخرى . لايوجد في أرجش سكان محليون . جلب سليمان خان الأتراك ، الألبان والبوشناق من روملي إلى المدينة وأسكنهم فيها ، سكانها هم أبناء أولئك . ذلك أن الصفويين تركوا أرجيش إلى العثمانيين خربة وخالية من السكان كذلك .

باركيري Bargiri مركز لواء غير كبير في إيالة وان . راتب أمير اللواء 000 200 آقجه . لواء كردي يتولى إدارته أمراء (بكّات) عشيرة محمودي . والأمير الحالي هو صهر آبدال خان حاكم بتليس الحالي من سلالة شرف خان . يشترك أمير اللواء في القتال مع 3000 جندي . ورغم أن اللواء من الألوية الوراثية ، لكنه يحتوي على تشكيلات التيمار . خضع الأمير المحمودي ، لسليمان خان في 1548 دون قتال ، ترك البادشاه اللواء وله ولعائلته بصورة وراثية .

وان Van ، فتحها السلطان سليمان خان من الصفويين . وكون إيالة وان ، شرق إيالة دياربكر وعلى حدود الصفويين . قلعة وان ، هي إحدى أقوى قلاع العثمانية تحكيما . يبلغ ارتفاع القلعة من الأسفل إلى أعلى نقطة فيها 100 4 ذراع . لها 600 مخزن مليئة إلى نهايتها بالمهمات ، الذخائر العتاد . لها 70 برجا . طول محيطها 11000 ذراع . وفي كل 24 ساعة ، يبدل 500 حارس لحراسة القلعة . أكثرية المدافع الموجودة والبالغة 760 مدفعا موضوعة في أماكن خفية . لايمكن تحديد أماكنها أبدا قبل فتح النار . يرابط في القلعة 3000 إنكشاري ، 1000 جيبه جي (صنف تجهيزات الجيش) ، 1000 مدفعي (جمعا 5000 جندي) قابوقولو مع نحو 1000 جندي حامية للقلعة . إيالة وان من الإيالات الكبيرة ، يتقاضى أمير أمرائها الوزير سنويا 000 132 1 آقجه راتبا + 000 20 ليرة ذهبا

مخصصات . إيرادات الإيالة سنويا من الضرائب 24 مليون آقجه . تجهز الإيالة نحو 3000 جندي تمارلي سباهي ، هذا عدا الأصناف الأخرى . تتكون من 38 لواء ، منها 21 لواء عثمانيا + 17 لواء كرديا . وحوالي 700 قرية ، تتبع للوائها المركزي . ترك الصفويون مدينة وان وقلعتها إلى العثمانيين بصورة خربة وخالية من السكان ، وصلت المدينة إلى وضعها الحالي بفضل سليمان خان . استمر الاعمار بعدها . يحتوى باشا سراي على 600 غرفة بطابقين . الشوارع ، نظيفة جدا وذات أرصفة . مدينة كبيرة ذات 800 8 دار ، 3 محلات من محلاتها للأرمن ، وتحتوي على نحو 700 قصر ذي حمام . تحتوي القلعة وكذلك الضواحي على جامعي سليمان خان . أعدت وان بشكل تتمكن فيه الحملات الإيرانية من تجهيز 48000 جندي . سار الصدر الأعظم السابق ملك إبراهيم باشا ، بصفته واليا على وان ، من وان وجاء إلى بتليس يوم 28 / 7 / 1655 مع 000 40 جندي .

خوشاب Hosâb ، مركز لواء ارثي في إيالة وان . يديرها منذ قرنين ونصف فرع من فروع المحموديين .

قره جه قلعة Karacakale ، مركز أحد الألوية التي أعطيت إلى أحد الأمراء المحموديين كذلك .

بنياش Pinyanis ، مركز أحد الألوية الصغيرة المعطاة إلى أمير محمودى آخر . الحياة هنا بدائية ، ولا تشبه الحياة فى بقية المناطق العثمانية

سعرت Siirt (سعرد Si'ird) ، مركز لواء فى إيالة دياربكر ، وشرقها لواء **حكارى** Hakkâri ، يتقاضى أميره 883 333 آقجه ، له 800 جندي سباهي ، 500 حندي معيه .

زريكلي ، مركز أحد الألوية الوراثية التي تسكنها 20 قبيلة .

ملازغرت Malazgirt ، مركز أحد الألوية الصغيرة التي يتقاضى أميرها 000 100 آقجه . له 500 1 جندي تمارلي سباهي ، ولكن يمكن تجهيز 8000 جندي . مدينة صغيرة تحتوي على 2000 دار ، 50 دكانا ، مدرستين ، 7 مكاتب ومؤسسات خيرية أخرى .

19 ـ قفقاسيا

إن الإيالات العثمانية الواقعة بين قفقاسيا الجنوبية والشمالية وبين إيران الغربية ، هي الإيالات التي كانت تتناوش مع إيران بصورة مستمرة خلال القرون 16 و 17 ، و 18 والتي تتبع العثمانية أحيانا ، وإيران في أكثر الأحيان . أما خوزستان (عربستان إيران) المنطقة الواقعة في إيران الغربية والممتدة من خليج البصرة إلى قفقاسيا من الجنوب إلى الشمال ، شمالها لورستان (سينة) ، وشمال هذه كيرمان ـ شاه ، وشمالها ـ الغربي همدان ثم أردلان أو كردستا ، شرقها خمسة ، فكلها إيالات إيران الغربية التي بقيت تحت حكم العثمانية بصورة مؤقتة . سكان هذه الإيالات خليط من الأتراك والفرس والأكراد ، (يشكل الأتراك الأكثرية في خمسة وهمدان) يوجد عرب كذلك في خوزستان في الجنوب . أما في الشمال ـ الغربي في آذريجان الجنوبية (آذربيجان إيران) أهم إيالة في إيران ، فإن كل سكانها أتراك ، تمتد بين الأناضول وبحر الخزر ويشكل نهر آراس حدودها الشمالية ، وعدا ذلك ، دخلت في حكم العثمانية أو تبعتها ، بعض المناطق التي ظلت ضمن إيران الحالية . وإحداها إيالة كيلان الواقعة على الجنوب ـ الغربي من بحر الخزر والتي يسكنها الإيرانيون الخلص ، إلا أن الشافعيين يشكلون أكثرية هؤلاء السكان وأصبح للعثمانيين نفوذ في إيالة فارس كذلك ، التي يسكنها الإيرانيون والأتراك بصورة مشتركة

أما قفقاسيا ، فإن قفقاسيا الجنوبية هي البلاد الواقعة بين نهر آراس وجبال القفقاس والتي تمتد بين البحر الأسود وبحر الخزر ؛ وقفقاسيا الشمالية هي البلاد الممتدة بين البحرين كذلك والتي تقع شمال جبال القفقاس تقع قفقاسيا الجنوبية في قارة آسيا ؛ أما قفقاسيا الشمالية فإنها تقع في قارة اوروبا ؛ إذ ان جبال القفقاس الكبرى تفصل بين القارتين . سكان البلاد الواقعة في شرق قفقاسيا الجنوبية والتي تصل حتي بحر الخزر والمسماة آذربيجان الشمالية (آذربيجان السوفيتية الحالية) أتراك تماما . تنقسم إلى مناطق كشيروان ، عرّان ، ناهجوان . جنوبها ـ الغربي ، هو المنطقة التي تسمى

روان وهي أرمنستان السوفيتية الحالية ، وحتى العصر 19 كان في هذه المنطقة أقلية قليلة جدا من الأرمن ، ويسكنها الأتراك ، وكانت جزءا من آذربيجان الشمالية . أما القسم الكائن في غرب قفقاسيا الجنوبية والذي يصل حتى البحر الأسود ، فهو كرجستان . كون الكرج هنا عدة ملكيات وإمارات . عاشوا يتبعون العثمانية حينا والصفويين حينا آخر ، كما توجد أيضا أقلية تركية . ورغم أن قسما من الكرج أصبحوا مسلمين خلصا ضمن الإدارة العثمانية ، فإن الأكثرية بقيت على الديانة المسيحية الأرثوذكسية .

القسم الجنوبي – الغربي من هذا القطر ، هو آجارستان (باطوم) الواقع على البحر الأسود ، والآجاريون أتراك قيبجاق ، وقد أصبحوا كرجا من الناحية اللغوية وتقبلوا الأرثوذكسية ، واهتدوا إلى الإسلام في القرن 16 تحت ظل الإدارة العثمانية ، وقسم منهم فقط بدأ يتكلم اللغة التركية ، وقسم آخر منهم ما زال يتكلم اللغة الكرجية رغم إسلامه . الكرج هم أكثف الأقوام القفقاسية نفوسا

وقسم كرجستان الشمالي – الغربي الذي يتاخم البحر الاسود أيضا ، هو آبهازستان أو آبهاضستان ، ويسكن فيه الأبهاضة الذين أسلموا على عهد الإدارة العثمانية (الأبهاض العثمانيون) ، وهم قوم قفقاسي يتكلم لغته القومية ، وقد استترك الذين هاجروا منهم إلى القطر العثماني

أما قفقاسيا الشمالية فتمتاز بأنها تموج بالقوميات واللغات الصغيرة ، وهي تفوق في ذلك بكثير قفقاسيا الجنوبية . أكثر سكانها هم الجركس . يعيشون في الجبال كقبائل . استترك الذين هاجر منهم إلى البلاد العثمانية . لم يتمكن العثمانيون من إدخال الذين ثبتوا في أماكنهم إلى الدين الإسلامي إلا في نهاية العصر 18 . مازال هؤلاء ينطقون باللغة الجركسية . تعيش كذلك أقوام كثيرة في القسم المتاخم لشرق بحر الخزر من قفقاسيا الشمالية . الآفاريون منهم أتراك (الشيخ شامل ينتسب إلى هذا القوم) وقد كانوا في الأزمنة المتقدمة مسلمين شافعيين وبعضهم أحناف قاوموا الصفويين كثيرا وناصروا العثمانية لكونهم سنة . على نطاق واسع ، اهتدت قوميات كثيرة على يد العثمانيين في قفقاسيا إلى الدين الإسلامي ، كانوا وثنيين يحيون حياة قبلية (الأوسيت Oset ،

اللزكيون Lezgi الجحان œcen ، الانكوش Ingus ... إلخ) أما البلقاريون Balkar والقره جاى Karacay فإنهم أتراك ، النوكاى أتراك كذلك . وهناك قسم قليل من المغول أيضا .. تقبّلت أقوام قفقاسيا الشمالية الثقافة التركية . واسترك الذين تركوا الجبال على نطاق واسع وهاجروا إلى الأقطار العثمانية .

الإيالات العثمانية غير المستقرة والتى تبدلت ألويتها ، وتغيرت ملكيتها ، والتي انحلت ثم أعيد تأسيسها في هذه المنطقة ـ لا تشابه الإيالات التي دامت عصورا طويلة ـ بعضها 400 و 500 سنة ـ في الأقطار العثمانية الأخرى . لذا يجب تجاوزها بعد تقديم بعض النماذج فقط . فمثلا إيالة كنجه ، 1588 − 1606 = 18 + 1723 − 1735 = 12 (جمعا مدة 30 عاما) . كانت 8 ألوية : كنجه ذات 12 قضاء ، برزعه ذات 5 أقضية ، هاجين ذات 9 أقضية ، آهس آباد ذات 5 أقضية . ديزاك ذات 4 أقضية ، هَكرى ذات 4 أقضية وفيرندة ، ذات القضاء الواحد (أرشيف رئاسة الوزارة ، طابو ، 699) . كانت تشمل شرق آذربيجان الشمالية المسمى شيروان . انتهى نفوذ الأتراك في تفليس في 15 / 8 / 1783 وذلك باضطرار الملك هيراكليوس الذي يلقبه الأتراك بـ « أركلي خان » للخضوع لروسيا ، رغم أنه أصبح حاكما رسميا في 1776 بمنشور العثمانية . كان الخان التركي فى باكو لايزال في 1813 يعلن تبعيته للبادشاه . لكن نهايته كانت قريبة ، ونفوذ العثمانية في الخزر كان على وشك الانتهاء .

إيالة تبريز كذلك تأسست وانحلت مرات عديدة . كانت الإيالة التى تكونت في 21 / 8 / 1534 تتألف من 15 لواء ؛ 5 من هذه الألوية بقيت حاليا لدى تركية ، 3 منها لدى روسيا و 7 لدى إيران : تبريز ، ناهجوان ، مراغة ، مشكين ، آفوهكان (موش) ، مهراني (Lice / دياربكر) ، وستان (Gevas / وان) ، جولمريك (حكّارى) ، سلماس ، روان ، كمرل ، اورميه ، درياس ، داين (آغرى Avri) ، جالديران (ماكو) . وإيالة همدان التي أسسها القانوني فى ذات التاريخ ، كانت 6 ألوية ؛ همدان ، كاشان ، قم ، شاو ، شهريار ، اسنجك . بني الصدر الأعظم اوزدمير أوغلو عثمان باشا في تبريز خلال 45 يوما قلعة طول الأسوار المحيطة بها 12 700 ذراع وتستوعب 45 ألف جندي ، وبها منزل استراحة للمسافرين وكلية ،

هدم الشاه عباس هذه القلعة من الأساس عند استرجاعه تبريز بعد 20 عاما (تاريخا اعلم آراي عباسي ، 441 ، 451) يقال إن نفوس تبريز في 1673كانت لاتزال 000 550 نسمة (Chardin ، 2 ، 328) . هذه المدينة التركية المهمة جدا التي فتحها ياوز لأول مرة ، وأول عاصمة للصفويين، دخلت بين الحين والآخر ضمن النفوذ العثماني وخرجت منه . دخل الجيش العثماني المدينة ثانية فى 8 / 1/ 1915 . جاء الروس بعد 23 يوما . أخذت تبريز مرة أخرى في 18 / 6 / 1918 . دخل المدينة في 8 تموز على إحسان سابس باشا ، وفي 25 آب كاظم قره بكر باشا . لكن المدينة أخليت بعد 5 أشهر .

دخل العثمانيون منطقة كرجستان بالأسطول الذي أرسله فاتح في 1451 ، وفتحهم آبهاضستان (قلعة سوخم) وفتحهم آجارستان (باطوم) في 1479 . ظلت آجارستان بحوزة العثمانية حتي 1877 ، ثم انتقلت ثانية إلى العثمانية في 1918 ـ 19 وبذلك يكون حكم العثمانية قد استمر فيها 400 سنة . أما في آبهاضستان ، فقد دام حكمها 359 سنة حتي الاستيلاء الروسي في 1810 . كذلك سواحل آنابا وجركز ستان من شبه جزيرة تامان إلى سوجي ، بقيت لدى العثمانية من عام 1479 حتى الاحتلال الروسي فى 1810 . أما فى كرجستان الأصلية ، فإن الإيالات العثمانية تأسست ثم انحلت ، وظلت على الأكثر كمنطقة محمية لدى ملوك وأمراء الكرج تحت إشراف وتبعية العثمانية .

أسس القانونى في 1548 إيالة نوكاي Nogay في شمال جركزستان وداغستان ، في المنطقة المنحصرة بين بحر آزاك ودلتا الفولغا في شمال قفقاسيا . وفي 1580 ، وحّدت الألوية القديمة . أسست إيالة البحر الأسود الشمالية التي تسمى « إيالة كفة » ، وأعطيت لهذه الإيالة إدارة كل السواحل الشمالية وبحر آزاك الذي يسميه الأتراك « بحر قرم » . كانت 6 ألوية : كفة ، كرج ، بندر ، آكرمان ، قيلبورون ، آزاك (روستوف) .

كانت إيالة Kiçi Nogay لاتزال مستمرة في 1578 . أسس أوزدمير أوغلو إيالة تفليس في 24 / 8 / 1578 . أخذت إيالة تفليس في 1728 ، من إدارة ملوك الكرج وشكلت مجّددا من6 ألوية : تفليس ، غوري ، سومهورت ، آغجاقلعة ، Tiryaled ، قايغولو . وتأسست فى 1578/9/1 إيالة Kakhet في شرق كرجستان . أعيد تأسيس إيالة شيروان

في 1578 من 12 لواء : Saadru, Zerdab Saburan, Aktas, Kabala, Eres ، باكو ، ساليان ، حوض لحج ، كورة ، شكي ، آهتي . كانت هذه الإيالة الواسعة تشمل القسم الأعظم من السواحل الغربية لبحر الخزر ، حتى حدود الأناضول . ولصعوبة إدارتها ، تجزأت بعد 4 سنوات و 9 أشهر 11 يوما إلى 3 إيالات (قرار الديوان الهمايوني المؤرخ 26 / 6 / 1583 : Muhimme 49 ، 373) : تحتوي إيالة Eres على ألوية : (أرش ، شكي ، قبالة ، اقتاش ، قضالي ، آجن ، سالق ، جولد) ، إيالة شماهي (شماهي ، آختي ، زرداب ، سعدرو ، باكو ، ساليان ، حوض لحج) ، إيالة دمير قابو (دربند / داغستان) (دربند ، شابوران ، كوبا ، مسكر ، كورة ، جراك ، رستاف) . وفي 1590 أدمجت إيالة أرش برمتها في شماهي

كانت روان وكوكجه كول أكثر المناطق ازدحاما بالسكان الأتراك . وفي العصر الأخير بدأ الأرمن يردون إليها بكثرة ، وهؤلاء إما أنهم أفنوا الأتراك عن بكرة أبيهم ، وإما اضطهدوهم وسببوا هربهم . وفي الاحصاء الذي أجراه الروس في 1908 ، كان لايزال في لواء روان (Erivan) الروسي 149 65 تركيا مقابل 329 55 أرمنيا

تأسست فى كرجستان إيالات لورو (8 / 8 / 1584) ، تومانيس (30 / 9 / 1584) ، كورو Goru (Gori) (2 / 10 / 1587) . وفي 1578 ، رفعت سوخوم من نظام اللواء إلى نظام الإيالة . وتأسست خلال هذه الأيام كذلك إيالة ناهجوان . وينبغي هنا أن نذكر أن تبعية إمارة (خانلق) باشكردستان لبني جنكيز في أقصى الشمال إلى العثمانية كانت في تاريخ متأخر (1708 _ 1728 + 1735 - 1737)

وننقل فيما يلي سطورا من كتابة أولياء جلبي عن هذه المنطقة في أواسط العصر 17 :

. آنابا ، ميناء وقلعة ، مركز قضاء في لواء تامان التابع لإيالة كفة . على مقربة من جنوب نهر كوبان ، مجاور لخليج كرج . فتحه كديك أحمد باشا في 1475 بواسطة أسطول بحرى **تامان** ، على مقربة من الشمال الغربي ، على الساحل الشرقي من

بوغاز كرج . آزاك ، مركز لواء آخر (Azov / Roshov) في إيالة كفة . قلعة كبيرة على مصب نهر الدون . أعيد إنشاء القلعة مجددا نحو 1640 وجهزت بمهمات كثيرة وتكلف ذلك مبلغ 200 مليون آقجه (350 مليون دولار) .

كانت قلعة **مكو** مركزا للواء أو قضاء عثماني ، هي الآن لدى إيران . عبارة عن 700 دار . **قره باغ** و **ناهجوان** ، كانا مركزين لإيالتين عثمانيتين ، هما الآن لدى إيران شعبها أتراك . الأول 10 000 دار ، 40 جامعا ، 30 مسجدا . الثاني 3000 دار ، 7 جوامع ، 63 مسجدا ، 600 دكان ، 7 حمامات ، 3 خانات ومازال موجودا فيها 33 جامعا ومسجدا من بناء العثمانيين . **تبريز** ، لم تعد مدينة العرش الإيرانية ، لكنها مازالت مدينتها التي تفوق مدنها الأخرى بكثافتها السكانية ، مركز إيالة عثمانية سابق . أهم إيالة في الدولة الإيرانية بعد خراسان . هدم الشاه عباس قلعتها لكونها أثرا عثمانيا . وبالنسبة إلى الإحصاء الذي أجراه أمير الأمراء جعفر باشا فإن عدد سكان الإيالة قبل 1600 ، كان 800 000 نسمة ؛ 300 000 منهم في المدينة . تحتوي على 19 جامعا سلطانيا ، 50 جامعا ، 270 مسجدا ، جامعين من مخلفات العهد العباسي . أعظمها جامع قويونلو سلطان أوزون حسن . و 47 مدرسة أكبرها مدرسة قره قويونلو سلطان جهان _ شاه و 27 دارا للقراء (الحفاظ) ودار الحديث ونحو 600 مكتب ، وحوالي 160 تكية ، 1046 حنفية مياه مبنية وسبيل ، 1070 قصرا ، 1060 زقاقا ، وحوالي 200 كروانسراي (منزل مسافرين) ، 70 خان عمل ومسافرين ، 7000 دكان ، 21 سوقا ، 700 دار تحتوي على حمامات . يعيش في المدينة 178 شاعرا من أصحاب الدواوين . وتحتوي على 4 مطابخ عامة ، 42 كنيسة للأقلية الأرمنية . مازالت كلية جعفر باشا قائمة .

قوملة ، لواء تبريز ، به 11 جامعا ، 59 مسجدا ، أحد الجوامع من بناء فرهاد باشا .

مراغة ، مركز لواء في تبريز ، يحتوي على نحو 7160 دارا ، 11 جامعا ، 60 مسجدا ، 40 خانا ، 40 تكية ، 11 حماما ، 3000 دكان . يتظاهر الشعب التركي بالمذهب الشيعي خوفا ، رغم أنه حنفي .

أردبيل ، مركز لواء يعتبر قريبا إلى بحر الخزر وهو مكان نشوء السلالة الصفوية .

خوي ، مركز لواء تبريز ، بها 7000 دار ، 1000 دكان ، 70 جامعا ومسجدا ، قلعتها التي تستوعب 1000 جندى صفوي تركي ، من بناء الصدر الأعظم فرهاد باشا .

جورس ، مركز لواء آخر على بعد 3 ساعات من خوي . يحتوي على جامعي اوزدمير أوغلو عثمان وحسن باشا .

روان ، مركز إيالة في غرب كوكجه كول فتحها سليمان خان ، ثم فرهاد باشا قائد مراد الثالث العام ، ثم مراد الرابع ، وهي حاليا لدى إيران أيضا . استسلمت في 1604 ، إلى طقماق خان تركمن بسبب المجاعة . ورغم أن مراد خان استرجعها في 8 / 8 / 1635 ، فإنها فقدت أيضا . تحتوي القلعة على 100 مدفع صنع عثماني ، وتحتوي المدينة على 600 2 دار ، وبالإيالة 13000 جندي صفوي .

كنجه ، مركز إيالة آخر لإيران ، مركز إيالة عثماني سابق . ف شمال شرقي كوكجه كول ، وعلى طريق تفليس - باكو ، به 6000 دار ، كل سكانه أتراك .

آراس ، فتحها فاتح قبرص لالا مصطفى باشا ، وجعلت مركز إيالة (إيالة شيروان) (Eres) ، بنى الباشا قلعتها كذلك ، يحتوى المركز على 000 10 دار ، 40 جامعا ومسجدا ، 800 دكان ، 16 حماما . **شكي** ، من فتوحات مصطفى باشا كذلك ، حاليا لدى إيران أيضا ، قلعة ومركز لواء يحتوي على 3000 دارا ، 7 جوامع . جامع مراد الثالث ، وجامعين آخرين عثمانيي البناء . **نياز آباد** ، مركز لواء يحتوي على نحو 40 جامعا ومسجدا . هدم فرهاد باشا قلعتها . **شماهي** ، مركز إيالة فى إيران . له 48 قضاء ، 70 قلعة ، 300 1 قرية . مدينة ذات 7000 دار صغيرة . مسجدا اوزدمير اوغلو و فرهاد باشا أفخم مسجدين بين جوامعها ومساجدها البالغ عددها نحو 70 . جعل الصفويون حاليا الأول منهما مدرسة . فيها 7 مدارس ، نحو 40 مكتبًا ، 44 كروانسراي (منزل مسافرين) ، خان ، 7 حمامات . **باكو** ، مرفأ على بحر الخزر . له قلعة محاطة بسور ارتفاعه 40 ذراعا . تحتوي على 70 برجا ، 600 مانع (بند) ، وفيها 1070 دارا . مركز لواء في إيالة شيروان (شماهي) . مركز قضائها يشمل 8 نواح . شعبه أتراك وأغلبهم سنّة . اشتهر في ساحل الخزر بمعدن زيت النفط ، يملأ في القرب ويرسل إلى جميع الجهات . يستعمل بكثرة عسكريا في صنع المشاعل التي تشعل وتلقى على

الأعداء . كل قلعه عثمانية تحتوي على مخزون من زيت النفط .

شابوران ، هى المدينة التي فتحها اوزدمير أوغلو وجعلها لواء في إيالة داغستان ، ذات 70 جامعا ومسجدا . جامع أوزون حسن جميل جدا . يشمل قضاؤها المركزى 8 نواح . ويطلق العرب على دميرقابو أسم « باب الأبواب » والإيرانيون « دربند » . وحاليا تسمى على الأكثر دربند . ميناء على الخزر ، أكبر مدينة فى داغستار فتحها اوزدمير اوغلو وسكن فيها مدة طويلة مع 15000 من جنده . حاليا يرابط فيها 9000 جندي صفوي . يحيط بقلعتها سور طوله 11060 ذراعا له 70 برجا ، 7060 موضع سلاح . شاهدت بتأثر أن مدافعها الـ 70 الموجهة نحو بحر الخزر ، عثمانية الصنع ومن نوع باليمز (مدفع بعيد للمدى) . إذ إن الإيرانيين لا يمكنهم صناعة المدافع ، ويحصلون عليها أما باغتنامها من العثمانية أو بشرائها من الأوروبيين . لاتباع المدافع العثمانية لاية دولة . بيعها ممنوع ؛ تهدى كمساعدة عسكرية إلى الدول الصديقة فقط . لم تكن إيران في أي وقت من الأوقات في عداد هذه الدول إذ إنها كانت أكبر منافس للعثمانية . لازال حتى الآن سراى أوزدميرا أوغلو الفخم وكليته قائم فى المدينة التى تحتوى على 2 200 دار . الشعب سنّى المذهب ولا يحب الصفويين أبدا ، كلهم محبون للعثمانية وموالون للخليفة ، عدا جنود الصفويين . كانت إيالة شيروان على عهد مراد الثالث ، مؤلفة من 8 ألوية و 71 قضاء حاليا تحت إدارة إيران ومؤلفة من 19 لواء . كانت تجبى من الإيالة فى العهد العثماني ضريبة قدرها 000 700 4 آقجه . توجد فيها قبور عثمانية كثيرة . ورغم أن شعب شيروان وداغستان تحت إدارة إيران حاليا ، إلا أنه أقام قبل مدة الأفراح عند فتح كريت وخانيا وعند ولادة محمد (الرابع) أول مولود (شهزاده) للسلطان إبراهيم .

كوره ، مركز لواء يسكنه 000 10 نسمة . **اوردوبار** ، مركز لواء ذو قلعة كبيرة و 2000 دار .

تفليس (بالعثمانية : Tiflis ، بالكرجيه : Tbilisi) ، أكبر مدينة في كرجستان على نهر كورا . فتحها اوزدمير اوغلو عثمان باشا مع قلاع كرجستان الأخرى البالغ عددها 26 ، كانت مركزا للإيالة . حاليا لدى إيران . تحتوي المدينة على الأتراك الآذريين

(أتراك آذربيجان) أكثر مما تحتوي على الكرج وعلى قبور وشواهد قبور العثمانيين . لكن محيط كرج مسيحي تماما .

كوتور Kotur ، مركز لواء قلعة بين وان وخوي . تداولها الطرفان مرات عديدة جدا ، وانتقلت في المرة الأخيرة في 1640 من العثمانية إلى الصفوية مع مكو .

أورميه ، مركز إيالة في جنوب غرب البحيرة الكبيرة التي تحمل الاسم ذاته ، وعلى الحدود العثمانية ، وفي أقصى جنوب القطر الآذري الكبير . يحيط بها سور طوله 11000 ذراع عرض السور 30 ذراعا وارتفاعه 70 ذراعا . بناه العثمانيون وحاليا لدى إيران . كان بالقلعة 4000 جندي . تجهّز الإيالة 15000 جندي . طول محيط المدينة 17000 ذراع . تحتوي على 8 جوامع ، مساجد كثيرة ، 6 مدارس ، 40 مكتبًا ، 3 تكايا ، 11. خانًا . أن جوامع كازان الهان ، فرهاد باشا ، جعفر باشا ، جغالوغلو سنان باشا ، طواشي سليمان باشا ـــ تلفت الأنظار . كان الشعب تركيا سنّيا . يحتوي لواؤه المركزي على 50 مدينة وقصبة ذات قلعة . 41 قرية كبيرة ، ونحو 20 000 مزرعة كروم ، وعلى 12 جزيرة في بحيرة أورميه .

دمدمي ، قلعة صفوية تحتوي على جامع جغالوغلو سنان باشا . **دنبلي** ، مركز لواء في أورميه ، مدينة تركمانية ذات قلعة ، وسوق يحتوي على 3000 دكان ، وأجمل جوامعها الـ 7 الجامع الذي بناه قره قويونلو جهان شاه . **سلماس** ، مركز لواء في إيالة تبريز ، به 3000 دار و 3 جوامع . شعبها أتراك سنّة ، لكنهم لا يصرحون بأنهم سنّة .

سلطانية ، مركز لواء في إيالة خمسة ، في جنوب شرقي زنجان . يعتقد أنه كان فيما مضى مدينة كبيرة جدا ، ولفترة كان مدينة العرش للإلخانيين . يحتوي خارج القلعة حاليا على 1000 دار .

سراف ، مركز لواء مكون من 4000 دار . حاليا لدى إيران ، ولكن تشاهد فيه شواهد قبور ولاة العثمانية مثل بييقلي حسن باشا ، أرسلان باشا ، مصطفى باشا .

نهاوند ، أصبحت لفترة من الزمن مركز إيالة عثمانية . تقع في جنوب همدان ، يحيط بالمدينة سور طوله 13000 ذراع ، ذو قلعة ، ويتكون من 70 جامعا ومسجدا ، 7 مدارس ،

40 مكتبًا ، 6 تكايا ، 40 حنفيه مياه مبنية ، 20 سبيلا ، 7 منازل مسافرين ، 70 سرايا ، 7 حمامات ، 130 قصرا وسوق ذي 1000 دكان . يحتوي قضاؤها المركزي على نحو 150 قرية . حاليا مركز لواء صفوي . يشاهد في قلعتها جامعا عمر رضى الله عنه وهارون الرشيد ، وحمام جغالوغلو سنان باشا .

كنغور Kengur (كنكاور Kengâver) وبيستون ، مدينتان فتحهما جغالوغلو في 1586 و 1590 في شمال غرب نهاوند ، بنى قلعة كل منهما جغالوغلو سنان باشا .

همدان مركز إيالة . يسكنها الأتراك ، في أقصى غرب الإيالة ، ويعتقد أنها كانت فيما مضي مدينة أكبر مما هي عليه الآن ومركزا للإيالات المجاورة المسماة عراق عجم ، وأصبحت مركزا للعرش لبعض الدول (السلجوقيون مثلا) . ولفترة من الزمن ، أصبحت مركزا لإيالة عثمانية . تحتوي الإيالة على نحو 500 قرية . لها قلعة ذات 70 برجا ، 8000 دارا ، سوق شاه فيه 2000 دكان ، 200 قصر ، 7 حمامات ، 11 تكية ، 40 مكتبًا وحوالي 150 حنفية مياه مبنية (جشمة) . المنزل الذي بناه فرهاد باشا أفخم منزل للمسافرين بين منازلها الثلاثة . أبوابه مصنوعة من فولاذ ناهجوان . فيها 3 مطابخ للمحتاجين ، 7 كنائس ، ومعبد لليهود . فيها شاهدا قبري فقي باشا وصحابي باشا . فتحها أولاً في 1533 مقبول إبراهيم باشا ، ثم جغالوغلو سنان باشا ، ثم خسرو باشا ، استرجعها الصفويون .

كرمان ـ شاه ، مركز الإيالة التي تحمل الأسم ذاته . يشكل الأكراد أكثرية شعب الإيالة .

دركوزين ، مدينة تحتوي على 7000 دار ، 7 جوامع ، مساجد كثيرة ، 5 مدارس 15 مكاتب ، 4 حمامات ، 600 دكان ويسكنها حاليا الخان بكلربك كرمان ـ شاه . يلقب ولاة الإيالات البكلربك في إيران بلقب « خان » وأمراء اللواء السنجق بك بلقب « سلطان » . يحتوي قضاؤها المركزي على 6000 مزرعة كروم . فتح دركوزين رستم باشا في 1534 ، وجغالوغلو في 1584 ، وخسرو باشا في 1629 .

دينور أو دينلور ، مركز لواء . فتحه جغالوغلو في 1585 . قلعة متينة ، تحتوي على 500 دار .

قصرشيرين ، مركز لواء صفوي على الحدود العثمانية تماما . يتضح من طول محيطها البالغ 12000 ذراع ، أنها كانت كبيرة جدا . أصابها الخراب بسبب كثرة فقدانها واستردادها بين العثمانيين و الصفويين . وقد أبرمت فيها الاتفاقية الأخيرة التى أنهت في 1639 أكبر حرب عثمانية ـ صفوية . أسس قصبة حلوان الكائنة في شرقها السلطان سليمان القانوني ، وهي آخر موقع صفوي آهل على حدود إيالة بغداد .

قلعة باغ جاح ، بالقرب من همدان ، فتحها رستم باشا في 1534 ، جغالوغلو في 1585 ، خسرو باشا في 1629 . يقوم بإدارتها أمير لواء صفوي يتبعه 3000 جندي .

مهربان ، فتحها للمرة الأخيرة في 1629 خسرو باشا . هي حاليا مركز لإيالة إيرانية كان مركزها إلى عهد قريب سينة (سنندج) . يحيطها سور طوله 6000 قدم . بنى قلعتها خسرو باشا .

قم ، مركز اللواء الذي في أقصى جنوب غربي إيالة ري (طهران) . دمّرها الجيش العثماني بأمر السلطان سليمان القانوني ، لم تخضع أبدا لإدارة الأتراك .

كاشان ، أو **كشان** ، دمّرت كذلك بأمر البادشاه ذاته . مركز إيالة بين قم وأصفهان . مركز صناعة الخزف الإيراني .

ينتقل أولياء جلبي في تموز من عام 1666 ثانية من قرم إلى قفقاسيا الشمالية . أنقل لكم فيما يلي بعض المعلومات المدرجة في نهاية مجلّده السابع :

تامان ، مركز لواء في إيالة كفة ، راتب أميره 320 000 آقجه ، فتحه كديك أحمد باشا من الجنويين في 1475 بواسطة اسطول . لا يحتوي على تشكيلات التيمار . ميناء مقابل كرج في جانب قفقاسيا من بوغاز كرج وقلعة بحرية . به 7 جوامع ، مساجد ، 5 تكايا ، 9 مكاتب ، 3 مدارس ، حمامان ، 5 خانات .

تمرك كيرمان ، قضاؤها . بنى قلعتها ياوز « Kermen / Kirmañ » تعني في لغة التتر التركية « قلعة » . رصيف بحري ذو 4 جوامع ومسجدين . أحد جوامعها من بناء

ياوز سليم خان . صوغوجاق Svgucak (Sovucuk) ، مركز ناحية ذو 400 دار ، وجامع ، 3 مساجد . فيها سلسلة من القلاع العثمانية كلها مراكز ناحية .

تسلّطت روسيا على الولايات الإسلامية التركية منذ 110 ستين . صغرت الآن المدن التركية الكبيرة ، وتهدمت أكثرية الجوامع ، وبدأ الروس بالاستيطان . فمثلا تبلغ حاليا نفوس استرخان Astirhân (Ejderhan) مركز إحدى الإمارات (خانلق) والميناء النهري في دلتا نهر الفولغا الذي كان تابعا في حينه للعثمانية ، 000 40 نسمة ، ويبلغ عدد المسلمين نصف هذا العدد فقط ، بقي فيها 7 جوامع ، بني فيها 49 كنيسة و 22 ديرا . وتقريبا نصف نفوس سراي عاصمة خاقانات ألطون أوردي الواقعة على نهر الفولغا مُسلمون ، فيها 7 كنائس . إن كامل شعب قازان مركز الإمارة التي تبعت العثمانية كذلك فى السابق مسلمون ولكن فيها 000 10 جندي روسي . بقي فيها 7 جوامع وبنيت 20 كنيسة . وفي ألاتر Alatir ، إحدى المدن الترية الكبيرة القديمة ، حوّل 77 جامعا إلى كنائس و لم تبق إلا 7 جوامع . وفى مدينة أوفاUfa (Mujik) في باشكردستان ، مازال هناك 50 جامعا رغم تحويل 20 جامعا إلى كنائس وأديرة . وتحتوى المنطقة على 000 20 جندي روسي . لكن نحو نصف مليون تتري مسلم يسكنون هذا القطر . ويسمى الموقع الذي تتقارب فيه استدارة نهر الدون (بالتركية : Ten) مع نهر فولغا (بالتركية : Idil) الذي يقابله ، ترك Turk أو أورو Oru أو قلاج Kalaç . وتعني « الخندق العثماني » . أمر سليم الثاني في حينه بحفر القناة المشهورة في هذا الموقع . بقيت مسافة أقل من ساعتين لالتقاء النهرين كلاهما مع الآخر . ومازالت ترى تلال التراب المكومة على الجانبين . استخدم في هذه العملية 000 100 عامل . ألقى سليم خان مسئولية عدم إكمال حفر القناة على الصدر الأعظم صوقوللو ، وألقى صوقوللو بدوره مسئولية ذلك على خان قرم محمد كيراي الذي أعدمه شنقا في سوق مدينة كفة .

آزاك ، مركز لواء في إيالة كفة . قلعة وميناء في حوض نهر الدون ، وعلى مقربة من نهاية رأس بحر آزاك ، يتجمّد بحر آزاك من 7 إلى 8 أشهر في السنة . ويعتبر اللواء من الألوية الكبيرة نوعا ما حيث يتقاضى أميره 000 400 آقجه . الرتب الحالية للوالي

(بكلربك) و لمعاونة ، فريق أول (بكلربك) . يرابط في اللواء 13000 جندي ، 4000 منهم إنكشاريون ، 2000 جيبه جي (صنف تجهيز الأسلحة) ، 2000 مدفعيون . يبدل هؤلاء مع الوحدات الجديدة القادمة من استانبول سنويا . قلعة كبيرة جدا . المسافة بين بابيها على امتداد نهر الدون 10 000 ذراع . فيها 400 2 دار . وتحتوي القلعة على جامع بايزيد الثاني . باشا سراي ذو الـ 55 غرفة ، واسطبله يستوعب 100 حصان .

سد إسلام ، القلعة الجديدة التي بناها محمد الرابع مع جامع واحد . وعلى مسافة قريبة منه شاه كوله سي (برج شاه) الذي بناه السلطان نفسه ، وقلعة « سلطانية » التي بنتها والدته ، والدة ـ سلطان . لا يتمكن القوزاق الاوكرانيون المعتادون على السطو والنهب ومغول قالمق البوذيون من اجتياز نهر الدون والوصول إلى بحر آزاك بفضل هاتين القلعتين : إذ إن هاتين القلعتين متقابلتان على نهر الدون ولا يمكن اجتيازهما عنوة من خلال نيران المدفعية المتقابلة .

20 ـ العراق

موقع العراق في أقصى شرق العالم العربي . يحده شرقا إيران . كانت إدارته لدى السلالات التركية من 1055 إلى 1918 : السلجوقيون ، الإيلخانيون ، الجلايريون ، التيموريون ، قره قويونلولر (أصحاب الخرفان السود) ، آق قويونلولر (أصحاب الخرفان البيض) ، الصفويون . ضم السلطان سليم العراق الشمالي الذي أخذه من الصفويين في 1515 إلى إيالة دياربكر التي أسسها فى السنة ذاتها . وبعد مضي 20 عاما أسس ابنه السلطان سليمان إيالة بغداد ، بعد أن استولى على العراق كاملا من الصفويين . وعند تأسيس هذه الإيالة ضم العراق الشمالي أيضا إلى بغداد . وبعد مدة أسست إيالة البصرة بانفصالها عن إيالة بغداد ، وإيالة لحساء بانفصالها عن إيالة البصرة كانت إيالة لحساء تشمل غرب خليج البصرة ، أما إيالة البصرة فكانت تشمل سواحله الشمالية . ثم انفصل العراق الشمالي كذلك وأسست منه إيالة شهر زور أو كركوك أو موصل . خضعت جزيرة بحرين إلى العثمانية في 1559 (Muhimme ، 3 ، 364 ، 366) .

كانت درجة إيالة بغداد في التشريفات العثمانية الخامسة ، أما اليمن فكانت السادسة ، سورية السابعة . أسست إيالة لحساء في 1554 بعد انفصالها عن البصرة . كانت تشمل 6 ألوية . لحساء ، قطيف ، بادية ، عيون ، صفوة ، تهمية . وكانت هذه الألوية تشرف على العشائر في نجد كذلك . القطيف كان لواء بحريا ، فتحه والي البصرة علي باشا في 1550 . أول وال (بكلربك) على لحساء بييق اوْغلو مصطفى باشا ، توفي في جزيرة بحرين في ك 1/ 1559 ودفن فيها بعد تقلده منصب الولاية لمدة 5 أعوام . عين لهذا المقام عندما كان أمير للواء طرابزون . وعين مكانه واليا على لحساء أولاً ، أبوه بييقلي محمد باشا الذي كان أميرا لآق قويونلو (أصحاب الخرفان البيض) ثم أصبح وزيرا للسلطان ياوز سليم وفتح دياربكر . ثم عين مراد باشا وأعقبه أوزدمير اوْغلو عثمان باشا .

أخذ العثمانيون بغداد في 28 / 11 / 1534 ، والبصرة في 1538 ولأول مرة في ذلك التاريخ يلجون خليج البصرة وقد كان هذا بعد ولوجهم البحر الأحمر بمدة طويلة . وفي 1538 أعلن شيخ جزيرة هرمز العربي ، الكائنة على بوغاز هرمز ، خضوعه وتبعيته للعثمانية ، وعرض فى العام ذاته كل من شيخ قطيف وشيخ البحرين خضوعهما للعثمانية . وفي 26 / 12 / 1546 ، أسست إيالة البصرة . كانت تتألف من 22 لواء : بصرة ، غرّاف ، حمّار ، مدينة قرنة ، رحمانية ، زكيه ، فتحيه ، صدر سويب ، طرة ، جزاير ، زرنوق ، ابو عربة ، معدن ، كنكد ، واقع ، جاروز ، طاشكوبر ، آقجه قلعة ، آرجا ، محّرى ، رملة ، شرير . كان ميناء البصرة يحتوي على معمل تصليح وصنع السفن ، وله أمير لواء بحري . كانت الأخشاب تنقل إلى البصرة عن طريق بيره جك . وفي 1563 كانت 5 سفن حربية مرفوعة على الأعمدة في حالة إنشاء (Simao da Costa ، 5 ، 141 ـ 2) . تأسس اللواءان البحريان رملة وقطيف في 1577 لم تؤسس تشكيلات ألتيمار في إيالة لحساء كاملة وفي معظم ألوية إيالة البصرة . إذ لم يكن في هذه الأقطار سكان أتراك ، وإنما كان السكان كلهم عربا . أما أئمة عمّان ، فإنهم كانوا يتبعون العثمانية اسما للاطلاع على عرض وتأييد تبعيّة إمام عمان للبادشاه في 1780 ، انظر جودت باشا ، 2 ، 148 ـ 9) .

انضمت بعد ذلك إيالة لحساء ثانية إلى إيالة البصرة . كانت العراق تنقسم في عهد التنظيمات - كبقية أقطار غرب خليج البصرة - إلى 3 إيالات ، بغداد ، بصرة ، موصل . استمرت على هذا الوضع حتى 1918 . تعطى أحيانا إدارة إيالتين وأحيانا إدارة ثلاث إيالات لعهدة وال واحد . كانت بغداد مركزا للجيش السادس . إن كان والي بغداد عسكريا (مشيرا) ، يعطى الجيش لأمره . احتل الإنكليز البصرة في الحرب العالمية الأولى يوم 21 / 11 / 1914 ، بغداد في 11 / 2 / 1917 ، الموصل في 3 / 11 / 1918 وانهوا الحكم العثماني في البلاد .

تمكن أولياء جلبي من زيارة بغداد فقط ومر بعدة أماكن أخرى . خصص نهاية مجّلده الرابع لجولته في العراق . ومن الممكن أن تعطينا كتابته فكرة عن وضع القطر في أواسط القرن 17 (ك 2 / 1656) :

درتنك ، مركز لواء في إيالة بغداد . لواء كبير يتقاضى أميره 430000 آقجه و 20 كيسة مخصصات . نحو 90 قرية تتبع قضاءه المركزي . تحتوي قلعته على 300 من أفراد الحرس . وتأتي **درنة** على بعد 9 ساعات من درتنك نحو القبلة ، مركز لواء كبير في إيالة بغداد . يتقاضى أمير لوائها راتبا قدره 406931 آقجه . يحتوي اللواء على مايقرب من 1000 جندي .

كيلان ، مركز لواء في بغداد ذو راتب 000 200 آقجه .

صالح ، مركز لواء آخر في بغداد راتبه 000 200 آقجه

قره داغ ، مركز أحد الألوية الكبيرة لإيالة بغداد ، راتب أميره 884 387 آقجه ، لواء وراثي . **زنكاباد** ، مركز أحد ألوية بغداد راتب أميره 000 270 آقجه . يحتوي اللواء على نحو 1000 جندي ، ويتبع قضاءه 70 قرية . **بيات** ، مركز ألوية بغداد ، راتب أميره 000 200 آقجه ، يقيم فيه التركمان من قبيلة بيات . الشاعر فضولي بغدادي ينتسب إلى هذه القبيلة . **بني قصبة** مركز لواء في بغداد راتب أميره 000 260 آقجه ، 86 قرية تتبع لقضائه المركزي . يحتوي هذا اللواء على تشكيلات التيمار .

كرند ، مركز أحد ألوية بغداد راتب أميره 926 230 آقجه .

بغداد ، إحدى المدن الشهيرة المعدودة في الكرة الأرضية . إذ إنها أصبحت مدينة العرش للعباسيين ومركزا للمسلمين وأكبر مدينة في العالم مدة 5 قرون . أسست في الضفة الشرقية من دجلة . ويجرى نهر ديالي في جانبها الشرقي . فتحها السلطان سليمان خان القانوني من الشيعة الصفويين (28 / 11 / 1534) وسدد لقبري الإمام الأعظم والشيخ عبد القادر الكيلاني فقط مبلغ 100 000 ليرة ذهبا . ثم تعرضت بغداد مجددا للاحتلال الصفوى لمدة 15 سنة . استرجعها مراد خان الرابع بعد خوضه أكبر معركة شهدها عصرنا . حاصر مراد خان بغداد بجيش يبلغ عدده 170 000 جندي لمدة 40 يوما و 40 ليلة دون أن يتوقف إطلاق النار دقيقة واحدة . استشهد الصدر الأعظم طيار محمد باشا . كان في المدينة 11 خانا صفويا (بكلربك = فريق أول) ، 70 سلطانا صفويا (سنجقبك = لواء) ، 110 000 جندي صفوي ، 30 000 من أرباب الحرف الصفويين . استسلمت المدينة بعد مقتل 87000 جندي صفوي . أنفق مراد خان مبالغ كبيرة لإصلاح الدمار الكبير الذي أصاب المدينة . كساكل قبر الإمام الأعظم أبو حنيفة الذي كان الصفويون يحّقرونه ويستهزئون به كلما مروا عليه في ذهابهم وإيابهم ، بالفضة وزيّنه بمئات القناديل والثريات الذهبية ذات الأحجار الكريمة . كما أولى العناية ذاتها لإعادة إنشاء قبور : الإمام موسى الكاظم ، الشيخ عبد القادر الكيلاني ، الشيخ شهاب الدين السهروردي . أصلح القلعة وكل الأبنية . ارسل جميع حكام العرب في نجد وعمّان 130 مفتاح قلعة إلى الخاقان خلال وجود مراد خان في بغداد ، معلنين طاعتهم . حضر إلى بغداد نحو 600 من شيوخ العرب واستقبلهم الخليفة ، كان بعضهم من حضرموت واليمن . خصص السلطان مراد لقلعة بغداد 8000 إنكشاري ، 2000 جيبه جي ، 2000 جندي مدفعية وركز أكثر من 1000 مدفع . أعاد التنظيم الإداري لإيالة بغداد وجعلها 18 لواء . وأسس تشكيلات ألتيمار في 7 ألوية منها (بغداد ، حلّة ، زنكآباد ، جوارز ، رماحّية ، جنكوله ، قره داغ) . أما الألوية الخالية من نظام ألتيمار فهي : درتنك ، سماوات ، بيات ، درنة ، واسط ، كرند ، دميرقابو ، كيلان ، صالح ، قرانيه ، مهبالا . ودمج لواء عمادية الوراثي في الشمال بإيالة شهرزور . أعاد تنظيم تشكيلات إيالتي البصرة في جنوب بغداد ولحساء التي في جنوبها . أكسب الديار العربية التي تعتبر درر الخلافة والسلطنة العثمانية ، الأهمية التي تستحقها ونفخ فيها روحا جديدة

بحيث يخال أن عهد جديه السلطان سليم والسلطان سليمان قد عاد من جديد . بغداد من الإيالات الكبيرة . راتب الوالي (الوزير) 000 16 آقجه . يرابط في الإيالة 000 40 جندي تتجاوز مصروفات هذا الجيش الصغير السنوية 320 مليون آقجه .

وفي الحملات الإيرانية تعطى القيادة العامة للجيش إلى والي بغداد الذي يكون وزيرا على الأغلب ، ويخضع كل ولاة الإيالات القريبة من إيران لأمره . قاد 3 سلاطين فقط حملات همايونية على إيران ، السلطان يلوز سليم حملة واحدة ، ابنه السلطان سليمان القانوني 3 حملات ، السلطان مراد الرابع حملتين . أما الحملات الأخرى فقد قادها الصدور العظام والوزراء القواد . إذ إنها لا تشبه الحملات الأوروبية ، فهي بالغة المشقة وتستمر مدة طويلة . أما حملة السلطان محمد الفاتح ، فإنها لم تكن تجاه الصفويين ، بل تجاه آقويونلولر (أصحاب الخرفان البيض) والأناضول الشرقية . كان يلدرم بايزيد خان قد وصل قبلها إلى الاناضول الشرقية ، لكنه لم يذهب إلى إيران . يتسلم قاضي بغداد 500 آقجه في اليوم + 000 800 آقجه في السنة + 000 10 ليرة ذهبا في السنة راتبا ومخصصات . وآغا الإنكشارية في بغداد يتسلم 1500 ليرة ذهبا راتبا سنويا + 000 50 ليرة ذهبا مخصصات سنوية . يتقاضى موظفو المالية الأول والثاني للإيالة سنويا مبلغ 000 100 و 000 80 آقجه . أمراء ألوية (سنجق بك) الإيالة يتقاضون مبالغ تتراوح بين 000 200 (4 ألوية) و 951000 آقجه (حلة) في السنة .

يحيط بمدينة بغداد سور طوله 28000 ذراع . لكن المدينة امتدت خارج السور بشكل واسع النطاق . قلعتها احدى أكبر قلاع الإمبراطورية . عرض خندقها 60 ذراعا . مجرى دجله ، ميناء من أوله إلى آخره . ارتفاع السور 60 وعرضه من 10إلى 15 ذراعا . تسمع الموسيقى العسكرية التي تعزفها 8 فرق من دار الموسيقى العسكرية (مهترخانه) ، من القلعة الداخلية ، من الأعظمية . وطبل المهتر الكبير الذى يصعد إليه بثلاث درجات من السلم أمر يستحق المشاهدة . له دوي يهز الأرض والسماء . وصلت شهرته إلى استانبول وسمّي « كوس بغداد » أى طبل بغداد . لايوجد طبل يفوقه حجما . تحتوي على 665 جامعا ومسجدا . يسمى حاليا جامع سليمان خان

الموجود داخل القلعة ، باسم جامع مراد خان ، حيث هو الذي جدّده . بنى سليمان خان جامع الشيخ عبد القادر الموجود داخل المدينة . الآثار المتبقية من العباسيين والسلالات الحاكمة قبل العثمانية كثيرة إلى درجة لايمكن إحصاؤها . مدرستا المرجانية والخلفاء ، تقدّمان دروسا عالية . تحتوي على مدارس ومكاتب كثيرة جدا ، نحو 700 تكية أكثرها صغيرة ، 300 دورة مياه وسبيل تحصل على مياهها من دجلة . أن أجمل الأبنية الحاوية على الحنفيات (جشمة) ، هي التي بناها العثمانيون . إن تكيتها المولوية تستلف النظر بين تكاياها الأخرى . في المدينة 24 منطقة . نحو 150 سراي وما يقرب من 350 قصرا تحتوي على حمّامات خاصة . سوق بغداد ، يشمل 2000 دكان . وعدا ذلك أسواق كثيرة جدا ، وسوق لبيع التحف الثمينة . يمكن شراء أثمن السلع الموجودة في قارة آسيا من سوقها هذا . معظم الحمامات والمطابخ العامة بناء عثماني . بنى سليمان خان مطابخ للمحتاجين بكل من مراقد الكيلاني ، السهروردي ، موسى الكاظم وأبو حنيفة التي أعاد إصلاحها بشكل شامل كأنها شيدت من جديد . وينبغي أن نضيف أن بمدينة بغداد 8 كنائس و 3 معابد لليهود . تتكون الإيالة من 75 قضاء . اشتهرت عالميا سيوف بغداد ، مصنوعاتها من جلد الغزال ، منسوجاتها ، مصوغاتها ، مصنوعاتها النحاسية ، وهي تباع بأسعار جيدة في كل أنحاء العالم . معظم الشعب من العرب السنة والشيعة . الأتراك كثيرون جدا كذلك . ويوجد قليل من الأكراد ، العجم ، اليهود ، الأرمن . وفي شرقها طاق كسرى ، من بقايا الآثار الساسانية . جسر بغداد ، جسر كبير صُنع من شد 45 قطعة من السفن جنبا لجنب ، يصرف مبلغ 3000 قطعة ذهبية سنويا لصيانة الجسر . توجد أنقاض كثيرة في الأطراف . إن أطلال المدائن مشهورة ، وهي التي كانت مدينة عرش الساسانيين . تربية الحمام في بغداد مهنة كبيرة انتقلت عن العباسيين . هناك أنواع من الحمام تباع بسعر 250 قطعة نقود ذهبية ؛ إذ إنه يحمل الرسائل ويعيد أجوبة الرسائل بسرعة لا تصدق . لا يخطئ في المكان الذي يحط فيه في المدينة ، ولا يمكن أبدا القبض عليه . يذهب ويعود إلى الهند ، اليمن ، فاس ، مصر ، جزائر ، تونس ، وإلى المدن الحجازية المختلفة . تسمى المراسلة بواسطة الحمام « بريدا » . **الأعظمية** ، خارج بغداد على مسافة قريبة منها . بنى قلعتها سليمان خان . فيها قبر الإمام الأعظم أبو حنيفة الفخم . بناه سليمان خان مع كلية فخمة . وجدّده مراد خان

محاط بسور طوله 8000 ذراع . صرفت مبالغ كبيرة بسبب استهلاك كميات كبيرة من الذهب ، والفضة والأحجار الكريمة . يدخل إليه كما لو كان المرء يدخل إلى خزينة .

كاظمية ، ضاحية خارج بغداد وأبعد من الأعظمية ، فيها قبر الإمام موسى الكاظم . ـل يقدسه الشيعية ، وتجله السنة كذلك إجلالا كبيرا . القبر من بناء هارون الرشيد إلا أنه جدّد بعده . جدده للمرة الأخيرة سليمان خان ومراد خان . جميع جوانبه مزينة بالفضة ، والذهب ، والأحجار الكريمة . يؤمه زوار كثيرون من إيران . تحتوى القصبة على نحو 2000 دار ، مايقرب من 300 دكان وآثار خيرية كثيرة . يرقد بجوار موسى الكاظم (رضي الله عنه) حفيده الإمام التاسع محمد التقي (رضي الله عنه) الذي توفي في سن 21 . والقسم الأبعد من بغداد صحراء وتحتوي على أسود .

21 – سورية وفلسطين :

فتح السلطان سليم سورية ولبنان ، فلسطين ، الأردن من المماليك في 1516 ، وألحقها بالدولة العثمانية . أسس ياوز إيالة شام على هذه الأراضي (27/ 9 / 1516) . وأما في سوريا الشمالية فقد أسست إيالة حلب (28/ 8 / 1516) . وألحقت بهذه الإيالة بعض الألوية من الأناضول . أما شطر سورية في شرق الفرات فقد أصبح إيالة رقّة (أورفه) التي ذكرناها في حديثنا عن الأناضول الشرقية ، ثم تجزأت إيالة شام (سورية) . ونحو 1620 ، انفصلت الوية طرابلس ، حماه ، حمص ، جبله ، سلمّيه (بضم الحرف الأول وفتح الثاني) وأسست إيالة طرابلس الشام (نعيما ،2 ، 242) . وانفصلت بعدها لبنان وفلسطين وأسست إيالة صيدا . وفي عهد التنظيمات ، كان يوجد عدا إيالات سورية (شام) ، بيروت ، الأناضول مع الويتها وحلب ؛ لواء القدس الشريف الذى لم يكن مرتبطا بأية إيالة وكان تابعا لنظارة الداخلية بصورة مباشرة كالإيالات . ثم تأسس بعد ذلك في جبال لبنان ، لواء جبل لبنان المستقل ذاتيا .

حجّاج كثيرون كانوا يقدمون من أوروبا إلى القدس ، كما كان ذلك في عهد الأمويين ، العباسيين ، الفاطميين ، السلجوقيين ، الزنكيين ، الأيوبيين ، المماليك . كانت الدولة في 1626 تتقاضى من كل حاج 5 آقجه (12 دولارا) كرسم دخول .

كان الشام في العهد العثماني مركزا صناعيا، وحلب مركزا تجاريا. والمدينتان ذواتا حركة وفعالية كبيرة. كان في حلب في القرن 17 ـ 4 قناصل لدول أوروبية (1619)، وتجار من جميع أطراف العالم ومن الهند وأوروبا، 16000 من السكان الروم الأرثوذكس، 12000 أرمن غريغوريان، 000 10 سرياني، 000 10 ماروني كاثوليكي عربي، وعدا ذلك عدد كبير جدا من العرب والأتراك، 120 جامعا، 40 كروانسراي (منزل مسافرين كبير)، 355 خانا، نحو 50 حماما عموميا، وتحتوي الإيالة بأكملها على 000 250 عربي كاثوليكي وليفانتن (Tavernier، 123 ـ 5؛ Simeon، 154 ـ 5)

وفي عهد التنظيمات سميت الإيالة « إيالة سوريا » بدلا من تسميتها « إيالة شام »
احتلت الإنكليز شام في 1 / 10 / 1918، وحلب في 27 / 10 / 1918 وانفصلتا عن الدولة العثمانية، وسقطت بيروت كذلك في الشهر ذاته. أسست إيالة بيروت في 1883 بانفصالها عن إيالة سورية. كانت إيالة سورية في 1882 تتكون من ألوية شام، بيروت، طرابلس، لاذقية، عكا، حماة، بلقاء، حوران. ولما كان عدد نفوس الذكور في هذه الإيالة 987 405 شخصا، فإنه يتضح من ذلك أن عدد النفوس الكلي يبلغ نحو 000 1600 نسمة. تحتوي الإيالة على 3390 قرية و 29 قصبة، لم تصبح ناحية، 78ناحية، 29 قضاء، 8 ألوية. كان عدد نفوس الرجال (البالغين) في مدينة شام يبلغ 605 38 (976 31 مسلما، 1816 روميا أرثوذكسيا، 2050 رومي كاثوليكيا، 115 عربيا مارونيا، 17 روميا برتستانتيا، 54 سريانيا، 158 سريانيا كاثوليكيا، 123 ارمنيا غريغوريانيا، 126 ارمنيا كاثوليكيا، 65 أوروبيا كاثوليكيا و 115 2 موسويا). يمكن تقدير عدد نفوس المدينة بـ 000 194 نسمة. أما عدد نفوس الرجال البالغين في الإيالة فقد كان 000 331 مسلم، 671 38 روميا أرثوذكسيا، 309 17 روميين كاثوليكيين، 13800 ماروني عربي كاثوليكي، 547 بروتستانتيا (رومي، أرمني، ليفانتن)، 645 سريانيا، 162 سريانيا كاثوليكيا، 513 أرمنيا غريغوريا، 217 أرمنيا كاثوليكيا، 268 اوروبيا كاثوليكيا، 3043 موسويا. كانت قد حدثت في الإيالة أجمعها خلال شهر آيار 1881، 3 جرائم قتل، لكن حدثت خلال شهر أيلول 22 جريمة قتل، 17 حادث سرقة، وحادث هتك عرض واحد

كانت إيالة حلب في 1902 ، تتكون من 3 ألوية (حلب ، أورفة ، ماراش) ، 24 قضاء ، 88 ناحية ، 3769 قرية ، 415 محلة . كان لواء حلب ينقسم إلى 14 قضاء ، أورفة 5 ماراش 5 . كانت مدينة حلب مكونة من 106 محلات ، أورفة 51 ، ماراش 42 ، عينتاب 82 ، مدينة كيليس 43 محلة . كانت ولايتا غازى عنتب وهاتاي الموجودتان حاليا في تركيا ، تابعتين إلى لواء حلب المركزي ، هذا عدا أورفة وماراش . وبالنسبة لعدد نفوس عام 1899 ، فقد كان عدد نفوس الإيالة 443 858 (992 747 مسلما ، 712 51 أرثوذكسيا غريغوريانيا أرمنيا ، 212 11 كاثوليكيا أرمنيا 635 10 بروتستانتيا أرمنيا ، 8377 أرثوذكسيا روميا ، 408 8 كاثوليكيين روميين ، 395 مسلما غجريا ، 694 9 موسويا ، 4595 أجنبيا ، 773 كاثوليكيا ليفانتنيا ، 1897 كاثوليكيا مارونيا عربيا ، 2584 أرثوذكسيا سريانيا ، 164 أرثوذكسيا كلدانيا ، 18 سريانيا قديما ، مجموع المسلمين السنّة 387 78 ، ومجموع عدد غير المسلمين 854 109 كان الشام مركزا للجيش الهمايوني الخامس .

كانت الدولة قد حصلت ضرائب في 1899 ، من لواء حلب 276500 ، من أورفة 319 63 ، من مازاش 57043 ليرة ذهب . وصرفت من مجموع هذه الضرائب البالغة 863 396 ، 67153 ليرة ذهب في المنطقة التي جمعت منها الضريبة . وانتقلت البقية إلى نظارة المالية في استانبول . استحقاقات البادشاه الخاصة خارج هذا المبلغ ، أما المبالغ المصروفة على لواء الشام المركزي فإنها كانت تتعدى بكثير إيرادات هذا اللواء حيث كانت ترسل البقية من استانبول .

كان عدد النفوس في 1899 ، في مدينة حلب 561 108 وكانت المدينة تحتوي على 549 10 دارا وقصرا ، و قصر حكومي واحد ، قلعة ، تكية ، مخزن عسكرى ، مستشفين ، 19 مركز شرطة ، 106 محلات ، 169 جامعا ، 182 مسجدا ، 19 تكية ، مدرسة ثانوية ، مدرسة متوسطة عسكرية ، مدرستين متوسطين ، مدرسة صناعة ، 90 مدرسة ابتدائية ، 32 مدرسة ، 39 مكتبا لغير المسلمين ، 3 مدارس بنات ، كلية فرنسية ، 21 ضريحا مشيّدا ، 21 كنيسة وديرا ، 3 معابد لليهود ، 77 سبيلا ، 40 حماما ، 76 حنفية مياه مبنية (جشمة) ، داري توقيت ، برج ساعة واحد ، 7

مكتبات ، 7635 دكانا ومخزنا ، 23 صيدلية ، مطبعتين ، سوق تحف 113 خانا ، 29 طاحونة مائية ، 128 طاحونة تديرها حيوانات ، 109 أفران ، 2915 آلة حياكة يدوية (تزكاه) ، 4 مكابس ، 8 ورش دباغة ، 27 ورشة طبع الأقمشة ، 97 مقهى ، 129 معمل صباغة ، 12 معمل صابون ، 15 مصنع سباكة معادن ، 4 مصانع للأنسجة القطنية ، 4 معامل مشروبات كحولية ، 5 كازينوهات ، 38 حانة مشروبات ، 577 مزرعة كروم ، 373 حديقة ، 1885 عرصة ، 12 جسرا ، مستشفيين للأمراض العقلية ، 3 معامل أوان فخارية ، 20 معمل كلس ، مذبحين (سلخانة)

ومدينة أورفة في 1899 كانت تحتوى على : قصر حكومي واحد ، ثكنتين ، 3 مراكز شرطة ، مستشفى واحد ، 58 جامعا ومسجدا ، 4 تكايا ، 11 كنيسه وديرا ، معبد يهودي واحد ، 31 مدرسة ابتدائية ، مدرسة متوسطة ، 11 مدرسة ومكتبة ، 342 9 دارا وقصرا، 2052 دكانا ، 32 خانا ، 18 فرنا ، 43 حنفية مياه مبنية وسبيل ، 14 حماما ، 51 طاحونة ، معمل واحد ، 295 عرصة وحديقة ، 4 مروج .

وكانت مدينة ماراش في التاريخ ذاته تحتوى على : قصر حكومي واحد ، مخزن عسكري واحدة ، قلعة واحدة ، ثكنة واحدة ، 10 مراكز شرطة ، 55 جامعا ، 50 مسجدا ، 8 مدارس (دينية) ، 5 تكايا ، كنيسة واحدة ، مدرسة متوسطة واحدة ، 30 مدرسة ابتدائية ، مكتبة واحدة ، 9 كنائس ، ودير ، 20 مكتبا للمسيحين ، 192 7 دارا وقصرا ، 42 محله ، 1638 دكانا ، سوق تحف واحد ، 41 فرنا ، 150 حنفية مثبتة على بناية (جشمة) ، 12 حماما ، معملي صابون ، 75 طاحونة ، 285 آلة حياكة ، 300 آلة لحياكة الأقمشة الصوفية السميكة ، 4 صيدليات ، معملي قطنيات ، معملي بكرات ، دار توقيت واحدة ، 12 خانا ، 552 حديقة .

وكانت مدينة غازى عنتب في التاريخ ذاته تحتوي على : 986 6 دلرا وقصرا ، 38 جامعا ، 57 مسجدا ، 21 مدرسة ، 7 تكايا ، مدرسة متوسطة واحدة ، مدرسة أيتام واحدة ، 20 مدرسة ابتدائية ، كلية أمريكية واحدة ، 5 كنائس ، معبد يهودي واحد ، 31 حماما ، 320 2 دكانا ، 4 أسواق تحف ، 15 خانا ، 30 فرنا ، 6 ورش دباغة ، 45 مصبغة ، 11 طاحونة ، 8 معامل مشروبات كحولية ،

طاحونة واحدة تعمل بإشعال النار ، 5 معامل صابون ، مكتبة واحدة ، مستشفى واحد ، قلعة واحدة ، مخزن عسكري واحد ، مخزن عتاد واحد ، قصر حكومي واحد ، 210 2 آلة حياكة .

وكانت مدينة أنطاكية في التاريخ ذاته تحتوى على : قنصلية لدولة واحدة ، معاونية قنصلية لأربع دول ، قصر حكومي واحد ، ثكنه واحدة ، 120 جامعا ومسجدا ، 27 مدرسة ومكتبة ، 5 تكايا ، مدرسة متوسطة واحدة ، 39 مدرسة ابتدائية ، 7 مدارس للأقليات ، 3348 دارا وقصرا ، 15 كنيسه وديرا ، 5 حمامات ، 2093 دكانا ومخزنا ، 24 خانا ، 122 طاحونه ، 32 فرنا ، 30 حنفية مياه مبنية ، 11 مصنع صابون ، 29 معمل خيوط ، 520 1 مخزن غلّه (عنبر) ومخزن تبن ، 420 2 حديقة وعرصة .

ومدينة كليس في التاريخ ذاته ، كانت تحتوي على : قصر حكومي واحد ، مخزن عسكري واحد ، 4700 دار وقصر ، 34 محله ، 37 جامعا ، 14 مسجدا ، 24 تكيه ، 8 مدارس ، مدرسة متوسطة واحدة ، 25 مدرسة ابتدائية ، 4 كنائس ومعبد واحد لليهود ، 5 حمامات ، 59 طاحونه ، 3 اسواق تحف ، 3 مصانع صابون ، 31 فرنا ، 50 خانات ، 638 1 دكانا ومخزنا ، 72 مصنع بكرات ، 48 مقهى ، 10 مصابغ ، 5 خانات مشروبات ، 120 آلة حياكة ، 5 صيدليات ، 23 حنفية مياه مبنية (جشمه) .

أورد فيما يلي بعض المقتطفات من بداية المجلد 3 لأولياء جلبي الذي يبين فيه الوضع عام 1649 :

حما ، مركز لواء في إيالة طرابلس . أخذها سليم خان من المماليك كما أخذ كامل سورية وفلسطين . أصبح كوزلجه قاسم بك الذي عيّنه كأول أمير لواء ، وزيرا بعد ذلك . وقونيه لي مصلح الدين حجابي افندي الذي عيّنه أول قاض ، هو زوج أخت شيخ الإسلام كمال باشا ــ زاده . راتب الأمير 360 354 آقجه . له نحو 2000 جندي . يوجد على نهر العاص نحو 1000 دار ، سراى عرنووط محمد باشا ذو 300 غرفه وحمّامين ، 7 جوامع ، ومساجد عديدة ، عدة مدارس ، 72 مكتبا ، وتكايا ، 7 خانات ، 181 قصرا . إن جامع عبيدة بن الجراح وهو من العشرة المبشرين ، وجامع كوزلجه قاسم ، جامعان جميلان .

حمص ، مركز لواء آخر للإيالة ذاتها ، بمسافة 6 ساعات نحو جنوب حما . راتب أميرها 290 220 آقجه . تجهز حوالي 2000 جندي سباهي . قلعتها متروكة لحالها ، إذ إن البدويين امعنوا في تخريبها . تحتوي على 4 مدارس ، 7 مكاتب ، منزل مسافرين ، 3 خانات ، 3 تكايا حمام .

قطيفه ، مركز قضاء . فيها كروانسراي قوجا سنان باشا الذي يستوعب 10 000 شخص ، واسطبلاته منظمة بحيث يمكنها استيعاب 5000 حيوان . نموذج مدهش للحضارة العثمانية وسط الصحراء . يحيط به منشآت ، أقسام ومرافق (كلية) كاملة

رياق ،قلعة ، مركز لواء في إيالة شام في شمال غربي الشام . راتب أميرها 485 253 آقجه وتجهز 150 1 جنديا سباهيا

بعلبك ، مركز قضاء في شمال شرقي رياق . قلعته موجوده . تحيط بها انقاض المدينة الفخمة

زيداني ، قلعة مركز قضاء على طريق شام ـ بيروت وتليها في المحطة التالية قلعة قاسمية على البحر الأبيض التي بناها كوزلجه قاسم باشا

صور ، ميناء وقلعة على البحر الأبيض ، قضاء في لواء صيدا . قصبة صغيرة تحتوي على 300 دار ، 3 محلات ، جامع . محيط القلعة 6000 ذراع وهي مدينة تير Tir القديمة

عكا ، قلعة وميناء على البحر الأبيض في أقصى الجنوب في شمال فلسطين . محاطة بـ 7 طوابق من الأسوار التي يبلغ طولها 9000 ذراع . بني فاتح قبرص قوجا سنان باشا في القلعة ، البرج الذي يبلغ طول محيطه 800 ذراع . فيه جامع سليمان خان وكلية قوجا سنان باشا ذات الجامع مركزوانسراي

صفد ، مركز قضاء آخر في شمال غربي بحيرة طبريّة . يقيم في هذا القضاء 80 000 يهودي متعصّب ينطقون العربية فقط

حيفا ، ميناء في جنوب صفد ومركز قضاء في لواء عجلون . **يافا** ، مركز قضاء في لواء غزه ، قلعة جميلة جدا في شمال غربي القدس ، ميناء فعّال يحتوي على 500

دار ، بمسافة مرحلة واحدة عن القدس وأقرب مرفأ إلى القدس . **لوط** (بالعبرية : Lydda) قضاء غزة ، يحتوي على 1000 دار ، 3 جوامع ومساجد ، تحمل اسم نبي الله لوط . **رملة** ، قلعة قريبة لها جدا ، قضاء غزة . تلي مدينة غزة بعد الاتجاه نحو الجنوب – الشرقي . وهو مركز للواء كبير فى إيالة شام ، في جنوب غربي فلسطين ، وعلى باب شبه جزيرة سيناء . راتب أميره 328 508 آقجه ومخصصاته 000 40 ليرة ذهب . يجهّز اللواء 1150 تيمارلي سباهي . مليء بالقرى المنتجة والعامرة . وما بعده صحراء . يحتوي على 200 1 دار ، 11 جامعا 59 مسجدا ، نحو 200 سبيل ، حمامين ، 600 دكان ، جامع قوجا سنان باشا بمنارته ذات الشرفات الثلاث ، و جامع حسين باشا ، حمّامه ومنزله ، جميل جدا . **قنيطرة** ، قضاء في جنوب غربي الشام بين شام وصفد ، شهير بكلية فاتح قبرص لالا مصطفى باشا الفخمة . **معرة النعمان** ، مركز لواء في إيالة حلب ، بين حما وحلب ، أقرب إلى حلب . راتب أمير اللواء السنوي 000 230 آقجه + 000 20 ليرة ذهب مخصصات . يرابط في اللواء 560 1 تيمارلي . شعبه تركمان وعرب . تحتوي القصبة على 800 دار ، 26 جامعا ومسجدا ، 45 دكانا ، خان ، حمّام ، مكاتب ، تكايا . ينتسب إليها الشاعر العربي الشهير أبو العلاء المعري. **باب** ، قضاء فى لواء حلب المركزي ، في شمال شرقي حلب . سكانه تركمان وعرب ، 76 قرية تابعة لهذا القضاء . يحتوي على أكثر من 1000 دار ، 11 جامعا ومسجدا . فيه قبر عقيل أخى علي (كرم الله وجه)

ترجع مشاهدات أولياء جلبي هذه لسنة 1649 أما مشاهداته عن سورية وفلسطين والتي سنوردها فيما يلي ، فإنها ترجع إلى سنة 1671 (9 ، 364 – 585) :

عبرت من الأراضي الأناضولية لإيالة حلب ، إلى الأراضي السورية . المرحلة الأولى **مرج دابق** (بلعربية : مرج الدابق ، بالتركية : دابق جايري)

أفنى السلطان سليم في هذا الموقع الجيش المملوكي مع سلطانه واسر الخليفة العباسي الأخير . سبب هذا الانتصار بسط نفوذ العثمانية على سورية وفلسطين كاملتين . حاليا قرية . **عزيز** ، مركز لواء في إيالة حلب وتسمى كذلك عزز Azez وعزاز Azaz ولعدم وجود تشكيلات التيمار في هذا اللواء ، فإن عدد خيالة المعيّة لأمير اللواء هو

1000 فقط . يتكون اللواء من 4 أقضية ونحو 300 قرية . قلعته وأولو جامع من آثار الأيوبيين . ويوجد من الأبنية العثمانية جامع آخر وعدة مساجد و 290 دكانا . يحتوي قضاؤه المركزي على نحو 70 قرية . سكان اللواء عرب وأتراك وقليل من الأكراد .

حلب الشهباء ، فتحت أبوابها لسليم خان بعد انتصار مرج دابق ، تليت الخطبة باسم الخاقان الذى دخل المدينة يوم الجمعة ، كخليفة ، بدأت الخلافة العثمانية . وجعلت على الفور مركزا للإيالة . كانت مركزا للإيالة في عهد الدولة المملوكية كذلك . منح قره جه باشا وإليها الأول مرتبة الوزارة . راتب البكلربك 760 817 آقجه ومخصصاته 000 35 سكة ذهبية . عدد جنود المعيّة 2000 جندي . يتكون لواؤها المركزي من 9 أقضية : حلب ، باب ، بوصبوح ، حنتمان ، سليمن ، ريحا ، أدلب ، بكفلون ، أنطاكيه .

أما ألوية الإيالة فهي : حلب ، كلس ، بيره جك ، معّرة ، عزز ، بالس ، مازك ، وتركمن . إن ألوية عزز ، مازك وتركمن ، لم تشكل فيها تشكيلات ألتيمار ولا توزع عليهم اراض ويتقاضون رواتب من الدولة رأسا ، ويطلق على أمثال هذه الألوية (سالسانه) . تستطيع حلب وقت القتال أن تجهّز 000 100 جندي . يتقاضى قاضي حلب راتبا قدره 500 آقجه يوميا ومخصصات سنوية قدرها 15000 ليرة ذهب . قلعة حلب إحدى أكبر وأجمل وأفخم قلاع الإمبراطورية . مازالت قائمة وتلقى اهتماما في المحافظة عليها ، ولكن ليس لها قيمة من الناحية الحربية ، ظلّت في الداخل وبعيدة عن الحدود . تحتوي المدينة على 72 محلة . شعبها خليط من مختلف القوميات . الأكثرية العظمى من الأتراك والعرب . لكنها تحتوي كذلك على عدد من الأكراد ، الأرمن ، اليهود ، النصيرين ، اليعقوبيين وعدد كبير من الأوربيين الذين يؤمونها لغرض التجارة . يرتكز أولو جامع الذى أعلنت فيه خلافة السلطان سليم على 64 عمودا ومساحته 400 × 100 ذراع . ويوجد عدا ذلك 19 جامعا كبيرا ، جوامع صغيرة ، مساجد ، 84 مدرسة ، 217 مكتبا ، مستشفيان كبيران جدا ، 70 خانا ، 47 منها مسقوفة بالرصاص والبقية بالقرميد الأحمر ، 7 كروانسراي وأبنية مختلفة أخرى . الخانات كبيرة وعليها زحام كبير . يصلها الماء من الفرات ، ويصل ماء دجلة إلى مئات الحنفيات المشيّدة

(جشمة) في المدينة ، وإلى نحو 7000 بئر . تحتوي المنطقة على ما يقرب من 7000 بستان كروم وحدائق منظّمة بشكل جميل جدا ، وفي المدينة حديقة هنكار الخاصة بالبادشاه والتي بها قصور . أمضى فيها السلطان سليمان أحد الأشتية . هناك سوق حلب الذي يحتوي على 5700 دكان وهو من أكبر الأسواق في العالم . حركة البيع والشراء فيه كبيرة جدا . يمكن أن يعثر المرء في سوقه الخاص بالتحف على أثمن السلع في العالم . وفيه تجار يصدرون ويستوردون من والي أوروبا ، بضاعة تبلغ قيمتها 100 000 ليرة ذهبا . أهالي حلب ، أصحاب طرب ومرح يوجد مايقرب من 500 مقهى : يدوي صوت الموسيقى والرقص بحيث يسمع من كل مكان . يستوعب مقهى أرسلان 2000 شخص ، مشهور جدا ومزّين بشكل يستهوي الناظر ، لابد للقادم إلى حلب من زيارته ولو مرة واحدة يمتاز باشا سراى الموجود في القلعة الداخلية بالفخامة بين السرايات الأخرى ومخصص لإقامة الوزير - البكلربك التكية — المولوية (مولويخانه) في حلب ، أفخم تكية بين تكايا 70 طريقة . أن الباب الظلماء ، المقام الذي سلخ فيه جلد السيد نسيمي ، يزوره أناس كثيرون . ارتفع عدد نفوس المدينة حسب التعداد الذي أجراه خسرو باشا في 1533 ، إلى 400 000 نسمة . وتحتوي على قبور شخصيات تاريخية كثيرة جدا .

سرمين ، قضاء في اللواء المركزي ، في جنوب غربي حلب ، به 1000 دار ، جامع ، 7 مساجد ، 70 دكانا ، خانان ، حمامان . وتسمى كذلك سليمن . شعبها عرب . **ريحا** ، قضاء في اللواء المركزي ، بمسافة ساعة واحدة عن جنوب غربي سرمين ، به 600 دار ، جامعان ، 7 مساجد ، خانان ، حمام ، قصبة عربية ذات 70 دكانا . **بكفلون** ، تليها بعد اجتياز أشجار الزيتون مدة ساعتين . كانت قضاء ، حاليا ، ناحية سرمين ، بها 250 دارا . **ادلب** ، قضاء في لواء حلب المركزي في شمال غربي أدلب به 1345 دارا ، 3 جوامع ، 11 مسجدا ، حمامان ، 3 خانات ، مدرسة ، 6 مكاتب ، 300 دكان ، 4 مصانع صابون . المنطقة مليئة بأشجار الزيتون وصابونها جيّد . كامل شعبها عرب . **شاطر** ، مركز ناحية ، بنى فيها كوبرولو محمد باشا ، كلية عظيمة وقلعة .

لاذقية ، قلعة وميناء ومركز لواء في إيالة طرابلس . يولجه نهاية رأس شبه جزيرة

Karpas لقبرص ، لا يوجد في اللواء تشكيلات تيمار . يحتوي على 900 دار وقصر ، 3 جوامع ، 6 مساجد ، حمامين ، 3 خانات ، 3 مدارس ، 3 مكاتب ، 200 دكان ، مايقرب من 50 مخزنا مليئا بالمواد التجارية ، جسر واحد . ميناء تجارى فعال . **جبلة** مركز لواء في الإيالة نفسها ، يقع بين لاذقية وبانياس ، 360 قرية تابعة لهذا اللواء . لم تؤسس في اللواء تشكيلات تيمار . يحتوي هذا اللواء على عدد كبير من العرب الدروز . له قلعه ، لكنها خالية ، لم يخصص لها جند . ويحتوى على أكثر من 300 دار ، 3 جوامع ، 3 مساجد ، مدرسة ، 3 مكاتب ، 7 تكايا ، حمامين ، 3 خانات و 70 دكانا . يزار قبر إبراهيم أدهم بكثرة . **طرسوس** ، مركز قضاء في لواء طرابلس المركزي ، ميناء وقلعة على البحر الأبيض ، بين طرابلس وبانياس . قلعته من مخلفات الصليبيين ، وحاليًا يرابط فيها 100 جندي . شيّد كوبرولو محمد باشا ، عندما كان واليا على طرابلس ، قلعة في الجزيرة الكائنة في مدخل الميناء . **حصن آباد** ، أو قلعة الحصن ، مركز قضاء في لواء طرابلس المركزي ، في جنوب طرسوس وفي شمال شرقي طرابلس ، ذو 8 نواح و70 قرية ، تحتوي قلعتها ذات الـ 500 موضع سلاح و 3 طوابق على 70 جنديا . بالقضاء 300 دار ، 45 دكانا ، جامع ، ومسجد .

طرابلس الشام (بالتركية : شام طرابلسي) ، انفصلت عن الشام قبل نصف قرن وجعلت مركزا لإيالة جديدة . من الإيالات الساليانة أى التي لاتحتوي على تشكيلات تيمار . كانت 10 ألوية . وكان حصن آباد مركز لوائها . حاليا 6 ألوية : طرابلس ، لاذقية ، كلبن ، جبلة ، معن ، قدموس . يكثر العرب من المذهب الدرزي في المنطقة الجبلية . ويكثر كذلك العرب المارونيون في هذه المنطقة وهؤلاء كاثوليك . وفيها العرب الشيعة أيضا . ويشاهد كذلك التركمان . ويشكل العرب السنّة معظم سكان الإيالة . ميناؤها فعّال ، ويؤمن واردات كثيرة للدولة . ويشاهد السفن الإنكليزية ، الفرنسية والفلمنكية فارغة وتعود وهي بكامل حمولتها بالبضاعة . للوالي 2000 جندي معيّة . تحتوي قلعته على جنود وجامع سلطان قلاوون . وفي المدينة ، نحو 6300 دار مبنية بالحجر ، 13 جامعا ، مساجد كثيرة جدا ، 10 مدارس ، 17 مكتبا ، تكية مولوية كبيرة ، مع 7 تكايا أخرى ، 12 حماما ، سوق تحف ، 2700

دكان ، نحو 70 حنفية مياه مشيدة (جشمة) ، ميناء يستوعب ألف سفينة ، نحو 200 مخزن ، وخانات كثيرة جدا . كل الشوارع ذات رصيف ومرصوفة بالحجر الأبيض .
جبيل ، أو جبل ، قضاء في هذه الإيالة يحتوي على حوالي 100 قرية . من قرى لبنان الجبلية . تحتوي هذه الجبال على نحو 3000 جندي درزي حامل بندقية . يقدّم بكّات (أمراء) الدروز ، هؤلاء الجنود لإمره الوالي عند طلبه . مركز القضاء بطرون ، ميناء في شمال بيروت على شرم من البحر ، به 200 دار ، جامع سليم خان ، 4 مساجد ، 20 دكانا ، خان ، مكتب ، ويوجد في قلعته 50 حارسا . وعلى امتداد البحر الأبيض ، على مسافة 3 ساعات نحو الجنوب يقع نهير إبراهيم ويشكل الحدود بين إيالة طرابلس وإيالة صيدا . يقع نهر بيروت بعد مسيرة 3 ساعات بين بساتين التوت وبعد مسافة 8000 ذراع بعد اجتياز النهر ، يقع ميناء بيروت وقلعته .

بيروت ، وتسمى كذلك موز ، شهرموز أو قلعة موز . داخل خليج ، موقع جميل على البحر الأبيض . مركز لواء في إيالة صيدا . لايوجد فيها تشكيلات تيمار . لاميرها نحو 1000 جندي معيّة ، ويتبع هذا اللواء نحو 600 قرية . معظمها قرى درزية جبلية . يقوم بحراسة قلعتها التى تتجه مدافعها نحو الميناء ، 150 جنديا . يحيط بالقلعة سور طوله 450 4 ذراعا . وتحوى على 2700 دارا ، 8 جوامع ، 30 مسجدا ، 4 حمامات ، 17 مدرسة ، 8 مكاتب ، 7 حنفيات مياه مشيدة ، 300 دكان ، 40 مقهى ، 8 خانات ، 200 مخزن قصور ، مبنية على شكل شبه سراى ، كشك سليمان خان . ينطق الشعب اللغة العربية لكنهم ينتمون إلى شتى المذاهب منهم الدروز ، الشيعة والمارونيين . إلا أن الموظفين والجيش من الأتراك . وتقع صيدا ، بعد مسيرة 9 ساعات نحو الجنوب . يسميها الأفرنج « Sidon » . وهي ميناء وقلعة على البحر الأبيض بين بيروت وصور . تكونّت هذه الإيالة في أوائل 1661 بناء على طلب كوبرولو – زاده فاضل أحمد باشا ، عندما كان واليا على الشام ، وفصلت عن إيالة شام وانقطع بذلك ارتباط إيالة شام بالبحر . لايوجد في الإيالة تشكيلات « تيمار » . وهى 6 ألوية : صيدا ، بيروت ، صفد ، عكا ، معن وترابي . راتب الوالي 000 811 آقجه ومخصصاته السنوية 250 كيسه وله 2000 جندي معيّه . يحتوي قضاؤها المركزي على 8 نواح . يحرس القلعة 200 جندي . ميناؤها وجمركها فعالآن وإيراداته كبيرة.

ترد السفن الكثيرة من أوروبا وتحمل البضائع . تحتوي على 1400 دار ، جامع سليم خان و 8 جوامع أخرى ، مساجد غير قليلة 10 مدارس ، 7 مكاتب ، 3 حمامات ، 4 خانات كبيرة جدا ، 400 دكان وعدة قنصليات أوروبية . لكنها ليست مزدحمة كبيروت . شعبها عرب . وتحتوي كذلك على أتراك وعدد قليل من اليهود . وعند السير نحو الجنوب على امتداد البحر الأبيض نجد صور . ويسميها الإفرنج « Tir » . أكبر ميناء بين صيدا وعكا . ناحية في قضاء صيدا المركزي . قلعته التي يبلغ محيطها 6000 ذراع ، عبارة عن أنقاض في الوقت الحاضر . تحتوي على 300 دار . شعبها كاثوليكي .

صفد ، في شمال شرقي فلسطين . مركز لواء في إيالة صيدا . راتب لوائها 373000 آقجه . يحتوي اللواء على تشكيلات تيمار . قلعتها انقاض وخالية من الجند . تحتوى على 1 300 دار شعبها من العرب واليهود . بها 8 جوامع ومساجد كثيرة ، مدرستان ، عدة مكاتب ، 7 تكايا ، 6 حمامات ، 3 خانات . باشا خان كالقلعة ذو 4 طوابق . محيطه 600 ذراع . يقال إن عدد اليهود في المدينة سابقا كان 12000 توزعوا هنا وهناك ، انخفض عددهم الآن إلى 2000 . حركة البيع والشراء في سوق تحف سنان باشا كبيرة . عدد غرف باشا سراي 70 غرفة وكتب على السراي : بناه أمير اللواء (سنجق بك) بيري اوغلو محمد بك عام 1572 . المنطقة بكاملها مليئة بأشجار التوت والزيتون ، فيها حوالي 40 مصنعا لنوع سميك جدا من القماش يسمى (كجه) . لا يقيم الأكراد في هذه المناطق ، إلا أنه يوجد زقاقان يسكنهما الأكراد الذين جاءوا واستوطنوا هنا . الأتراك عبارة عن الموظفين ، إلا أن الجميع يحسنون التكلم بالتركية . يوجد فيه غار بيت الحزن ، الذي يقصد الكثيرون لزيارته ، ويقال إن هذا الغار هو المكان الذي مكث فيه يعقوب عليه السلام سنوات عديدة وابيضت عيناه من الحزن تحسّرا على يوسف ، ثم أبصر فيه بعد ذلك عندما ألقي عليه قميص يوسف فارتد بصيرا . وفي منعطف الطريق على مسافة 8 ساعات من صفد ، بنى قوجا سنان باشا في عين تجّار ، جامعا مساحته 80 × 80 ذراعا ، وكلية ذات منزل للمسافرين كالقلعة . إذ إنها ملتقى طرق شام ومصر وقدس .

نابلس ، مركز لواء في إيالة الشام . في شمال القدس بين القدس وناصره . يحتوي

على تشكيلات تيمار . راتب أميره 645 290 آقجه ، ومخصصاته 500 8 ليرة ذهب . وتتبع نحو 200 قرية لقضائه المركزي . مدينة مزدحمة تحتوي على 4000 دار . حوّل صلاح الدين لولو جامع من كنيسة إلى جامع ، مساحته 300 × 100 ذراع . البناية رفيعة وطويلة لأنها كانت كنيسة في الأصل . وتوجد 3 جوامع أخرى ، ومساجد كثيرة ، 7 مدارس مع 7 مكاتب ، 7 تكايا ، حمامان ، سوق طوله 1200 ذراع ذو 370 دكانا ، كروانسراي ذو 150 موقدا وجامع . الجامع والكروانسراي والسوق من أعمال لالا مصطفى باشا الخيرية الكبيرة .

قدس ، يسميها الأتراك « قدس شريف » والعرب « القدس » ، المسيحيون واليهود « Yerusalem » مقدس لدى كل من الأديان الثلاثة . مدينة عرش سليمان عليه السلام ، أولى القبلتين . مركز لواء في إيالة شام . تقع وسط فلسطين ، لكنها في شمال غربي بحيرة لوط وأقرب إلى وادي الشريعة منها إلى البحر الأبيض . كانت بها تشكيلات تيمار . راتب ومخصصات أميرها السنوية 485 257 + 000 20 ليرة ذهب ، وراتب قاضي القدس 500 آقجه يوميا + 000 20 ليرة ذهب سنويا . قضاؤها المركزي كبير جدا ، يحتوي على أكثر من 1000 قرية . تبلغ إيرادات الدولة السنوية من الحجاج المسيحيين القادمين من 20 إلى 25 ألف ليرة ذهب . لا يعد المسيحي حاجّا مالم يزر كنيسة قيامة . أهم يوم مقدس للزيارة لدى المسيحيين ، هو عيد الفصح Paschol عيد البيض الأحمر . يفتتح كنيسة قيامة في ذلك اليوم ، أمير لواء القدس أو ملاء (قاضي القدس فقط بالمراسم وقراءة الفاتحة وسط الاحتفال الديني المسيحي بين تهليلات البطاركة . إن افتتاح مسلم لأكبر مهرجان ديني مسيحي شئ غريب ولكن ذلك يعني إشارة ضمنية لإفهام المسيحيين القادمين من جميع أرجاء العالم أن هذه الزيارة يمكن أجراؤها بكل حرية وأمان وأطمئنان ونظام كامل ، بفضل الدولة العثمانية ، كي يتعلم الأوروبيون كيفية معاملة الذين لا يدينون بدينهم . يزور الكنيسة في ذلك اليوم عدد يتراوح بين 5 إلى 10 آلاف مسيحي ويصبحون حجّاجا . ويعودون إلى أوروبا فرحين . يتقاضى قسس كنيسة قيامة ، الخراج من كل حاج ـ عدا المعوزين ـ بمقدار 5 إلى 5 . 7 ليرة ذهب . يقود الحرس العثماني الحجاج للمسيحيين إلى بيت لحم الذى ولد فيه المسيح (عليه السلام) في جنوب القدس وإلى المدينتن المقدستين الخليل والناصره

ويرافقونهم عند العودة كذلك . المسيحي الذي يزور تلك الأماكن علاوة على زيارته الكنيسة ، يكون قد حج حجّا كاملا . أقضية القدس هي : المركز قدس ، الخليل في جنوبه ، كرك في الجهة الأخرى من لوط في الأردن و لجون شمال غربي رمله . إن ناظر الـ 700 وقف الموجودة في القدس مسئول أمام أفندي (قاضي) القدس . القدس من فتوحات سليم خان . شيّد القلعة الحالية لالا مصطفى باشا . تحتوي القلعة المحاطة بسور طوله 7 050 ذراعا ، على 4 040 مرمى سلاح وقبة جامع رستم باشا . داخل السور 1110 دار ، به جامع و عدة مساجد ، وعدد غير قليل من القصور والسرايات وجميعها مبنية بالحجر . المسجد الأقصى من أعظم المساجد تقديسا لدى المسلمين . يحتوي داخله على مئات السجّاد والثريات الثمينة جدا ، 7 000 قنديل وأشياء ثمينة أخرى ، كلها هدايا من كبار سلاطين الأيوبية المماليك والعثمانية . صلّى عمر (رضي الله عنه) الذى فتح القدس من البيزنطيين في المحراب الواقع في الجهة الشرقية منه . يتولى 800 شخص ، الخدمة في المسجد الأقصى . يصعد الخطيب يوم الجمعة على المنبر متقلدا سيف عمر (رضي الله عنه) ويتلو الخطبة باسم حضرة البادشاه خليفة روى زمين (الكرة الأرضية) . للمذاهب الأربعة ، 4 خطباء وكل منهم يعتلي المنبر مرة في الأسبوع بالتناوب . للمسجد 50 مؤذناً وقس على ذلك بقية الذين يقومون بالخدمات الأخرى . بنى السلطان سليمان القانوني مسجد الصخرة الموجود في زاوية المسجد الأقصى بالأموال التي حصل عليها من حصتّه الشرعية من غنائم غزوات بلغراد وموهاج . بنى المعمار الجامع حسبما وجهه البادشاه بنفسه واستعمل المرمر الأبيض . حضر المعمار سنان إلى القدس خصيصا لهذا الغرض وقد أشرف الصدر الأعظم لالا مصطفى باشا على البناء خلال ذلك ، عمود الذوآبة الوسطى في القبة البالغ طوله 12 ذراعا مكسو بطبقة سميكة جدا من النهب . يرى لمعانه من الأرض عن بعد مرحلة واحدة . أعمدته الاثنا عشر من مرمر السوماكي (الملون) ، سجاده الحرير بمثابة ثروة كبيرة « صخرة الله » ، عبارة عن صخرة بيضاء محاطة بسياج طوله 100 ذراع . وبسبب وجود القبة فوقه ، سمي المعبد قبة الصخرة . إن هذه الساحة المقدسة التي بدأ ببنائها عمر (رضي الله عنه) وأتمها سليمان خان ، تسمى الحرم الشريف (بالتركية حرم شريف « بكسر حرف الميم ») . يحظر دخول غير المسلمين فيها كما هو الحال

في مكة ، المدينة ، البردة الشريفة (خرقة سعاوت) وأبو أيوب الأنصاري (أيوب) في إستانبول . صرف سليمان خان من حصّته من الغنائم 1 000 كيسة لكل من مكة ومدينة وقدس (3 000 كيسة = 120 مليون آقجة = وتعادل حوالي 2و5 / مليار دولار بالسعر الحالي الرائج) إن الـ 240 جامعا ومسجدا الموجودة في القدس وجوارها ، أكثر ابنية صغيرة ، إذ إن المسجد الأقصى كبير بدرجة يمكن أن يستوعب فيها أهالي القدس برمتهم . يحتوي على 17 مدرسة ، 40 مكتبا ، 70 تكية ، 6 خانات ، حمامات ، 3 مطابخ للمحتاجين ، 18 حنفية مشيّدة بشكل خاص (جشمة) ، 70 حوضا وفسقيه وشادروان (حوض مسقّف تحيط به حنفيات عديدة ، بني على الأكثر في الجوامع لغرض الوضوء) ، 2045 دكانا ، 4 خانات كبيرة جدا و 4 حمامات جميلة . شيّد سليمان خان 18 حنفيه وكسا جميع أرصفه شوارع المدينة وأزقتها بالحجر الأبيض المصقول . فيها معبدان لليهود و كنيستان غريغوريانية ، 3 كنائس أرثوذكسية ، ومنها كنسية قمامة ، أكثر الكنائس قداسة لدى المسيحيين . قس كنيسة قمامة ، تحت إشراف ملاء القدس . تقف قطعة عسكرية عثمانية أمام الكنيسة مدة أربع وعشرين ساعة مستعدة لتنفيذ أوامر البطريك . إذ يتجمع أمام الكنيسة دائما جمع غفير من المسيحيين القادمين من مختلف أنحاء العالم ، لا يفهم أحدهم لغة الآخر . ومن الممكن أن يتهور مسيحي أو أن يتشاجر في سبيل حصوله على قطعة صغيرة جدا من أحجار الكنيسة ، لذا فإن أمير القدس أو قاضيها فقط يمكنه فك ختم باب الكنيسة المختوم في عيد الفصح مرة واحدة في السنة ويعاد الختم مرة ثانية بعد انتهاء زيارة الحج ، ولايسمح بالدخول في الأوقات الأخرى . يختلي بداخله 300 راهب ويغلق عليهم الباب ، ويدخل إليهم طعامهم وشرابهم كل يوم من ثقب مخصص لذلك ، والراهب الكاثوليكي أو الذي ينتمي إلى مذهب آخر ، الذي يبقى داخل قمامة مختليا لمدة سنة ، يحصل على رتبة عظيمة . يتجمع داخل وخارج الكنيسة في أيام الحج 20 000 شخص . ولكي يفض خاتم باب الكنيسة للدخول فى غير أوقات الحج ، لابد من الحصول على موافقة الوزير والي (بكلربك) الشام الشخصية ، ولا يملك أمير لواء القدس تلك الصلاحية . آخر أمر كهذا ، أعطاه قبل 23 سنة والي الشام زيله لي جاووش – زاده محمد باشا ، حيث رغب الباشا الذي حضر لتفتيش القدس ، في زيارة الكنيسة ، وبعد انتهائه من الزيارة ، جدد قاضي القدس ختم الباب

فورا ، ذلك أن داخل الكنيسة عبارة عن خزينة أرسل ملوك أوروبا المسيحية كافة منذ عصور طويلة أشياء ثمينة جدا . الثريات والقناديل التي يرجع تاريخها إلى ألف عام ، تدهش البصر . لايمكن مشاهدة ذلك في أية كنيسة أخرى ، وتحرص الدولة العثمانية جدا على عدم تهريب أية واحدة منها إلى الخارج . كان عدد سكان المدينة فى التعداد الذي جرى عام 1648 ، 54 000 . لكن إذا ما أضيف إليه عدد الزوار ، فإن العدد يزيد بطبيعة الحال .

بيت اللحم ، تقع على مقربة من جنوب القدس . يسميها المسيحيون « Bethlehem » والموسويون « Beit Lahm » . ناحية القضاء المركزي للقدس ، بها 200 دار . ولد فيها عيسى (عليه السلام) ؛ لذا فإنها تكون مزدحمة جدا بالمسيحيين القادمين من أمصار العالم المختلفة . يعودون إلى القدس في ذات اليوم بعد إتمام زيارتهم ، إذ لاتوجد فيها أماكن للمبيت . تهبط إلى الكهف الذي سمّيت القصبة باسمه بسلّم مكون من 12 درجة . له ثلاث زوايا ، يستوعب 100 شخص فقط بصعوبة . يشاهد مهد عيسى (عليه السلام) من الحجر الأحمر ومحل جلوسه من المرمر الأبيض . جعل الكهف على شكل كنيسة . صرف السلطان محمد خان قبل عدة سنوات مبالغ كبيرة من النقود لهذه القصبة واستشار علماء المسيحيين فى هذا الشأن ، وبذلك زالت صعوبة الزيارة . مسلمون كثيرون كذلك يؤمونها لغرض الزيارة . إذ إن المسلمين يؤمنون بكل الأنبياء . طريق قدس ـ الخليل ، 7 ساعات ، وقد شيّد مراد الرابع في منتصف هذا الطريق قلعة لتأمين مرور المسيحيين بأمان ، وتسمى مراديّة ، وهي عبارة عن ناحية تحتوي على مدافع وحامية مؤلفة من 90 جنديا .

خليل الرحمن (بالعبرية : Hebron) ، ويسميها العرب باختصار : الخليل ، والأتراك : خليل . مركز قضاء في لواء القدس تتبعه 75 قرية و 3 فصائل عسكرية . له قلعة تحمل اسم الخليل إبراهيم (عليه السلام) (أبو الأنبياء) . وهي من الأماكن المقدسة لدى المسلمين . والجامع الذي يحتويه شيّد كالقلعة . ويوجد على مقربة من خارجه قلعة وجامع عثمان (رضي الله عنه) . يظهر أن عدد السكان كان كبيرا في الماضي . شعبها عزب سنّة ، بينهم عدد غير قليل من الأتراك واليهود . تحتوي على كروانسراي لالا

مصطفى باشا العظيم . ذو 200 غرفة واسطبل يستوعب 2 000 حيوان ، 7 مساجد ، تكيتين ، 3 حمامات ، خانين ومكاتب عديدة . وأقصى جنوبها صحراء .

عجلون ، مركز لواء في إيالة شام . يقع في أقصى شمال غربي ماوراء الأردن . وتفصل بحيرة لوط ونهر شريعة الذي يصب فيه الحدود الفلسطينية عن الحدود الأردنية . شرق النهر يسمى ماوراء الأردن ، ويسمى الشريط الذي يقع على غربه الأردن وفلسطين الأصلية ، هو الشريط السميك الذى يمتد في أقصى غربها حتى البحر الأبيض . راتب أميرها 260 000 آقجة ومخصصاته 40 كيسة . تجهّز 12 00 تمارلي سباهي . عدد القرى في قضائها المركزي 140 . يسكن في المنطقة التي تحيط بجبل عجلون من 40 إلى 50 ألف تركماني . العرب السنّة وبعض الدروز يشكلون سكانها الأصليين . تحتوي قلعتها على 150 جنديا من حرس القلاع . بنى لالا مصطفى باشا خانا في الجزيرة الواقعة على بحيرة طبرية (Tiberias) .

قنيطرة مركز قضاء في اللواء المركزي للشام . في أقصى جنوب غربي سورية وفي جنوب غربي الشام . أسس القصبة على هذا المرج الذي كان مرعى للإبل في السابق ، وشيّد جميع أبنيتها دون استثناء ، فاتح قبرص الصدر الأعظم لالا مصطفى باشا عندما كان واليا على الشام مرضاة لله ومن حصته الشرعية من الغنائم . يرابط في قلعتها 300 جندي عدا الحرس . طول سورها 2700 ذراع وقلعتها 800 ذراع وتحتوي على منزل مسافرين به 170 غرفة واسطبل يستوعب 3 000 حصان ، جامع ، سوق وقف ذي 150 دكانا حجريا ، وآثار كثيرة أخرى ، كلها من الأعمال الخيرية لمصطفى باشا . أهدى 22 مصحفا إلى جامعها ، منها ما كان بخط ياقوت ، شيخ حمد الله وقرة حصاري وهي ثمينة إلى درجة أنه لا يمكن تقدير أسعارها . زيّن جامعها بالسجاد والخزف الثمين جدا . وخاصة أنه كان فى الاعتبار أن هذا الموقع ملتقى طرق مهم على الشارع الرئيسي الذي يصل الأناضول وسورية بمصر والحجاز . وهو على طريق الحج . لالا مصطفى باشا هو الذي فتح قبرص وكرجستان ، وحارب في اليمن ، مصر ، إيران ، قفقاسيا ، المجر ، وتقلّد الولاية ، القيادة العامة والصدارة في أماكن عديدة ، له فى الأقطار العثمانية آثار خيرية لا تعد ولا تحصى .

صعصعة ، مركز قضاء في لواء الشام المركزي . أسس هذه القصبة وشيّد جميع أبنيتها الصدر الأعظم قوجا سنان باشا ، عدو لالا باشا اللدود لئلا يكون أقل شأنا من منافسه . القلعة ذات 120 غرفة واسطبلا ، منزلها الخاص بالمسافرين الذي يستوعب 2000 حصان ، جامعها الذي يضاهي جوامع الوزراء في استانبول ، كلها من خيرات سنان باشا . وبعد مسيرة ساعتين تجد ناحية داوديّة ذات 600 دار وبعدها بساعتين كذلك الشام .

شام ولبيان شرفها يقال باللفظ العثماني « شام شريف » (بكسر حرف الميم) وهو اسم المدينة التي يطلق عليها العرب اسم « دمشق » . والقطر الذي يسميه العرب « شام » ، يسمّيه العثمانيون « سورية » . تقع المدينة في جنوب غربي القطر وقريبة من لبنان . فتحها خالد بن الوليد من البيزنط بأمر أبي بكر (رضي الله عنه) في السنة 13 للهجرة . أصبحت مركزا لعرش الخلافة الأموية خلال 661 – 750 . أخذها سليم خان في 1516 من المماليك وجعلها مركز إيالة . كانت الإيالة كبيرة جدا في القرن 16 . تقلصت الآن لانفصال إيالتي طرابلس وصيدا عنها ، وانقطعت علاقتها بالبحر (البحر الأبيض) . راتب واليها (بكلربك) مليون آقجه . وهي 12 لواء : شام ، قدس ، غزّة ، صفد ، كرك ، نابلس ، عجلون ، جلّونة ، تدمر ، قنقنوح ولواء البدوى الذي يسكنه 40 000 بدوي من الرجال ، لاتوجد تشكيلات ألتيمار في اللواءين الأخيرين . يحكم القبائل البدوية شيوخها . تحتوي الإيالة على 9065 تمار سباهي ، 2000 جندي معيّه الوالي ، ويوجد جنود معية أمير اللواء وأفراد حرس القلاع . يحرس قلعة الشام ألفا جندي ؛ 3 فصائل منها إنكشارية . يتقاضى الوالي مخصصات سنوية قدرها 40 000 ليرة ذهب . للقاضي راتب قدره 500 آقجة في اليوم + مخصصات قدرها 20000 ليرة ذهب في السنة . عدد الموظفين التابعين للقاضي والعاملين في المدينة 2000 . مدينة كبيرة جدا ولها قلعة واسعة . مساكنهم واسعة وفخمة . بنى الخليفة عبد الملك جامع أميّة (الأموي) ، وهو من أشهر جوامع العالم الإسلامي . مساحته 600 × 160 ذراعا وله 40 عمودا من المرمر الملوّن ويعتبر تحفة . يحتوي على 24 بابا ، 280 طاقة داخلية ، 280 نافذة ، 4 قباب نحو 10 000 قنديل ، و 150 عمودا وحوالي 150 طاقة في الخارج . يقوم بصيانة الجامع ، أكثر من 800 شخص . يحتوي كوك

ميدان على جامع سليمانية ذي المنارتين للمعمار سنان . جامعا عداس وسنانيه (سنان باشا) جامعان كبيران . تحتوي المدينة على 2100 جامع ومسجد وتكية ومدرسة ومكتب . توجد بين تكاياها الـ 70 تكية مولوية شيّدت في الموضع الذي التقى فيه مولانا بشمس التبريزى وكلمه فيه . تحتوي على ما يقرب من 70 غرفة، صالة اجتماع كبرى ومشتملات أخرى . مدرسة سليمانية للمحتاجين ، مؤسستين كبيرتين بين مطابخها العامة البالغ عددها 7 . أحد مستشفياتها الثلاثة هو مستشفى سلطان نور الدين ، أحد أكبر المؤسسات الطبية في العالم الإسلامي .

تبلغ قيمة استهلاكه السنوي للأدوية ، 5000 ليرة ذهب . وقس على ذلك مصروفاته الأخرى . وهى مؤثث تأثيثا فاخرا يضارع أثاث السرايات ، عدد الخدم فيه 70 خادما . تحضر فرقة موسيقى السّاز ثلاث مرات في اليوم لعزف الموسيقى للمرضى . توجد حّمامات خاصة في مايقرب من 2000 سراي وقصر . ويوجد كذلك 240 خان تجار . بعضها كبير كالكروانسراي ، فمثلا الخاص منها بلالا مصطفى باشا يحتوي على 170 غرفة وأبواب حديدية . إيرادات خان الجمرك السنوية لخزينة الدولة تتراوح ما بين 4 إلى 5 ملايين آقجه . ومن جملة أوقاف كلية سنان باشا مقهى سنانيّة ، وهو مقهى يستحق المشاهدة حقا ، من بين مقاهيها البالغ عددها 217 ، لها 4 مسارح . تتناوب على مسارحها فرق من أرباب الموسيقى ، الرقص ، ومن أرباب الفنون الأخرى . ومقهى « منصب » في الحقيقة ليس فخما لكنه كبير جدا ، حديقته تستوعب عشرة آلاف شخص ، ويستهلك يوميا من القهوة حمل أربعة جمال . تعزف فرق مختلفة موسيقى الساز في كل من مسارحها الـ 7 . تحتوي مدينة الشام تقريبا على 20 000 دار ، قصر ، وسراي ، نصفها داخل السور والنصف الباقي في الضواحي . ويوجد على الشارع العام سوق سنان باشا ، سوق لالا سنان باشا المفتوح ومراكز الأوقاف التجارية الكبيرة . كل الأماكن مليئة بالأسواق . يتجول 200 موظف أمن في 75 شارعا و 3800 زقاق . تحتوي المدينة على 9000 موظف دولة . ماء النبع الأكثر غزارة الذي يصل إلى المدينة ، هو عين سنانية وهو من الأعمال الخيرية لسنان باشا .

صالحية ،ناحية في شمال غربي الشام ، على مسافة نصف ساعة وكأنها ملتصقة بالمدينة ، وهذه مكونة كذلك من 3000 دار .

توجد في الصالحية كلية السلطان سليم الفخمة . تحتوي على أبنية كثيرة كالجامع ، منزل مسافرين ، مستشفى ، مطبخ للمحتاجين ، مدرسة ، مكتب ، حمام ، محكمة ، وجميع سقوفها مكسوة بالرصاص ، فيها كذلك قبر الشيخ الأكبر محيي الدين العربي الذي جدّد السلطان سليم بناءه بشكل فخم للغاية . جدران 70 غرفة من غرف باشا سراي ، مكسوة بالخزف الصيني . أمر كوبرولو ـ زاده فاضل أحمد باشا ، عندما كان واليا على الشام في 1661 ، بتنسيق حديقتها الكبيرة بشكل رائع . يسكن في قضائها المركزي مع النواحي والقرى التابعة 600 000 شخص . قبور وأضرحة سلاطين ، رجال دين ودولة وعلماء عديدون ، موجودة في الشام . تحتوي على قبور : معاوية ، الخليفة عمر إبن عبد العزيز ، أتابك نور الدين زنكي ، المتصوف الشاعر فخر الدين عراقي ، وقبور سلاطين أيوبيين عديدين ، وفيها قبر صلاح الدين الأيوبي الذي لا يضاهي . نظّفت خديجة تارهان والدة ـ سلطان ومهدت مجدّدا الطريق البري الذي يهبط من الشام إلى الحجاز في الجنوب ، وهو من أعمال الخير الكبرى .

مزيرب ، مركز قضاء حوران في اللواء المركزي للشام ، 270 قرية تابعة لهذا القضاء . الشعب ، عرب ، دروز وسنّة . **الكرك** ، مركز لواء في إيالة شام على طريق الحجاز كذلك ، قريب من ساحل بحيرة لوط الشرقي ، وأحيانا يتبع كقضاء للواء القدس . يحتوي على 70 قرية ، 200 جندي قلعته مخمسة الشكل من بناء سلطان بايبارس . يقال أن المماليك كانوا يسجنون المجرمين السياسيين في هذه القلعة ، وهي كقلعة قهقهة (آلاموت) التابعة للصفويين . وبعد ناحية **معن** ، على مسافة 16 ساعة نحو الجنوب ـ الشرقي ، تقع ناحية **عقبة** ، وهي ميناء يقع على اقصى الشمال ـ الشرقي من البحر الأحمر . تنتهي هنا الأراضي الأردنية وإيالة شام (سورية) . وبعد مرحلة 10 ساعات تقع قلعة **جكيمان** ، وبعدها تدرك البلاد العربية وحجاز .

22 ـ البلاد العربية :

كان القسم الغربي من شبه الجزيرة العربية إيالتين عثمانيتين ، غربيهما ملاصق للبحر الأحمر ، هما الحجاز واليمن . وعسير الكائنة بين الحجاز واليمن كانت تارة تتبع اليمن

وتارة تتبع الحجاز . كانت إيالة اليمن تتولى الإشراف على المشيخات الموجودة في حضرموت (اليمن الجنوبية) ، وخلال تلك الفترة تكون لواء عدن . عنيت إيالات بصرة ، بغداد ، شام ، وبخاصة إيالة لحساء ، بأمور أواسط الجزيرة العربية التي تشكل الصحراء قسمها الأعظم وبأمور قسمها المطل على خليج البصرة . ولم يتدخل أحد أبدا في حرّيات وطراز حياة القبائل البدوية ، ولكن تم القضاء على إخلالهم بالأمن وتهديدهم للطرق . تعامل المسئولون العثمانيون مع الشيوخ البدو كمراجع رسمية . كانت البلاد العربية ، المنطقة الأقل كثافة في المدن والأضعف في تشكيل المدن وإسكانها في الإمبراطورية العثمانية . لم تكن هناك مدينة كبيرة ، وكان المتوسط منها قليلا . كانت حياة البداوة المتنقلة مسيطرة أكثر من الحياة القروية .

قابلت الإدارة العثمانية حياة البدو بتفهّم . كان المسئولون العثمانيون الذين يجيدون اللغة العربية ، شعرها ، أدبها ، ثقافتها بصورة ممتازة ، يدركون أن البدويين شريحة أساسية من الشعب العربي . كان يطلق على العرب في الإمبراطورية العثمانية « ملّت نجيبة = القوم الأصيل » . كان وضع العرب ممتازا جدا في الإمبراطورية ؛ لكون الرسول ﷺ عربيا ، ولنزول **القرآن** باللغة العربية ، ولأن اللغة العربية وأدبها ، كونت ثقافة غنية جدا ، ولأن المجتمع العثماني التركي جزء لا ينفصل عن تلك الثقافة وقد تعلّم هذه الثقافة بعد لغته مباشرة . كان المتعلم للغة العربية ، يعامل معاملة متميزة جدا ويلقى احتراما فائقا في جميع أنحاء الإمبراطورية . إلا أن العرب قوم محب لوطنه بصورة فائقة ، ولا يستحسنون ترك أقطارهم . ويحتمل أنهم لم يشاركوا في الإدارة العثمانية كما ينبغي إما لهذا السبب ، وإما بسبب عدم اهتمامهم بالسلك العسكري . وكان النظام العثماني لا يجبر الناس على الدخول في السلك العسكري . أما في الأقطار العربية التي تجابه العدو مباشرة ووجها لوجه كالمغرب فإن العرب البرابرة والأندلسيين اشتركوا في الإدارة العثمانية ، وجيشها الموجود في تلك الأقطار على نطاق واسع . لا نجد هذا الوضع في المشرق . إذ لم يكن هناك احتمال لاحتلال مسيحي بالنسبة للمشرق . أما الدولة العثمانية فإنها كانت دولة إسلامية بدرجة الدول الأيوبية أو المملوكية . وبناء على ذلك ، فإنه لم يطرأ على عرب المشرق تبدّل يستحق الذكر بالنسبة لما قبل العثمانية .

أطلق العثمانيون على إيالة حجاز اسم « حبش إيالتي » ، وذلك أنه قد حدث في أوقات كثيرة أن أدمجت سواحل البحر الأحمر من السودان ، إريترة ، الصومال والحبشة وبعض أقسام الحبشة الأصلية والحجاز ، بالإيالة ذاتها . أقلم والي الحبشة أو الحجاز ، أحيانا في جدة وأحيانا في مكّة ، وأحيانا في مصوّع (إريترة) ، ونادرا في سواكن (السودان) . وفي عهد التنظيمات تأسست إيالة حجاز على أن يكون مركزها مكة ، وفي 1871 (9 أيلول) تأسست إيالة يمن ، على أن يكون مركزها صنعاء . أما السودان ، أوغندة – ونحو 1870 مناطق إريترة والصومال – فقد ارتبطت بإيالة مصر .

انتهى الحكم العثماني بصورة فعلية في مكة في 29 / 10 / 1916 ، وفي المدينة في 13 / 1 / 1919 ، وفي اليمن وحضرموت في ك 2 / 1919 ، وانتهى بصورة قانونية بمعاهدة لوزان 1923 . أصبح كل من الحجاز واليمن دولتين إسلاميتين دون تعرضهما للاحتلال الأجنبي . أما حضرموت (اليمن الجنوبية) فقد دامت فيها الحماية الإنكليزية مدة طويلة . استمر حكم الأئمة الزيديين في اليمن من 15 ت 1 / 1635 إلى 9 أيلول 1871 ولم يعين لها وال .

بدأ الحكم العثماني في الحجاز في 1517 مع سلمان رئيس . تعاون ولاة وأمراء لواء العثمانية في الحجاز مع أشراف وأمراء مكة ومدينة الهاشميين في إدارة البلاد بتناسق تام . أما في اليمن فقد بدأ النفوذ العثماني فيها منذ عهد المماليك . لأنها كانت على بحر مفتوح ومهددة بالاستيلاء البرتغالي . تقلّد حسين بك أحد الأميرالات العثمانيين ، منصب أمير لواء في اليمن من 1511 حتى 28 شباط 1517 . الحقيقة أنه كان واليا على المماليك ، ولكن لأن إرساله تم من قبل الدولة ، فقد كان أسلوب تحرّكه واضحا . تم حكم اليمن الذي انتقل إلى الإدارة العثمانية بصورة رسمية في 1517 بواسطة أمراء اللواء ، أما إيالة اليمن فقد أسسها في 1541 السلطان سليمان . ورغم أن الإدارة في الحجاز كانت تجري على الأكثر بالتنسيق بين أشراف الهاشمية وولاة العثمانية بسبب انتمائهم إلى ذات المذهب ، فإن الوضع كان مختلفا في اليمن . عارض الإمام الزيدي في اليمن في كثير من الاحيان ، الحكم العثماني ، وأهدرت بذلك دماء كثير من المسلمين بلا داع ، ولم يحدث ذلك في الحجاز أبدا . بُدّل الأشراف الذين لم يتلاءموا مع الإدارة العثمانية في الحجاز

في هدوء ، حدثت مصادمات مسلحة قليلة جدا ، لكن العثمانيين لم يمسّوا بالمرة امتيازات أشراف بني قتادة . لم يتسن تأمين الوضع ذاته في اليمن بسبب وضعها الجغرافي وكونها جبلية ، وكذلك بسبب مقاومة الأئمة الزيديّة ، وقد أصاب العثمانيون الملل من جراء القضية اليمنية وتركوا إدارتها إلى الإمام مدة 236 سنة حتى 1871 . ولكن في القرن الـ 16 لم يكن بوسعهم الاستمرار في ذلك ؛ إذ لم يكن بإمكان اليمن أن تقف وحدها أمام البرتغاليين ، وقد كان بإمكان البرتغاليين الذين أسقطوا اليمن والذين حاولوا النفاذ إلى البحر الأحمر ، أن يسيطروا على جدّة . زال هذا الخطر في القرن 17 . أما في القرن 19 ، فقد بدأت تهديدات الدول الاستعمارية من جديدا .

وفي 1839 ، بدأت انكلترا لأول مرة في التدخل في شئون اليمن وذلك باستيلائها على ميناء عدن وجزيرة بريم ، وحتى إن إيطاليا بدأت كذلك في السعي في قضية اليمن ، فاضطرت الدولة العثمانية لإدارة اليمن من المركز مجدّدا إلى درجة أنها أسست في 1871 جيشا من أجل اليمن ، (الجيش السابع) . أما في الحجاز ، فكانت توجد فرقة عثمانية واحدة فقط .

ورغم أن كل هذه الأقطار العربية وامتداداتها الموجودة في آسيا وأفريقيا ، قد ضمها السلطان سليم إلى الاتحاد العثماني في 16 - 1517 ، إلا أن استتباب النظام العثماني بشكل كامل ، تم على عهد ابنه السلطان سليمان (1520 - 1566) . لم يدخل الأتراك إلى المشرق وإلي العالم العربي مع العثمانية . دخل الأتراك في خدمة الخلفاء على شكل جيوش كبيرة في العهد العباسي ابتداء من القرن التاسع لدرجة أنهم كونوا سلالات حاكمة في الأقطار كمصر . لكن التدخل التركي الأصلي بدأ مع حركة السلاجقة لحماية الخلافة العباسية السنيه والعالم الإسلامي السنّي من السيطرة الشيعيّة . أمر الخليفة العباسي في 21 رمضان 447 (15 / 12 / 1055) بتلاوة خطبة الجمعة في بغداد باسم الخاقان السلجوقي سلطان طغرل بك . أصبح الأتراك بعد السلاجقة من العناصر التي لا غنى عنها في المشرق . يلاحظ هذا الوضع بجلاء في الخوارزم مشاهيين ، الإلخانيين ، الجلايريين ، التيموريين ، قره قوينلولر (أصحاب الخرفان السود) ، آقوينلولر (أصحاب الخرفان البيض) ، الزنكيين ، الأيوبيين والمماليك . السلالات الثلاث

الأخيرة ، حققت التركيب العربي ـ التركي بنجاح كبير . وأخيرا ، تسلّم السلطان سليم الأقطار العربية من المماليك التي أطلقت على نفسها اسم « الدولة التركية » . وبناء على ذلك ، فإن الأتراك لم يكونوا قوما مجهولين بالنسبة للعرب عند مجيء العثمانيين ، دائما كانوا معلومين معروفين . كان العرب قد تعلموا منذ عصور كيفية تعاملهم مع الأتراك ، وكان الأتراك كذلك قد تعلموا كيفية تعاملهم مع العرب وجرّب وعلم كل منهم إمكان تعايشهم سويا بوئام تحت راية دولة إسلامية موّحدة . بالطبع حدثت مصادمات ، لكنها لم تكن مصادمات قومية . كانت إما مصادمات مذهبية، أو بين السلالات والدولة . نجد نفس الوضع بين السلالات التركية البحتة ، كما نجده كذلك بين الدول العربية ، هذا علاوة على أن مفهوم القومية بمعناه الحالي ، الذي بدأ في العالم في القرن 19 ، لم يكن موجودا خلال تلك القرون . ويضاف إلى ما تقدم أيضا أن الأتراك ، هذا الشعب العسكري ، كان قد دافع عن الدين الإسلامي بنجاح تجاه الصليبيين . ولولا ذلك ، لكان من المحتمل أن يضمحل المسلمون ، كما حدث في الأندلس ، كما أن المماليك توجوا هذا بإزالتهم بنجاح كبير من شرق البحر الأبيض (بالفرنسية : Levant) بقايا الصليبيين ، الأمر الذي يسّر للعثمانية وسطا أكثر ملاءمة . وليس هنالك شك في أن الأتراك والعثمانيين خدموا قضية انتشار الدين الإسلامي ودخول كتل كبيرة فيه .

أما في المغرب وأفريقيا الشمالية ، فقد اتضح قطعيا وبصورة جازمة أن العثمانية هي العامل في إنقاذهما من اعتناق المذهب الكاثوليكي وإنقاذ عرب المغرب من الإبادة . ولو أن التدخل العثماني في المغرب تأخر ربع قرن آخر ، لكان مصيرها مصير الأندلس ، لايوجد قطر عربي لم يتدخل فيه الأتراك . لم تغرب « المقبرة التركية » الموجودة بالقرب من قلحاط ، عن أنظار السواح الأوروبيين في أواسط القرن 19 ، وهي مقبرة الأتراك الذين كانوا يعملون بخدمة أئمة عمان في العصر 13 (Haurt ، **Histoire des Arabes** ، 2 ، 261) .

لم تحقق الأقطار العربية كالحجاز واليمن بخاصة ، للدولة العثمانية أية فائدة اقتصادية ، بل إنها استنفدت الكثير من الدراهم والجنود . غير أنه كان أمرا واجبا ومحتما على الدولة الحائزة على صفة الخلافة الإسلامية ، أن تهتم بهذه الأقطار .

جهزت كل من الحجاز واليمن بالخطوط اللاسلكية ، منح عبد الحميد الثاني من جيبه الخاص 5 / 2 مليون ليرة ذهب ومدّ، خط الحجاز الحديدى . لقد كان لهذا العمل أهميته ، من ناحية كونه وسيلة لإظهار الوحدة الإسلامية ، إذ تبرع له شاه إيران ، خديو مصر ، نظام حيدر آباد ، نوّابين الهند ، وحتى جماعات المسلمين في جزر اوقيانيا . كان السلطان حميد يرغب في أن يوصل الخط حتى اليمن ، ولكنه خلع .

أدركت إنكلترا أن هذا الخط إنما مدّ بغرض منع تدخلها في الأقطار العربية ؛ إذ إن خط بغداد الذي سيمتد إلى خليج البصرة ويصل حتى الكويت كان من تصميم السلطان عبد الحميد كذلك . قرر الباب العالي في 1912 ، مد خط سكة حديدية _ زبيد _ تعز ، عب _ يريم _ صنعاء ، وقد اندلعت نار الحرب مع إيطاليا التي كان لها أطماع في اليمن بقدر ما كان لها أطماع في ليبيا ، واعقب ذلك حربا البلقان والعالمية الأولى .

بنو قتادة ، هم الأشراف الموجودون في مكة منذ 1202 . اشتركوا في الحكم باسم الأيوبيين ، ومن 1250 إلى 1517 باسم المماليك ، وبعدها باسم العثمانيين ، أو حكموا بأنفسهم بين فترة وأخرى كل أنحاء الحجاز تقريبا وليس مكة فحسب . اعتنقوا المذهب الحنفي في 1517 لمسايرة العثمانيين ، بينما كانوا شافعيين . وكان من الطبيعي كذلك أن تهتم الدولة العثمانية بالحجاز قبل 1517 . وبالدرجة الأولى ؛ لأنها كانت ترسل في كل عام آلاف الحجاج إلى الحجاز .

الكعبة والروضة المطهرة ، لم تكونا عائدتين إلى المماليك ولا للعرب ، كانتا تعودان لكل المسلمين . كان المماليك يقومون بإدارتها باسم كل المسلمين . بدأ يلدرم بايزيد (1389 _ 1402) بإرسال مبلغ 3500 ليرة ذهبا سنويا لتوزيعها على فقراء مدن ؛ مكة ، والمدينة ، قدس ، الخليل . ويطلق على هذا اسم « صره » . زاد مراد الثاني (1421 _ 1451) هذا المبلغ إلى 3500 ليرة ذهب لكل من مكه والمدينة زاد ابنه السلطان محمد الفاتح (1451 _ 1481) هذا المبلغ إلى 800 كيسه (. 1451).وعند فتحه استانبول (1453) ، أرسل من أموال الغنائم إلى شريف مكه مبلغ 9000 ليرة ذهبا . زاد ابنه بايزيد الثاني (1481 _ 1512) الصّرة التي ترسل إلى مكة والمدينة ، إلى 14000

ليرة ذهب ، وعند اعتلاء ابنه السلطان سليم العرش في 1512 ، زاد المبلغ إلى 28 000 ليرة ذهب وفي 1517 عند فتحه مصر ، زاده إلى 200 000 ليرة ذهب . وهكذا فإن الدولة العثمانية ، استمرت في رعاية كل التزامات الدولة المملوكية في الحجاز واستمر ذلك حتى 1916 .

كان أحد شرفاء قتادة ، ينتخب أميرا على مكة . وكان برتبة وزير أو قاضي عسكر . تعلن إمارته بعد تلاوة المنشور المرسل من استانبول بصورة علنية وإطلاق 19 مدفعا . تعزف الموسيقى العسكرية (مهتر) أمام السراي عصرا كالوزراء الاخرين . ومع أنه يتقاضى من استانبول راتبا سنويا قدره 15 000 ليرة ذهب ، فإن نصف إيرادات جمرك جدّة ، تترك للأمير . كان للأمير جنود معيّة وهم من البدو . كان بمكة حامية عثمانية ذات مدافع وبنادق ، لكن هؤلاء الجنود لا يتلقون أوامرهم من الأمير . لا يفتر الخلاف بين شرفاء قتادة وينقلب في بعض الأحيان إلى خلاف شديد وكانت الحكومة العثمانية تحاول التأليف بينهم . وفي 1701 ، قلّصت الدولة العثمانية صلاحيات الأمير إلى درجة كبيرة وجعلت صلاحياته كصلاحيات رئيس بلدية مكة . إذ إن الحكومة العثمانية ابتداء من 1701 إلى نهاية السلطنة ، بدأت في تعيين شخصين بلقب شيخ الحرم برتبة وزير أحدهم في مكة والآخر فى مدينة ، علاوة على واليها الموجود في الحجاز . أعطيت للأول كل المهام والصلاحيات العائدة لمكة والكعبة والحرم الشريف ، وللثاني ، المهام والصلاحيات العائدة للروضة المطهرة ، وفي هذا نجد من ناحية ، المركزية التي لا تجارى في نظام الدولة العثماني ، ومن ناحية أخرى نرى حرص الدولة في الحفاظ على التقاليد ، إذ إنها لم تلغ مقام الإمارة . كلا شيخا الحرم كانا واليين فعليين لمكة والمدينة . والحامية العثمانية الموجودة في تلك المدينة وفي المنطقة المحيطة بها تابعة لأمرهما . لم يكن هناك تشكيلات التيمار في إيالتي الحجاز والحبشة . كان للأمير معيّة من زمرة الحرس والكتبة يبلغ عددهم نحو 600 . استمر الأمير برتبة وزير حتى النهاية .

كان والي مصر يرسل موكب الصرّة مع كسوة الكعبة من القاهرة إلى مكة حتى عام 1714 . ومن 1714 حتى 1916 كان موكب الصرّة يرسل من استانبول في كل عام .

تبدأ المراسم بحضور البادشاه ، ويتحرك الموكب بحيث يكون وصوله إلى مكة والمدينه في عيد الأضحى . كان ذلك احتفالا دينيا كبيرا . كانت النقود الذهبية والفضية المرسلة تحمل على ثلاثة بغال . وفي الدفتر الذي يحمله الشخص المسن والوزير المتقدم المسمى « صرّه أميني » (أمين الصرّه) أسماء وعناوين الذين ستوزع عليهم هذه المبالغ . وعند وصول الموكب إلى الشام يأخذ الوزير ، الذي يعيّن أميرا للحج « حج أميري » لتلك السنة ، مكانه في مقدمة الموكب .

يستقبل أمير مكة وشيخ الحرم ، الموكب في منى ، ويفتح الأمير الكتاب السلطاني « نامه ء همايون » بعد تقبيله ثلاث مرات ووضعه على رأسه احتراما ، ويدخل مكة على رأس القافلة ، ولقد أصبح استقبال أمير مكة ، موكب الصرّه في المدينة ، في القرن 19 عادة . آخر موكب للصرّه ، أرسل عام 1915 ، ولم يتمكن الموكب من الذهاب إلى مكة عام 1916 بسبب عصيان الأمير حسين . وآخر صرّه في 1918 ، وصلت إلى الشام ووزعت فيه . وفي 1922 ، أرسل للمرة الأخيرة السلطان وحيد الدين صدقة إلى أصحاب الحاجة في مكة والمدينة . .وبعد 1923 ، ترك الخليفة عبد المجيد الثاني هذه العادة .

كان إرسال « الكسوة » إلى الكعبة من مقتضيات واجب الخلافة . أرسل العباسيون الكساء إلى مكة حتى عام 1258 من بغداد ، وحتى 1517 من القاهرة . وأخذ بنو عثمان هذا الواجب بعد ذلك على عاتقهم . تشغل الآيات بخيوط الذهب فوق الحرير الأسود السميك جدا . كان الغطاء الأصلي (الستارة) المسمى « حجاب » يصنع من 1060 ذراعا من القماش ، وله نطاق من 50 ذراعا . يشغل عليه الآيات واسم الخليفة الذي أرسله بالخط الثلث .

كان هذا الغطاء حتى 1609 يحاك في القاهرة ، واعتبارا من ذلك التاريخ وحتى عام 1916 حيك في استانبول . يستهلك 48000 درهم من الحرير في حياكته . تعذر إرسال الصرّه والكسوة لمدة 4 سنوات من 1808 إلى 1811 .

كانت الكسوة تبدل كل عام ، يؤتى بالكسوة القديمة إلى استانبول ، وترسل إلى سراي طوبقابو بعد شهرها على الشعب باحترام كبير في جامع أيوب . تجدّد ستارة الكعبة التي تصنع من الأطلس الأخضر ، كل 7 سنوات بحيث يصادف موعد تبديلها ، وقت

الحج الأكبر . حفظت مفاتيح الكعبة في قسم الأمانات المقدّسة من سراي طوبقابو منذ 1517 .

أولّي اهتمام كبير للحفاظ على الحرم الشريف والروضة المطهرة بشكل يليق بشأن الإسلام . وقد جعل الخلفاء العثمانيون خاصة من الروضة المطهرة مكانا يليق بقدرها . جمعت الأشياء الثمينة الموجودة في الروضة في صناديق وأرسلت إلى استانبول في الحرب العالمية الأولى على يد فخر الدين باشا ، وهي موجودة حاليا بين مجموعة الأمانات المقدسة في سراي طوبقابو . أمر أحمد الأول ـ المتديّن جدا ـ في 1612 بصنع الميزاب الذهبي الشهير للكعبة المسمى « ميزاب رحمت » (ميزاب الرحمة » . علقت الماسة المسماة « شب ـ جراغ (قنديل الليل) في ناحية رأس الرسول ﷺ . كان محمد الثالث والد السلطان أحمد قد اشترى ماسة شب ـ جراغ بمبلغ 50 000 ليرة ذهبا وكان لا يخلعها من أصبعه . صُنعت شب ـ جراغ على شكل لوحة ، وذلك بتعليق 220 ماسة إضافية على أطرافها وأرسلت إلى المدينة (حاليا في سراي طوبقابو) . وفي 1818 ، أرسل محمود الثاني إلى المدينة 3 ثريات مطعمة بالجواهر بصورة كاملة ، إضافة إلى الثلاث ثريات (اثنتان منها من الماس والأخرى من الزمّرد الخالص) الموجودة في الروضة المطهرة (جودت ، 10 ، 241 ـ 2) . صرف ابنه عبد المجيد الأول (1839 ـ 1861) من خزينته الخاصة مبلغ مليون ليرة ذهبا للعناية بالمسجد النبوي في المدينة . صرف ابنه عبد الحميد الثاني (1876 ـ 1909) مبلغا ضخما لتنظيم الروضة مجدّدا وطلا داخلها بالطلاء الأخضر .

وفيما يلي أنقل إليكم بعض المعلومات عن وضع إيالة الحجاز في 1889 لتوضيح وضع الإدارة العثمانية الأخير فيها (**حجاز ولايتي سالنامه سي** ، سنه ء هجرية : 1306 ، دفعه : 4 ، مطبعة مكة المكرمة ، ص 306) :

تعداد الإيالة التقريبي 2500 000 نسمة (الإمبراطورية بصورة عامة· 617 557 42 نسمة) مركز الإيالة مكة . لغة الإيالة العربية لكن الشعب يفهم التركية كذلك . مصطفى صفوت باشا والي الحجاز وفي نفس الوقت شيخ الحرم لمكة ، عسكرى (مشير) ، حامل أوسمة عثماني ومجيدي من الدرجة الأولى ، أمير مكة الشريف عون الرفيق

باشا ، برتبة وزير ، ويحمل أوسمة الامتياز العثماني والمجيدي وكلها من النوع المرصّع . قاضي مكة أحمد مختار أفندي برتبة « استانبول » ، حامل وسام المجيدي من الدرجة الثانية . قابو كتخداسي حاجي كامل أفندي الذى يترأس الموظفين التابعين لأمر الأمير ، برتبة بالا ، حامل وسامي العثماني والمجيدي من الدرجة الثالثة . هؤلاء هم كبار الموظفين ايضا ، كان 22 موظفا يعملون في مطبعة الولاية . تطبع المطبعة الكتب والصحف باللغة العربية وباللغة التركية كذلك . 8 قضاة يعملون في محكمة التمييز . ترابط فرقة واحدة في مكة ، قائدها الفريق أحمد فيضي باشا ، حامل أوسمة العثماني والمجيدي من الدرجة الثانية . في المدينة قائد حامية برتبة فريق وبلقب « محافظ » (عثمان فريد باشا ، أوسمة العثماني والمجيدي من الدرجة الأولى) ، وهو فى ذات الوقت متصرف (والي ولاية) المدينة . تتكون الفرقة الموجودة في الحجاز من كتائب المشاة الـ 64 ، 65 ، 66 التي تتكون كل منها من 4 سرايا تتكون السرية من 4 فصائل ، سريتي مدفعية ، كتيبة درك (جندرمه) ذات 5 سرايا وفصيلتي موسيقى . تنقسم إلى لوائين . وتحتوي كتيبة الدرك على 77 ضابطاً . مجموع المدفعية 5 بطاريات و 41 ضابطا ، هذا عدا الضباط الأطباء العاملين في المستشفى العسكري في جدة تحت إشراف المقدم الدكتور هارون بك . رئيس أطباء الفرقة الدكتور محمد بك ، برتبة مقدم أيضا .

بمدينة مكة 7 جوامع ، 68 مسجدا ، قلعتان ، قصر حكومي ، محكمة ، دائرة بريد ، ثكنتان ، مستشفى عسكري ومستشفى مدني ، 3 تكايا ، 12 مقبرة ، 40 حنفية مياه مشيّدة (جشمه) وسبيل ، حمامان ، 3000 دكان ، 6500 دار ، مطبعة ، 25 مغازه (مخزن كبير) ، سوقان للتحف ، 9 خانات ، 19 رباطا (ملجأ للفقراء) ، 80 طاحونة ، 7 مطابخ للمحتاجين (عمارت) ، 6 مدارس ، مدرسة متوسطة ، مكتبتان ، دار توقيت ، 60 فرنا ، 95 مقهى ، صيدلية ، 43 مكتبا ، 17 مصنع كلس ، مذبحان (سلخانة) ، 8 معامل أواني وقوارير فخارية ، مخزن نفط ، بناية محجر صحي ، مصنعا دباغة .

الطائف ، ناحية مكة ، يسكنها شتاءً 1 500 من السكان المحليين ، بها 7 جوامع ، 7 مساجد ، مدرسة ، 4 مكاتب ، سبيل ، ثكنة ، 400 دار ، 200 دكان ، 16 كشكا ،

حمام ، 9 أفران ، 10 قصابين ، مذبحان (سلخانة) ، 3 أحواض . يزداد عدد سكانها صيفا بالقادمين من مكة .

« شيخ الحرم حضرت نبوي » في المدينة المنورة ، عسكري أيضا (المشير عادلي باشا ، أوسمة العثماني الثاني والمجيدي الأول) . القاضي محمد فوزي آفندي ، برتبة حرمين ولا أوسمة له . أمير اللواء الدكتور حسني باشا ، المفتش الصحي للمدينة (العثماني والمجيدي الرابع) « فراشت شريفة وكيلي وشيخ الخطباء » ، قاضي عسكر وهو أحمد أسعد أفندي (العثماني والمجيدي الأول) . تحتوي المدينة على 10 جوامع ومسجد ، 8 تكايا ، 17 مدرسة ، قلعة ، سراي حكومة ، مدرسة متوسطة ، 11 مكتباً ، ثكنة ، 21 سبيل ماء ، مستشفى ، دار توقيت ، 4000 دار ، 932 دكانًا ، 18 فرنا ، 26 مقهى ، 4 خانات ، حمامان ، 108 رباطات ، 10 مراكز شرطة 4 مصابغ ، 485 بستان نخيل .

ينبع ، مرفأ المدينة ، قضاء قائمقامه عسكري أيضا ، الرائد (بكباشي) نسيم بك ، يدير القضاء ومعه 19 موظفا . عدد نفوس القصبة 5000 نسمة ، وتحتوي على دار حكومة ، 3 جوامع ، 800 دار ، 300 دكان . وناحية هذا القضاء خيبر .

الوجه ، قضاء آخر للمدينة وهو مرفأ على البحر الأحمر كذلك . تحتوي القصبة على 200 دار ، جامع ، قلعة ، دار حكومة ، 20 دكاناً ، مركز حجر صحي و 2500 نسمة .

متصرف لواء جدة مدني (محمد شريف بك ، برتبة متمايز ، وسام المجيدي الثالث) . جدة ، مركز أسطول البحر الأحمر ، قائده أمير اللواء البحري موسى باشا . يتكون الأسطول من 4 سفن حربية (Corvet) و سفينة حربية (Gunboat) ، 68 ضابطا بحريا ونحو 600 جندي . تحتوي مدينة جدة على قنصلية إيرانية عامة ، قنصليات إنكلترا ، فرنسا ، هولاندا والسويد ، معاونيات قنصاليات النمسا ، اليونان ، سكانها 25000 نسمة ، وبها ، دار حكومية ، قلعة ، ثكنة ، دائرة جمرك ، دائرة ميناء ، دائرة بلدية ، دائرة حجر صحي ، مستشفى مدني ، مستشفى عسكري طاقته 100 سرير ، 6 مراكز شرطة ، دائرة بريد ، 5 جوامع ، 30 مسجدا ، 7 مقابر ، حمامان ، خزان ماء ، فسقية ذات حوض ، مخزن مياه للسفن ، مصبغة ، 4 أحواض ، حنفية مياه مشيّدة ، 300 3 دار ، 900 دكان ، 10 مخازن كبيرة ، 47 طاحونة ، 47 فرنا ، 40 مقهى

ومعمل ، 30 خانا و 12 مطعما وصيدلية وسوق للسمك ومعمل صدف ومصنعا كلس ومذبح (سلخانة) ومعمل لغاز الاستصباح ، مدرسة متوسطة ، 10 مكاتب .

الليث ، مركز قضاء في لواء جدة . تحتوي القصبة على جامع ، دار حكومة ، 50 دكانًا ، 550 داراً ، 2000 نسمة .

رابغ ، مركز ناحية تابع لهذا القضاء ، ميناء على مسافة بعيدة من جدة ، عبارة عن قلعة ، دار حكومة ، 7 آبار . 10 خزانات مياه أرضية ، 116 دارا ، 5 جوامع ، 60 دكانا و 369 نسمة من السكان المحليين والموظفين الأتراك :

دوّن في السالنامة (النشرة السنوية) أن سلاطين القرون الأخيرة ورجال الدولة في استانبول أهدوا إلى « المدينة » 22914 كتاباً باللغتين العربية والفارسية ومخطوطات باللغة التركية وقد تم تسجيلها جميعا ، كما أرسل السلطان عبد العزيز (1861 _ 1876) إلى الروضة المطهّرة 143 سجادة من نوع أوشاق ذات قيمة كبيرة .

سافر أولياء جلبي ، في 1672 ، عندما كان في 61 من عمره ، إلى العقبة _ المدينة _ مكة _ جدة وحّج . وهو يقص علينا سفرته هذه في مجلده التاسع (ص 585 _ 825) . وتشرح لنا في السطور القليلة التالية المقتبسة منه وضع مكة والمدينة في أواسط القرن 17 :

أدركت قافلة الحج قلعة جكيمان بعد 10 ساعات من العقبة وتركت إيالة شام ، ودخلت إيالة حجاز . جلبت الماء إلى هذه المنطقة ، أسمهان سلطان الأبنة الكبرى لسليم الثاني وزوجة صوقوللو محمد باشا . يعد هذا عملا خيريا كبيرا إذ لايوجد ماء في مكان آخر طول الطريق . يطلق الأتراك على بسيط بيعتيه التي تقع على بعد مرحلتين و 20 ساعة في منتصف طريق شام _ مكه تماما « قورو قاواق » . جدّد محمد الرابع في 1652 القلعة التي كان قد بناها نور الدين زنكي . وبعد 4 مراحل و 45 ساعة ، نجد قلعة المعظم وهو كروانسراي عظيم من بناء قوجا سنان باشا . المرحلة التالية بعد 18 ساعة هي شق العجوز . فتحت تارهان والدة _ سلطان فيها آبار المياه . ثم تأتي المرحلة التي تليها بعد 18 ساعة ، هي حدود الكعبة وخرائب مدائن صالح ، لا يجوز لغير المسلم أن يجتاز أبعد من ذلك . وبعد 38 ساعة و 3 مراحل ، نجد بئرا

جديدا يسميها الأتراك « بني قويو » ، وقد جلبت تارهان سلطان الماء لهذه المنطقة أيضا . فيها قبر النبي هود عليه السلام . وبعد 51 ساعة و 3 مراحل ، قلعة خيبر ، لكن طريق الحج لا يمر بخيبر ، وإنما يمر بالقرب منه . والمرحلة التالية هي المدينة استقبل عشرات الالوف من الحجّاج بتحية 80 إطلاقة مدفع اطلقت من قلعة المدينة

كانت « المدينة » تسمى قبل وفاة الرسول ﷺ في 622 ، « يثرب » ، ثم سميت « مدينة النبي » ومختصرا « مدينة » ولإظهار الاحترام « المدينة المنورة » تقع في بطن الصحراء وعلى ارتفاع 639 عن مستوى البحر ، وهي المدينة المقدسة الثانية في العالم الإسلامي بعد مكة . أصبحت عاصمة للدولة الإسلامية قبل أن ينقل علي (كرم الله وجهه) مركز الخلافة إلى الكوفة . بنى قلعتها السلطان سليمان ، ويقال إن ذلك بناء على رؤيا تمثل له فيها الرسول ﷺ عام 1552 . من المعلوم أنه لا يرى الرسول عليه الصلاة والسلام في رؤياه إلا النادر من الناس .

المدينة ، مركز لواء في إيالة حبش (الحبشة) . لايجوز لأمير مكة في قانون سليمان خان أن يحضر إلى المدينة أكثر من مرة واحدة في السنة . في حالة ترفيع قاضي المدينة ، يصبح رأسا قاضي استانبول . وبموجب القانون الذي وضعه محمد خان في هذه الأيام ، فإنه لايمكن أن ينال القاضي مرتبة استانبول ، ما لم يزاول القضاء في مكة أو المدينة . رغب الكثيرون في تولي قضاء الحرمين . كان الملائون في السابق لايرغبون في تولي القضاء في مكة والمدينة بسبب كونهما بعيدتين وغريبتين جدا بالنسبة لأولاد روملي . تأثر البادشاه بشدة لهذا الوضع ، وأعلن على أثر ذلك القانون الذي أسلفنا ذكره والذي يقضي بأنه لا يرفع إلى منصب قاضي عسكر من لم يرتق إلى رتبة قاضي استانبول .

يعمل مع القاضي عدد من 40 ـ 50 موظفا تابعين لأمر القاضي ، أما شيخ حرم المدينة فيتبعه 500 جندي عثماني . يطلق على أمير لواء المدينة « شيخ الحرم » ، يرسل من استانبول . يرابط في قلعته 100 جندي حمايه (محافظ) ، 80 مدفعا ، يحتوي داخل السور على 2080 دارا . محيط القلعة 3350 ذراعا . سمك السور 6 وارتفاعه 20 ذراعا

رصيف ينبع ، قضاء تابع للمدينة . ونواحيها حديدة ، صفراء دار القرى ، فدك

علي وخيبر .

تقع الروضة المطهرة داخل الجامع الكبير . لاتصلى صلاة الجمعة ولا تتلى الخطبة في جامع آخر في المدينة ، بما في ذلك مسجد سليمان خان الموجود في القلعة . يصلي الناس في وقت الحج في الشوارع التي تحيط بالجامع أيضا . زيّن الجامع وكأنه قطعة من الجنّه . بني البناء الأصلي بأمر سليمان خان ، ولكننا نرى كذلك إنجازات السلطان قيتباي ، السلطان قنصوة ، مراد الثالث وأحمد الأول . وضع مراد الثالث المنبر الحالي في 1594 . يضاء بواسطة 7000 قنديل . قبة الروضة المطهرة من بناء السلطان قايتباي . يرقد أبو بكر (رضي الله عنه) بجوار الرسول ﷺ ، وترقد فاطمة (رضي الله عنها) في قسم مجاور آخر . يُعني بتنظيف الروضة « شيخ الحرم حضرت نبوي » وهو الذي بمرتبة وزير ، مع 700 من معيّته السود . يشاهد 300 مفتاح ذهبي وفضي معلقة على جدار مقام الشيخ . المقصورة الموجودة وسط القبة تنقسم إلى أربعة أشطار ومصفوفة بالجواهر من بدايتها إلى نهايتها . يرقد الرسول ﷺ تحت المقصورة وداخل ستار القبة الأخضر . لايمكن لأي فرد أن ينفذ إلى داخل المقصورة . كل الأشياء المحيطة بالمقصورة كالشمعدانات ، القنآديل ، المباخر ، الكلبدانات (أواني رش ماء الورد) ، مرصعة بالأحجار الكريمة . يفتح شيخ الحرم الباب بمفتاحه الذهبي مرة في السنة مع رجاله ويكنس وينظف بيده تلك المقصورة . وأبو بكر (رضي الله عنه) كذلك تحت المقصورة ، وإلى جواره عمر (رضي الله عنه) ، فاطمة (رضي الله عنها) في مكان خارج المقصورة . ولم يدفن فيها غيرهم . المقصورة محاطة بسياج على بعد ثلاثة أذرع . ويستطيع الزوار الاقتراب إلى حد هذا السياج فقط . من الممكن الالتفاف والدوران من جهات السياج الأربعة . طعمت الأرضية بآلاف الأحجار الكريمة . لذا فإنها لا تغطى بالسّجاد . تلمع آلاف الأحجار الكريمة على الثريات الموجودة في القبة . كل واحدة منها نذر لأحد السلاطين . الشمعدانات من الذهب الخالص ومغطاة بالأحجار الكريمة كليا . توجد 7 شمعدانات كل واحدة منها بارتفاع قامة بشرية أهديت بالتسلسل من آتابك نور الدين ، سلطان قايتباي ، سلطان قنصوة ، السلطان ياوز سليم ، السلطان سليمان القانوني ، تيمور أوغلو أكبر شاه والسلطان

أحمد الأول . والماستان المعلقتان أمام قبر الرسول ﷺ زنة 70 قيراطا . طلا السلطان أحمد الأول داخل القبة بالذهب . دوّن على القبة اسم السلطان أحمد وأجداده حتى عثمان غازي بالخط الثلث .

تدّرس مدارس السلطان سيف الدين ، السلطان قايتباي وصوقوللو ، التحصيل العالي : توجد 202 مدرسة ، 20 مكتبا ، سوق فيه 700 دكان ، 70 سبيلا ، أكثرها من بناء السلطان سليمان و حمامان . يفتح السوق بصورة مستمرة لمدة 24 ساعة في الأشهر الثلاثة (أشهر الحج) . تبقى هذه الأبنية داخل السور . ويوجد عدا ذلك ، خارج السور مايقرب من 2000 دار ، مدرسة الخاصكية العالية ، 4 مطابخ للمحتاجين بناها العثمانيون وأعمال خيرية أخرى . وهناك كلية لكل من سليمان خان وزوجته خّرم سلطان . يرقد في مقبرة البقيع الواقعة في شرق القلعة كبار الشخصيات الإسلامية ، الحسن (رضي الله عنه) ، بنات وزوجات الرسول ﷺ ، العباس (رضي الله عنه) ، الإمام زين العابدين (رضي الله عنه) ، ابنه الإمام محمد الباقر (رضي الله عنه) ، ابنه ، الإمام جعفر الصادق (رضي الله عنه) ، الإمام مالك بن أنس (رضي الله عنه) ، الخليفة الأموي الوليد والعباسي الواثق وآلاف آخرون . تشاهد في قباء وبها 200 دار خارج المدينة ، مساجد الرسول ﷺ ، عائشة (رضي الله عنها) وعلي (رضي الله عنه) . ثم يشاهد بارك (حديقة) صوقوللو ، مسجد عثمان (رضي الله عنه) وقبر حمزة (رضي الله عنه) .

تقع بدر ، بعد 45 ساعة و 4 مراحل . وتقع المدينة ، بعد بدر بمسافة 97 ساعة و 7 مراحل . تشاهد الآثار العثمانية على امتداد الطريق . وسع مراد الرابع الطريق وسوّاه ، وأصلح طريق عقبه شكر بصورة جيّدة ووسعه . وعندما شوهدت مكة ، سمعت الموسيقى العسكرية (مهترخانة خاقاني) وهي تهز السماء والأرض بأنغامها ، وبدأت قافلة الحج في دخول للدينة .

مكة المكرمة ، في جنوب الحجاز ، أكبر مدينة في ، القطر ، والمدينة المقدسة الأولى في العالم الإسلامي . فيها الكعبة المعظمة ، الموقع المقدس الأول عند المسلمين . على ارتفاع 265 م عن مستوى البحر . وعلى غربها ، رصيفها البحري جدة وفي جنوبها الشرقي

مصيفها طائف . وبحره ، هي المرحلة التي بين مكة وجدة كان الحج الأكبر قد تحقق عند وصولنا إلى مكة ، وكان اليوم يوم جمعة . تليت الخطبة باسم السلطان محمد خان ، أولا في جامع إبراهيم (عليه السلام) الذي أعاد إنشاءه السلطان أحمد ، ومن ثم في جبل عرفات . كان السلطان أحمد ، جد سلطاننا الحالي محمد الرابع ، قد جدّد ووسّع جامع ضيف وهو أكبر جامع بين جوامع المدينة التي يبلغ عددها نحو 70 . شعب مكة ، مولع بالتسلية والطرب . تطلق الألعاب النارية في الأعياد . تستمر الموسيقى في المقاهي ليلا دون انقطاع . طلقات الألعاب النارية السماوية التي تصنع في الشام والقاهرة ، تزين سماء مكة الصافي بأشكال الفراشات المارد ، الكلب ، الحمار ، الكبش ، القلعة العديدة الألوان وأمثالها من الأشكال الأخرى . وكلما ارتفعت الطلقات ، تنقسم إلى شعب وكل شعبة منها تكوّن شكلا جديدا . إن هذا الفن الرائع خاص بالعثمانية . الاطلاقات السماوية التي شاهدتها أوروبا في ألمانيا مثلا ، كانت بسيطة بالقياس إلى تلك . كان قد حضر هذا العام إلى الحج ، العديد من رجال الدولة العثمانية . كل شريف من أشراف مكة ، اصطحب واحدا منهم وضيّفه في داره . الشعب العثماني ، يحب شعب مكه كثيرا ويكن له الاحترام الزائد . كان المكّي الذي يذهب إلى أي مكان من الإمبراطورية ، يقابل بإكرام كبير ولا يسمح له بالإنفاق من جيبه . يتبرع الكثيرون لشعب مكة ، حتى من خارج الدولة العثمانية . يتقاضى أمير مكة من الدولة في كل يوم عرفة ومرة واحدة في السنة ، مبلغا رمزيا قدره ألف ليرة ذهب . دخله الأصلي ، هو نصف حاصل إيرادات جمركي جدة وينبع . لكن هذا ، كان لايكاد يفي بمصروفات . إذ إنه كان يقوم بإعاشة حرسه البالغ عددهم 3000 . تقوم بحماية المدينة 12 فصيلة من الجند حملة البنادق الذين يرسلون من استانبول ، وهؤلاء يتلقون أوامرهم من شيخ الحرم وليس من الأمير . المسافة إلى البحر وجدّة 12 ساعة ، التوقف مرة واحدة في منتصف الطريق . المنطقة صحراوية تماما . توجد بعض القصبات ، تحتوي كل منها على ممثل للأمير وهو من العائلة نفسها ، أي شريف . منصب قضاء مكة ، يعتبر من أكبر المناصب العلمية في الدولة .

أحيط الحرم الشريف بسور ، ولو وضع مدفع لأصبح قلعة . تتوسطه الكعبة .

الكتابة التي تعلو قوس بابها الأوسط من بقايا عهد القانوني ومن خط قره حصاري . وضعه الحالي من عمل السلطان سليمان . بنى مراد الثالث بعض الإضافات . يحتوي على 678 عمودا مرمريا ، أكثره أبيض اللون . طول أحد أضلاع الحرم الشريف 320 ذراعا . بنى المعمار سنان بأمر القانوني على جبهاته الأربع 36 + 24 + 36 + 24 = 120 قبة .

وسقّف مشتملاته من الأبنية بقبب مغطاة بالرصاص وجعلها شبيهة بمدارس إستانبول (الدينية) كان والدي درويش محمد ظلّي آغا قد صنع ميزاب الرحمة بأمر السلطان أحمد خان ، حضر والدي بنفسه إلى الكعبة وأشرف على تركيب الميزاب الذهبي (حاليا في سراي طوبقابو) . يحتوي على توقيعه . يتجمّع ماء المطر الذي يمطر على الكعبة في هذا الميزاب الذهبي وينسكب على حجر السجدة . حجر السجدة هو الموقع الذي سجد عليه الرسول ﷺ عند صلاته وإمامته للناس عند الكعبة . جعل كمحراب . وضع على طرفيه شمعدانان فضيان مكسوان بالذهب وبارتفاع قامة واحد ، مع 200 قنديل .

الحجر الأسود (وكما يلفظه الأتراك : حجر أسود « بكسر حرف الراء » ، وبالتركية : قره طاش) يقدسه المسلمون . يصعب على كثير جدا من الحجاج لمس أو تقبيل الحجر الأسود خلال موسم الحج بسبب الزحام ، قد يمكن ذلك خلال العمرة في غير موسم الحج . يقوم بتنظيف ومسح وكنس الحرم الشريف نحو 200 من حرم آغاسي وهم الموظفون المسنون الذين تقاعدوا من خدمة الحرم الهمايوني في السراي العثماني. هؤلاء لا مثيل لهم في العالم في دماثة أخلاقهم ، ورقّتهم وتدينهم ، وقد اكتسبوا تربيتهم هذه في دائرة حرم البادشاه . يؤدون أشرف خدمة .

زمزم ، نبع في الحرم الشريف ، على مسافة قريبة من الكعبة ، بارد في كل المواسم ، لذيذ الطعم ومتدفق . بنى محمد الرابع للمرة الأخيرة الباب والقوس الموجودة فوق بئر زمزم . يدلي 4 رجال بـ 4 دلاء ويسحبون الماء في كل دقيقة مرة واحدة مدة 24 ساعة : يدلون 5 مرات في اليوم ، لا عمل لهم غير هذا . لم تنقص ولا قطرة من الماء منذ آلاف السنين .

يتلو خطبة الجمعة في الحرم الشريف أحد العلماء الكبار الرتبة . يعتلي المنبر وبيده السيف . إذ إن الرسول ﷺ فتح مكة من المشركين بالسيف . وفي البداية يذكر اسم الله ويحمده . ثم يصلي ويسلم على الرسول ﷺ . ثم يذكر الخلفاء الراشدين فردا فردا . ثم يدعو لآل عثمان ويسلسل كل ألقاب الخليفة الحالي السلطان محمد خان الرابع . ثم يتلو بالتسلسل ـ راجعا إلى الوراء ـ كل أسلاف وأجداد السلطان محمد من السلاطين ويذكر أسماءهم ، القابهم وصفاتهم ، بشكل يمكّن مستمع الخطبة من إدراك ماكانت عليه دولة بني عثمان . ويتعرف على كيفية بناء أجزاء الإمبراطورية العالمية في زمن كل سلطان . يقطع الخطيب خطبته بعد تعريفه السلطان ياوز سليم ، ولا يرجع إلى ماقبله ، ذ إن السلاطين الذين يسبقون السلطان سليم ، لم يكونوا خلفاء . يستمع 000 70 حاج لهذه الخطبة برهبة واحترام وهم بملابس الإحرام ، يرسلون التحيات والتكريمات لى خليفة روى زمين (خليفة الرسول على وجه الأرض) . كان كل المسلمين كتلة ِاحدة . يلفظ البشر القادمون من أعراق ، لغات ، أجناس ، ألوان ، أقاليم مختلفة ، والذين ارتدى أميرهم وفقيرهم اللباس ذاته ، كُلمة « آمين » لشوكة بني عثمان . كان العالم الإسلامي شامخ الرأس ، وكان ذلك بفضل استانبول . هلل، 000 70 حاج تكبيرات عيد الأضحى بمقام سيكاه للموسيقي أطرى أثناء هبوط الخطيب على سلم المنبر بخطوات بطيئة جدا ، مع انتظاره فترةً في كل خطوة . فى الحرم المكي يصلي الناس حول الكعبة ، ومن ثم فإنه قد يقابل الصفّ صف ، وهو أمر لايكون أبدا في الصلاة في غير الحرم المكي الشريف .

تحتوي مكة وجوارها على 740 جامعا ومسجدا ، لكن أكثرها صغير جدا . وهى المساجد الموجودة في زوايا التكايا والمدارس . وضعت محاريب في بيوت جميع الصحابة موجعلت منها مساجد . قبر خديجة (رضى الله عنها) وبيتها الذي سكنه الرسول ﷺ 27 عاما حتى الهجرة ، يفوق كل الأماكن في عدد زواره . ان بيوت الخلفاء الراشدين الأربعة ، المستقلة ، هى حاليا مساجد . تحتوي مكة على نحو 40 مدرسة . أكثر من نصفها إنجاز عثماني ، وعدد منها من بناء المعمار سنان . أكبر مدرسة هي مدرسة سليمانية ، ذات 4 كليات ، وهى مدرسة عالية ومن الأبنية الخيرية لسليمان خان ، يسميها العرب « مدرسة الأربعة » ، التكية المولوية الكائنة وسط حديقة الورود والأحواض

والفسقيات هى أكبر التكايا الموجودة البالغ عددها 78 . يُضيِّف المسافرون المارون في مطبخ التكية إرضاء لله ومحبّة لمولانا . بني بادشاه الهند تيمور أوغلو أكبر شاه كذلك تكية كبيرة . يُضيف فيها الحجّاج القادمون من الهند . يوجد 53 خانا ذو عدة طوابق . يسمون الخان « وكالة » ، وفي كل منها مابين 100 إلى 200 غرفة . إحداها ، خاص بتجار الهند فقط . وخانات الأقطار العثمانية كمصر ، العراق ، سورية ، حلب ، واليمن ، خانات مستقلة . لايكفي كل ذلك في إيواء الحجاج وقت الحج . كثير من المكيين يؤجرون بيوتهم ، وهى بدورها لا تكفي ، فينصبون الخيام .

كانت مكة تعاني شحّا كبيرا في المياه قبل السلطان سليمان . صرف هذا السلطان مبلغا كبيرا جدا وجلب ماء غزيرا جدا من مسافة مرحلة واحدة عن جبل عرفات . مياه سليمان خان ، تجرى في كل مكان . وبنى حنفيات مياه مشيّدة كثيرة ، و 70 قصرا يجهز من تلك المياه . و 700 دار بها آبار . يوجد بدستان (سوق تحف) ذو 50 دكانا وسوق ذو 1300 دكان ، 145 قصرا يحتوي على حمام خاص . وهناك كذلك عدة حمامات عامة في السوق حماما صوقوللو محمد باشا وقوجاسنان باشا جميلان . تحتوي على نحو 150 مكتبًا ، ما يقرب من 40 دارا ، للقرّاء (الحفاظ) وحوالي 40 دارا للحديث . أكثرية الدارسين في مكة هم من المسلمين القادمين من الأقطار الأجنبية . تحتوي مكة على قبور كبار الشخصيات الإسلامية وصحابيين كثيرين .

جدة ، مرفأ مكة ومركز لواء فيها . ليست محظورة على غير المسلمين . وهى على مسافة مرحلتين من غرب شمال غربي مكة . الساحل المقابل لها هو السودان . يزيد عمق البحر الأحمر في هذا القطاع (2360 م) . شيّدت قايا سلطان ابنة مراد الرابع ، على مسافة من جدة في الموقع الذي يقال إنه هبطت فيه أُمنا حواء ، 7 قباب . بنى المهندسون العثمانيون قلعة جدة في الأيام الأخيرة من عهد المماليك بأمر السلطان قانصوه . تلك السنوات تسلّط البرتغاليون على البحر الأحمر ، إلى حد جدة . ولابد للسفن التجارية التي تغدو وتروح بين الهند ومصر (السويس) ، من المرور بجدة . وهكذا تدخل ألف سفينة إلى الميناء في السنة . إيرادات جمرك السنوية 60 مليون آقجة (نحو 5 .1 مليار دولار) . تأخذ الدولة نصف هذا الإيراد وتترك النصف الباقي لأمير

مكة . أمير مكة مضطر لتقسيم هذا الدخل بين جميع السادة والأشراف وإنجاز أعمال معينة في الحجاز . يُرسل أمراء اللواء إلى جدة كولاة ويتسلمون الأوامر من والي حبش . يقيم والي حبش أحيانا في جدة وليس في أفريقيا . ويأتي إلى جدة مرارا ويتفقد أحوال الحجاز . تحتوي مدينة جدة على 8 خانات ، 3 دكاكين ، دكاكين ومخازن كثيرة جدا في الميناء . لم يشيّد فيها مدرسة ، ولا مطبخ للمحتاجين ولا سوق .

ينبع البر ، قضاء مدينة ، تحتوي على 300 دار ، 75 دكاناً . ينبع الأصلية هي **ينبع البحر** وهو ميناء وقضاء المدينة . قضاء كبير ذو قلعة . قلعته ذات 12 مدفعا . يحتوي على 300 دار . الميناء ذو حركة وفعّالية . يقوم بإدارة كل من القصبتين شريف مع 500 من رجاله . لكن قاضيهم يأتي من استانبول والجند قليلون ، منشآت الميناء تحت إشراف العثمانية .

عقبة ، باب كل من الحجاز جنوبا ، وفلسطين شمالا ، ومصر غربا ، ميناء يقع على رأس البحر الأحمر الشمالي – الشرقي . بنى قلعتها ذات الـ 7 أبراج ، والـ 4 زوايا ، ومحيطها 400 ذراع ، في 1524 ، الصدر الأعظم مقبول إبراهيم باشا . وبعد مسيرة 17 ساعة ومنزلين نحو الغرب نجد على طريق علاية ، شبه جزيرة سيناء وأراضي إيالة مصر .

23 – مصـر .

يطلق اسم مصر على الإيالة العثمانية الكائنة في شمال شرقي أفريقيا . أسسها السلطان سليم في 8 / 4 / 1517 . كانت تحتل الدرجة الأولى في تشريفات الدولة حتى قطعت علاقتها مع الدولة العثمانية في 19 / 12 / / 1914 . ظلّت مصر كماسة سلطانية (امبراطورية) في رأس البادشاه – الخليفة العثماني . أما في أقصى الجنوب ، فقد وسّعت الأراضي التي أسست في 1517 كلواء وأسس لوزدمير باشا والسلطان سليمان إيالة حبش في 5 / 7 / 1555 .

شعب هذه المنطقة سني – شافعي وينطق اللغة العربية . أكثرية الحنفيين ينحدرون من عائلات تزكية الأصل . الشعب شافعي المذهب ، والمذهب الحنفي كان كأنه مذهب يتبعه الارستقراطيون . توجد أقلية مسيحية حافظت على مذهبها الأرثوذكسي

والكاثوليكي ، لكنها تتكلم العربية . وهناك عرب بروتستانت 9 ٪ حاليا من نفوس مصر مسيحيون) .

خصص أولياء جلبي مجلّده العاشر المكون من 1062 صفحة لأفريقيا بصورة كاملة ، سرد فيه رحلاته إلى السودان ، إريترة ، صومالي ، وخاصة سياحته لمصر ، وقدّم تفصيلات في مئات الصحائف عن مدينة القاهرة وأنقل لكم فيمايلي بعض السطور التي دونها جلبي عن مصر خلال السنوات التي تلي 1670 :

السويس ، شرق القاهرة تماما ، ميناء على البحر الأحمر ، مركز لواء بحري . ويمكن القول بأنه عبارة عن مدينة ، ميناء ومنشآت مصانع السفن وإصلاحها . توجد خانات كبيرة لصوقوللو محمد باشا واوكوز محمد باشا جلبْ للماء من مسافة 3 ساعات . هو المحطة الأخيرة للسفن القادمة من الهند . تفرغ حمولتها فيه . وتعود بعد تحميلها بالبضائع العثمانية .

للأميرال أمير لواء السويس أسطول قوى ومصنع كبير للسفن . ويسمى كذلك قبودان (قائد) الهند ، قبودان مصر ، قبودان السويس وكذلك يسمى قائد البحر الأحمر (بحر أحمر قبوداني) وهو أهم أميرالات العثمانية الموجودين في البحار الهندية . يملك حق مخاطبة الديوان الهمايوني مباشرة ، لايتدخل القبودان دريا (مشير البحر) في أموره . وعندما تولي كتخدا إبراهيم باشا الذي أصبح صدرا أعظم بعد ذلك ، مصر (1669 – 73) ، جهّز نحو 50 سفينة لربط النيل بخليج السويس بواسطة قناة والنفاذ إلى البحر الأبيض . تحدث معه وجوه مصر حول الموضوع وأخبروه أنه في حالة تحويل مياه النيل وجعلها تصب في البحر الأحمر ، ستحرم ما يقرب من 170 مدينة وقصبة من المياه ، وسوف ينشأ عن ذلك نقص في المحصول . صرف الباشا النظر عن هذا المشروع وذهبت كل الاستعدادت التي قام بها سدى .

كانت مصر التي ألحقها السلطان سليم بالدولة العثمانية بدخوله إلى القاهرة في 22 / ك 2 / 1517 ، أهم إيالة في الدولة ، يعيّن فيها الولاة على الدوام من أبرز الشخصيات وبرتبة وزير . أسس مدينة القاهرة في القرن العاشر الخلفاء الشيعة _ الإسماعيلية الفاطمية الذين جاءوا من تونس وأطلقوا عليها اسم « مصر القاهرة = المدينة الكبيرة القاهرة » ويطلق على المدينة كذلك اسم « مصر » عوضا عن « قاهرة » . كانت عاصمة

مصر قبل الفاطميين ، هي مدينة الفسطاط التي أسسها عمرو بن العاص ، بقيت حاليا في زاوية من زوايا القاهرة وغير مأهولة . تلي أول خطبة في القاهرة في جامع قلاوون باسم السلطان سليم ، شمس الدين أفندي الذي عين في ملائية مصر وأصبح بعدها شيخا للإسلام . ذكر اسم البادشاه بدلا من اسم الخليفة العباسي خرّ السلطان سليم ساجدا سجدة الشكر عند سماعه الخطيب وهو يتلو كلمات « خادم الحرمين الشريفين السلطان سليم خان ابن السلطان بايزيد خان » . والنقود التي سكت في العام ذاته تحتوي كذلك على عبارة « سليم خان بن بايزيد خان » .

راتب والي مصر السنوي 000 247 1 آقجه ، له 1000 محافظ (جندي حراسه) ، 3000 جندي معيّة ، وكذلك 324 ضابطا تابعون له . وعدا ألوية السويس ، الإسكندرية ، دمياط ورشيد اللواتي ارتبطن كألوية بحرية بإيالة البحر الأبيض ، فإن الإيالة تنقسم إلى 17 لواء . لايرسل أمراء اللواء – عدا امراء لواء البحرية – إلى الألوية المصرية من استانبول ، وإنما يتم اختيارهم من بين بكوات المماليك المصريين ويقال لهم « كاشف » بدلا من سنجق بك (أمير لواء) ، صلاحياتهم كصلاحية أمراء في الإيالات الأخرى . كل كاشف له من 600 إلى 700 جندي معيّه هؤلاء كذلك يختارون من مماليك مصر . لاتوجد تشكيلات التيمار في مصر والضريبة التي ترسل إلى استانبول مقطوعة ، لاتتبدل في عام . يصرف القسم الأعظم من الدخل ، داخل القطر . وعدا ذلك فإن مصر مكلفة بإرسال الحبوب مع 65000 ليرة ذهبا + 600 كيسة (24 مليون آقجه) إلى الحجاز سنويا . لا تستطيع الحجاز تسيير أمورها ، إن لم تصلها هذه الحبوب والنقود . تم ترتيب كل ذلك بموجب قانون سليم خان .

يطلق على الموظف برتبة سنجق بك (أمير لواء) أو بكلربك (أمير الأمراء) الساكن في السويس والذي يقود سنويا ما يقرب من 000 40 حاج من السويس إلى الحجاز عن طريق البحر إلى جدّه « أمير حج مصر » . تعمل في البحر الأحمر حوالي 200 سفينة تجارية عثمانية . من حق أمير اللواء البحري في السويس تفتيش هذه السفن إن رغب في ذلك . الذهاب إلى الحج عن طريق البحر ، خال من المشقات يتسلم قائد السويس مخصصاته السنوية البالغة 12 كيسة ، من ميزانية مصر

يوجد في مصر نحو 40 مسئولا كبيرا من حملة شارة واحدة أو شارتين على لباس الرأس (لواء أو فريق أول) . الشخص المكلف بنقل الضريبة السنوية المسماة « خزينة مصر » بالسفينة إلى استانبول ، هو بك (أمير) من حملة شارة (توغ) واحدة ، وله 500 جندي معيّة . يقوم بحراسة مصر القديمة (الفسطاط) أحد أمراء (بك) المماليك بواسطة 500 خيال ، وآخر يحمي بولاق (شمال القاهرة) بواسطة 500 خيال كذلك ، وثالث يحمي محلة الإمام الشافعي بواسطة 500 خيال أيضا . يعبىء الوالي (بكلربك) في الحملات من ألوية الجنود المصريين ، بالقدر المطلوب منه . يستخدم الجيش المصري عند الحاجة في أماكن كأفريقيا الشرقية والبلاد العربية . يندر إرساله إلى مسافات بعيدة . أمراء لواء إسكندرية ، رشيد ودمياط ، أميرالات تابعون لأمر مشير البحر ، ستة ألوية تابعة لشمال مصر (دلتا = الوجه البحري) التي تسمى مصر السفلى : شرقي أو الشرقية (مركزها الزقازيق) ، غربي أو الغربية (طنطا) ، المنوفية (شبين الكوم) ، البحيرة (دمنهور) ، الدقهلية (منصورة) ، القليوبية (بنها) . و 8 ألوية تشكل مصر الجنوبية المسماة مصر العليا (الصعيد) : الجيزة ، بني سويف ، الفيوم ، المنيا ، جرجا (سوهاج) ، أسيوط ، أسوان ، قنا ، ويحتل في بعض الأحيان لواء الواحات وأبرم ، بدلا من الألوية الثلاثة الأخيرة وواحة صيوا تابعة للواء البحيرة ، واحتا بهاريه والفرافرة تابعة للواء المنيا ؛ أما واحتا الداخلة والخارجة فهما تابعتان للواء أسيوط . يحتوي كل لواء على مابين 300 ـ 400 قرية . أهم لواء في الجنوب هو جرجا ، له 5000 جندي . يعين له أحيانا ، والي (أمير لواء) برتبة فريق أول (أمير الأمراء) له مخصصات سنوية تبلغ 200 كيسه ويرسل سنويا كمية كبيرة من الحبوب إلى القاهرة مع 380 كيسة . كانت مصر العليا سابقا مقسمة إلى 24 كاشفية (لواء) ، اختصر عددها في الوقت الحاضر .

كان دفتر دار (المسئول المالي) مصر برتبة فريق أول . يحسن المماليك فقط في مصر ، تكلم التركية وليس العربية . تعلم قسم من موظفي العثمانية التكلم باللغة العربية . لكن أكثرية الوزراء برتبة فريق أول ، لا يجيدون أية لغة عدا التركية . يفهم الشعب في المدن اللغة التركية . لكن التركية لاتستخدم ولا نفع لها في القطاع القروي .

يرسل عدد كبير من الجنود من استانبول إلى مصر ، هذا عدا الجنود المحليين وأكثرهم يرابطون في القاهرة . يرسل إنكشارية مصر كذلك من استانبول ، قائدهم بدرجة أمير لواء .

يتقاضى قاضي مصر سنويا مخصصات تتراوح مابين 200 إلى 300 كيسة ، ويخصص لمعيته نحو 100 شخص ، يتبعه أربعة مفتين من المذاهب الأربعة ، وعدا ذلك 100 موظف آخر مختصون بالأمور العدلية يتبع القاضى أيضا فصيلة من الإنكشارية و 300 محضر (شرطة عسكرية) . يسكن القاضي الذي يسمى « مصر أفنديسي » في سراى من مخلفات الفاطميين . يحكم باسم القاضي 24 نائبا (وكيل قاضي) في مختلف محلات القاهرة . يقوم قاضي مصر بالإشراف على كل القضاة الموجودين في الإيالة . تنقسم إيالة مصر إلى 76. قضاء رئيسيا وعدة أقضية صغيرة تسمى « مضافات » ، النواحي ليست ضمن هذا العدد . قضاة المحلة الكبرى ، دمياط ، رشيد ، إسكندرية ، المنصورة ، المنيا ، قضاة كبار ذوو درجة عالية . كل منهم يتقاضى راتبا يوميا قدره 500 آقجه ومخصصات سنوية تتراوح مابين 25 إلى 40 كيسة . فى القاهرة حوالي 20 000 عالم مأذون بالافتاء ، 57000 حافظ ، 12000 إمام وخطيب ، 12000 طالب أزهر ، 10 000 شيخ ودرويش . ضريبة مصر المقطوعة التي ترسل سنويا إلى أستانبول هي 1 200 كيسة . عدا ذلك ، ترسل كميات كبيرة من الأطعمة كضريبة عينّية .

تحتوي الإيالة على حوالي 8000 قرية ونحو 3800 مدينة ، قصبة ، قلعة ، وناحية . ترسل 8.1 الضرائب المحصلة في مصر إلى استانبول و 8.7 منها تصرف داخل القطر . لكن يضاف إلى ذلك البضاعة العينية التي ترسلها مصر إلى استانبول . يبلغ الدخل السنوي لمصر 61 خزينة مصرية أى 000 800 48 ليرة ذهبا . تسمى الضريبة النقدية السنوية التي ترسلها إلى إستانبول والبالغة 000 800 ليرة ذهبا « خزينة مصرية واحدة » . يصرف 7 .61 منها داخل إيالة مصر و 53 . 61 تبقى للشعب . والضريبة البالغة 8. 61 ، تزيد بقليل على 1. 8 الدخل ، ولا تعد هذه ضريبة باهظة . الضريبة العيّنة أو المقطوعة التي تعطي في السودان ، منفصلة عن دخل مصر ، واحد كيسة مصرية = 300 ليرة زهبًا . والكيسة العثمانية الواحدة التي تسمى كيسة رومي = 250 ليرة ذهبا . أن (واحد) كيسه ذهب فى جميع أنحاء الإمبراطورية تعني 250 ليرة ذهب . وفي مصر فقط 300 ليرة ذهب . ينفق القادمون إلى مصر من غير التبعة

العثمانية ، لغرض الذهاب إلى الحج أو التجارة أو المسلمين أو غير المسلمين القادمين لغرض الزيارة ، سنويا في مصر ما يقدر بـ 3 خزائن مصرية من النقود . وهذا كذلك دخل لمصر . مصروفات الشعب في مصر قليلة بالنسبة للأقطار العثمانية الأخرى . إذ لا توجد مصروفات تدفئه . القطر حار في جميع الفصول . ولذلك لاتوجد مصروفات بالنسبة للملابس الشتوية أيضا . يرتدي الشعب الملابس الخفيفة . وبسبب ازدحام الناس في شريط ضيق ، فإن المسافات ليست بعيدة . يستعمل النيل كأكبر طريق للنقل . ويؤمن السهولة في المواصلات .

24 _ القاهــرة :

قلعة القاهرة أساسا من بقايا أواخر القرن 12 ومن بناء صلاح الدين الأيوبي رمّمت وأضيف إليها بعض الأقسام من قبل المماليك والعثمانيين . القلعة كبيرة جدا ، وتحتوي على قلعتين داخليتين . سراي الوالي ومصنع البارود داخل القلعة . بارود القاهرة ذو نوعية جيدة وأرق من البارود الإنكليزي . يعمل مصنع البارود 24 ساعة بصورة مستمرة . يوزع هذا البارود على الوحدات العسكرية الموجودة في مختلف أنحاء الدولة . سراي الوالي ، أصلا من بناء السلطان قايتباى . شيّد ولاة العثمانية في فترات متفاوتة خلال الفترة من 1555 إلى 1672 ، 5 أكشاك مستقلة داخل حديقة السراي . حكام قليلون يملكون سرايات فخمة كسراي والي مصر . كانت صالة الاستقبال التي يصعد إليها بواسطة سلم ذي 25 درجة ، صالة استقبال سلاطين المماليك . يستعمل الوالي هذه الصالة لعمله اليومي ، الصالة 80 ×15 ذراعا ومن بناء السلطان قايتباي . أما صالة الاستقبال الكبرى فهي من بناء قانصوه وتستعمل في الاحتفالات فقط . محيط السرّاي 8500 ذراع . يجلب الماء من مسافة ساعة واحدة بواسطة 313 قنطرة . جلبة صلاح الدين الأيوبي ، وجدّده السلطان قانصوه وقد بنى داماد أوكوز باشا الذي صار صدرا أعظم بعد ذلك ، خزانا للماء تحت الأرض ستوعب من الماء بقدر حمولة 20 000 جمل ، ويبدل هذا الماء من النيل في كل سنة .

أحصى بايرام باشا عدد الآبار في المدينة وضواحيها فتبين أن عددها 274 000 بئر ولكن مياهها مالحة وليست عذبة ، لاتشرب ، يغتسل بها فقط وتزود الحمامات بهذا الماء . تتكون المدينة من 740 محلة للمسلمين ، و 26000 دار . أكبر مدينة في الدولة

بعد استانبول ، والمدينة الثالثة أدرنة . العربية لغة الشعب . وهناك أتراك كثيرون ، كذلك تحتوي المدينة على 78 سرايا حقيقيا وآلاف من القصور . ان 22000 بيت من بيوتها البالغ عددها 26000 تخص المسلمين ، 4000 منها لغير المسلمين . 20 محلة ، 600 دار ، و 900 نسمة من السكان أقباط (عرب مسيحيون) . يتجمع أكثر من 6000 يهود في محلة واحدة ، بيوتهم مكونة من 5 أو 6 طوابق وأزقتهم ضيّقة إلى درجة لا تسمح بمرور حصان . مجموع نفوس 4 محلات للروم و 2 محلة للأرمن تبلغ 3000 نسمه . الأوروبيون ورعايا الدولة العثمانية الذين يقدمون إلى المدينة بصورة مؤقتة كثيرون جدا . وهكذا فإن عدد الأوروبيين الذين يقيمون في المدينة بصورة مؤقتة ، لايقل عن 6 ـ 7 آلاف شخص ، ولا يعلم عدد الزوار من الرعايا العثمانية إلا الله إذ إنها مدينة تجارية كبيرة تقع قنصليات 7 دول أجنبية ، في محلة واحدة . من الممكن أن يصادف المرء فيها بشرا من جميع الأجناس . المسلمون الونوج كثيرون . يوجد بينهم السودانيون ، الفاسيون ، قسم من الغجر . العبيد والجواري رخاص الثمن يخدمون في بيوت كثيرة ، وهم من أعراق مختلفة يتكلمون العربية في مساكن العرب ، والتركية في مساكن الأتراك . المدينة محاطة بسور طوله 393000 ذراع .

من الممكن القول ان مدينة استانبول فقط في العالم هي التي تحتوي على جوامع أكثر من القاهرة . الكثافة السكانية الكبيرة من نفوس غير المسلمين الموجودة في استانبول ، لاتوجد في القاهرة . 156 من جوامعها سلطاني (الجوامع المبنية بأمر السلطان و بثروته الخاصة) . أقدمها الجامع الذي شيّده فاتح مصر عمرو بن العاص في الفسطاط على عهد عمر (رضي الله عنه) . و لم يبن أكبر منه في العالم الإسلامي لمدة طويلة ، وهو أول جامع كبير للمسلمين . أصلحه الصدر الأعظم داماد بايرام باشا بصورة أساسية ، عندما كان واليا على مصر . بنى الفاطميون جامع الأزهر في عام 969 عندما سيطروا على مصر ، جعله صلاح الدين الأيوبي على شكل مدرسة . وزّع تلامذتها البالغ عددهم 12000 على الحجر المجاورة . يشاهد فيها طلاب من جميع الأقطار الإسلامية ، لها 9000 خزانة مليئة بالكتب . يؤمها كثير من الأناضوليين لتعلم اللغة العربية الجيّدة والدراسة فيها لعدة سنوات . يدرّس فقه المذاهب الأربعة بصورة مستقلة . أما في المدارس العثمانية ، فيدرس الفقه الحنفي أساسا ، وباختصار المذاهب الثلاثة

الباقية . أكثرية الطلاب والمدرسين شافعيون ، ويليهم الأحناف . لايمكن هنا أن يتفاهم طلاب العالم الإسلامي الذين تختلف لغاتهم الأساسية مع بعضهم إلا باللغة العربية . كان عدد الطلاب الأتراك أكثر فيما مضى . قل منذ قرن أو قرنين ؛ إذ إن الدولة العثمانية تعيّن الذين حصلوا على شهادة (رءوس) مدارس (العلمية) استانبول العالية ، موظفي دولة في سلك العلماء (العلمية) . وإن اراد متخرجو مدارس المدن الأخرى وبضمنهم الأزهر ، الانتساب لصنف العلماء ـ عدا خدمات الجوامع والإفتاء ـ ، فإن عليهم أن يؤدوا امتحانا أمام هيئة الامتحانات المشكلة في مدارس استانبول ، إذ إن المعلومات اللازمة لخدمات الدولة العثمانية الفعلية تدرّس بصورة أوسع في مدارس استانبول . لاضرورة لأداء امتحان في استانبول بالنسبة لمتخرجي المدارس العالية الذين يرغبون في البقاء في خدمات الجوامع والإفتاء ؛ إذ إنها خدمات دينية ولا علاقة لها بخدمات الدولة . للأزهر 170 مدرساً . لأيحترم مدرس الأزهر في مصر وفي كل أنحاء الدولة العثمانية فحسب ، بل في العالم الإسلامي بأسره . إلا أن التدريس في الأزهر كان على النمط القديم إذا ما قيس بالتدريس في المدارس العثمانية . وهناك كثير من الطلاب الأتراك التركستانيين والسنّة الإيرانيين . يطلق على عميد الأزهر « شيخ » ، له مساعدون من المذاهب الأربعة . عدا ذلك فإنه يتولى مسئولية طلاب كل شعب أحد المدرسين . والمدرس المسئول حاليا عن الطلبة الأتراك هو مصطفى أفندي .

الحقيقة أن الجامع الذي بناه أحمد بن طولون والي مصر التركي في القرن 19 في الفسطاط ، جامع فخم . مساحته 220 × 120 ذراعا ، ارتفاعه 40 ذراعا ، يبدو وكأنه قلعة ، يستند على 90 عمودا ، له 160 نافذه و ستّة أبواب . مر قره حصارى ، أكبر خطاطي العثمانية بهذا الموقع أثناء ذهابه إلى الحج وخط بسملة على يسار جدار المحراب ، تدهش الرائي . إذ إن طول الكتابة 40 ذراعا ، طول كل حرف ألف فيها 8 أذرع . والجوامع التي ترجع إلى فترة المماليك الأولى فخمة كذلك . جامع الخليفة حاكم ، سلطان بيبرس ، سلطان مؤيد ، سلطان حسن ، سلطان قانصوه ، سلطان برقوق ، سلطان قلاوون ، سلطان جنبلاط ، اوزبك بك وجامع الخليفة عبد العزيز هي من بدائع الفن المعماري المملوكي ، وجوامع الأيوبيين التي بنيت في الفترة بين الفاطميين والمماليك جميلة كذلك . وقد بنى العثمانيون كذلك جوامع ومساجد كثيرة . دوّن

في السجلات أن كامل إيالة مصر تحتوي على 46000 مسجد . لم أتمكن من معرفة العدد الموجود منها في القاهرة . مضى 150 عاما على فتح العثمانية لمصر . شاهدت جميع الجوامع و 29 من مساجد العثمانية وصليت فيها أكثرها أبنية جميلة . لا يوجد بينها من كان بدرجة عظمة جوامع المماليك ولكنها ظريفة وتذكر بجو استانبول . وأساسا فإنه لم تكن هناك حاجة إلى جامع كبير ، إذ إن بمصر 356 جامعا سلطانيا .

عندما خرجت القاهرة عن كونها عاصمة للدولة المملوكية ، قل عدد سكّانها بالنسبة لما كانت عليه في السابق ، يبدو أن القطر المصري كان يحتوي سابقا على 3600 مدرسة عالية ومتوسطة . غير موجودة حاليا . لكل جامع سلطاني مدرسته ، ومعظمها مدارس عالية . لم يبن أي بادشاه عثماني جامعا أو مدرسة في مصر . إذ لم تكن هنالك حاجة لذلك . لكن الوزراء والوجهاء العثمانيين شيّدوا مدارس جديدة ، حيث كان أكثرها قد أشرف على الانهدام في أواخر العهد المملوكي . أجمل المدارس العثمانية في القاهرة ، هي التي بناها كل من سليمان باشا ، إسكندر باشا وداود باشا . وتسمى المدارس التي تعلم الحديث « دار الحديث » . يوجد منها في القاهرة 860 دارا . لكن أكثرها أبنية صغيرة تحتوي على مدرس واحد وعدة طلاب . يوجد في القاهرة أكثر من 50 000 مدرس من الذين تخرجوا في تلك الدور . بينهم من حفظ 20 إلى 30 ألف حديث مع سلسلة رواتها . حفظ الحديث منتشر جدا في مصر وهناك كثيرون ممن حفظوا صحيحي مسلم والبخاري من البداية حتى النهاية . ويطلق على المدارس التي تعلم ترتيل القرآن وتخرج الحفاظ « دار القراء » . تحتوي القاهرة على 370 دارا للقراء و 700 مدرس . الحفظ أساس في التعليم المصري . حفظ العميان يكون أقوى . لايوجد في أي بلد آخر عميان بقدر ماهو موجود في مصر . لكن الوضع لايختلف بالنسبة لغير العميان . يوجد 2015 مكتبا ، وقد اتضح أنه في العصور الأخيرة تم إغلاق 2000 مكتب (مدرسة إبتدائية) لعدم توافر الطلاب . عدد المكاتب في جميع أنحاء مصر 6176 . أكثرية المكاتب خاصة بالطلاب العرب وتدرس اللغة العربية . وتدرّس التي تخص الأطفال الأتراك منها ، اللغة التركية .

بالقاهرة 360 تكية وزاوية (تكية صغيرة) . شعب مصر محب جدا للطرق ، 200 تكية من مجموع 1060 تكية خاصة بالطريقة البدوية ، 000 300 مصري ينتمون إلى هذه الطريقة في مصر ، مركزها طنطا . تحتوي كامل مصر على أكثر من 2000 تكية . يلي

ذلك الطريقة الرفاعية . لها 100 000 مريد في البلد . مركزها ، التكية الكائنة في أسفل جامع السلطان حسن . وتكية اوقجولر (النّبالة) مشهورة كذلك .

الطرق التركية ، تخاطب المثقفين ولا تخاطب الشعب . وتأتي على رأسها الكلشنية . بنى إبراهيم الكلشني في 1534 ، مركز تكية الطريقة في القاهرة . يرتادها كثير من العرب الراغبين في تعلم اللغتين التركية والفارسية . الحقيقة أن الدراويش كلهم أتراك جميعهم يجيدون العربية والفارسية هناك في هذه الطريقة مجال واسع للموسيقى . الموسيقى وألفاظها تركية . تختلف عن الموسيقى المصرية . قبر الشيخ كلشني ، قرب التكية . أوقف السلطان سليم الذي يعرفه شخصيا ، وكذلك ابنه السلطان سليمان ، أوقافا كثيرة لهذه التكية . للشيخ ثلاثة دواوين شعر مختلفة باللغات التركية الفارسية والعربية . والتكية البكتاشية الموجودة في القلعة تكيه عظمى كذلك . يقيم فيها على الأغلب ، الجنود العثمانيون لكثرة مناهجها التركية . وتكية عظمى أخرى في القاهرة ، هى التكية المولوية عشاقها على الأكثر من الطبقة العليا من العثمانيين والمماليك . الكل يرغب في مشاهدة أحتفال السماع الذي تجريه كل أسبوع .

قيل لي إنه كان في حينه لكل جامع في القاهرة نحو 700 مطبخ للمحتاجين (عمارت) ، وأن هذا العدد هبط عند دخول السلطان سليم إلى المدينة إلى 156 . حاول العثمانيون المحافظة على هذا العدد . أكثرها من أعمال المماليك الخيرية . وقسم منها عثماني . عدد الحمامات العامة الموجودة في المدينة 53 بناها كلها تقريبا العثمانيون . إذ لم يكن الحمام على الطراز العثماني شائعا هنا . بعضها حمامات مزدوجة . ولكن قيل لي أن هناك أكثر من 9000 قصر تحتوي على حمامات خاصة وبعض السرايات تحتوي على 4 أو 5 حمامات . الحطب والأخشاب ، نادر وثمين في مصر ، يرد إليها من الخارج ، وحتى من الأناضول . يستعمل الروث الحيواني في الوقود بدلا من الحطب في مواقد الحمامات .

في المدينة نحو 850 خانا صغيرا و 32 خانا كبيرا . معدّل الغرف في الخانات الكبيرة نحو 300 . مثلا ، خان الخليل مساحته ، 100 ×100 ذراع ، به 4 طوابق ، ذو جامع ويحيط به 200 دكان مبني بالحجر . ومعظم الخانات الكبيرة بناء عثماني . سوق التحف

المصري مشهور عالميا ومن الممكن أن يبتاع منه أغلى وأندر الحاجات في العالم . بنى مؤخرا ذو الفقار كتخدا في 1672 خانا مساحته 150 × 80 ذراعا ذا 3 طوابق ، يحيط به سوق . خان الأسرى ذو الـ 300 غرفة ، هو مركز مبيعات العبيد والجواري ومن الممكن أن تجد فيه العبيد والجواري من كل الأجناس وبجميع الأوصاف . خان بهار ، يمكن أن يقال عنه إنه مركز عالمي لتجارة التوابل (البهارات) . ترد التوابل القادمة من أندونيزيا ، الهند ، الحبشة واليمن وتوزع على الأقطار العثمانية ويباع الفائض منها إلى أوروبا . تجبي الحكومة من هذا الخان ضريبة سنوية قدرها 2000 كيسة (80 مليون آقجه) . توجد 4 مستشفيات كبيرة ومستشفيات أصغر منها . أشهرها مستشفى السلطان قلاوون . مساحتها 150 ×150 ذراعا ، كامل الأرضية من المرمر الأبيض المصقول ، ذو حوض . صيدليته ، مؤسسة عظيمة إلى درجة انها تبيع أدويتها إلى كل الأقطار العثمانية وأوروبا . تحتوي المدينة على مايقرب من 4000 حنفية داخل بناية (جشمه) ، سبيل للمياه المجانية ، أحجار محفورة (أحواض) يتجمع فيها الماء لتشرب منه الحيوانات والطيور (يالاق) ، حنفيات عامة . أكثرها من الأعمال الخيرية للمتقاعدين من آغوات الحرم الهمايوني في استانبول الذين فضّل معظمهم السكن في القاهرة لقضاء بقية أعمارهم فيها .

8900 زقاق لها أبواب ، وأبواب الأزقة هذه يقوم الحراس بإغلاقها ليلا . في المدينة 17 شارعا مفتوحة للمرور ليلا . يتجول صوباشي (ضابط أمن) القاهرة ليلا مع 6 ـ 700 من رجاله . وضع الأمن هنا يختلف عما هو عليه في استانبول . الفقر المدقع والغنى المفرط جنبا إلى جنب . الشعب محب للراحة والكسل . إذ إن المناخ حار حقا . أسست المدينة في جانب الضفة الشرقية من النيل . وتسمى ضفتها الغربية الجيزة وتوجد فيها جزر على النيل ، بها 18 جسرا ، وعدد الجسور الموجودة على النيل في القطر كله 346 جسرا . ويسمى العرب الجسر أحيانا ، « قنطرة » ، والحوض « بركة » . أطرافها مليئة بالأشجار ، والأماكن اللطيفة . تزوّد المدينة من مياه الأحواض الكبيرة في مواسم هبوط مياه النيل . وعند إرتفاعها تنتفي الحاجة إليها . المسلّة الحجرية القائمة في بركة عين الشمس ، من بقايا المصريين القدامى ومليئة بالكتابات العجيبة ، لاأحد يتمكن من قراءتها .

يطلق على شمال القاهرة « بولاق » ، وهي مدينة طولها 500 2 ذراع وعرضها يتراوح بين 300 إلى 800 ذراع . مرفأ كبير للقاهرة على النيل ، 000 10 سفينة مسجلة وفي سجل مدير ميناء بولاق . المدينة مكونة من 45 محلة ، 700 6 دار ، 56 جامعا ، 304 مساجد . جامع السطان بيبرس الكائن داخل سوق السلطاني العظيم من أعظم وأفخم الأبنية . وعلى الساحل ، الجامع الذي بناه الصدر الأعظم قوجا سنان باشا عندما كان واليا . ذو قبة واحدة بني على نمط إستانبول ككل الأبنية العثمانية ، كأنه نسخة مصغرة لجامع السلطان سليم في استانبول . لاتوجد في الابنية العثمانية النقوش المتشابكة جدا الموجودة في الجوامع الأيوبية والمملوكية . تعتبر المبالغة في الزينة حراما بالنسبة للعثماني . توجد في بولاق 20 مدرسة ، نحو 40 مكتباً ، 6 تكايا ، 73 خانا أكبر التكايا هى التكية الكلشنيّة . يحتوي الميناء على 200 مخزن طول محيط بعضها 600 ذراع ، تمتلىء بالبضاعة المستوردة من آسيا ، 1600 دكان ، 200 منها في سوق سنان باشا . معمل سفن بولاق كبير ، محيطه 2000 ذراع ، كدّس فيها الخشب الذي جلب من الأناضول الجنوبية ولبنان . كأنه الجبال . وأدوات السفن مكدسة كذلك . أمين مصنع السفن تابع لأميرال السويس . قصر سبتيّة الجميل ذو 7 طوابق في شمال المدينة ، وسط الحدائق ، مخصص لاستراحة الوالي (البكلربك) يومًا واحدا في الأسبوع تحتوي مرتفعات قايتباى قرب بولاق على 1000 دار ، 11 سرايا ، 70 دكانا ، 17 جامعا ، 70 مسجدا . يعتقد إنها كانت في السابق 000 10 دار . فيها جامع وكلية قايتباي ، وخان ذو 200 غرفة . يقوم 200 شخص بخدمات صيانة الجامع . السلطان قايتباي ، أشهر سلاطين المماليك في الاعمار ، له 700 عمل خيري 300 منها في الحجاز . وبالقرب منه تتسلسل جوامع سلطان برقوق ، سلطان أشرف ، سلطان إينال ، سلطان جقمق ، سلطان فرج ، سلطان قانصوه ، سلطان طومان باي . بعضها ذو 3 شرفات ومنارتين . تسمى المنطقة التي بها جامع قانصوه عادليّة .

الاسم الأصلي للمدينة التي يطلق عليها أسماء مصر عتيقة ، مصر قديمة ، اسكي مصر ، اسكي قاهرة هو فسطاط . وهي ضاحية للقاهرة وملتصقة بها . أسسها عمرو ابن العاص فاتح مصر . يتضح من مناطقها غير المسكونة المترامية الأطراف أنها كانت

كبيرة جدا . حاليا تحتوي على 4 600 دلو . ميناء على ساحل النيل يمر بها سنويا 10 000 سفينة لها قلعة محيطها 2 000 ذراع . تشاهد أنقاض أكثرية الـ 270 جامعا التي كانت تحتويها . فيها جامع عمرو . شيّد عابد بك كذلك جامعا في 1660 . لايزال جامعا الملك الطاهر وسلطان جقمق قائمين . تحتوي على 3 مدارس ، 20 مكتباً ، 10 تكايا ، خانين ، حمام ، 10 مقاه . يقال إنه كان بها نحو 700 قصر وسراي . تشكل جزيرة الروضة الكائنة وسط النيل قسما من القاهرة .

تعزف الموسيقى العسكرية (مهترخانة خاقاني) في 45 موقعا من الإيالة المصرية ، والطبل السلطاني الكبير (كوس سلطاني) في نحو ألف موقع . تفتح سنويا أبواب السد الذي يزود الحوض الكبير ـ الذي يسمى مقياس ـ بماء النيل . تقام احتفالات كبيرة في ذلك اليوم . تطلق المدافع والبنادق . يرعى الوالي الوزير الاحتفال ويضحّي لذلك بـ 200 خروف و50 بعيرا . يرمي في النيل 2 000 كلّة (قطعة من السكر كبيرة الحجم) من السكر البلوري وحمولة 80 بعيرا من الخبز وأطعمة أخرى . عادة لا معنى لها ، لكن شعب مصر متمسك بها ؛ لأنه يتشاءم إن لم يفعلها .

لايؤمن العثمانيون بمثل هذه المعتقدات ، إلا أن مبدأ الإدارة العثمانية الذي لايتغير ، هو عدم التدخل في عادات الشعب في كل قطر ما لم تكن ضارة بمصلحة الدولة . يذهب الوزير ليلا إلى قصر أم المقياس ويشرف على مراسم تحية نحو 2 000 سفينة مزيّنة بالأنوار تمر من أمامه على النيل لتحيّته . تعلو أصداء الموسيقى من كل دار ، فالمصريون يعشقون الموسيقى . تعزف هيئة موسيقية بحضور الوزير . إن السفن التي تطلق قذائف الألعاب النارية السماوية في شهر تموز بسبب صفاء الجو في ذلك الشهر ، من الأمور التي تستحق المشاهدة ، فانقسام كل قذيفة إلى 3 أشطار مختلفة بفواصل معيّنة من الزمن واندفاعها بألوان خلابة ، وانقسام كل قطعة إلى أربعين أو خمسين قطعة وارتفاعها إلى أعلى ثم هبوطها حتى الأرض يبدو عملا فنيا كبيرا . أطلقت مئات الألوف من القذائف السماوية في تلك الليلة بحضور الباشا . للقذائف أنواع عديدة ، ولكل نوع اسم خاص . ويطلق على النوع الذي يهبط إلى الماء ثم يرتفع ثانية سبعة أو ثمانية مرات « سمكي » ، وسير القذيفة داخل الماء بسرعة كأنها سابحة شيء جميل حقا . تظهر من كل قذيفة أشكال

مختلفة عند ارتفاعها في الجو . دامت الاحتفالات سبعة أيام بلياليها . أطلقت خلال أسبوع قذائف تبلغ قيمتها 5000 ليرة ذهب . استأجر بعض الناس دورا ساحلية بسعر 50 ليرة ذهب لأسبوع واحد لمشاهدة الاحتفالات على النيل بصورة أوضح . ان أكبر لإطلاقات هي التي ترسم في السماء شكل القلعة بكامل تفرعاتها ، الواحدة منها تكلف 300 ليرة ذهب أكل وشرب عدد كبير من الناس بحيث أنفق 4 ملايين آقجه خلال أسبوع واحد . يشترك المسئولون في الأيام الثلاثة الأولى من الاحتفال ، ويستمر الشعب في الاحتفال أربعة أيام أخرى

يجري النيل كاملا داخل أراضي العثمانية . لكن منابعه في أعماق أفريقيا . توجد تماسيح كثيرة . وفي مصر ينزل المطر مرة أو مرتين في السنة . ولولا وجود النيل وفيضانه ، لحدثت مجاعة ، ولما تمكن الشعب من تأمين عيشه .

تحتوي القاهرة على 643 مقهى . بينها التي تستوعب 1000 شخص وذات فرق موسيقية كبيرة . يباع التبغ في أكثر من 1000 دكان . وتباع القهوة في 70 دكانا . توجد 200 حانة مشروبات ، 75 محلا لصنع وبيع البوظة (مشروب غير كحولي يصنع من عصير بعض الحبوب) . في المدينة أكثر من 3 000 مهندس معماري 600 عامل في 70 فرنا ، 3800 تاجر كبير ، 600 دكان قصّاب ، 600 مطعم ، 206 محلات لبيع الكباب ، 70 محلا لبيع (الحلويات المصنوعة من الحليب) ، 60 جرّاحا ، 40 طبيباً ، 290 صيدليا ، 350 صرافا ، 12 ساعاتيا ، أكثر من 2000 صائغ ، 3200 حلاّق ، 700 موسيقي محترف ، 2000 مومس ، 300 من مروجات الفحش من النساء المسنّات ، 9000 مسئول لهم تجمعات خاصة فيما بينهم . تحتوي القاهرة على 40 000 حمار . الكل يركبون الحمير . و 300 لص سجّلوا في سجل سوابق الأمن .

لايمكن إحصاء قبورالشخصيات الشهيرة المدفونة في القاهرة . يرقد الإمام الشافعي في القاهرة . محلّة كبيرة جدا مسماة باسمه . زيّن قبره بأشياء ثمينة جدا . لايسمحون باقتراب أحد من الضريح . يوجد بجواره جامع سلطاني وكلية . يرقد سلاطين مصر الأيوبيون ، سلاطين المماليك ، خلفاء مصر العباسيين في قبور فخمة . الستار الذهبي والذي يغطي ضريح الخليفة المستنجد الذي لايزال موجودا هدية من السلطان محمد

الفاتح . وفي القاهرة كذلك قبور كثيرة لرجال العثمانية وقبور 3 وزراء ماتوا خلال ولايتهم على مصر . ولا يمكن إحصاء رجال الدين ، التصوّف ، العلم والفن المدفونين في القاهرة .

25 _ مصر السفلى :

غادرت القاهرة في 7 / 8 / 1672 متوجها نحو طنطا . شبرا ، ضاحية القاهرة ، بها 1000 دار ، 7 جوامع .

زفتة ، مركز قضاء في لواء الغربية ، ميناء على النيل تتبعها 70 قرية ، بها 500 دار ، 3 جوامع ، 7 تكايا .

ميت غمر مركز قضاء في لواء المنصورة ذو 4000 دار ، يقع على الساحل الشرقي الآخر من النيل . بها 9 جوامع ، 35 مسجدا ، 7 مدارس ، 12 مكتبا ، 7 خانات ، 600 دكان .

منوف : مركز قضاء يتبعه 320 قرية ، و 18 محلة ، 3 جوامع ، 3 مدارس ، 40 مكتبا ، 7 خانات ، 400 دكان ، حمامان .

طنطا ، أحيانا مركز لواء غربية وأحيانا قضاء له ، تقع وسط الدلتا وعلى أحد فروع النيل . فيه قبر السيد أحمد البدوي . بها 500 1 دار ، 8 جوامع ، 32 مسجدا ، 7 مكاتب ، 7 خانات . بنى السلطان قايتباي جامعا فخما ذا منارتين . قبر البدوي مليء بالأشيا الثمينة . **محلة مرحوم** ، قضاء في المنوفية وأحيانا مركز لواء له ، يتبعها 70 قرية ، 000 2 دار ، جامعان ، 38 مسجدًا ، 200 دكان ، 7 خانات ، 8 مكاتب .

آبيار ، مركز قضاء ذو 150 قرية في اللواء ذاته ، 000 3 دار ، 3 جامع ، 37 مسجدا ، 3 تكايا ، 200 دكانا .

نهاريّة ، مركز قضاء ذو 700 دار ، 13 جامعا ، 27 مسجدا في اللواء ذاته

أبو علي ، قضاء ذو 800 دار ، جامعين ، 7 مساجد ، خانين ، 50 دكاناً .

دسوق ، مركز قضاء في لواء غربيّة . فيه جامع سلطان قايتباي و 5 مساجد .

دمنهور ، مركز لواء البحيرة . يقع في الجنوب _ الشرقي من الإسكندرية . كان جانبه الشرقي صحراء ، وجميع البدويين في البادية تحت إشراف هذا اللواء . يحتوي قضاؤه المركزي على 360 قرية و 7 نواحي . وفيه 500 5 دار ، 14 جامعا سلطانيا ، 63 جامعا ومسجدا ، 7 تكايا ، 3 مدارس ، 40 مكتباً ، 680 دكانا ، 8 خانات ، 254 مصنعا . فيه جامع سلطان قايتباى ، وهو جامع كبير .

حوش عيسى ، مركز قضاء في لواء بحيرة ، يقع في غرب دمنهور . به 2000 دار ، جامع ، 10 مساجد ، 360 دكاناً .

إسكندرية ، تقع في أقصى غرب الدلتا ، على البحر الأبيض ، أكبر ميناء لمصر و أحد أشهر مدن التاريخ . أسسها قبل الميلاد في أواخر القرن الرابع فاتح مصر الإسكندر الأكبر . صغرت كثيرا بالنسبة للسابق بعد أن أخذت القاهرة المكانة الأولى . وبينما كانت الإسكندرية عاصمة لمصر في الفتح الإسلامي ، أسس عمرو بن العاص مدينة الفسطاط التي نقلت العاصمة إلى القاهرة . مازالت أنقاض فنار الإسكندرية تشاهد حاليا . أحد الألوية البحرية الثلاثة لإيالة البحر الأبيض الواقعة على السواحل المصرية . أمير لوائها أميرال تابع لمشير البحر ، محيط قلعتها 11700 ذراع ، ذات 175 برجا . تحتوي المدينة على 3 075 دارا ، 680 دكانا ، سوق تحف ، 6 خانات ، 27 جامعا ، 53 مسجدا ، 6 حمامات ، 130 مخزن مياه أراضي . فيها 4 قنصليات أوروبية ، 85 جامعا ومسجدا مهدما ومغلقا ، أخذ السكان على مر العصور ينتقلون منها إلى القاهرة . وفي مدخل الميناء توجد قلعة سلطان قايتباي ، سراية وجامعة . قلعة صغيرة محيطها 850 ذراعا ، ذات 3 طوابق ، طرفاها بحر ، وذات 55 مدفعا صغيرا . قيزيل قولة (البرج الأحمر) ، 300 ذراع ، من بناء سلطان جقمق . ويوجد في شرقها قلعة أخرى أصغر منها محيطها 200 ذراع من بناء السلطان قايتباي . جدار كاسر الأمواج الموجود أمام المرفأ من بناء قيليج علي باشا الذي كان أمير لواء فيها . وعلى مسافة من الميناء توجد ثكنة جنود البحرية (لوند) ، وجميعها ليست أبنية محلّية . أغلب الأتراك ، بعد القاهرة ، يسكنون في هذه المدينة . قلعة أبو قير تقع على البحر كذلك وهي موقع للدفاع عن الميناء الذي يحمل اسمها أيضا . بناها الصدر الأعظم سليمان باشا عندما كان واليا على مصر . تحتوي هذه القلعة على 300 جندي حراسة ، وعدا ذلك جنود مدفعية وعتاد كبير و 70 مدفعا . فنار عظيم يضيء كل يوم ويشاهد على بعد 100 ميل . أبو قير ، ناحية الإسكندرية وجزء من المدينة .

إدفو ، مركز قضاء في لواء رشيد ، يقع على جنوب ـ شرقي رشيد . به 4 000 دار ، جامعان ، 18 مسجدا ، 3 خانات ، 300 دكان .

رشيد ، أحد الألوية البحرية الثلاثة في مصر ، تابع لإيالة البحر الأبيض . شمال شرقي الإسكندرية ، مرفأ على البحر الأبيض . أميره برتبة أميرال ، تابع لمشير البحر . يوجد حاليا في هذا المنصب أحد فرقاء أول البحر . يحتوي اللواء على 4 أقضية و 76 قرية ، 10960 دارا للمسلمين أكثرها ذات 5 ـ 6 طوابق ، 1060 دارا للمسيحيين واليهود . حاليا أكثف سكانا من الإسكندرية ؛ إذ إنها مركز تجاري كبير . ترد إليها وتصدر منها البضاعة عن طريق البحر . يعمل نحو 2000 تاجر في هذا العمل . تحتوي على مايقرب من 200 جامع ومسجد ، وحوالي 7 خانات عمل ، 7 مدارس ، نحو 70 مكتبا ، سوقين للتحف كل واحد منهما ذو 100 دكان ، بها أيضا 3040 دكانا ، 70 مقهى ، 240 طاحونة ، 70 حانة مشروبات ، 5 حمامات ، أكثر من 6000 مخزن بضائع ، مصنع صباغة تابع للدولة . المدينة ذات 610 أزقة ، إن الخانات التي بناها الصدور العظام الذين تقلدوا ولاية مصر وعلى رأسها التي شيّدها داماد أوكوز باشا ، كخادم سليمان باشا ، داود باشا حافظ أحمد باشا ، قوجا سنان باشا ، كل منها في الحقيقة عبارة عن كروانسراي (منزل مسافرين كبير) . بنى قلعة رشيد سلطان بيبرس في أواخر القرن 13 ، وسّعها قايتباي في أواسط القرن 15 وأضاف إليها جامعا ، وفي 1595 أضاف وزير علي باشا إليها طابقا آخر ، تحتوي على نحو 100 مدفع .

محلة متوبس ، مركز قضاء في لواء الغربية يتبعه 70 قرية ، به 3 000 دار ، 5 جوامع ، 70 مسجدا وتكية ، 200 دكان .

سنديون ، مركز قضاء في اللواء ذاته ، وأحيانا مركز لواء ، ذو 80 قرية ، 3000 دار ، نحو 200 دكان .

فوّة ، احيانا قضاء واحيانا مركز لواء تابع للغربية . يحتوي على 4000 دارا ، 12 جامعا ، 40 مسجدا .

شبراحيس ، مركز قضاء ذو 2 000 دار ، جامعين ، 10 مساجد في لواء بحيرة .

ميت جناح ، قضاء في الغربية به 2000 دار ، جامعان ، 20 مسجدا .

صح ، مركز قضاء آخر في الغربية ذو 2000 دار ، جامعين ، 20 تكية .

نقلة ، قضاء في البحيرة به 2 000 دار ، 3 جوامع ، 20 مسجدا .

امبابة ، مركز لواء الجيزة . يقع على الساحل الغربي من النيل ، وتواجهه محلة شبرا في القاهرة . تبقى الجيزة في الجنوب وهي مقابلة للفسطاط في الجانب المواجه . الرأس الشمالي لجزيرة الجزيرة ، مواجه لامبابة . يقيم حاليا فيها أمير لواء جيزة ، والحقيقة

أن امبابة عبارة عن ناحية لقضاء الجيزة المركزي . كما أنها ، إحدى ضواحي القاهرة . تحتوي على 5000 دار ، 8 جوامع ، نحو 70 مسجدا ، مدارس عديدة ، نحو 20 مكتبا و 20 معمل أصباغ تابعا للدولة .

البرلّس ، مركز قضاء في لواء دمياط ، يحتوي على أكثر من 300 دار . ويتبعه 70 قرية . يقع بين رشيد ودمياط . **بلطيم** ، ناحيته وميناؤه . **سنانيه** ، ناحية أخرى له وهي التي أسسها قوجا سنان باشا ، تحتوي على 300 دار ، 3 جوامع ، خانانين .

دمياط ، مركز أحد الألوية البحرية الأربعة الموجودة في مصر . تابعة لإيالة البحر الأبيض (آق دنيز) أي إلى مشير البحر . ميناء على البحر الأبيض . يقع على الرأس الشمالي ـ الغربي من الخليج المغلق تقريبا والمسمى بحيرة المنزلة وفي شمال شرقي المنصورة . اشتهرت عالميا بأرزها . يكون أميرها في بعض الأحيان برتبة فريق أول بحري . تعد مع الوية اسكندرية ورشيد البحرية سواحل الدلتا في البحر الأبيض ، إذ لم تربط الدولة العثمانية سواحل البحر الأبيض لمصر ، بايالة مصر ، وجعلتها تابعة لإيالة البحر الأبيض . وأدمجت أحيانا مع لواء رشيد . تدخل الميناء سنويا نحو 500 سفينة ، وتبلغ إيراداتها من ضريبة الجمارك ما يقارب 250 كيسة . قضاؤها المركزي عبارة عن 3 نواح و 16 قرية . جميع أطرافها بحر . تحتوي المدينة على 40 محلة ، 260 زقاقا ، 50 جامعا ومسجدا ، 7 كنائس ، أكثر من 2000 دكان ، وحوالي 3000 مخزن . يزرع الأرز فقط ، والثروة السمكية جيدة . تشتهر بصناعة المنسوجات . إن هذه المدينة التي يسكنها نحو 000 300 نسمة تلي القاهرة في القطر المصري ، فيها 600 دار لغير المسلمين 1 . 9 منها لليهود ، بها جامع سلطان قايتباي ومدرسته التي يتلقى فيها أكثر من ألف من طلبة العلوم الدينية تحصيلهم العالي ، عدا ذلك 6 مدارس ، 11 تكية ، 18 خانا ، 4 حمامات ، 32 مقهى ، 6 منها يستوعب كل واحد منها ألف عميل . أكثرية الخانات من بناء العثمانيين . تحتوي القلعة على جامع سليم خان ونحو 30 مدفعا . شرع داماد أوكوز محمد باشا فى بناء قلعة جديدة على ساحل النيل ، لكنه لم يتمكن من اتمامها . تحتوي المدينة أيضا على تكية مولوية وتقع قلعة تنة Tine وجامع سليم خان على مسافة 7 ساعات . تحتوي على 30 مدفعا . **عريش** ، ناحية في لواء سيناء وهي نهاية أفريقيا وأقصى شمالها ـ الشرقي . وتجاهها آسيا .

فرسكور ، مركز قضاء في لواء دمياط . في شمال غربي المنصورة . يحتوي على 1 100 دار ، 6 جوامع ، 11 مسجدا ، 300 دكان ، 3 خانات . **شربين** ، مركز قضاء في لواء الغربية ذو 40 قرية . يحتوي على 1 700 دار ، 7 جوامع ، نحو 50 مسجدا ، عدة مدارس ، تكايا ، 54 دكانا .

المنصورة مركز لواء ، يقع على شرق الدلتا وعلى ساحل أحد فروع دلتا النيل ، بين طنطا ودمياط . سمّيت هذه البلدة « منصورة » في 1235 بعد انتصار الأيوبيين على الصليبيين الذين أحتلوا المنصورة بعد دمياط واجلائهم عن مصر . في اللواء 787 قرية ، قصبة ، مدينة . يدفع اللواء للدولة سنويا ضرائب تبلغ 3 000 كيسة مصرية . يحتوي قضاؤها المركزي على 320 قريه . والمدينة عبارة عن سوق أسبوعية يجتمع فيها مابين 40 ـ 50 الف شخص ، بها 9000 دار ، قصر وسراي ، 14 جامعا ، 291 مسجدا ، 6 ، مدارس ، 70 مكتباً ، 40 سبيلا ، حمامان ، 18 خانا ، 40 مقهى ، 1 150 دكانا ، 7 مصانع زيوت ، 75 طاحونه . ويوجد كذلك 22 خاناً للمسافرين . الجامع الكبير الذي تبلغ مساحته 180 × 180 ذراعا ، من بناء السلطان الصالح الأيوبي ، أصلحه جوربة جي في 1671 .

المنزلة ، قضاء المنصورة . قريب من الأراضي الآسيوية وشبه جزيرة سيناء . تحتوي المنطقة المجاورة لخليج البحر الأبيض الذي يسمى بحيرة المنزلة على 1000 دار ، 8 جوامع ، 62 مسجدا ، 1 مدرسة ، 6 مكاتب ، 7 اسبله ، 8 مقاه ، 180 دكانا . **سمنود** ، مركز أحد أقضية الغربية ، تتبعه 47 قريه ، يقع على مقربة من جنوب غربي المنصورة . به 1300 دار ، 3 جوامع ، 3 مساجد ، 12 مكتبا ، 7 أسبلة ، حمام ، 51 دكانا .

المحلة الكبرى ، أو محلة الكبير ، مركز لواء في الغربية . يقع بين منصورة ودمنهور ، في منتصف الدلتا ، وقليلا نحو الشمال . يمنح أمير لوائه مرتبة فريق أول على الأغلب . تحت إمرة الأمير 2000 جندي ومخصصاته السنوية 150 كيسه ، وإن كان قاضيا يتقاضى راتبا يوميا قدره 500 آقجه ومخصصات سنويه ترواح مابين 40 إلى 50 كيسه مصرية . يحتوي اللواء على 370 قرية . ينقسم داخل المدينة إلى 3 نواح . المحلة مدينة كبيرة تحتوي على 16000 دار ذات طوابق عديدة و 78 محلة . ونحو 70 جامعا ، 70 مسجدا ، 16 مدرسة ، مايقرب من 70 تكيه ، 200 سبيل ، 46 خزان مياه أرضيا ، 5 حمامات ، حوالي 200 مكتب ، 2345 دكانا ، 48 مقهى ، نحو 200 مصنع زيوت ، 380 طاحونه ، 10 أفران ، 77 خانا ، 7 كنائس في محلتين للأقباط وحوالي 1000 دار

تعداد قضائها المركزي 000 600 نسمة ، وهى مدينة عربية صرفة . **الأتراك القاطنون** فيها ، عائلات الموظفين . بنى جعفر آغا في 1674 جسرا على النيل ذا 3 قناطر . شكل أولو جامع الحالي الموجود في المدينة يرجع إلى السلطان بيبرس .

قليوب ، مركز لواء قليوبية ، ويمكن اعتباره كذلك الضاحية الشمالية **للقاهرة** ، يتبعه 280 قرية . يتقاضى أمير اللواء سنويا مبلغ 100 كيسة . مدينة جميلة تحتوي على 2000 دار ، 7 جوامع ، 33 مسجدا ، 20 مكتباً ، 8 خانات ، 7 مقاه ، 200 دكان . المرجح أنها كانت في الماضي أكثر نفوسا .

الجيزة ، تقع على الساحل الغربي للنيل ومواجهة للفسطاط (مصر العتيقة = اسكي مصر) ، وهى في الحقيقة شطر مدينة القاهرة الباقي في الضفة المقابلة ، لكنه جعل مركزا للواء مستقل عن لواء القاهرة المركزي . يعتبر هذا اللواء في مصر العليا (الجنوبية) وهو أقصى شمال مصر العليا الذي يجاور الدلتا (السفلى = مصر الشمالية) . تقع أهرام سقارة في جنوب المدينة وتواجهها مدينة منفيس عاصمة مصر القديمة ، وفي جنوبها تقع **حلوان** . منفيس وحلوان تابعتان للواء القاهرة ، وهي رأس الطرف الجنوبي للقاهرة . تحتوي الجيزة على 1000 دار ، 3 جوامع ، 37 مسجدا ، خانين ، 6 مقاه ، 7 مكاتب ، 8 أسبلة ، 3 تكايا ، حمام . أكبر الأهرامات الفرعونية موجودة في الجيزة وسط الصحراء ويجاورها تمثال أبو الهول الجبّار . Sphin . **خانكة** ، مركز قضاء ذو 150 قرية . يحتوي على جامع سلطان أشرف ، و 8 جوامع أخرى . **بلبيس** ، مركز لواء الشرقية في شمال شرقي القاهرة . هذا اللواء يغطي شرق الدلتا ويحدّه شرقا برزخ السويس . وتبدأ سيناء أو باسم مركزها **العريش** بعد البرزخ . يحدها شمالا خليج المنزلة على البحر الأبيض . وجنوبا نحو الغرب لواء قليوبية ، وغربا لواء المنصورة ، يحتوي لواء بلبيس على 340 قرية . مخصصات ألبك (الأمير) 70 كيسة . بها جامع سلطان محمد ، 5 جوامع أخرى ، 81 مسجدا ، 15 خانا . قلعتا **قرائم وصالحيّة** ناحيتان لهذا اللواء تحتويان على قلاع وجوامع السلطان قايتباي . أسس الثانية منهما ، سلطان صالح .

26 ـ مصر العليا

تسمى مصر الجنوبية « مصر العليا » ، وهى وادي النيل الذي يبدأ من جنوب دلتا النيل (السفلى = **مصر الشمالية**) ويمتد إلى النوبة والسودان . تبدأ مصر العليا اعتبارا من جنوب القاهرة وتمتد **نحو الجنوب** . الوادي عبارة عن ساحلي النيل وماعداه صحراء . تعتبر محلة الجيزة للقاهرة والتي تبقى في غرب النيل ، ضمن مصر العليا . تشمل مصر العليا كذلك عدة واحات بعيدة عن النيل . وجنوب لواء الجيزة ، هو لواء بني سويف .

بني سويف ، مركز لواء على النيل . يحده شمالا لواء الجيزة ، جنوبا لواء المنيا . تقع مدينة بني سويف في منتصف المسافة بين القاهرة والمنيا تماما ، تتبعها 740 قرية . توجد في المدينة وحدة إنكشارية تابعة لآغا الإنكشارية في القاهرة ، هذا عدا 1000 جندي مع أمير اللواء . وتحتوي على نحو 5000 دار ذات عدة طوابق ، سراي ، 6 جوامع ، نحو 80 مسجدا ، 9 مدارس ، مايقرب من 40 مكتبا ، 20 سبيلا ، 10 خانات 10 مقاهي ، 10 مصانع صباغة ، نحو 500 دكان ، ليس لها سوق تحف . جامع طاسلاق ـ زاده أحمد آغا بناء جديد وعلى أسلوب استانبول . **فشنة أو الفشن** ، هى آخر قضاء لهذا اللواء نحو الجنوب فيه 60 قرية عبارة عن 7 محلات ، 3 جوامع ، 4 مساجد ، 7 أسبلة ، 6 مكاتب ، 4 خانات وعدة تكايا . ويبدأ لواء المنيا على مقربة من جنوب ناحية **سمالوط** .

المنيا ، مركز لواء يعيّن له أحيانا أمير لواء بمرتبة أمير أمراء (**بكلربك**) . يحتوي **قضاؤه** المركزي على 8 نواح و 220 قرية . تقع المدينة على ضفة النيل ، بين بني سويف وأسيوط . تحتوي على 6000 دار ذات عدة طوابق ، 6 جوامع ، 99 مسجدا ، نحو 70 قصرا ، أكثر من 100 سبيل ، 11 خانا ، 300 دكان و 3 تكايا . جامع عمر (رضي الله عنه) (90 × 60) الذي حوّل من كنيسة ، بناه عمرو بن العاص باسم خليفته . وبجواره مدرسته العالية .

أشمونين ، يتبعها 40 قرية ، بها 300 دار ، جامع . **ملوي** ، تتبعها 60 قرية ، 4500 دار ، 5 جوامع ، 35 مسجدا ، 400 دكان ، 38 مصنع سكر ، 57 طاحونة ، 3 خانات ، 7 مقاه ، 7 مكاتب ، مركزي قضاء في المنيا **صنبو** ، يتبعها 67 قرية وبها 1000 دار ، 3 جوامع ، وله أيضا قضاء . **منفلوط** ، مركزا قضاء كبير في لواء المنيا . نحو 300 قرية تابعة له . محيطه 1000 ذراع في الضفة الغربية من النيل مدينة كبيرة تحتوي على 600 8 دار ، ذات عدة طوابق ، 8 جوامع ، 30 مسجدا ، 8 مدارس ، 47 مكتبا ، 70 سبيلا ، 8 خانات ، نحو 1000 دكان ، حمام ، 190 طاحونة ، 20 مقهى . محلة واحدة للمسيحيين وواحدة للموسويين . وعلى مسافة 6 ساعات نحو الجنوب على غرب النيل تقع أسيوط .

أسيوط ، في منتصف مصر تماما . مركز لواء ذو 420 قرية ويحتوي قضاؤها المركزي على 105 قرى بها مايقرب من 800 4 دار ذات عدة طوابق ، 9 جوامع ، 17 مسجدا ، 6 تكايا ، 10 مدارس ، نحو 40 مكتبا ، حمام ، 70 سبيلا ، 7 مقاه ، 360 دكانا . يعتقد أنه كان بها في السابق 27000 دار وتعدادها 146 000 جامع أُميّة ، من بقايا عهد عمر (رضي الله عنه) . شيّد أمير لوائها الحالي يوسف بك ، الجامع الجديد الذي تبلغ مساحته 50 × 50 ذراعا . **أبو تيج و طهطا** ، مركزا قضاء على الساحل الغربي من النيل بين أسيوط وسوهاج . أولها يتبعها 80 قرية ، وبها 2000 دار ، 3 جوامع ، 4 مساجد . جنوب أسيوط بمسافة 6 ساعات . أما طهطا فقد أصبحت حاليا مركزا للواء صغير . بها 2000 دار ، 9 جوامع ، 61 مسجدا ، تكيتان ، حمام ، 20 سبيلا ، 3 خانات وعلى مسافة قريبة من النيل . **جزيرة** ، قضاء آخر ذو 200 قرية . **سوهاج** أو باللهجة المصرية سوهاك مركز لواء صغير يقع على الساحل الغربي من النيل **وأخميم** مواجه له في الساحل المقابل للنهر . يتبعها نحو 300 قرية 160 منها في قضائها المركزي . تحتوي المدينة على 160 2 دارا ، 6 جوامع ، 44 مسجدا ، 18 تكية ، 7 مدارس ، 17 مكتبا ، 20 سبيلا ، 6 خانات ، حمام ، 100 دكان . اثنان من الجوامع جوامع سلطانية ، بنى أحدها آبيك أول سلطان مملوكي . **منشيّة** ، أو المنشاة ، تقع كذلك على الساحل الغربي للنيل ، على مسافة 7 ساعات من جنوب شرقي سوهاج ،

مركز قضاء يتبعه 67 قرية . يحتوي على 2000 دار ، 3 جوامع أحدها سلطاني ، 17 مسجدا ، 200 دكان ، 7 مقاه ، خانين ، 3 مكاتب ، 7 أسبلة .

جرجا أو باللهجة المصرية كركا Girga ، على مسافة 3 ساعات جنوب المنشاة وعلى الساحل الغربي للنيل ، جنوب شرقي سوهاج ، مركز لواء كبير يتولى إدارته الباشوات ذوي الشارتين (طوغ) في الرأس . لأمير هذا اللواء صلاحية تفتيش كل الألوية في مصر العليا باسم الوزير والى مصر إذ إن والي مصر لايترك القاهرة مالم يكن هناك حادث مهم . وعند عزل أمير اللواء الذي يتقاضى راتبا قدره 000 600 آقجه يعين على الأغلب في وظيفة أمير حج مصر ، يتبع اللواء 1070 قريه . يحصل أمير اللواء كذلك علي مخصصات سنوية قدرها 300 كيسه مصرية ، ويتقاضى قاضيها راتبا يوميا قدره 300 آقجه ومخصصات سنوية قدرها 3000 ليرة ذهب ، تتبع قضاءها المركزي 180 قرية . (تحتوي على مصر العليا على 6170 قرية) . تحتوي المدينة على 10068 دارا ، 11 جامعا ، 53 مسجدا ، 12 مدرسة ، 18 مكتبا ، 9 تكايا ، 7 أسبلة ، 1200 ساقية ، 2000 بئر ، حمامين ، 860 دكانا . 3 من جوامعها بناء عثماني وقد جيء للجامع الذي بناه شهيد محمد بك عام 1634 بالخزف من ايزنك . أكبر جامع هو الجامع الذي بناه أحد سلاطين الأيوبيين ومساحته 60 × 60 ذراعا . موقع كثير البركة . سعر الخروف الذي يزن ما بين 40 ــ 50 آقة ، 15 بارة (جزء من الأربعين من القرش) وفي رمضان يبلغ سعره 20 بارة ، سعر الجمل الواحد 300 بارة ، سعر 2 آقة خبز دقيق نقي 1 بارة ، سعر 3 آقة خبز أسمر 1 بارة ، سعر أردب الحنطة نصف ليرة ذهب ، أردب الشعير 10 بارة ، يباع العبد الحبشي بسعر يتراوح بين 7,5 إلى 10 ليرة ذهب . لكن البضائع كالأقمشة الممتازة والأدوات المصنوعة من النحاس ترد من الأناضول وهى غالية الثمن . مكثت 11 يوما في جرجا . منح لي أمير لوائها أوزبك باشا 400 ليرة ذهب ، كان من أمراء المماليك .

بلابيش ، مركز قضاء ذو 70 قرية ، به 60 دارا فقط ، وجامع . **فاو** ، مركز قضاء يقع على مسافة 8 ساعات نحو الجنوب على الساحل الشرقي (الشمالي) من النيل فيه 1300 دار ، جامعان ، 7 تكايا . يقال إنه كان في السابق مركز لواء .

قنا ، مركز قضاء في شمال الساحل (الشرقي) من النيل ، مركز لواء سابق . كان تابعا لجرجا . به 7 جوامع ، 20 مسجدا ، 7 تكايا ، مدرستان ، 150 دكانا ؛ 7 خانات متوسطة سوق كبير واحد ، 7 مقاه ، حمام . كان حسن آغا قد صرف في 1664 مبلغ 5000 ليرة ذهب وشيّد جامعا جديدا .

القصير أو قص تفع على مسافة 10 ساعات من جنوبه في الساحل الشرقي من النيل ، بين قنا والأقصر . وهي من الأماكن النادرة التي نجد بها قلعة في مصر العليا . قلعتها من بناء سلطان بيبرس ، لها 17 مدفعا ونحو 200 جندي حراسة تحتوي على 60 قرية ، 800 دار ، 4 جوامع ، 22 مسجدا ، 6 مكاتب عدة تكايا و 20 سبيلا . فيها جامع الخليفة العباسي المستكفي الذي مات منفيا فيها في 1305 . تبعد القصير عن مرفأ مدينة ينبع مسافة 300 ميل ، وعن مرفأ جدة 360 ميلا . تخرج البضائع التجارية من الصحراء إلى ساحل البحر الأحمر وتنقل إلى هذه الموانى الحجازية .

الأقصر ، في شرق النيل . شمالها إحدى أكبر المدن العالمية الميّتة (عاصمة مصر القديمة طيبة وكرنك) . مركز قضاء تابع لجرجا في جنوب غربي القصير ويرجح أنه كان لواء في السابق . يحتوي على 1 200 دار ، وهو أثر قديم مليء بالأنقاض . نقلت الأعمدة الأربعة العظيمة الموجودة في جامع سليمانية في إستانبول من هذه الخرائب وأرسلت إلى إستانبول . به 3 جوامع ، 17 مسجدا تكثر التماسيح جدا في النيل في هذه المنطقة مناخها جميل لكن شعبها فقير . الأراضي المليئة بالأ حجار الكبيرة الكائنة في شرق ناحية **كولمبو** ؟ تحتوي على كهوف كثيرة تسمى جبل تمساح . تكدّست في الكهوف الآلاف من جثث التماسيح المحنطة الواحدة فوق الأخرى أكفانها من ألياف النخيل ، ولم تتعفن .

أسوان ، يقع على ساحل النيل الغربي ، على مقربة من شمال الشلال الأول ، هو قضاء جرجا ، وأحيانا مركز لواء . يتبعه 60 قرية ، وقلعة ذات 20 مدفعا ، 150 جندي حراسة ودار للموسيقى العسكرية (مهترخانة) . تحتوي على 1600 دار . يتّضح من الأنقاض الموجودة في المنطقة أنها كانت كبيرة فيما مضى . يستخرج الزمرد من الأراضي الجبلية في جنوب المدينة . وعلى مسافة 15 دقيقة ، توجد إحدى أكبر الأشجار في العالم ، استراح السلطان قايتباي تحت ظلها سابقا

يحتوي النيل على 6 شلالات . الأول فقط في الأراضي المصرية والبقية في نوبية « النوبة » (السودان الشمالية) . الشلال الأول ، في جنوب أسوان رأسا . تحصى الشلالات من الشمال إلى الجنوب . **أزرق** ، مركز قضاء أسوان ، يحتوي على 200 1 دار ، 26 جامعا ومسجدا ، 6 مكاتب ، 7 أسبلة ، 24 دكانا ، وعلى مسافة قريبة جدا من جنوبه **ابرم** أو أقصر ابرم ، تقع على الساحل الشرقي من النيل ، بنى قلعتها التي يبلغ محيطها 800 ذراع ذات الشكل المخمس ، أودمير باشا . تحتوي القلعة على 40 مدفعا ، جامع السلطان سليمان ، به 80 دارا ، و 200 جندي عثماني يرسلون من القاهرة . تشاهد في ابرم قصور رجال العثمانية القدامى الشبيهة بالسراي ؛ إذ إن كثيرا من المذنبين السياسيين نفوا من إستانبول إلى ابرم ، بعضهم مات فيها ، وآخرون صدر العفو عنهم وعادوا إلى إستانبول . **ابرم** ، هي آخر قلعة تعود للدولة العثمانية في الجنوب في مصر . وتشكل ناحية **توسكي** أو توشكا التي في جنوب ابرم ، نهاية الأراضي المصرية . وفي أقصى جنوبها تبدأ النوبة بقصبة **فرس** ثم يليه وادي حلفا . المسافة بين ابرم ووادي حلفا 8 ساعات . يجري النيل في هذه المنطقة نحو الجنوب الشرقي . السودان تابعة لإيالة مصر ، لكن سواحل البحر الأحمر ، تدخل ضمن إيالة حبش .

إسنا ، مركز قضاء كبير في لواء جرجا ، يقع على الساحل الغربي من النيل . عبارة عن قلعة ، 500 دار ، 11 جامعا ومسجدا . جامع عمر (رضي الله عنه) من بقايا فتح مصر . **فاو** ، مركز القضاء الكبير لجرجا يقع على الساحل الجنوبي (الغربي) من النهر مواجه لقنا . يحتوي على 100 دار ، 7 جوامع ومساجد . **فرشوط** ، مركز قضاء كبير على مقربة من الشمال ـ الغربي لفاو وقريب من الساحل الجنوبي (الغربي) للنيل ، تابع لجرجا . يتبعه 70 قرية ، وبه 800 دار ، 11 جامعا ومسجدا . **سمحود** ، مركز قضاء كبير تابع لجرجا بالقرب من غرب فرشوط ، على الساحل الغربي (الجنوبي) للنيل ، فيه 2000 دار ، 3 جوامع ، 17 مسجدا ، **برديس** ، مركز قضاء كبير لجرجا يقع بين سمحود وجرجا ، قريب جدا من الساحل الجنوبي (الغربي) للنيل ، يحتوي على 50 قرية ، 800 دار . **ألواح** ، مركز قضاء كبير تابع لجرجا وأحيانا لمنفلوط وسط أنقاض مدينة قديمة ، وبه جامع ، 17 مسجدا ، 3 مدارس ، 17 مكتبا ، 7 تكايا ، 3 خانات ، 356 دكانا ، 40 سبيلا ، مركز صناعة للمنسوجات .

الفيوم ، اسمها الكامل مدينة الفيّوم ، مركز لواء . على مسافة ليست قريبة من الساحل الغربي للنيل ، داخل واحة واسعة . وعلى مقربة من جنوبه الشرقي ، مدينة بني سويف . وسط الصحراء . يحد اللواء من ناحية النيل لواء بني سويف ، شمالا لواء الجيزة ، جنوبا لواء جرجا . يحتوي على 110 قرى . يظن أنه كانت يتبعه سابقا 360 قرية . مدينة كبيرة لها 67 محلة ، 11 جامعا ، 39 مسجدا وأكثر من 9000 دار ، 7 مدارس ، 40 مكتباً ، حمامان ، 16 خانا ، 900 دكان . جامع قايتباي البالغ مساحته 70 × 70 ذراعًا فخمًا جدا .

يزور الفيوم عدد كبير من الناس على أنها مدينة يوسف (عليه السلام) . **اطفح** ، مركز قضاء كبير في لواء بني سويف في شمال شرقي المدينة ، موقع صغير عبارة عن 26 قرية .

مكث أولياء جلبي في القاهرة مدة 10 سنوات حتى عام 1683 . وهي المدينة التي سكنها أطول مدة بعد إستانبول . عاد إلى استانبول في 1683 وهو في الـ 72 من عمره وتوفي في السنة التالية 1684 . ويمكننا أن نكوّن فكرة عن تعداد المدن المصرية إذا ما ضربنا أعداد الدور التي ذكرها لنا × 10 ، وهكذا يمكن أن نقدر تعداد القاهرة 463000 ، دمياط 000 300 ، المحلة الكبرى 000 160 ، رشيد 109000 ، جرجا 100680 ، الفيوم 90600 ، المنصورة 90000 ، في السودان سنّارة 90000 ، منفلوط 86000 ، في السودان دنقلة 000 60 ، المنيا 60000 ، دمنهور 55000 ، بني سويف 50000 ، أسيوط 48000 ، ملوي 45000 ، فوة 40000 ، ادفو 40000 ، ميت غمر 40000 ، في السودان دنقلة العجوز 36000 ، إسكندرية 33750 ، في السودان ارباجي 37000 ، آبيار 30000 ، الفشن 30000 ، في السودان لولو 30000 ، متوبس 30000 ، سنديون 30000 ، سوهاج 21600 و 14 مدينة أخرى تعداد كل منها 20000 نسمة .

27 ـ السودان .

وادي حلفا ، قريبة جدا إلى ضفة النيل الشرقية . ونحو الجنوب بمسافة قليلة ، الشلال الثاني ، وبعد مسيرة 7 أيام هبوطا نحو الجنوب على امتداد النيل بين الغابات البكر تقع قلعة **ساي** . توجد جزيرة مواجهة لها داخل النيل في الساحل الجنوبي

(الشرقي) من النيل بين وادي حلفا ودنقلة . بني أوزدمير أوغلو عثمان باشا قلعة في هذه الجزيرة . تحتوي القلعة حاليا على 70 مدفعا و 450 جنديا عثمانيا . يبدلون سنويا بالجنود الذين يجلبون من القاهرة . القضاء مركزي ، ولكن لايمكن معرفة ما إذا كان لواء أم إيالة ، عند النظر إلى حدوده يسيطر هذا القضاء على أواسط السودان وعلى المناطق حتى حدود الحبشة . 450 جنديا عثمانيا موجودون داخل جزيرة . هى أكبر قلعة للدولة العثمانية على النيل في أقصى الجنوب . تحتوي على جامع سليمان خان ، مكتب اوزدمير باشا ، 22 دكانا، بيوت للجنود . شعبها مسلم من قبيلة بني حلفه . يتكلمون بالعربية . لكن غلب عليهم الدم الزنجي . المنطقة صحراوية وعلى بعد مسافة 20 مرحلة من مصوع يدرك مركز إيالة الحبشة . وللذهاب من ساي إلى مصوّع لابد من اجتياز الصحارى ، والغابات واتخاذ ترتيبات الحماية الجيدة من أخطار الأسود ، النمور ، الفيلة ، الكركدان والنسور . كان الجنود قد اصطادوا في قلعة ساي 3 أسود ، كانوا يطعمونهم اللحم . أوغلت في السير إلى الجنوب داخل الصحراء على امتداد النيل . حاكم قلعة **مغرق** ، حسن بك . هو قائد ملك الفونج (مملكة سنّار) لكنه يتبع أوامر العثمانية . ملك الفونج ، تابع لوالي مصر . له 17 قلعة و 17000 جندي من حملة المزارق . يرسل سنويا ضريبته إلى القاهرة . استضافني الملك المالكي للذهب واهداني نابي فيل . أرسلت أحدهما إلى قائد قلعة ساي العثماني . وقلعة **تنّارة** **Tinnare** التي تقع على مسافة يومين نحو الجنوب تخضع للملك ذاته . يسيطر هنا قائد القلعة كور حسين بك ، على نحو 40 ـ 50 ألفا من السكان بقوة قوامها 800 جندي من حملة المزارق ، كان من ضباط العثمانية القدامى . كانت القلعة تحتوي على المنجنيق بدلا من المدفع . وتسيطر قلعة **سهسة** الواقعة على مسافة 4 ساعات نحو الجنوب على ما بين 40 - 50 ألفا من السكان . وتقع **نازنارنيته** ، على مسافة 3 ساعات نحو الجنوب ، وبعد مسيرة 7 ساعات تصل إلى قلاع **ماديه** ، وهى على النيل وكالسابقات .

تقع **حفير** ، بعد مسافة قصيرة من الشلال الثالث على الساحل الشرقي (الجنوبي) للنيل وتواجهه جزيرة داخل النيل ، قلعة مملكة الفونج (مملكة سنّار) . يرابط في القلعة 1000 خيال وتحوي على عدة مدافع قديمة ، أكثر من 1000 دار ، خانين ، نحو 50 تكية ، مطبخ للمحتاجين ، 6 مكاتب ، حمام ، مدرسه ، 20 مدرسة ، 130 دكانًا . شعبه شافعي المذهب . احصيت 4 جوامع و 16 مسجدا . كنا نتجول مع قافلة عثمانية تتألف من 800 شخص . استقبلنا محافظ القلعة بكل إحترام . اجتزنا قلعة **كاندي** ،

نحو الجنوب وبعد 7 ساعات تقع قلعة **نافرى** الأخيرة ، كانت قضاء يسكنه 40 000 نسمة و 1000 جندي . أكرمنا قائدها المسمى كمال الدين . وبعد مسيرة 17 ساعة ، وصلنا قلعة **شندي** ، في ساحل النيل . كنا لانزال في مملكة الفونج . كانت قرونة الكركدان ، أشجار الأبنوس ، أنياب الفيلة ، جلود التماسيح مكدسة كالجبال في السوق . وتقع **دانيكا** (Dongola) بعد مسيرة يوم واحد . كانت هذه المنطقة إمارة في مملكة الفونج (مملكة سنّار) . اجلسني الأمير على يمينه واكرمني لكوني رئيسا للقافلة العثمانية . هذه المنطقة تابعة أيضا للعثمانية . لكنهم لايملكون الدراهم النقدية ضرائبهم عينية . وصلنا **هانكوج** ، وهذه أيضا تابعة لمملكة سنّار . أراد قائد القلعة الزنجي تقبيل يدي ، لكنني رفضت . دهشت عندما خاطبني بالتركية . إذ إننا لم نسمع التركية من أى شخص محلّي منذ دخولنا ساي . وإذا به كان قد تعلم التركية عندما كان في شبابه في أسوان . شاهدت في هانكوج 6 مدافع بدائية . كان كل من يشاهد كتاب والي مصر ، يقف على قدميه ويطأطيء رأسه احتراما وخضوعا . إذ إن والي مصر ، يعني امبراطور أفريقيا في هذه المناطق . أما البادشاه ، فإنه ظل الله ولا أمل لهم في التوصّل إليه . لكنهم كانوا فقط يعلمون أنهم رعايا حاكم يتّصف بتلك الصفات .

قلعة **تومبوسو** ، مركز قضاء على ساحل النيل يسكنه 20 000 نسمة، أهدى لي فيها فيللا . قلعة **شقراوى** على مسافة 9 ساعات نحو الجنوب ، مركز قضاء يسكنه 50 000 نسمة . قلعة **حفير** (حفير مملكة سنّار) على مسافة 10 ساعات نحو الجنوب ، مركز قضاء سكانه 60 000 نسمة . اجتزنا نحو الجنوب قلاع **مشو** ، **تومبول** ، **فردانيه** ، **دفنه** ، **اركو** ، **بتني** ، **ارتد** ، **ايرمش** اللواتي تبعد إحداها عن الأخرى مرحلة واحدة . كل واحدة منها مركز لقضاء . ثم واصلنا اجتياز النيل نحو الجنوب ووصلنا قلعة **جيريه** ، وقلعة **ختّاق** مركز قضاء ، سكانه 100 000 نسمة ، ووصلنا إلى قلاع **كولي** ، بقر ، دنقلة القديمة (دنقلة العجوز) التي تبعد كل منها عن الأخرى مسافة مرحلة واحدة . كانت قلعة على الساحل الشرقي من النيل فيها 650 دارا ، 7 جوامع ، 9 مساجد ، 6 مكاتب و في الضواحي (خارج القلعة) 3000 دار . كانوا ينطقون بالعربية بشكل معقد يصعب فهمه . استمعنا إلى خطبة الجمعة التي تليت باسم سلطاننا . كانوا يأكلون لحم الزرافة . اطعموني منها . والمرحلتان القادمتان هما قلعتا

سرتاقوسي و زكاوه . **عفات** أو عفاريت ، موقع في شمال النيل (شرقه) وعلى الضفة المواجهة له ، قصبة الدبّة . هذه المنطقة هي أقصى جنوب زاوية منعطف النيل العريض جدا وبعد هذه النقطة يجري النيل نحو الشمال ـ الشرقي وليس نحو الجنوب ، ثم يعود فيتوجه ثانية نحو الجنوب . اجتزنا قلعتي **كنيسه و آبكر** (Abdum) . تقع الأخيرة على الساحل الجنوبي (الغربي) للنهر ، فيها 200 دار . قلعة **دفّارة** ، التي بناها سلطان آيبك في 1250 بعد مرحلتين . المراحل القادمة هي قلاع **ملك ادريس** ، بها 700 دار ، **غرّى** ، **الكون** ، **كوسراي** ، فيها 700 دار ، **حلة الملك** ذات 600 دار ، **نوجي** ذات 200 دار ، وبعد الشلال الرابع قلعة **ارباجي**. ارباجي ، مدينة مزدحمة ، فيها 3700 دار ، لها 7 جوامع . يحكمها أخو ملك الفونج خان جرجيس Kan Cerecis ، يسيطر على 000 640 نسمة . تسلم كتاب الوالي بعد أن انتصب على قدمية وقبّله ووضعه على رأسه . قدّم لي كيسا مليئا بالأحجار الكريمة وزنجيتين بكرا و 3 عبيد سمر اللون . وقدمت أنا له فيلي وتخلصت من عبء ثقيل . إذ إن هذا الفيل كان يأكل حمولة 100 بعير من الحشيش ويشرب الماء كأنه يوشك أن يقضي على ماء النيل . المرحلة الثانية قلعة **عطشان** على الساحل الغربي ، بها 600 دار . صادفت فيها 3 تجّار أتراك من قره مان أسرهم البرتغاليون أثناء نقلهم البضائع من الهند إلى سواكن وقد تخلّصوا من الأسر بعد اصطدام السفينة البرتغالية بساحل أفريقيا وغرقها . عاشوا فى شدة 7 أعوام في افريقيا . اتخذت كل التدابير لايصالهم سالمين إلى القاهرة ؛ حيث الذهاب من القاهرة إلى قره مان سهل . سرّوا كثيرا واوشكوا أن يقبلوا يدي . والمراحل التالية هى قلاع **بقيس** ، **حلة الركابي** ، **حلة الجندي سور** . تقابلت مع ملك الفرنج في الأخيرة منها والتي يحتوي على 1000 دار . استقبلني الملك وامسك بيدي وخاطبني باللغة العربية . قبّل كتاب وزير مصر ووضعه على رأسه . ذهبنا مع الملك إلى قلعة **سنّارة** (11 /12/ 1672) ، تركنا النوبة (السودان الشماليه) خلفنا ، كانت هذه المنطقة هى السودان الأصلية . مدينة عرش الملك . كانت الخطبة تتلى باسم سلطاننا . كان الشعب ينكبّ على الأرض عند مرور الملك . محيط قلعة سنّارة 3000 ذراع ، تحتوي على 8000 دار بسيطة . أكبر مدينة في السودان تقع على الساحل الغربي من النيل الأزرق (البحر الأزرق) . في المنطقة قبائل رحّل لون بشرتهم اسمر غامق قريب من

بون الزنوج . يتكلمون اللغة العربية كما يتكلمون اللغات المحليّة . لا محل للغة التركية هناك . وللتفاهم باللغة التركية ، يستلزم الأمر الوصول إلى سواحل البحر إلى السودان والحبشة . كان بالقلعة 50 مدفعا عثمانيا من نوع شاهي وبنادق ، لكنها كانت قديمة جدا . شاهدت 8 جوامع ، وما يقرب من 40 مسجدا . الشعب مالكي المذهب وهناك أيضا كثير من الشافعيين . لم تكن النسوة يستترن . إذ المناخ حار جدا ، ولا عيب فى عدم الاستتار . كان بينهن الجميلات جدا . أجسامهن رقيقة بديعات التكوين ، ورغم أن لباسهن كان يكشف عن أجزاء من أجسامهن ، فإن أحدا لم يكن يلتفت لينظر إليهن . كلهم مسلمون . بقيت في سنّارة 40 يوما وقضينا وقتا ممتعا مع الملك في رمضان . قدّم لي هدايا كثيرة جدا ، وأرسل كذلك إلى وزير مصر إبراهيم باشا ـ الذي أصبح بعد ذلك صدرا أعظم ـ من السلع الثمينة ملء قافلة ، وهى ضريبته السنوية .

المحطات بعد سنّاره ، هى قلعة أبسوكا ، أبو تمير ، بها 2000 دار ، 7 جوامع ، بورروسش ، مركز إحدى الولايات في مملكة سنّار (فونجستان) ، سكانها 500 000 نسمة . ولأول مرة في حياتي شاهدت فيلين لونها أبيض . بعد ذلك ، بروسته ، وهى قلعة ومركز لمنطقة سكانها 600 000 نسمه في مملكة سنّار . وتليها قلعة دونكوده ، وتتكون من 6000 دار حجرية . شهدت هنا رجم أحد الرجال بتهمة هتك العرض . وبعد مرحلتين ، اصطدنا في وادي شلجلان 70 فيلا ، 16 كركدانا ، آلافا من النمور ، حمارا مخططا زرافة وحيوانات أخرى . ومع ذلك ، لم نتمكن من إصابة واحد من مئة ألف من مخلوقات هذه الصحراء . حيوانات الصيد كانت كثيرة لدرجة لاتصدق . وبعد مرحلتين تقع رميله ، بها 1000 دار ، 7 جوامع 121 دكانا . وصلنا جرسينكا التابعة لمملكة الفونج بعد مسيرتنا 7 مراحل على امتداد نهر النيل . حاكمها شان الله خان ، كان يرسل ضريبته إلى الملك وهي حمولة 40 فيلا و 100 جمل من البضائع .

وهكذا نزلنا من النيل الأبيض (البحر الأبيض) إلى الجنوب والي أقصى جنوب السودان . تنتهي المناطق الإسلامية في هذا الموقع وتبدأ قبائل عبدة الأصنام . ينقسم إلى فروع ويستمر نحو الجنوب . ينبع النيل من بحيرة كبيرة جدا ، تسكن بجوارها سبعة أقوام يرتاد السكان المحليون هذه البحيرة مدينة قمر تقع على جبل قمر في البحيرة الكبرى ، يقال إنها من بناء سليمان (عليه السلام) . وعلى مسافة 7 مراحل من

البحيرة نحو الغرب ، المحيط الهندي . قلّت حاليا القوافل التي تتاجر بين البحيرة الكبرى والمحيط والسودان ومصر ، وحتى القوافل التي تذهب إلى فاس لمدة 5 أشهر ، إذ تسلّط البرتغاليون على سواحل المحيط . وعندما تشاهد القبائل التي تحيط بالبحيرة الكبرى شخصا ابيض اللون تذبحه وتطبخه وتأكله . عدنا إلى سنّارة ثانية بعد 45 يوما من مغادرتنا إياها. مكثنا قليلا وتوجهنا إلى الجنوب ، ثم إلى الشمال ، ثم الشمال ـ الشرقي . **أرباجي** ، تبعد عن سنّاره 3 أيام .

28 ـ إيالة الحبشة (حبش) .

أسست إيالة ابرم بين مصر الجنوبية والنوبه ، لفترة من الزمن . انضمت إلى إيالة مصر ثانية قبل مرور سنين (13/ 2 / 1584- 26 / 12 / 1585) . كانت 4 ألوية (ابرم ، محاس ، قصير ، الواح) يتقاضى أميرها 000 1300 آقجه سنويا . قصير ، رصيف بحري على ساحل البحر الأحمر . تحتوي ابرم على مناجم الزمرّد .

كانت إيالة الحبشة على أيام مراد الثالث (1574 - 95) 10 ألوية (المركز مصوع ، سواكن ، عقيق ، حركيك (Arkiko) ، سام ، بور ، ماترو ، هنديه (Hindibe) ، صراوه ، آنديا) . اصدر الديوان في 1582 قرارا بصرف مخصصات إضافية قدرها 000 40 ليرة ذهبا لإصلاح القلاع الموجودة في إيالة الحبشة ، وهذا يشكل نموذجا للمبالغ المصروفة للأقطار النائية لأغراض إعمارية ـ سياسية . كلف والي اليمن اوزد مير باشا (1548-54) بتولي إيالة الحبش بعد تأسيسها في 5 / 7 / 1555 . توفي في دباروا عن عمر يناهز الـ 60 . حمل ابنه اوزدمير أوغلو عثمان باشا ـ صار فيما بعد صدرا أعظم ـ الذي أخذ مكانه في 1560 ، نعش ابيه إلى مصوّع . بنى هناك قبرا وجامعا وكلية . اهتدت إلى الإسلام على يد هذين الحاكمين ، قبائل كثيرة من الاقوام الحبشية . وكما أصبح المسلمون في اريتره ، نتيجة لهذه السياسة العثمانية ، أكثرية ساحقة ، كذلك أسلمت مناطق كثيرة في الهضاب الحبشة . هزم ومات الملك Glavdevos في الحرب الميدانية في 1559 . وبالرغم من مساندة البرتغاليين لهم بالأسلحة النارية ، لكونهم مسيحيين (أرثوذكسا يعقوبيين) ، لم يتمكن ملوك الحبشة من مقاومة العثمانية .

وقد انهزم (20 / 4 / 1562) ميناس (1559 - 1563) أخو الملك المقتول الذي أخذ مكانه في الحرب الميدانية اندرتا Enderta أمام اوزدمير اوغلو . أسر والي اليمن الملك ميناس هذا ، سحق والي الحبشة (14 / 12 / 1579 - 21 / 12 / 1582) خضر باشا ، الجيش الحبشي في الحربين الميدانيتين Harikko (1580) و Debarva (1582) . انسحب الاحباش المسيحيون نحو الجنوب والجنوب ـ الغربي . استولت العثمانية على قسم كبير من الحبشة . ايقن ملوك الحبش أنه ليس بإمكانهم الوقوف أمام العثمانيين بالأسلوب القديم . أسسوا وحدة حبشية من حملة البنادق . اطلقوا على قائد الوحدة التي أسسوها اسم « باشا » وعلى ضباطها اسم « آغا » . أعطوا صلاحية تأسيس أول وحدة مدفعية في الجيش الحبشي ، إلى ضابط مدفعي تركي قديم اسمه عبدي آغا . وأطلقوا على هذا الضابط الذي منحوه قيادة هذه الوحدة « عبدي باشا » Pank hurst, Fire - Arms in Ethiopia Prior tothe Nineteneth Century, Ethiopia) Observer, 3 Adis Ababa 1968 p. 214)

كان الباب العالي قد جعل من البحر الأحمر ، حتى عام 1778 بحرا عثمانيا مغلقا و لم يفتحه للتجارة العالمية . واعتبارا من ذلك التاريخ ، سمح للسفن التجارية الإنكليزية بالدخول إلى البحر الأحمر ، والمرور بالموانى العثمانية التي بين ضفتي آسيا وافريقيا .

رفض قصي أمير كوندار على أيام السلطان عبد العزيز (1861 - 1876) الخضوع لملك الحبشة في الوقت الذي كان فيه خاضعا للعثمانية . كوندار ، تقع على مقربة من شمال بحيرة تانا . وبذلك سيطرت العثمانية ، عدا اريترة ، على تيكرة Tigre ، وحتى على القسم الأكبر من امهارا ، وتبعت إمارة حرار المسلمة في شرق أديس أبابا ، العثمانية كذلك . ذهب رءوف باشا في 1875 إلى هرر وانهى هذه الإمارة ودخلت المنطقة في إدارة العثمانية المباشرة . وافقت انكلترا في 1877 على أن تكون الصومال الشمالية حتى رأس دانته (بالعربية رأس الخافون Hafun) والواقع على خط العرض 10° ، أراضي عثمانية . لكن الصومال الجنوبية (الشرقية) اعتبارا من هذه النقطة وحتى كينيا ، كانت تحت السيطرة العثمانية . ونحو 1876 ، كان الحكم العثماني يشمل كل الأراضي التي تمتد إلى البحيرات الكبيرة (أوغندا) ، الصومال والكونغو (زائير) . كان جعفر

مظهر باشا في 1867 ، قد رفع العلم العثماني على رأس الخافون (رأس دانته) . ثم وصل مختار باشا إلى النقطة ذاتها . وهي الرأس الذى في أقصى شرق القارة الأفريقية (خط طول 51°) . فصل الباب العالي الرصيف البحري زيلا Zeyla الواقع على مقربة من جنوب جيبوتي ، من إيالة اليمن وتركه لإياله مصر لقاء 15 000 ليرة ذهبًا ، كانت الأراضي الواقعة بين زيلا ومصوع أي جيبوتي وأريترة تابعة لإيالة الحجاز . أما الساحل من مصوع نحو الشمال ، فقد كان تابعا لإيالة مصر . استولت انكلترا التي احتلت رصيف عدن البحري وجزيرة بريم الصغيرة في 1839 على رصيف بربره البحري في 1884 . كان أملها سدّ باب المندب . وفي 1885 فصل الباب العالي زيلا عن مصر وألحقها بإيالة اليمن كقضاء . احتلت فرنسا في 1888 رصيف تاجورا البحري وشرعت في تكوين مستعمرة الصومال الفرنسي (جيبوتي) . أما إيطاليا فإنها احتلت في 1884 رصيف آساب البحري ووطئت أفريقيا الشرقية . وفي 1885 دخلت وحدة إيطالية يساندها الإنكليز إلى ميناء مصوّع . أنزلت العلم التركي ورفعت العلم الإيطالي . أرسلت الوحدة العثمانية الموجودة فيها إلى مصر ، وهكذا خرجت سواحل البحر الأحمر من السيطرة الكاملة للعثمانية ، حيث تمكنت إنكلترا وإيطاليا وفرنسا من اتخاذ مواقع لها في تلك السواحل . لكن الأوروبيين لم يتمكنوا من القضاء على السيطرة الكاملة للعثمانية على السواحل الأسيوية (الشرقية) للبحر ولم يتمكنوا من الحصول على ساحل فيها . استمر وضع العثمانية في هذا الجانب حتى عام 1916 بل وحتى 1919 ، ولم يتمكن الأوروبيون بعد هذا التاريخ من الحصول على شيء يذكر ، إذ تأسست ملكيات العربية السعودية واليمن . لم تتمكن إيطاليا من الحصول على اريترة ، إلا بعد جهود كبيرة في 1896 . ثم أسست مستعمرة الصومال الجنوبية (الشرقية) (1910) . لم يكن هناك اتصال بين مستعمرتيها ، إذ كان يفصل بينهما الصومالان الإنكليزي (الشمالي) والفرنسي (جيبوتي) . كانت السواحل الجنوبية للصومال الإيطالي ترجع لسلطنة زنجبار (الأرصفة البحرية كسمايو ، مرقا ، مقاديشو الخ .) . استأجر الإيطاليون في البداية هذه الأرصفة من زنجبار ثم سيطروا عليها فعليا . لم تنتقل كسمايو لحيازة الإيطاليين إلا في 1905 . ساندت انكلترا إيطاليا في سياستها هذه .

كانت السياسة الأفريقية لعبد الحميد الثاني مستندة على السياسة الإسلامية أكثر من استنادها على عرض القوة العسكرية ، وتعتبر بعثة الفريق الأول عظم ـ زاده

صادق مؤيد باشا الأفريقيه نموذجا لذلك ، كان هذا الشخص رئيسا لمرافقي البادشاه وأحد أفراد عائلة عظم ـ زاده (بالعربية : آل العظم) الشهيرة التي سكنت الشام . حضر مع معيّته إلى هرر 1896 ، بلغ الأحباش المسلمين تحية حضرة خليفة روى زمين (وجه الأرض ، الكرة الأرضية) السلطانية ، كانت هرر مدينة تجارية فعّالة يسكنها 40 000 نسمة ومركز مسلمي الحبشة . كانت تحتوي كذلك على أتراك أناضوليين استوطنوا فيها وأصبحوا من رعايا الحبشة . قبل الباشا في أديس أبابا استقبل Menelik الثاني الباشا في أديس أبابا ، أفاد ملك أو امبراطور الحبشة الباشا بأن رعيّته ينقسمون إلى نصفين مسيحيين ومسلمين ، وأن كليهما يعاملان بالتساوى ومنحه وسام ختم سليمان من الدرجة الأولى ، ومنح الباشا مرتبة رأس (أمير) وهى مرتبة لم تمنح لأى أجنبي من أعلى الرتب حتى الآن (19 / 5 /1896) . يسرد الباشا تفاصيل بعثته التي دامت 3 أشهر في كتابه حبش سياحتنامه سى ، أما القسم السرى منها فقد قدمه إلى البادشاه ، وهو موجود حاليا في تقاريره المحفوظة في الأرشيف العثماني . وأرسل صادق باشا ، إلى الصحراء الكبرى مرتين في 1884 و 1893 لإجادته اللغة العربية ولمعرفته أفريقيا بصورة جيدة . ويشرح لنا تفاصيل بعثه هذه في كتابه المعنون **بر عثمانلي ضابطنك آفريقيا صحراي كبير كده سياحتي** . كان الباب العالي ، يعتبر الأطفال المولودين من أب عثماني ولأم حبشية ، من الرعايا العثمانيين ويمنحهم جواز السفر التركي . كانت الحكومة الحبشية تعتبر هؤلاء من رعايا الحبشة ولا توافق على غير هذا ، لكنها لم تكن تستطيع المعارضة بصورة علنيّة . يظهر من ذلك أن الحبشة تهاب العثمانية بقدر ماتهابها الدول الأوروبية . وبقبول إمبراطورية فاس الحماية الفرنسية في 1912 ، لم تبق في أفريقيا دولة مستقلة عدا الحبشة وليبيريا .

أنشأت فرنسا التي ابتاعت منطقة أوبوك العثمانية من أحد الشيوخ المحليين الصوماليين في 1863 رصيفا بحريا فيها في 1883 وأسست في 1888 ، قصبة جيبوتي . لكنها لم تتمكن من توسيع منطقتها . وكأن الحبشة تركت للنفوذ الإيطالي . كانت انكلترا وفرنسا اللتان تريدان فصل إيطاليا عن اتفاق ألمانيا ـ اوستريا ، قد تغاضتا عن ذلك . اعتلى العرش بعد وفاة Menelik ، حفيده Yasu البالغ عمره 17 عاما (11 / 12 / 1913) . اهتدى إلى الإسلام . وهب البناء المقابل لسراياه في أديس أبابا إلى القائم بالأعمال العثماني وأخذ

يتحرك بموجب توصيات مظهر بك السياسي العثماني الذي يمثل الخليفة . شيّد الجوامع . لم يعترف عبد الحميد الثاني بصورة قطعية باقتسام الصومال واريتره بين ثلاث دول أجنبية . لم تترك هذه الأقطار ، إلا فيما بعد بمعاهدة لوزان 1923 . ولم يعترف الباب العالي في العهد المشروطي كذلك باحتلال هذه الأقطار . لكن الحرب العالمية الأولى كانت قد اسدلت ستار الخاتمة على مسرح السياسة الأفريقية العثمانية .

ذكر رئيس الدولة الصومالي محمد سياد بري في بيان له في 1978 ما يلي : الآثار العثمانية قائمة في كل مكان في الصومال . القلاع التركية واستحكامات المدفعية لازالت قائمة كما هي . ان قواتنا المليشية ، مازالت تستفيد منها . قسّم الأوروبيون قطرنا عندما أخذوه من العثمانيين إلى خمسة أقسام (ترجمان ، 7 / 8 / 1978) الأقسام الخمسة التي عناها رئيس الدولة هي الصومال الإنكليزي ، الصومال الإيطالي ، الصومال الفرنسي ، إيالة أكوان التي يعيش فيها القوم الصومالي في الحبشة ، والشريط الشمالي ـ الشرقي لكينيا وتتكون الصومال الحالية من اتحاد الاثنين الأولين الصوماليين الايطالي والإنكليزي . نفذ الاستعماريون الأوروبيون عملية التجزئة هذه في كل قطر سلبوه من العثمانية .

أنقل فيما يلي بعض السطور من جولة أولياء جلبي في الحبشة :

يقع وادي كوز بعد مسيرة 8 أيام من آرباجي . يحتوي الوادي على قرى كثيرة جدا . يقدر عدد السكان في هذه القرى ب 40 000 نسمة . كان لديهم جامع . وصلنا مدينة بوريغا بعد اجتيازنا دمبيه في 6 أيام عن طريق جبل ترجاش ذي الغابات الأبنوسية . وبهذا كنا قد خرجنا من مملكة الفونج بعد اجتيازنا نهر عطبرة نحو الشرق . قلعة نازدي ، تقع بعد مرحلتين من بوريغا . ملك دمبيه تابع لوالي الحبشة كتبعية ملك الفونج لوالي مصر . نازدي تابعة لهذا الملك . عبارة من 2000 دار قصبية ، جامعين . تنتهي أراضي دمبيه على مسافة مرحلة من البحر الأحمر . وتبدأ بعد ذلك مباشرة الأراضي التابعة لإيالة الحبشة . إذ شوهد البحر الأحمر في اليوم التالي . دنقلاب ، مركز ناحية يقيم فيها 100 000 حامي ، قريبة إلى البحر . ناحية القضاء المركزي سواكن وتواجهها جزيرة لؤلؤ . عبارة عن 3000 دار قصبيّة . يستخرجون اللؤلؤ من البحر ، ومنها ما حجمه قدر البندقة . عشر اللؤلؤ المستخرج عائد للدولة . والمرحلة التالية وادي أتله الذي يعيش فيه 40 000 من الرحّل . المنزل التالي ميناء قسم وبعد 3 أيام ، سواكن .

سواكن ، أكبر مرفأ للسودان . يواجهه في ضفة البلاد العربية ، مرفأ قنفذه لعسير . المسافة بينه وبين جلده قريبة . أخذ والي مصر سليمان باشا سواكن من ملك دمبيه خلال سفره إلى الهند (حزيرا 1538) . ثم عَيّن اوزدميرا بك بعد عودته من الهند أمير لواء لها . فتح اوزدمير بك الحبشة مبتدئا بهذا للوقع ومتجها نحو الجنوب وأصبح أول وال على إيالة حبش . حاليا مركز لواء في إيالة حبش . يقيم البكلربك (الوالي) في مصوّع ولكنه يتردد كثيرا على سواكن وجدّه كذلك ويمكث فيها مدة طويلة . الإيالة التي تبدأ من سواحل البحر الأحمر والتي تنتهي بها إيالة مصر ، تمتد حتى تشمل الأراضي حتى خط الاستواء . يحكم والي الحبشة الحجاز وعسير الواقعتان على الجهة المقابلة ، ويشرف على حكام الحبشه العديدين ومن بفهم ملك دمبيه أيضا . يحتوي مرفأ سواكن في الرصيف على بناية كبيرة للجمارك وبجواره باشسراى ، جامع اوزدمير باشا ، مساجد ، مخازن نحو 180 جنديا في قلاعها الثلاث ، وعدا ذلك فلأمير اللواء 500 جندي . هو بناء وليست مدينة للإقامة .

كيف Kif ، من فتوحات اوزدمير باشا ، مركز لواء ، موقع صغير عبارة عن 300 دار . يقع بين سواكن ومصوّع . يعتقد أنه كان اكثف سكانا عندما كان مركز قضاء . ميناء . يحتوي على جامع واحد ، مساجد ، فيه حوالي 50 دكانا ومخزنا . قريب إلى سواكن . هبطنا من سواكن نحو الجنوب ـ الغربي على امتداد البحر الأحمر جزر دهلق ، مجموعة كبيرة من الجزر الصغيرة . تواجه مصوّع . جزيرتها الكبيرة ومركزها يحمل اسم دهلق . ميناء دهلق مواجه لميناء مصوع . أحدهما يقابل الآخر . وهو من فتوحات أوزدمير باشا . مركز قضاء في لواء مصوّع المركزي . يستخرج اللؤلؤ . به جامع واحد ومساجد ، جمرك ، ونحو 50 مخزنا . وتدرك مصوّع بعد مسافة 6 أميال .

مصوّع ، مركز إيالة حبش . أكبر مرفأ في الحبشة . يتقاضى والي الحبشة 1 200 000 آقجه راتبا ، وهى من الإيالات الكبيرة . هى الإيالة السادسة في ترتيب التشريفات ، السابعة ، هى إيالة الشام . في الإيالة 110 قلعات . تشكل الدولة المحلية التابعة ، القسم الأعظم من الإيالة . تجبي الخزينة من الضرائب من هذه الإيالة 80 مليون آقجه . ترسل بعض الدول ضرائبها بصورة مستقلة وبعضها الآخر يحصل

الضرائب منها الجنود الذين يرسلهم الوالي . لم تشاهد أية جماعة محلية تثور ضد الجيش . تجوّل اوزدمير باشا مع ابنه عثمان باشا في هذه الأقطار قبل أكثر من عصر يرافقهم 40 000 جندي . لم تنس أقطار أفريقيا الشرقية هذا الحادث . لايشك أحد في إمكانات البادشاه في إرسال مثل هذا الجيش مرة ومرات ، وهذا هو سبب النجاح في إدارة أقطار يفوق حجمها حجم الأناضول مرات عديدة ، بمثل هذا العدد القليل من الجند . يلبّي فورا أمر الوزير والي حبش ، الذي يرسله بواسطة خيال بسيط إلى أبعد الأماكن . مناخ مصوّع حار إلى درجة لا تصدّق . ولعدم رغبة أي قاضٍ في المجيء من استانبول إلى هذا المكان ، فإن الوالي عند قدومه من استانبول يستصحب معه القاضي والمسئولين الآخرين ويستبدلهم بالقدامى . مصوّع جزيرة تبعد مسافة مرمى مدفع عن الساحل . تحتوي المدينة على 1600 دار بسيطة ، جامع لوزدمير باشا ، 6 مساجد ونحو 100 خان ، ومخزن في الرصيف . قبر (1560) اوزدمير باشا الذي تولى الإدارة مدة 5 سنوات ، مجاور للجامع بناه ابنه عثمان باشا . يرقد موستارلي مصطفى باشا الذي تولى الإدارة مدة 11 عاما في القبر ذاته (1665) . يمكن العثور على كل سلع المناطق الاستوائية ، آسيا وأفريقيا في نحو 100 دكان . ترد إليها سفن تجارية كثيرة . جميع أصحاب السفن من العرب والأتراك ، بسبب منع دخول المسيحيين إلى البحر الأحمر . يتسلم قاضي مصوّع راتبا يوميا يتراوح مابين 300 إلى 500 آقجه ومخصصات سنوية تبلغ 500 ليرة ذهبا . إن عدد سكان الأقطار التابعة لوالي حبش ، عشرة ملايين نسمة تقريبا .

• قلعة **هاركوفا** أو غاركوكو ، ميناء في جنوب غربي مصوّع . قضاء في لواء مصوّع . أحد الأقضية الـ 20 الكائنة في القسم الواقع في القارة الأفريقية من إيالة حبش . الأقضية التي يتولى إدارتها الحكام المحليون ، لاتدخل ضمن هذا التعداد . بالقلعة 200 جندي ، 700 دار حجرية بسيطة ، سوق ذو 27 دكانا ، جامع اوزدمير باشا ، 7 مساجد وتكية . وادي **فوله** بعد مسيرة يومين وميناء **هندية** (حنفيلا) يقع بعد الهبوط نحو الجنوب ـ الشرقي . ألحقت كقضاء لمصوّع ، بينما كانت مركزا للواء . تحتوي على جامع اوزدمير باشا ، قلعة ، مسجدين ، 10 مدافع . شيّد اوزدمير باشا في **طوزله**

(طوز = ملح) على مسافة 3 مراحل ، قلعة صغيرة . ناحية يسكنها 10 000 نسمة . محجر ملح كبير بهلوله (بلول) ، ميناء من فتوحات اوزدمير باشا . كان قد خربها البرتغاليون في السابق . تقع مواجهة لميناء مها اليماني على ساحل آسيا المقابل وقرب مضيق باب المندب . يحتوي هذا القضاء على مايقرب من 150 000 نسمة . **زيلا** ، ميناء في الصومال خارج باب المندب والبحر الأحمر ، على الجنوب ـ الغربي من خليج عدن . بداية المحيط . طرد اوزدمير باشا البرتغاليين منها وفتحها . لها قلعة كبيرة مخمسة الشكل طول محيطها 5 700 ذراع . محفوظ ، ميناء لها يستوعب 2000 سفينة وفيه 70 مدفعا . مركز قضاء وأكبر قلعة في الإيالة ، تحتوي على 1 000 دار ، وفي المدينة قنصلا إنكلترا والبرتغال ، **شهرشا** ، مركز قضاء سكانه مابين 40 ـ 50 000 نسمة . وبعد مسيرة 6 أيام ، تقع قلعة **وكات** ، من فتوحات اوزدمير باشا ، مركز ناحية وميناء ، به 1000 دار . وبعد مسيرة يوم واحد **هديّه** ، مركز ناحية ذو 6000 دار بسيطة ، 3 جوامع . وفي اليوم التالي **رازدين** ، وبعد مسيرة يوم واحد **قرّان** ، وتدرك **مقديشو** (موكاديشو) بعد مسيرة 4 أيام . في أقصى الجنوب وهي تحت حكم العثمانية المباشر ، وجنوبه ، مرتبط بالعثمانية عن طريق التبعيّة . مقديشو ، قريبة جدا من خط الاستواء (2°) ، ميناء على المحيط الهندي . على طريق زنجبار . ينطق الشعب باللغة المحلية لكن العربية شائعة كذلك . يسيطر المذهب المالكي .

29 ـ المغرب .

يحتوي المغرب على إيالات الجزائر ، تونس ، وطرابلس (ليبيا) البحرية والأقطار المحلية التابعة . كانت أهمها إيالة الجزائر. ومما زاد في أهميتها اسطولها القوى ، ووجودها في أقصى الغرب وجها لوجه أمام إسبانيا التي كانت من أكبر أعداء الدولة العثمانية .. أود أن أدون بعض المعلومات عن النظام العثماني في هذه الإيالة كمثال :

كان أسطولها هو القوة الأصلية للإيالة . كان الشباب المتطوعون القادمون من الأناضول الغربية يشكلون جنود البحرية (لوند) . كان والي الجزائر الفريق الأول البحري ، يقود أسطول الجزائر إلى منطقة العمليات المطلوبة في البحر الأبيض ، بموّجب أمر مشير البحر . ولضرورة وجود قوّة بريّة ، تكوّنت في الجزائر قوّة مشاة تتألف من 6000 شخص وسميّت « يني جرى » (انكشارية) تأسيسها على غرار تشكيلات

الإنكشارية تماما . ولم يكن لها أية علاقة مع حامية (أوجاق) الإنكشارية الموجودة في استانبول . لم يكونوا دوشيرمه (الأطفال المسيحيون الذين يؤخذون فى صغرهم ويربون على النظام الإنكشارى) . بل من الشباب القادمين من الأناضول الغربية . كان لآغا الإنكشارية الجزائرى ممثلون في ازمير ، انطاليه واستانبول . كان هؤلاء يقومون بإرسال المتطوعين الذين يرغبون في الذهاب إلى الجزائر . يصبح الشاب القادم إلى الجزائر جنديا بحريا ، بعد انتسابه إلى سرية انكشارية (أورطة) وتدريبه فيها لمدة 3 سنوات برتبة « عجمي أوغلان » (شاب مستجد) . يقيم في غرف الثكنة التي تستوعب كل منها 3 أشخاص . يتدرج الضباط في المراتب ابتداء من الجندية ويمكنهم الارتقاء والوصول إلى منصب آغا الإنكشارية . كان يرسل أحيانا إلى الجزائر ، آغا (قائد) انكشارى من ضباط الإنكشاريه الموجودين في استانبول . كانت رتبة الآغا ، أمير لواء . يعين على الأكثر في هذه الترتبة معاونه العقيد المسمى « كتخدا » . يتزوج الإنكشاريون في الجزائر أما بفتاة تركية أو محلية (عربية أو بربرية) . بإمكان الطفل المولود من أم تركية أن يكون انكشاريا . أما الطفل المولود من أم محلية والذي يتكلم التركية كذلك ، فيدعى « قول أوغلو » (ابن الجاريه) . تم تشكيل صنف مشاة منفصل من أبناء الجوارى . كانت امتيازات هؤلاء أقل . وبينما كان صنف البحارة (لوند) مسيطرا على البلاد في القرن 16 ، تبدل الوضع في القرن 17 ، وزاد نفوذ الإنكشارية وقول أوغللري (أبناء الجواري) . لعدم كفاية هذين الصنفين من المشاة ، كان يستفاد من المتطوعين وخاصة وحدات الخيالة ومن مهاجرى الأندلس والقبائل البربرية وكان هؤلاء يدعون عند الحاجة فقط لأنهم كانوا يحاربون بأسلوبهم الخاص وليس بالأسلوب العثماني . لا يرغب العرب في سكني المدن العسكرية ، وكانوا يحيون حياة مرفهة من خلال الانتعاش التجاري الذي أوجده الأتراك .

لاتعين استانبول آغا الانكشارية ، وإنما يعينه والي الجزائر. يكون الوالي بطبيعة الحال مرتبطا بالصدر الأعظم ، لكنه كان أكثر ارتباطا بمشير البحر بالوالي بسبب إدارته إيالة بحرية وحيازته أسطولا . وإذا كان مشير البحر ، في ذات الوقت واليا (بكلربك) على الجزائر ، فإنه يحكم الإيالة بواسطة وكيل له . ضعف بعد ذلك نفوذ الولاة المرسلين من استانبول . أصبح الجنرالات الذين يعينون بلقب « دايي » والذين يتدرجون في

المراتب من ضباط الإنكشارية ، هم حكام الإيالة الفعليون . انقلب التنافس الكبير الموجود بين الانكشارية وجنود البحرية (لوندلر) إلى حلة خصام . كانت المدفعية ثلاثة أقسام المدفعية البحرية ، مدفعية القلاع والمدفعية السيارة .

إيالة الجزائر البحرية ، التي تمتلك قوة عسكرية ، بحرية واقتصادية على مستوى ملكية أوروبية متوسطة الوضع ، كانت تنقسم إلى 5 ألوية بحرية يديرها أمراء ألوية : اللواء المركزي جزائر ؛ اللواء الشرقي ومركزه قسنطينة ؛ اللواء الغربي الذي أصبح مركزه حتى عام 1701 مزونة ، وحتى عام 1791 مسكرة ، وبعد هذا التاريخ وهران (أوران) ، وفي الجنوب لواء تيتري مركز ميديا ولواء تلمسان على حدود فاس . تأسست كذلك ، بين فترة وأخرى ، ألوية أخرى مثل بجايه وتنس . كان لواء تيترى يشرف على القبائل البربرية في منطقة قبيلية الجبلية وعلى الصحراء الكبيرة في الجنوب . يختار الإداريون الذين يتولّون إدارة الأقضية ويطلق عليهم اسم « قائد » ، أو رؤساء النواحي الذين يطلق عليهم اسم « شيخ » من المحليين على الأغلب . وتوجد قيادات مستقلة ذاتيا تابعة إلى الوالي رأسا ، وكان هؤلاء في الجنوب في الجبال والصحراء .

المفتون المالكيون والحنفيون الموجودون في مدينة الجزائر ، هم الذين يختارون المفتين الآخرين . كان الشعب مالكيا سواء من العرب المستوطنين في المدينة والا اجرين من الأندلس أو من القبائل البربرية . أما المذهب الحنفي ، فقد كان مذهب الأتراك ، وقول أوغللرى (أبناء الجوارى) ومذهب الذين اعتنقوا هذا المذهب بتأثير من كليهما .

يقيم الوالي في سراي جنينه ويترأس مجلس الإيالة أيام الثلاثاء ، ولايشترك في اجتماعات المجلس الذي يجتمع في الايام الأربعة الأخرى . كان المجلس يجتمع ـ عدا أيام الجمع والثلاثاء ـ 5 أيام في الأسبوع . يحضر المجلس كل من قاضي الجزائر ، الدفتردار (الموظف المالي للإيالة) ، آغا الانكشارية ، آغا العرب الذي يرعى شئون السكان المحليين ، الموظف المختص بالأمور الإدارية والمالية للأسطول (بالي وكيلخرجي) ، موظف الخزينة الذي يعنى بالأملاك الأميرية ، موظف بيت المال الذي يرعى شئون الأوقاوف (بيت المالجي) ، وهم حنفيون كبقية الموظفين المرسلين من استانبول ، وعدة أشخاص آخرون .

رئيس بلدية الجزائر الذي يطلق عليه اسم « شيخ البلد » ، كان يعيّن على الأغلب من بين أشراف العرب الحضريين ، كانت تلك المدينة أكبر مدينة في القارة الأفريقية والإمبراطورية في ذلك العصر ، وقد وصل عدد سكانها لفترة من الزمن مع الضواحي إلى 150 000 نسمة . معظم السكان الأتراك وأبناء الجواري كانوا يسكنون في مدينة الجزائر . والبقية هم العرب والبرابرة المستعربون أو الذين لم يستعربوا بعد والعرب المهاجرون من الأندلس ومايقارب 2000 يهودي ، التجار الأوروبيون وعشرات الألوف من العبيد ذوي الألوان والأعراق المختلفة . كان لشيخ البلد 3 أعوان : قائد العيون المختص بأمور إسالة الماء ، قائد الزبل المختص بأمور التنظيف والحرس والشئون الإعمارية . وقائد الوثّان الذي يقوم بالإشراف على الشئون الإجتماعية والاعاشة . كان 8 من ضباط الشرطة الذين يطلق عليهم « جلووش » هم المسئولون عن أمن المدينة ، لايحملون أي سلاح لكنهم كانوا مطاعين بشكل مطلق . وفي حالة طلبهم مساعدة من أحد أفراد الشعب ، كان يتعين على ذلك أداء المهمة المطلوبة . يسكن في الشريط الساحلي مع الضواحي البعيدة وفي الـ 10 000 بستان الموجودة في الداخل وبضمنها 25000 مزرعة و 12000 دار ، ما يقرب من 300 000 نسمة .

كانت الدولة العثمانية في القرن 16 تساند انكلترا وخاصة فرنسا لئلا تكونا لقمة سائغة لإسبانيا ـ ألمانيا . تم إبلاغ فرنسا في 1564 ، بإمكان فتحها قنصلية في مدينة الجزائر . لم تفتح فرنسا قنصلياتها إلا في 1576 . اعقبتها انكلترا في 1580 .. وفتحت القنصليات الأخرى في القرنين 17 و 18 .

ومع مرور الزمن ، حصل العثمانيون الموجودون في الجزائر ، على الاستقلال الذاتي . كانوا يتحرشون بدول كثيرة من بينها جارتهم الغربية فاس دون أن يتلقوا أمرا من استانبول . استدعى سلطان فاس في 1785 السفير العثماني اسماعيل افنيدي ، وشكا اليه أن والي الجزائر رغم أنه تابع للبادشاه ، يقوم بأعمال تعارض مصالح فاس (فائق رشيد أونات (nameler) (Sefaref ، 140) .

وفد الأتراك بالملايين من الأناضول إلى المغرب خلال ثلاثة عصنور . لكن هؤلاء كلهم رجال معظمهم شباب عزّب . لم تذهب إلى أفريقيا الشمالية ـ عدا مصر ـ أية

امرأة من الأناضول الغربية . تزوج الأتراك بالفتيات المحليّات . كثر المولّدون الهجناء من الأتراك ـ العرب الذين يطلق عليهم اسم قول اوغلوا في جميع أنحاء أفريقيا وعلى سبيل المثال ، في أواخر القرن 19 ، كان ربع سكان تلمسان التابعة للحكم الفرنسي والقريبة من فاس ، قول اوغلو (Yver ، IA ، 12 ، 395 ب) . اصرّ الأتراك الخلّص الدم ، على عدم منح أولادهم الذين من اصلابهم (قول اوغلو) وظائف تعادل وظائفهم . إذ كانت الرغبة في حصر الحكم في مجال اضيق . كان أولاد الجوارى يعتبرون أنفسهم اتراكا ويعادون آباءهم الذين يصرّون على عدم اسناد الوظائف العالية لهم ، لم يكن هؤلاء بمستطيعين التطبّع بالمجتمع العربي بصورة تامة . من الواضح أن هذه السياسة العنصرية التي لا ترى في أى قطر آخر والتي تظهر كأنها خاصة بالمغرب ، معارضة للسياسة العثمانية العامة . ولكنها جرت بهذا الشكل و لم تتمكن استانبول من التدخل ، لأنها لم تكن في العصور التي ازداد فيها جدا عدد ابناء الجوارى (قول اوغللري) ، تتدخل في شئون هذه الإيالات إلا في أضيق الحدود . ذلك في الوقت الذي كان يشك في عقلية من يسأل أي شخص تركي في استانبول عن قومية أمه وحاليا كذلك . ولو تعرض خليفة روى زمين (خليفة الكرة الأرضية) لمثل هذا السؤال لما أمكنه الإجابة إلا بأن أمه مسلمة .

ومن الأمور الأكيدة ، أن العثمانية جلبت الإعمار والإسكان إلى المغرب والأمن أيضا بالقياس إلى الأدوار السابقة . وجلبت الرفاهية كذلك . والأهم جدا من كل هذا ، أنها حالت دون اعتناق الشمال الأفريقي ، الكاثوليكية ونطقه باللغة الاسبانية والقطلونية والبرتغاليه . أسس بربروس خير الدين باشا بالذات مدينة بليده وعند دخول (28 / 9 / 1555) الفريق الأول (بكلربك) صالح باشا إلى بجايه (الفرنسية : Bauige) بعد أن احتلها الاسبان مدة 45 عاما ، شاهد بتأثر أن هذه المدينة التي فقد استاذه اوروج رئيس فيها ذراعه اليسرى عند مواجهته الاسبان ، أصبحت مدينة كاثوليكة و لم يبق لها علاقة بالإسلام ، رغم أنها كانت سابقا المدينة التي يقيم فيها السلاطين الحفصيون وعندئذ اتخذ تدابيره فورا . وفي 1542 ، جاء بربروس ـ زاده حسن باشا الأول إلى بسكره في الصحراء ، وفي 1552 صالح باشا ، وفي القرن 18 والي

قسطنطينة صالح بك وحاولوا تعليم البدويين أسلوب التعامل مع الدولة (J . Despois, EI[2],I, 1284 b) . كان أمير لواء فيزان لإيالة طرابلس مسئولا عن كل الدول المحلية في افريقيا الوسطى حتى نيجيريا . كان يقوم بحماية التابعين للعثمانية ، يقدم لهم السلاح ، ويتبع سياسة خاصة مختلفة تجاه الذين لا يتبعون العثمانية . كان البادشاه في الربع الثالث من القرن 19 يصادق على حكم سلطان بورنو في نيجيريا ، سلطان دارفور في السودان على حدود تشاد وعلى كثير من أمثالهم . تقلد أمين باشا الولاية في أوغندا التي كانت تسمى إيالة خط الأستواء ، مدة 5 . 16 سنة (7 / 5 / 1876 - 23 / 10 / 1892) .

من المؤكد أن الذي انقذ الإسلام ووطد الحكم العثماني في شمال افريقيا ، هو أوروج رئيس . وقد أتم عمله أخوه بربروس خير الدين باشـا وطرغد باشا وصالح باشا اللذان حضرا إلى المغرب كضباط بحريين لاوروج رئيس وغيرهم . اعترف الجميع باقتدار العثمانية في كامل افريقيا . وفي أواخر القرن 19 ، تمكنت الدول الأوروبية ، الاستعمارية التبشيرية ، دون أدنى حياء ، من رفع العلم العثماني ذي الهلال والنجمة والدخول إلى المناطق الأفريقية النائية . إذ إن القبائل المحليّه ، كانت تقتل البيض الذين ليسوا أتراكا . كانوا يشكون في نيّاتهم . إذ إنهم كانوا قد قبضوا على ملايين من مواطنيهم وساقوهم كعبيد إلى الأقطار الأخرى . كانت تشاد الشمالية المسماة « بوركو » في القرن 16 ، أراضي .تتبع لواء فيزان . كانت لاتزال حتى عام 1911 ، في قصبتي بوركو و بارداي ، حامية عثمانية مرسلة من استانبول . ولكن عندما احتلت إيطاليا ليبيا ، اعطيت بوركو إلى فرنسا ولم تعط لايطاليا . بينما كانت في إيالة طرابلس ، وهذا هو منشأ إدعاءات ليبيا الحالية حول تشاد (Charles le Coeur ، EI ، 1 ، 1296 ب) .

كانت إيالة طرابلس في 1593 ، تتكون من ألوية طرابلس ، بنغازى ، فزّان ، جربه ، سفسقس ومناسطر . الألوية الثلاثة الأخيرة ، لدى تونس حاليا ، وتشكل وسط جنوب تونس . أعطيت هذه الألوية الثلاثة بعد ذلك إلى إيالة تونس . احتل العثمانيون لمرات عديدة جزر مالطة وكوزو ، لكنهم لم يتمكنوا من الاستيلاء على قلعة مالطة . إلا أن السلطان عبد العزيز (1861 - 1876) اشترى أراضي في مالطه وبنى فيها جامعا ومقبرة للشهداء . وهى ساحة الكولف التي تواجه نادي Marsa (بالعربية : مرسى

ميناء) وهو الموقع الذي استشهد فيه أكبر عدد من العثمانيين في حصار مالطة عام 1565 . لايزالون يعثرون على عظام بشرية ونقود عثمانية كلما حفرت الأرض (Ernle Bradford ، 95) .

كانت ليبيا في 1908 ، 5 ألوية ؛ المركز طرابلس الغرب ، حمص ، جبل غريب ، فزّان وبنغازي . أقضية اللواء المركزي : المركز طرابلس (نواحيه : المركز ، تاجورا ، حفاره ، زنزور) ، النواحي الأربعة (مركزها هاني) نواحيه : هاني ، منشيّه ، ساحل ، رفيعات ، علاونه) ، غريان (نواحيه : المركز طرخوخة ، زاوية ، زوارة عزيزية) ، عرفّلا (نواحيه : المركز ، عجيلات ، نيجات ومركزه جوش) . ـ أقضية لواء حمص : المركز ، مسّوراتا ، ظلّتين ، مصالته ، سرت (نواحيه : المركز ، تفوركا ، تابيه) . ـ أقضية لواء جبل غريب : المركز قصيبة (نواحيه : المركز ، حوض ، ككلة ، مزدة ، زنتان ، يفرين) ، كدامس ، نالوط ، فساطو (مركزه جادو) . ـ أقضية لواء فزّان : المركز مرزق (نواحيه : المركز ، سبتة ، وادي عتبة ، زيلة ، قطرون ، وادي الشرقي ، وادي الغربي) ، سكنه ، شاطيء ، غات (نواحيه : المركز ، جانت ، بركه) ، تيبور شاده (المركز برادي) (هذا القضاء حاليا لدى تشاد . ـ أقضية لواء بنغازي المستقل : المركز (نواحيه : المركز ، برأسا ، سلوك ، قمص ، برسيس) ، درنة (نواحيه : المركز ، طبرق ، بومبا ، قبه ، سلّوم) ، برج (نواحيه : المركز ، حاسة ، درسة) ، جالو ، اوجلّة ، كفره ، جدابيّه (نواحيه : المركز ، برقة) .

قضاء غات Gaat ، تأسس على أيام ولاية مصطفى عاصم باشا في 1875 بإرساله وحدات عسكرية واحتلاله له . إذ كانت موضوع خلاف مع فرنسا . وقد تأسس قضاء تيرشاده الذي بقي حاليا لدى دولة تشاد باحتلاله في 1881 لئلا ينتقل إلى حوزة فرنسا .

كانت إيالة طرابلس ـ عدا لواء بنغازي ـ تحتوي في 1908 على 24 مدرسة متوسطة وابتدائية تركية للذكور والإناث تدّرس باللغة التركية ، مدارس ومكاتب كثيرة جدا على الطراز القديم تدّرس باللغة العربية ، 3 مدارس متوسطة لليهود للذكور ، 2 للاناث

و 9 ابتدائية مدرسة إيطالية واحدة . مدرستين تدرسان باللغة الفرنسية للذكور و 2 للإناث . أما في لواء بنغازي ، فكانت توجد 12 مدرسة متوسطة وابتدائية تدرس بالتركية ، 39 مدرسة تدرس بالعربية ومدرسة واحدة تركية للمعلمين ، 3 مدارس للبنات بالتركية ، مدرسة موسوية واحدة ، مدرسة إيطالية للبنات ، مدرستين فرنسيتين واحدة للبنات والأخرى للذكور .

كان في 1890 في مدينة طرابلس 9 جوامع ، 18 مسجدا ، 3 مدارس ، مدرسة متوسطة ، مدرستان ابتدائيتان عدة مكاتب في المحلات ، 6 تكايا ، 13 خانا ، 2490 دارا ، 1075 دكانا ، 40 مغازة (مخزن كبير)، 4 حمامات ، 5 كنائس ، 7 معابد لليهود ، 27 مقهى ، 72 طاجونة ، مصنعا صابون ، 3 صيدليات ، 20 فرنا ، مستشفى ، 82 حانة مشروبات (**سالنامه ولايت طرابلس غرب** ، 1305 ، ص 135) .

وبينما كانت بنغازى أحد ألوية الإيالة انفصلت وأصبحت لواء مستقلا . وانقطعت علاقتها بطرابلس وارتبطت بوزارة الداخلية . وهكذا انقسمت ليبيا في الحقيقة إلى وحدتين . كانت الفرقة 15 في ليبيا تابعة إلى القيادة العليا دون ارتباطها بأى جيش . كانت هذه الفرقة في 1900 تتألف من : لواءى المشاة التاسع واللواء الثلاثين (الكتائب 57 , 58 , 59, 60) ، لواء خيالة واحد (الكتائب 37 و 38) ، اللواء المدفعي 15 ، سرية مدفعية قلعة طرابلس (3 بطاريات) ، سرية الرماة 15 . وإضافة إلى ذلك جنود قول أوغللرى المنظمون في كتيبتي رديف . وبذلك فإن القوة العسكرية العثمانية في ليبيا ، كانت في الحقيقة فيلقا واحدا . وفي 1895 ، نظم الوالي نامق باشا بأمر عبد الحميد الثاني ، قول أوغللرى وجعلهم كتيبتين . جميع ضباطهم كانوا قول أوغلو (أبناء الجواري) من الليبيين . إلا أن رتب ضباطهم كانت معتبرة في كتائبهم فقط . يلاحظ أن هذه التشكيلات شبيهة بكتائب خيالة حميديه الخفيفة التي تأسست في الأناضول . وفي 1910 ، سحبت نظارة الحربية هذه الفرقة القوية من ليبيا وأرسلتها إلى اليمن . وبذلك تحقق الاحتلال الإيطالي .

بدأ الاحتلال الإيطالي ، في الوقت الذي استدعى فيه والي ليبيا الذي كان أحد

المارشالات في عهد السلطان حميد إلى استانبول ، ولم يكن بكر سامي بك الذي عين بدلا منه ، قد تحرك بعد من استانبول . وكان العقيد الركن نشأت بك يقوم بالألوية كوكيل في قطر تبلغ مساحته ضعفي مساحة تركيا الحالية . وبعد أن تم إنزال الإيطاليين 40 000 جندي بمساندة كامل أسطولهم ، تمكنت سفينة درنة القادمة من استانبول من إنزال 25000 طلقة بندقية وعتاد و 100 جندي تركي في 26 أيلول . كان اليهود الليبيون يتجسسون لحساب الإيطاليين منذ سنين ، قاموا بإرشاد الإيطاليين . اضطر رئيس بلدية طرابلس قره مانلي حسونة باشا إلى تسليم المدينة يوم 5 ت 2 . إذ لم يكن في مركز تلك الإيالة الكبيرة غير 100 جندي مشاة ، وعدة بطاريات وبعض وحدات من الدرك .

وفي 1915 ، عندما دخلت إيطاليا الحرب العالمية إلى جانب الحلفاء وضد الدولة العثمانية ، أرسل الباب العالي إلى ليبيا عددا كبيرا من الاسلحة والجند . ظل الإيطاليون محصورين في بضعة قصبات ساحلية . كان قائد جبهة القوات العثمانية في ليبيا الفريق الأول الشهزاده عثمان أفندي حفيد السلطان مراد الخامس . وعند وقف العثمانية لإطلاق النار في هدنه مونترو ، كان حفيد عثمان غازي في البطن الـ 22 ، لايزال مسيطرا على ليبيا . حاول إقناع الباب العالي بعدم تركه للقطر بموجب أحكام الهدنة . تباطأ مدة من الزمن ، لكنه عاد أخيرا إلى استانبول يائسا . كانت الأيام الأولى من عام 1919 . كان هو آخر قائد مظفر لبني عثمان . انقطع ارتباط القارة الأفريقية بالدولة انسحبت الآن الدولة العظمى التي لعبت دورا مهما في التاريخ والتي امتدت حدودها على ثلاث محيطات ، إلى مابين نهر مريج وجبل آغري وبدأت في صراع الحياة والموت .

﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير ﴾

(آل عمران ، 3 ، 26) .

والحمد لله رب العالمين

فهرس
محتويات المجلد الرابع